

الجزء الثاني

اختيار الفقير إلى ربه

زامل بن صالح الزامل

بسم الله الرحمن الرحيم


المجموع المنتخب
من المواعظ والأدب

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م




المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب ١٨٤١٢
الرمز البريدي ٢١٤٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه

أما بعد لقد وفق المولى سبحانه وتعالى ويسر طبع الجزء الأول من هذا الكتاب ولم نذكر أنه الجزء الأول لأني لم أتوقع أنه يحوز الاستحسان والقبول ولكن صار الواقع خلاف ظني ولله الحمد فلما رأيت رغبة الناس للكتاب وطُلب مني المواصلة استعنت المولى سبحانه وتعالى فجمعت ما تيسر.

أيها القارىء لا بد أن تجد أخطاء أو تكراراً، عند ذلك أذكر قول الشاعر:

إن تجد عيباً فسد الخللا ... جلّ من لا عيب فيه وعلا

مع أن الشيخوخة داعية إلى ضعف الذاكرة وغيرها ونحمد الله تعالى على الصحة التامة.

ملحوظة: بمقدمة الجزء الأول نبهنا عن أمرين أحدهما أنه لم يتسنَّ لنا التبويب والترتيب وقد بقي الكتاب على هذه الصفة وربما يكون أشهى للقارىء وأشوق له فجاء كما قيل: كسفط مختلط رخيصه بغاليه أو كعقد انفصم سلكه فتناثرت لآليه.

وقد جعلت هذا الجزء على هذه الصفة كالأول.

ثانياً: كثيراً أُهمل نسبة الشعر أو المقالة إلى القائل وسبب ذلك إما عدم النسبة بالأصل المنقول منه أو مع طول المدة من نقلها من أصلها إلى المسودة وتحرير الكتاب حصل ما أشرنا إليه آنفاً من الشيخوخة وغيرها.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا خالصه لوجهه الكريم وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد نفيسة:

اخترناها من كتاب إغاثة اللهفان

للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى



الباب الأول
في انقسام القلوب
الى صحيح وسقيم وميت

لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثلاثة فالقلب الصحيح هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ والسليم هو السالم وجاء على هذا المثال لأنه للصفات كالطويل والقصير والظريف فالسليم القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له كالعليم والقدير وأيضاً فإنه ضد المريض والسقيم والعليل وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم والأمر الجامع لذلك أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده. قال بعض السلف: ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديونان. لِمَ. وكَيْف. أي لم فعلت وكيف فعلت فالأول سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه. هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم أو استجلاب محبوب عاجل أو دفع مكروه عاجل أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى وابتغاء الوسيلة إليه. ومحل هذا السؤال أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك أم فعلته لحظِّك وهواك.

والثاني: سؤال عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك التعبد أي هل كان العمل مما شرعته لك على لسان رسولي أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه. فالأول سؤال عن الإخلاص والثاني عن المتابعة فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما. فطريق التخلص من السؤال الأول بتجريد الإخلاص وطريق التخلص من السؤال الثاني بتحقيق المتابعة وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص وهوى يعارض الاتباع فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضمنت له النجاة والسعادة.

فصل
في القلب الميت

والقلب الثاني ضد هذا وهو القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهواته ولذاذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي به أم سخط فهو متعبد لغير الله حباً وخوفاً ورجاء ورضاً وسخطاً وتعظيماً وذلاً إن أحب أحب لهواه وأن أبغض أبغض لهواه وإن أعطى أعطى لهواه وإن منع منع لهواه فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور يُنَادَى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد فلا يستجيب للناصح ويتبع كل شيطان مريد الدنيا تسخطه وترضيه والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم ومجالسته هلاك.

فصل
في القلب المريض

والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته. وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو والفساد

في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه وهو ممتحن بين داعيين داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة. وداع يدعوه إلى العاجلة. وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً وأدناهما إليه جواراً. فالقلب الأول حي مخبت لين واع والثاني يابس ميت. والثالث مريض فإما إلى السلامة أدنى وإما إلى العطب أدنى.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنَّى ألقى الشيطانُ في أمنيتِهِ فينسخُ الله ما يلقي الشَّيطانُ ثم يُحكمُ الله آياته والله عليم حكيم. ليجعلَ ما يُلقي الشَّيطانُ فتنةً للَّذين في قُلوبِهم مَرضٌ والقاسية قلوبُهم وإنَّ الظَّالمين لفي شقاقٍ بعيدٍ. وليَعْلم الَّذين أوتوا العلم أنَّه الحقّ من ربّك فيؤمنوا بهِ فتخبتَ له قلوبُهم وإنّ الله لهادِ الَّذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾** فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة؛ قلبين مفتونين، وقلباً ناجياً. فالمفتونان القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي والناجي القلب المؤمن المخبت إلى ربه وهو المطمئن إليه الخاضع له المستسلم المنقاد.

أمراض القلب قسمان طبيعية وشرعية:

مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال وهو النوع المتقدم كمرض الجهل ومرض الشبهات والشكوك ومرض الشهوات وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً ولكن لفساد القلب لا يُحس بالألم ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له وهو متوار عنه باشتغاله بضده وهذا أخطر المرضين وأصعبهما وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالهم والغم والحزن والغيظ وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب وما يدفع موجبها مع قيامها وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشفى بما يشفى به البدن فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب ويشفيه ما يشفيه.

فأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن وهذه قد لا توجب وحدها شقاءه وعذابه بعد الموت وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية فهي التي توجب له الشقاء والعذاب الدائم إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء ولهذا يقال شفى غيظه فإذا استولى عليه عدوه آلمه ذلك فإذا انتصف منه اشتفى قلبه قال تعالى: **﴿قَاتِلوهم يُعذِّبهم الله بأيْديكم ويُخزهم وَيَنصركم عليهم ويشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين. ويُذهب غَيظَ قلوبهم ويَتوب الله على من يشاء﴾** فأمر بقتال عدوهم وأعلمهم أنّ فيه ست فوائد فالغيظ يؤلم القلب ودواؤه في شفاء غيظه فإن شفاه بحق اشتفى وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضاً من حيث ظن أنه يشفيه وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور بالمعشوق فإن ذلك يزيد مرضه ويوجب له أمراضاً أخر أصعب من مرض العشق كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكذلك الغم والهم والحزن أمراض للقلب وشفاؤها بأضدادها من الفرح والسرور فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصح وبرىء من مرضه وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر ولم يزل وأعقب أمراضاً هي أصعب وأخطر.
وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضاً إلى مرضه لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه بسبب جهله بالعلوم النافعة التي هي شرط في صحته وبرئه قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الذين أفتوا بالجهل فهلك المستفتي بفتواهم: «قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال» فجعل الجهل مرضاً وشفاءه سؤال أهل العلم. وكذلك الشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين ولما كان ذلك يوجب له حرارة قيل لمن حصل له اليقين ثَلجَ صدره وحصل له برد اليقين وهو كذلك يضيق بالجهل والضلال عن طريق رشده وينشرح بالهدى والعلم قال تعالى: **﴿فَمنْ يُرد الله أنْ يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يُرد أنْ يُضلَّه يَجعَل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعد في السماء﴾** وسيأتي ذكر مرض ضيق الصدر وسببه وعلاجه إن شاء الله تعالى.
والمقصود أن من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية ومنها ما لا يزول

إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية والقلب له حياة وموت ومرض وشفاء وذلك أعظم مما بالبدن وقال رحمه الله تعالى: حياة القلب وصحته لا تحصل إلا بأن يكون مدركاً للحق مريداً له مؤثراً له على غيره لما كان في القلب قوتان قوة العلم والتمييز. وقوة الإرادة والحب كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه ويعود عليه بصلاحه وسعادته فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل فمن لم يعرف الحق فهو ضال ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ولهذا كان النصارى أخص بالضلال لأنهم أمة جهل واليهود أخص بالغضب لأنهم أمة عناد. وهذه الأمة هم المنعم عليهم ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارى ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود لأن النصارى عبدوا بغير علم واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن أبلغ العذاب في الدنيا تشتيت الشمل وتفريق القلب وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه. وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «يقول الله تبارك وتعالى ابنَ آدم تفرغْ لعبادتي أملأ صدرك غِنى وأسدَّ فقركَ وإنْ لا تفعل ملأتُ يَديك شُغلاً ولم أسدَّ فقرك» وهذا أيضاً من أنواع العذاب وهو اشتغال القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه ومقاساة معاداتهم كما قال بعض السلف من أحب الدنيافليوطن نفسه على تحمل المصائب ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث همّ لازم. وتعب دائم. وحسرة لا تنقضي. وذلك أن محبها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثاً» وقد مثل عيسى بن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر كلماازداد شرباً ازداد عطشاً.

الوجه العاشر: أن غالب الخلق إنما يريدون قضاء حاجاتهم منك وإن أضرّ ذلك بدينك ودنياك فهم إنما غرضهم قضاء حوائجهم ولو بمضرتك والرب تبارك وتعالى إنما يريدك لك ويريد الإحسان إليك لك لا لمنفعته ويريد دفع الضرر عنك فكيف تعلق أملك ورجاءك وخوفك بغيره.

وجماع هذا أن تعلم «أنّ الخلقَ كلّهم لو اجْتَمعوا على أنْ يَنفعوك بشيء لم يَنْفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله تعالى لك» قال تعالى: **﴿قُلْ لَنْ يُصِيْبَنا إلاّ مَا كتبَ الله لَنَا هو مولاَنا وعلى الله فَلْيَتوكّل المؤمنُونَ﴾**.

علامات مرض القلب وصحته

كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به كماله في حصول ذلك الفعل منه ومرضه أن يتعذر عليه الفعل الذي خلق له حتى لا يصدر منه أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش الخ.

ومرض القلب أن يتعذر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئاً ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا قرة عين بل إذا كان القلب خالياً عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذاباً له ولا بد فيصير معذباً بنفس ما كان منعماً به من جهتين من جهة حسرة فوته وأنه حيل بينه وبينه مع شدة تعلق روحه به ومن جهة فوت ما هو خير له وأنفع وأدوم حيث لم يحصل له فالمحبوب الحاصل فات والمحبوب الأعظم لم يظفر به وكل من عرف الله أحبه وأخلص العبادة له ولا بد ولم يؤثر عليه شيئاً من المحبوبات فمن آثر عليه شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض. كما أن المعدة إذا اعتادت أكل الخبيث وآثرته على الطيب سقطت عنها شهوة الطيب وتعوضت بمحبة غيره. وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق

وعقائده الباطلة فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه وتألم بجهله بالحق بحسب حياته (وما لجرح بميت إيلام).

وقد يشعر بمرضه ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها فهو يؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء فإن دواءه في مخالفة الهوى وذلك أصعب شيء على النفس وليس لها أنفع منه. وتارة يوطن نفسه على الصبر ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه لضعف علمه وبصيرته وصبره كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها ولا سيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي بهم أسوة وهذه حال أكثر الخلق وهي التي أهلكتهم فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول. ﴿**الَّذين أنعم اللَّهُ عليهم مِن النَّبيين والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وَحَسُنَ أُولئِك رفيقا**﴾ فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب. وما أحسن ما قال أبو شامة في كتاب الحوادث والبدع: (حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم). وقال أبو شامة عن مبارك عن الحسن البصري: قال: السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكونوا.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن علامات صحة القلب أن لا يفتر عن ذكر ربه ولا يسأم من خدمته ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويذكِّره به ويذاكره بهذا الأمر ومن علامات صحته أنه إذا فاته وِرْدُهُ وجد لفواته ألماً أعظم

من تألم الحريص بفوات ماله وفقده. ومن علامات صحته أنه يشتاق إلى الخدمة كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب. ومن علامات صحته أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا واشتد عليه خروجه منها ووجد فيها راحته ونعيمه وقرة عينه وسرور قلبه ومن علامات صحته أن يكون همه واحداً وأن يكون في الله ومن علامات صحته أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شحاً بماله. ومنها أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله فهذه المشاهد لا يشهدها إلا القلب الحي السليم. وبالجملة فالقلب الصحيح هو الذي همه كله في الله وحبه كله له وقصده له وبدنه له وأعماله له ونومُه له ويقظته له وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه الخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له قرة عينه به وطمأنينته وسكونه إليه فهو كلما وجد من نفسه التفاتاً إلى غيره تلا عليها ﴿**يَا أيتها النَّفس المطمئنَّة ارجعي إلى ربِّك راضية مرضيّة**﴾ فهو يردد عليها الخطاب بذلك ليسمعه من ربه يوم لقائه فينصبغ القلب بين يدي إلهه ومعبوده الحق بصبغة العبودية فتصير العبودية صفة له وذوقاً لا تكلفاً فيأتي بها تودداً وتحبباً وتقرباً كما يأتي المحب المقيم في محبة محبوبه بخدمته وقضاء أشغاله فكلما عرض له أمر من ربه أو نهي أحس من قلبه ناطقاً ينطق لبّيك وسعديك إني سامع مطيع ممتثل ولك علي المنّة في ذلك والحمد فيه عائد إليك. وإذا أصابه قَدَر وجد من قلبه ناطقاً يقول: أنا عبدك ومسكينك وفقيرك وأنا عبدك الفقير العاجز الضعيف المسكين وأنت ربي العزيز الرحيم لا صبر لي إن لم تصبرني ولا قوة لي إن لم تحملني وتقوِّني لا ملجأ لي منك إلا إليك ولا مستعان لي إلا بك ولا انصراف لي عن بابك ولا مذهب لي عنك فينطرح بمجموعه بين يديه ويعتمد بكليته عليه فإن أصابه بما يكره قال: رحمة أُهدِيَت إلي ودواء نافع من طبيب مشفق وإن صرف عنه ما يحب قال شراً صرف عني فكل ما مسه به من السراء والضراء اهتدى بها طريقاً إليه وانفتح له منه باب يدخل منه عليه ولله هاتيك القلوب وما انطوت

عليه الضمائر وماذا أودعته من الكنوز والذخائر ولله طيب أسرارها ولا سيما يوم تبلى السرائر:

سَيبـدُو لهـا طِيبٌ ونـورٌ وبهـجـةٌ   وحسنُ ثنـاءٍ يـومَ تبلى السَّـرائـر

في علاج مرض القلب من استيلاء النفس عليه

إن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصبُّ ثم تنبعث منها إلى الأعضاء وأول ما تنـال القلب وقد كـان رسول الله ﷺ يقول في خطبة الحاجة: «الحمد لله نستعينُه ونَستَهديهِ ونستغفِرهُ ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا وسَيئاتِ أعْمالنا».

وفي المسنـد والترمـذي من حديث حصين بن عبيـد ورد أن رسـول الله ﷺ قال له: «يا حُصَين كم تعْبُدُ» قال سَبعةٌ ستّةٌ في الأرض وواحد في السماء قال: «فمنِ الذي تُعِدُّ لرغبَتِك ورهبَتِك» قـال: الذي في السمـاء قال: «أسلم حتّى أعلمك كلمات ينفعك الله بها» فـأسْلم فقال: «قـل اللّهم ألهمني رُشدي وَقِني شرّ نفسي» وقد استعاذ ﷺ من شرها عمومـاً ومن شر مـا يتولـد منها من الأعمـال ومن شر مـا يتـرتب على ذلـك من المكـاره والعقـوبـات وجمـع بين الاستعاذة من شر النفس ومن سيئات الأعمال وفيه وجهان أحدهما أنه من باب إضافة النوع إلى جنسه أي أعـوذ بك من هـذا النوع من الأعمـال. والثاني أن الماد به عقوبات الأعمال التي تسوء صاحبها.

فعلى الأول يكـون قد استعـاذ من صفـة النفس وعملهـا. وعلى الثـاني يكـون قد استعـاذ من العقوبـات وأسبابهـا. وقد اتفق السـالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلبوبين الوصول إلى الربّ وأنه لا يدخل عليه سبحانـه ولا يوصـل إليه إلا بعـد إماتتهـا وتركهـا بمخالفتها والظفر بها.

فـإن الناس على قسمين قسم ظفـرت به نفسـه فملكته وأهلكتـه وصـار طوعاً لها تحت أوامرهـا. وقسم ظفروا بنفـوسهم فقهروهـا فصارت طـوعاً لهم منقادة لأوامرهم. قال بعض العارفين: انتهى سفر الطالبين إلى الـظفر بـأنفسهم

فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت بـه نفسه خسـر وهلك. قال تعـالى: **﴿فأمّا مَنْ طغى وآثـر الحياة الـدّنيا فـإنّ الجحيم هي المأوى. وأمّـا من خاف مَقامَ ربّه ونهى النَّفس عن الهـوى. فإنّ الجنَّـة هي المأوى﴾**. فـالنفس تدعـو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب يدعو عبده إلى خـوفه ونهي النفس عن الهـوى والقلب بين الداعيين يميـل إلى هذا الـداعي مـرة وإلى هذامـرة وهـذا موضع المحنة والابتلاء وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثـلاث صفات: المطمئنة. والأمارة بالسوء. واللوامة. فاختلف الناس هل النفس واحدة وهذه أوصـاف لها أم للعبـد ثلاث أنفس والتحقيق أنـه لا نزاع بين الفـريقين فـإنهـا واحدة باعتبار ذاتها وثلاث باعتبار صفاتها فإذا اعتبرت بنفسها فهي واحدة وإن اعتبرت مع كـل صفة دون الأخـرى فهي متعددة. وما أظنهم يقولـون إن لكل أحد ثلاث أنفس كل نفس قائمة بذاتهـا مساويـة للأخـرى في الحد والحقيقـة وأنه إذا قبض العبد قبضت له ثلاث أنفس كل واحدة مستقلة بنفسهـا. إلى أن قـال: فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمـأنت بذكـره وأنابت إليـه واشتاقت إلى لقـائه وأنست بقـربه فهي مـطمئنة وهي التي يقـال لها عنـد الوفـاة: **﴿يَا أيّتهـا النّفس المطمئنة ارجِعي إلى ربّك راضِيةً مرضيّة﴾** وحقيقة الطمـأنينة السكـون والاستقرار فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعتـه وأمره وذكـره ولم تسكن إلى سواه فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكـره واطمأنت إلى أمـره ونهيه وخبـره واطمأنت إلى لقائـه ووعده واطمـأنت إلى التصديق بحقـائق أسمائـه وصفاتـه واطمـأنت إلى الرضى بـه رباً وبـالإسلام دينـاً وبمحمد رسـولاً واطمـأنت إلى قضائه وقدره واطمأنت إلى كفايته وحَسْبِه وضمانـه فاطمـأنت بأنـه وحده ربهـا وإلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله وأن مـرجعها إليـه وأنها لا غنى لهـا عنه طرفة عين وإذا كانت بضد ذلك فهي أمّارة بالسوء تأمر صاحبهـا بما تهـواه من شهوات الغي واتباع الباطل فهي مأوى كل سوء وإن أطاعها قادتـه إلى كل قبيح وكل مكروه وقد أخبر سبحانه أنها أمّارة بالسوء ولم يقل آمـرة لكثرة ذلـك منها وأنه عادتها ودأبها إلا إذا رحمها الله وجعلهـا زاكية تـأمر صـاحبها بـالخير فذلك من رحمة الله لا منها فإنها بذاتها أمّارة بالسـوء لأنها خلقت في الأصـل جـاهلة ظالمـة إلا من رحمة الله والعـدل والعلم طـارىء عليهـا بـإلهـام ربهـا

وفاطرها لها ذلك فإذا لم يلهمها رشدها بقيت على ظلمها وجهلها فلم تكن أمّارة إلا بموجب الجهل والظلم فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة فإذا أراد الله سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح من الإرادات والتصورات وإذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التي خلقت عليها من الجهل والظلم وسبب الظلم إما جهل وإما حاجة وهي في الأصل جاهلة والحاجة لازمة لها فلذلك كان أمرها بالسوء لازماً لها إن لم تدركها رحمة الله تعالى وفضله وبهذا يعلم أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة ولا تشبهها ضرورة تقاس بها فإنه إن أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك.

الزكاة في اللغة هي النماء والزيادة والصلاح وكمال الشيء يقال: زكا الشيء إذا نما قال الله تعالى: **﴿خُذ من أمْوالهم صدقةً تُطهرهم وتُزكّيهم بها﴾** فجمع بين الأمرين الطهارة والزكاة لتلازمهما فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن وبمنزلة الدغل في الزرع وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد فكما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة تخلصت القوة الطبيعية منها فاستراحت فعملت عملها بلا معوق ولا ممانع فنما البدن فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه فتخلصت قوته وإرادته للخير فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة زكا ونما وقوي واشتد وجلس على سرير ملكه ونفذ حكمه في رعيته فسمعت له وأطاعت فلا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته كما قال تعالى: **﴿قُلْ للمؤمنين يَغضّوا مِنْ أبْصارهم ويحفظوا فروجَهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بِمَا يصْنعون﴾** فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر جليلة القدر.

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله عز وجل خيراً منه والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة والعين رائد القلب فيبعث رائده

لنظر ما هناك فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله تحرك اشتياقاً إليه وكثيراً ما يتعب ويتعب رسوله ورائده كما قيل:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً اتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة فمن أطلق لحاظته دامت حسراته فإن النظر يولد المحبة فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه ثم تقوى فتصير صبابة ينصب إليه القلب لكليته ثم تقوى فتصير غراماً يلزم القلب كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه ثم يقوى فيصير عشقاً وهو الحب المفرط ثم يقوى فيصير شغفاً وهو الحب الذي قد وصل إلى شغاف القلب وداخله ثم يقوى فيصير تتيماً والتتيم التعبد ومنه تيمه الحب إذا عبّده وتيم الله عبدالله فيصير القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون هو عبداً له وهذا كله جناية النظر فحينئذ يقع القلب في الأسر فيصير أسيراً بعد أن كان ملكاً ومسجوناً بعد أن كان مطلقاً يتظلم من الطرف ويشكوه والطرف يقول أنا رائدك ورسولك وأنت بعثتني. وهذا إنما تبتلى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن يتعبد قلبه لغيره. قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: **﴿كَذلِكَ لِنَصرفَ عنه السوء والفَحشآء إنَّه مِنْ عِبادنا المُخلصين﴾**.

الفائدة الثانية: في غض البصر نور القلب وصحة الفراسة قال أبو شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وكف نفسه عن الشهوات وغض بصره عن المحارم واعتاد أكل الحلال لم تخطىء له فراسة.

وذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به ثم قال بعد ذلك: **﴿إنَّ في ذَلك لآياتٍ للمتوسّمين﴾** وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم: **﴿الله نُور السَّموات والأرض﴾** وسرّ هذا أن الجزاء من جنس العمل فمن

غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه فرأى له ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه فإن القلب كالمرآة والهوى كالصدإ فيها فإذا خلصت المرآة من الصدإ انطبعت فيها صور الحقائق كما هي عليه وإذا صدئت لم تنطبع فيها صور المعلومات فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.

الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة كما أعطاه بنوره سلطان الحجة فيجمع له بين السلطانين ويهرب الشيطان منه كما في الأثر (إن الذي يخالف هواه يهرب الشيطان من ظله) ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه فإنه سبحانه جعل العز لمن أطاعه والذل لمن عصاه قال تعالى: **﴿وَلله العزَّةُ ولرسُوله وللمؤمنين﴾** وقال تعالى: **﴿وَلا تَهِنوا وَلا تحزنُوا وأنتُم الأعْلون إن كُنتم مُؤمنين﴾** وقال تعالى: **﴿مَن كَانَ يُريد العزّة فللّهِ العزّةُ جميعاً﴾** أي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله بالكلم الطيب والعمل الصالح. وقال بعض السلف: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله وقال الحسن: (وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذين وطقطقت بهم النعال إن ذلّ المعصية لفي قلوبهم أبى الله عز وجل إلا أن يُذِلَّ من عصاه. وذلك أن من أطاع الله فقد والاه ولا يذل من والاه ربه كما في دعاء القنوت (إنَّه لَا يَذِلُّ مَنْ واليتَ وَلَا يَعِزُّ منْ عَادَيت) والمقصود أن زكاة القلب موقوفة على طهارته كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة قال تعالى: **﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ ما زَكَى مِنكم مِن أحَدٍ أبداً ولكنَّ الله يُزكِّي مَنْ يشاء والله سميعٌ عليمٌ﴾** ذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك وكذلك قوله تعالى في الاستئذان على أهل البيوت: **﴿وَإنْ قِيل لَكم ارجِعُوا فارْجِعوا هُوَ أزكى لكم﴾** فإنهم إذا أمروا بالرجوع لئلا يطلعوا على عورة لم يحب صاحب المنزل أن يُطَّلع عليها كان ذلك أزكى لهم كما

أن رد البصر وغضه أزكى لصاحبه قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

فوائد

كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل الشدة عاد أمره إلى الرضى والغبطة ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة. وقال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا. وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه فيقول والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك هيهات هيهات حيل بيني وبينك. ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه ما أردت إلى هذا مالي ولهذا والله لا أعود إلى هذا أبداً. إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله ويعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه مأخوذ عليه في ذلك كله. قال مالك بن دينار: (رحم الله عبداً قال لنفسه ألستِ صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً).

وقد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك في المال فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة على ما يفعل الشريك أولاً ثم بمطالعة ما يعمل والإشراف عليه ومراقبته ثانياً ثم بمحاسبته ثالثاً ثم بمنعه من الخيانة إن اطلع عليها رابعاً فكذلك النفس يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة التي حِفظها هو رأس المال والربح بعد ذلك فمن ليس له رأس مال فكيف يطمع في الربح وهذه الجوارح السبعة وهي العين، والأذن، والفم، واللسان، والفرج، واليد، والرجل، هي مراكب العطب والنجاة فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها فحفظها أساس كل خير وإهمالها أساس كل شر.

قال تعالى: ﴿**قُل للمؤمنِين يَغضُّوا من أبْصارهم ويحفظوا فُروجَهم**﴾.

وقال تعالى: ﴿**ولا تمشِ في الأرض مَرحاً إنّـك لن تخرق الأرض ولن تَبْلغ الجبال طولاً**﴾ وقال: ﴿**ولا تَقْفُ ما ليسَ لـكَ بهِ علمٌ إن السَّمـع والبَصَر والفُؤاد كلُّ أولئِك كـانَ عنه مَسْؤولا**﴾ وقـال: ﴿**وقل لعبـادِي يَقُولـوا الَّتي هي أحْسَن**﴾ وقال: ﴿**يا أيُّها الَّذين آمنُوا اتّقوا الله وقولُوا قولاً سَديدا**﴾ وقال: ﴿**يـا أيُّها الّذين آمنوا اتَّقوا الله ولْتَنظر نفسٌ ما قدَّمت لِغَدٍ**﴾.

فـإذا شـارطهـا على حفظ هـذه الجـوارح انتقـل منهـا إلى مـطالعتهـا والإشراف عليها ومراقبتها فلا يهملها فإنه إن أهملهـا لحظة رتعت في الخيـانة ولا بد فإن تمادى على الإهمال تمـادت في الخيانـة حتى تُذهب رأس المـال كله. ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة معـرفته أنـه كلما اجتهـد فيها اليـوم استراح منها غداً إذا صار الحسـاب إلى غيره وكلمـا أهملها اليـوم اشتد عليـه الحساب غداً. ويعينه عليها أيضاً معرفته أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس والنظر إلى وجه الرب سبحانـه. وخسارتهـا دخول النـار والحجاب عن الـرب تعالى فإذا تيقن هذا هان عليـه الحساب اليـوم فحق على الحازم المؤمن بـالله واليـوم الآخر أن لا يغفـل عن محاسبـة نفسـه والتضييق عليهـا في حـركـاتهـا وسكناتها وخطراتها وخطواتها فكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظّ لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يَسمـح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن ﴿**يَوْمَ تَجِد كلُّ نفسٍ ما عمِلَت من خيرٍ محضـراً وما عمِلتْ مِن سُـوءٍ تودّ لَوْ أنَّ بيْنها وبَيْنه أمَداً بَعِيداً**﴾.

فصل

ومحاسبة النفس نوعان نوع قبل العمل ونوع بعده فأما النوع الأول فهـو أن يقف عند أول همِّه وإرادتـه ولا يبادر بـالعمل حتى يتبين لـه رجحانـه على تـركه. النـوع الثاني محـاسبة النفس بعـد العمـل وهـو ثـلاثـة أنـواع أحـدهـا محاسبتها على طاعة قصـرت فيها من حق الله تعـالى فلم توقعهـا على الوجـه

الـذي ينبغي. وحق الله تعـالى في الـطاعـة ستـة أمـور وهي الإخــلاص في العمل. والنصيحة لله فيه. ومتابعة الرسول فيه. وشهود مشهد الإحسان فيـه. وشهودة منة الله عليه. وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله. فيحـاسب نفسه هـل وفّى هذه المقامات حقها وهـل أتى بها في هـذه الطاعـة. الثاني أن يحـاسب نفسه على كل عمل كان تَـرْكه خيـراً له من فعله. الثـالث: أن يحاسب نفسـه على أمر مباح أو معتاد لِمَ فعله وهل أراد به الله والدار الآخرة فيكون رابحـاً أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض فإن تـذكر فيهـا نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح. ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنـه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية ثم يحاسب نفسـه على الغفلة فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشت إليه رجلاه أو بـطشت يداه أو سمعتـه أذناه مـاذا أرادت بهـذا ولمن فعلته وعلى أي وجـه فعلته ويعلم أنـه لا بد أن ينشـر لكل حـركة وكلمـة منـه ديـوانان ديوان لمن فعلتَـه وكيف فعلتَـه فـالأول سؤال عن الإخلاص والثاني سؤال عن المتابعة وقال تعالى: ﴿**فَوربّك لَنسألنّهم أجمعين عمّـا كـانـوا يعملون**﴾ وقـال تعـالى: ﴿**فَلَنَسئلنّ الّـذين أُرسـل إليهم ولنسئلنَّ المـرسلين. فلنقصَّنّ عليهم بعلم ومـا كنّـا غـائبين**﴾ وقـال تعـالى: ﴿**لِيسـأل الصَّادقين عن صدقهم**﴾ فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الـظن بالكاذبين.

وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ لتسئَلُنّ يومئِذٍ عن النَّعيم**﴾ قال محمد بن جريـر يقول تعالى ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا مـا عملتم فيه من أين وصلتم إليه وفيم أصبتمـوه وماذا عملتم بـه. والنعيم المسؤول عنه نوعان نوع أُخذ من حله وصـرف في حقه فيسـأل عن شكره. ونـوع بغير حله وصرف في غير حقـه فيسأل عن مستخـرجه ومصـرفه فـإذا كان العبـد مسؤولاً ومحاسباً على كل شيء حتى على سمعه وبصـره وقلبه كمـا قال تعـالى: ﴿**إنَّ السَّمـع والبَصَر والفؤاد كـلّ أُولئِك كـان عنه مَسْؤلا**﴾ فهـو حقيق أن يحـاسب نفسـه قبل أن ينـاقش الحساب. وقـد دل على وجوب محـاسبـة النفس قـولـه

تعالى: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ولْتَنْظر نفسٌ ما قدّمت لِغَدٍ﴾ يقول تعالى لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال أمن الصالحات التي تنجيه أمن من السيئات التي توبقه. قال قتادة: ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغدٍ. والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النفس وفساده بإهمالها والاسترسال معها وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أوقاتها كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها.

فالنفس داعية إلى المهالك معينة للأعداء طامحة إلى كل قبيح متبعة لكل سوء فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة. فالنعمة التي لا خطر لها الخروج منها والتخلص من رقها فإنها أعظم حجاب بين العبد وبين الله تعالى وأعرف الناس بها أشدهم إزراء عليها ومقتاً لها. ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل. ذكر ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار قال: إن قوماً من بني إسرائيل كانوا في مسجد لهم في يوم عيد فجاء شاب حتى قام على باب المسجد فقال: ليس مثلي يدخل معكم أنا صاحب كذا أنا صاحب كذا يزري على نفسه فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم إن فلاناً صدّيق. وفي كتاب الزهد للإمام أحمد أن رجلاً من بني إسرائيل عبد ستين سنة في طلب حاجة فلم يظفر بها فقال في نفسه والله لو كان فيكِ خير لظفرت بحاجتك فأتي في منامه فقيل له أرأيت ازدراءك نفسك تلك الساعة فإنه خير من عبادتك تلك الستين.

ومن فوائد محاسبة النفس أنه يعرف بذلك حق الله تعالى ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه وهي قليلة المنفعة جداً. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حجاب، حدثنا جرير بن حازم عن وهب قال: بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مرّ برجل يدعو ويتضرع فقال: يا رب ارحمه فإني قد رحمته فأوحى الله تعالى إليه لو دعاني حتى تنقطع قواه ما أستجيب له حتى ينظر في حقي عليه.

فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العباد فإن ذلك يورثه مقت نفسه والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته فإن من حقه أن يطاع ولا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه عَلِمَ علم اليقين أنه غير مؤدّ له كما ينبغي وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة وأنه إن أُحيل على عمله هلك فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله تعالى وبنفوسهم وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته. وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم ومن ههنا انقطعوا عن الله وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولاً ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانياً. وأفضل الفكر الفكر في ذلك فإنه يسير القلب إلى الله ويطرحه بين يديه ذليلاً خاضعاً منكسراً كسراً فيه جبره ومفتقراً فقراً فيه غناه وذليلاً ذلاً فيه عزه ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل فإنه إذا فاته هذا فالذي فاته من البر أفضل من الذي أتى. وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن القاسم، حدثنا صالح المدني عن أبي عمران الجوني عن أبي الخلد أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام (إذا ذكرتني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم مقام العبد الحقير الذليل وذم نفسك فهي أولى بالذم وناجني حين تناجيني بقلب وجل ولسان صادق).

ومن فوائد نظر العبد في حق الله عليه أن لا يتركه ذلك يُدِلُّ بعمل أصلاً كائناً ما كان ومن أدلّ بعمله لم يصعد إلى الله تعالى كما ذكر الإمام أحمد عن بعض أهل العلم بالله أنه قال له رجل إني لأقوم في صلاتي فأبكي حتى يكاد ينبت البَقْل من دموعي فقال له: إنك أن تضحك وأنت تعترف لله بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدلّ بعملك فإن صلاة الدّال لا تصعد فوقه. فقال له: أوصني قال: عليك بالزهد في الدنيا وأن لا تنازعها أهلها وأن تكون كالنحلة

إن أكلت أكلت طيباً. وإن وضعت وضعت طيباً وإن وقعت على عود لم تضره ولم تكسره وأوصيك بالنصح لله عز وجل نصح الكلب لأهله لأنهم يجيعونه ويطردونه ويأبى إلا أن يحوطهم وينصحهم. ومن هنا أخذ الشاطبي قوله:

وَقَد قيلَ كنْ كالكلبِ يُقصيه أهلُهُ وَلا يأتَلي في نُصْحِهم مُتبذلا

فوائد في علاج
مرض القلب من عمل الشيطان

ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس فإن النفس المذمومة ذكرت في قوله تعالى: ﴿**إنّ النَّفس لأمّارةٌ بالسُّوء**﴾ واللوامة في قوله: ﴿**وَلاَ أُقْسِم بالنَّفسِ اللوّامة**﴾ وذكرت النفس المذمومة في قوله: ﴿**وَنَهى النَّفس عنِ الْهَوَى**﴾ وأما الشيطان فذكر في عدة مواضع وأفردت له سورة تامة فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس وهذا هو الذي لا ينبغي غيره فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته فهي مركبه وموضع شره ومحل طاعته وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن وغير ذلك وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد وإنما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ﷺ: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا» كما تقدم وقد جمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين الاستعاذة من الأمرين في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «قل اللَّهم عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهادةِ فَاطِر السَّمواتِ والأرض ربَّ كلِّ شيءٍ ومَلِيْكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شرِّ نفسي وشرِّ الشَّيطان وشِرْكِهِ وأن أقْتَرِفَ على نفسي سوءاً أو أجرّه إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» فقد تضمن هذا الحديث الشريف الاستعاذة من الشر وأسبابه وغايته فإن الشر كله إما أن يصدر من النفس أو من الشيطان وغايته إما أن تعود على العامل أو على

أخيه المسلم فتضمن الحديث مصدري الشر اللذين يصدر عنهما وغايتيه اللتين يصل إليهما.

فصل

قال تعالى: **﴿فَإِذَا قرأت القرآن فاسْتَعِذ بالله من الشَّيطان الرّجيم، إنه لَيس له سُلطان على الّذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكّلون. إنما سُلطانه على الّذين يَتَولونه والّذين هُم بِهِ مُشركون﴾** ومعنى (استعذ بالله) امتنع به واعتصم به والجأ إليه ومصدره العوذ. والعياذ. والمعاذ. وغالب استعماله في المستعاذ به ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لقد عُذْتِ بِمُعَاذٍ» وأصل اللفظة من اللجأ إلى الشيء والاقتراب منه. ومن كلام العرب أطيب اللحم عوذه أي الذي قد عاذ بالعظم واتصل به. وناقة عائذ يعوذ بها ولدها وجمعها (عوذ) كحمر ومنه في حديث الحديبية (مَعَهُم العُوذُ المَطافِيلُ) والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها.

أمر الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن وفي ذلك وجوه منها أن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب بما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة فهو دواء لما أَمَرَّه فيها الشيطان فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلي منه القلب ليصادف الدواء محلاً خالياً فيتمكن منه ويؤثر فيه. فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينجع فيه ومنها أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كما أن الماء مادة النبات والشيطان نار يحرق النبات أولاً فأولاً فكلما أحس بنبات الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه فأمر أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن. والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن. وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها. وكأن من قال إن الاستعاذة بعد القراءة لا حَظَ هذا المعنى وهو لعمر الله ملحظ جيد إلا أن السنة وآثار الصحابة إنما جاءت بالاستعاذة قبل الشروع في القراءة وهو قول جمهور الأمة من السلف والخلف وهو محصل للأمرين. ومنها أن الملائكة تدنو من قارىء القرآن وتستمع

لقراءته كما في حديث أُسَيْد بن حضَير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح فقال عليه الصلاة والسلام: «تِلْكَ المَلاَئِكة» والشيطان ضد الملك وعدوه فأمر القارىء أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه حتى يحضره خاص ملائكته فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين. ومنها أن الشيطان يُجلب على القارىء بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن فلا يكمل انتفاع القارىء به فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه.

ومنها أن القارىء يناجي الله تعالى بكلامه والله تعالى أشد أذَناً للقارىء الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء فأمر القارىء أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته.

ومنها أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته. والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته قال الشاعر في عثمان:

تَمَنَّى كتابَ الله أوّل ليله   وآخره لاَقَى حِمامَ المَقَادر

فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم ولهذا يغلط القارىء تارة ويخلط عليه القراءة ويشوشها عليه فيخبط عليه لسانه أو يشوش عليه ذهنه وقلبه فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارىء هذا أو هذا وربما جمعهما له فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه.

ومنها أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إنّ شَيطاناً تفلَّت عليَّ البارحة فأراد أن يقطع عليَّ صلاتي»، الحديث وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث سبرة بن أبي الفاكه أنه سمع النبي

ﷺ يقول: «إنّ الشَّيطان قعد لابن آدَم بأطْرَاقِه فَقَعد له بطَريق الإسلام فقَال: أتسلم وتذرَ دينَك ودينَ آبـائكَ وآبـاءِ آبائـكَ فعصَاه فـأسْلَم ثم قَعَد لـه بطَريق الهِجرة فقال أتُهاجر وتَـذَر أرضك وسَمـاءك وإنما مثـل المهاجـر كالفـرس في الـطِّوَل فعصاه فَهـاجَر ثم قعـد له بـطريق الجِهاد وهـو جِهَـادُ النَّفس والمـالِ فقال: تقاتلُ فتُقْتَلُ فتُنْكح المرأةُ ويُقسم المالُ قال فَعصـاه فجاهَـد» فالشيـطان بالرصيد للإنسان على طريق كل خير.

ومنهـا أن الاستعاذة قبـل القراءة عنـوان وإعلام بـأن المأتيَّ بـه بعـدهـا القـرآن ولهذا لـم تشـرع الاستعاذة بين يـدي كلام غيـره بل الاستعـاذة مقدمـة وتنبيه للسامـع أنّ الذي يـأتي بعدهـا هو التـلاوة فإذا سمـع السامـع الاستعاذة استعـد لاستماع كـلام الله تعالى ثم شـرع ذلك للقـارىء وإن كان وحـده لما ذكرنا من الحكم وغيرها فهذه بعض فوائد الاستعاذة وقـد قال أحمـد في رواية حنبـل: لا يقرأ في صـلاة ولا غير صـلاة إلا استعاذ لقـوله عـزّ وجـل: ﴿**فـإذَا قَرأتَ القُرآنَ فَاسْتَعِذْ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطان الرَّجِيمِ**﴾.

فصل

فـالقرآن أرشـد إلى دفـع هـذين العـدوين بـأسهـل الـطرق بـالاستعـاذة والإعـراض عن الجاهلين ودفـع إساءتهم بـالإحسان وأخبـر عن عظم حظ من لَقَّاه ذلك فـإنه ينـال بذلـك كف شر عـدوه وانقلابـه صديقـاً ومحبة النـاس له وثناءهم عليه وقهر هواه وسـلامة قلبـه من الغل والحقـد وطمأنينـة الناس حتى عدوه إليه هذا غير ما يناله من كرامـة الله وحسن ثوابـه ورضاه عنـه وهذا غـاية الحظ عاجلاً وآجـلاً ولما كـان ذلك لا ينـال إلا بالصبـر قال ﴿**ومـا يُلقّاهـا إلاّ الّذين صبروا**﴾ فـإن النَّزِق الـطائش لا يصبر على المقـابلة ولما كـان الغضب مركب الشيطان فتتعاون النفس الغضبية والشيـطان على النفس المطمئنـة التي تأمر بدفع الإسـاءة بالإحسـان أمر أن يعـاونها بـالاستعاذة منـه فَتُمِدَّ الاستعـاذة النفس المطمئنة فتقوى على مقاومـة جيش النفس الغضبية ويـأتي مدد الصبـر الـذي يكون النصـر معه وجـاء مدد الإيمـان والتوكـل فأبـطل سلطان الشيطان فـ ﴿**إنَّه لَيْس لَه سُلطان على الَّـذين آمنوا وعلى ربِّهم يتـوكّلون. إنما سُلطانـه**

عَلَى الَّذين يتولّونه والَّذين هُم بِهِ مُشركون﴾ فتضمن ذلك أمرين أحدهما نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص. والثاني إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولّاه.

ولما علم عدو الله أن الله تعالى لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص قال: ﴿فَبِعزّتِك لأُغْوِينّهم أجمَعِين. إلاَّ عِبادَك منهمُ المُخلَصِيْن﴾ فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله عز وجل وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله فهؤلاء رعيته فهو وليم وسلطانهم ومتبوعهم.

فائدة

قال تعالى: ﴿أَلم تَرْ أنّا أرْسَلْنَا الشياطينَ على الكافِرين تَؤُزُّهم أزّاً﴾ قال ابن عباس: تغريهم إغراء. وحقيقة ذلك أن الأزَّ هو التحريك والتهييج ومنه يقال لغليان القدر الأزيز لأن الماء يتحرك عند الغليان ومنه الحديث (لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء) قال أبو عبيدة: الأزيز الالتهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب يقال إزَّ قِدْرَك أي ألْهِبْ تحتها بالنار وأيزت القدر إذا اشتد غليانها فقد حصل للأزِّ معنيان أحدهما التحريك والثاني الإيقاد والإلهاب وهما متقاربان فإنه تحريك خاص بإزعاج وإلهاب. فهذا من السلطان الذي له على أوليائه وأهل الشرك ولكن ليس له على ذلك سلطان حجة وبرهان وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم لما وافقت أهواءهم وأغراضهم فهم الذين أعانوا على أنفسهم ومكّنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته فلما أعطوا بأيديهم واستأسروا له سُلِّط عليهم عقوبة لهم وبهذا يظهر معنى قوله سبحانه ﴿وَلَنْ يَجْعلَ الله للكافِرينَ عَلى المؤمنينَ سَبِيلا﴾ فالآية على عمومها وظاهرها وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل بحسب تلك المخالفة فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم كما تسببوا إليه يوم أحد بمعصية الرسول ومخالفته والله سبحانه لم يجعل للشيطان على العبد سلطاناً حتى جعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به فجعل الله حينئذ له عليه تسلُّطاً وقهراً فمن

وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه. والشرك وفروعه يوجب سلطانه. والجميع بقضاء مَنْ أزمّة الأمور بيده ومَرَدُّها إليه وله الحجة البالغة فلو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكن أبت جكمته وحمده وملكه إلا ذلك.

فصل

قال ﷺ: «مَا مِنْ مَولود إلاّ يولد على الفِطْرة فأبَوَاه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء فهل تحسّون فيها من جدعاء حتّى تكونوا أنتم تجدعونها» ثم قرأ أبو هريرة **﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾** الآية. متفق عليه فجمع عليه الصلاة والسلام تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير وتغيير الخلقة بالجدع وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما فغير فطرة الله بالكفر وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها وغير الصورة بالجدع والبتك فغير الفطرة إلى الشرك والخلقة إلى البتك والقطع فهذا تغيير خلقة الروح وهذا تغيير خلقة الصورة. ثم قال يعدهم ويمنيهم فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو سيطول عمرك وتنال من الدنيا لذتك وستعلو على أقرانك وتظفر بأعدائك والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك ويُطَوِّل أمله ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها والفرق بين وعده وتمنيته أنه يعد الباطل ويمني المحال والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذي بوعده وتمنيته كما قال القائل:

منىً إن تكن حقّاً تكن أحسن المنى وإلاّ فقد عِشْنَا بها زمناً رَغْدا

فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة وتفرح بها كما يفرح بها النساء والصبيان ويتحركون لها فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته فإن الشيطان يمني أصحابها الظفر بالحق وإدراكه ويعدهم الوصول إليه من غير طريقه فكل مبطل فله نصيب من قوله: **﴿يَعِدهُم ويُمِنّيهم وما يَعِدهم الشّيطان إلا غُروراً﴾** ومن ذلك قوله تعالى: **﴿الشيطانُ يَعِدُكم الفَقْر ويأمُركم بالفحشاء والله يَعِدكُم مَغْفِرة مِنه وفَضْلاً﴾** قيل يعدكم الفقر

يخوفكم به يقول إن أنفقتم أموالكم افتقرتم والفحشاء الصواب هي كل فاحشة فهي صفة لموصوف محذوف فحذف موصوفها إرادة للعموم أي بالفعلة الفحشاء والخلة الفحشاء ومن جملتها البخل فذكر سبحانه وعد الشيطان وأمره يأمرهم بالشر ويخوفهم من فعل الخير وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها وسمى سبحانه تخويفه وعداً لانتظار الذي خوفه إياه كما ينتظر الموعود ما وعد به ثم ذكر سبحانه وعده على طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وهي المغفرة والفضل فالمغفرة وقاية الشر والفضل إعطاء الخير وفي الحديث المشهور «إن للمَلَك بقلب ابن آدم لَمَّة وللشيطان لمة فلمة الملَك إيعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد» ثم قرأ: ﴿**الشَّيطانُ يعدُكم الفَقْر ويأمُركُم بالفحشاء**﴾ الآية فالملَك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله وآخر بضده نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان.

ومن كيد الشيطان للإنسان أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يُصْدِره المصادر التي فيها عطبه ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به ويضحك منه فيأمره بالسرقة والزنا والقتل ويدل عليه ويفضحه.

ومن كيد عدو الله تعالى أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه بهذا فقال: ﴿**إنَّما ذلكمُ الشيطان يُخوِّفُ أوْلياءه فَلاَ تخافُوهم وَخافُونِ إنْ كنْتُم مؤمنين**﴾ المعنى عند جميع المفسرين يخوفكم بأوليائه قال قتادة يعظمهم في صدوركم ولهذا قال: فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم. ومن مكائده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيل له أنه يضره فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من

إنسان وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة وكم بهرج من الزيوف على الناقدين وكم روّج من الزغل على العارفين فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام ووأد البنات ونكاح الأمهات ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس وحسن الخلق معهم والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُم أَنْفُسَكُم﴾ والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم والنفاق والادهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة وصاحب قابيل حين قتل أخاه وصاحب قوم نوح حين أغرقوا وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهم وأُتبعوا بالرجم بالحجارة وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية وصاحب عباد العجل حين جرى عليهم ما جرى وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر وصاحب كل هالك ومفتون.

فصل

ومن كيده العجيب أنه يشامّ النفس حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه فهون عليه تركه حتى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون به. وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به ويوهمه أنه لا يكفيه وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني كما قال بعض السلف (ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان

إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلوّ ولا يبالي بأيهما ظفر) وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هـذين الواديين وادي التقصيـر ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم جـداً الثابت على الصـراط الذي كـان عليه رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحـابه. فقـوم قصر بهم عن الإتيـان بواجبـات الطهارة وقـوم تجاوز بهم إلى مجـاوزة الحد بـالوسـواس. وقوم قصـر بهم عن إخراج الواجب من المال وقوم تجاوز بهم حتى أخرجـوا جميع مـا في أيديهم وقعدوا كلاً على الناس مستشرفين إلى ما بأيـديهم. وقوم قصـر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضـروا بأبـدانهم وقلوبهم وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم. وكذلـك قصـــر بقـوم في حق الأنبيـــاء وورثتهم حتى قتلوهم وتجـاوز بـــآخـــرين حتى عبدوهم.

وقصر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصـلاح وأعرضـوا عنهم ولم يقوموا بحقهم وتجاوز بآخـرين حتى عبدوهم مـع الله تعالى. وقصـر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعـات كالجمعـة والجماعـات والجهاد وتعلم العلم وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام. وقصر بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور أو شاة ليأكله وتجاوز بآخـرين حتى جرأهم على الدماء المعصومة. وكـذلك قصـر بقوم حتى منعهم من الاشتغـال بالعلم الذي ينفعهم وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحـده هو غـايتهم دون العمل بـه. وقصـر بقـوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غـذاء بني آدم وتجـاوز بآخـرين حتى أطعمهم الحرام الخـالص. وقصر بقـوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النكاح فرغبوا عنه بالكليـة وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا مـا وصلوا إليه من الحـرام. وكذلـك قصر بقـوم حتى منعهم قبـول أقوال أهـل العلم والالتفات إليهـا بالكليـة وتجاوز بـآخرين حتى جعلوا الحـلال ما حللوه والحـرام ما حـرموه وقـدموا أقـوالهم على سنـة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيحة الصريحة.

وكذلك باليهود في المسيح حتى كذبوه ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله وجعلوه إلهاً يعبد مع الله.

فصل

ومن أنواع مكائده ومكره أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبشره إلى أنواع من الآثام والفجور فيلقاه من لا يخلصه من شره إلا تجهمه والتعبيس في وجهه والإعراض عنه فَيُحسِّن له العدو أن يلقاه ببشره وطلاقة وجهه وحسن كلامه فيتعلق به فيروم التخلص منه فيعجز فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق وطلاقة الوجه ومن ها هنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وأن لا يسلم عليهم ولا يريهم طلاقة وجهه ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض.

وكذلك أوصوا عند لقاء من يخاف الفتنة بلقائه من النساء والمردان وقالوا: متى كشَفْتَ للمرأة أو الصبي بياض أسنانك كشفا لك عما هنالك ومتى لقيتهما بوجه عابس وقيت شرهما ومن مكائده أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس ولا تريهم بشراً ولا طلاقة فيطمعوا فيك ويتجرؤوا عليك وتسقط هيبتك من قلوبهم فيحرمك صالح أدعيتهم وميل قلوبهم إليك ومحبتهم لك فيأمرك بسوء الخلق ومنع البشر والطلاقة مع هؤلاء. وبحسن الخلق والبشر مع أولئك[1]. ليفتح لك باب الشر ويغلق عنك باب الخير.

فصل

ومن مكائده أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصونها حيث يكون رضى الرب تعالى في إذلالها وابتذالها كجهاد الكفار والمنافقين وأمر الفجار والظلمة بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيخيل إليك أن ذلك تعريض لنفسك إلى مواطن الذل وتسليط الأعداء وطعنهم فيك فيزول جاهك فلا يقبل منك بعد ذلك ولا يسمع منك ويأمرك بإذلالها وامتهانها حيث تكون مصلحتها في إعزازها وصيانتها كما يأمرك بالتبذل لذوي الرياسات وإهانة نفسك لهم ويخيل إليك أنك تعزها بهم وترفع قدرها بالذل لهم ويذكرك قول الشاعر:

---

(١) يقصد المذكورين قبل هؤلاء.

أُهِين لهم نفسي لأرفعها بِهِمْ وَلَنْ تُكْرم النَّفس التي لا تُهينها

وغلط هذا القائل فإن ذلك لا يصلح إلا لله وحده فإنه كلما أهان العبد نفسه له أكرمه وأعزه بخلاف المخلوق فإنك كلما أهنت نفسك له ذللت عند الله وعند أوليائه وهنت عليه.

فصل

ومن كيده أنه يغري الناس بتقبيل يده والتمسح به والثناء عليه وسؤاله الدعاء ونحو ذلك حتى يرى نفسه ويعجبه شأنها فلو قيل له إنك من أوتاد الأرض وبك يدفع البلاء عن الخلق ظن ذلك حقاً وربما قيل له إنه يُتوسل به إلى الله تعالى ويُسأل الله تعالى به وبحرمته فيقضي حاجتهم فيقع ذلك في قلبه ويفرح به ويظنه حقاً وذلك كل الهلاك فإذا رأى من أحد من الناس تجافياً عنه أو قلة خضوع له تذمر لذلك ووجد في باطنه وهذا شر من أرباب الكبائر المصرين عليها وهم أقرب إلى السلامة منه. وقال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.

فصل

ومن كيده أمرهم بلزوم زي واحد ولبسة واحدة وهيئة ومشية معينة وشيخ معين وطريقة مخترعة ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث يلزمونه كلزوم الفرائض فلا يخرجون عنه ويقدحون فيمن خرج عنه ويذمونه وربما يلزم أحدهم موضعاً معيناً للصلاة لا يصلي إلا فيه وقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أنْ يُوّطِنَ الرّجلُ المكانَ للصَّلاة كما يُوطِّنُ البَعِيْرُ» وكذلك ترى أحدهم لا يصلي إلا على سجادة ولم يصل عليه السلام على سجادة قط ولا كانت السجادة تفرش بين يديه بل كان يصلي على الأرض وربما سجد في الطين وكان يصلي على الحصير فيصلي على ما اتفق بسطه فإن لم يكن ثمة شيء صلى على الأرض.

ومن تأمل هدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرته وجده

مناقضاً لهدي هؤلاء فإنه كان يلبس القميص تارة والقباء تارة والجبة تارة والإزار والرداء تارة ويركب البعير وحده ومردفاً لغيره ويركب الفرس مسرجاً وعرياناً ويركب الحمار ويأكل ما حضر ويجلس على الأرض تارة وعلى الحصير تارة وعلى البساط تارة ويمشي وحده تارة ومع أصحابه تارة وهديه عدم التكلف والتقيد بغير ما أمره به ربه فبين هديه وهدي هؤلاء بون بعيد.

فصل

ومن كيده الذي بلغ به من الجهال ما بلغ الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية حتى ألقاهم في الآصار والأغلال وأخرجهم عن اتباع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد والتعب الحاضر وبطلان الأجر أو تنقيصه. ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس فأهله قد أطاعوا الشيطان ولبوا دعوته واتبعوا أمره ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو اغتسل كاغتساله لم يطهر ولم يرتفع حدثه ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتوضأ بالمد وهو قريب من ثلث رطل بالدمشقي ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه وصح عنه عليه السلام أنه توضأ مرة ولم يزد على ثلاث بل أخبر أن «مَنْ زادَ عَلَيها فَقَدْ أَسَاءَ وتَعدَّى وَظَلَم» فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده. وصح عنه أنه كان يغتسل هو وعائشة رضي الله عنها من قصعة بينهما فيها أثر العجين ولو رأى الموسوس من يفعل هذا لأنكر عليه غاية الإنكار وقال ما يكفي هذا القدر لغسل اثنين كيف والعجين يحلله الماء فيغيره هذا والرشاش ينزل في الماء فينجسه عند بعضهم ويفسده عند آخرين فلا تصح به الطهارة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك مع غير عائشة مثل ميمونة وأم سلمة وهذا كله

في الصحيح. وثبت أيضاً في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان الرّجال والنّساء على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتوضؤون من إناء واحد).

والآنية التي كان عليه السلام وأزواجه وأصحابه ونساؤهم يغتسلون منها لم تكن من كبار الآنية ولا كانت لها مادة تمدها كأنبوب الحمام ونحوه ولم يكونوا يراعون فيضانها حتى يجري الماء من حافاتها كما يراعيه جهال الناس ممن بلي بالوسواس في جرن الحمام. فهدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي من رغب عنه فقد رغب عن سنته جواز الاغتسال من الحياض والآنية وإن كانت ناقصة غير فائضة ومن انتظر الحوض حتى يفيض ثم استعمله وحده ولم يمكن أحد أن يشاركه في استعماله فهو مبتدع مخالف للشريعة قال شيخنا[1]: ويستحق التعزيز البليغ الذي يزجره وأمثاله عن أن يشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله ويعبدوا الله بالبدع لا بالاتباع. ودلت هذه السنن الصحيحة على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه لم يكونوا يكثرون صب الماء ومضى على هذا التابعون لهم بإحسان. قال سعيد بن المسيب: لأني لأستنجي من كوز الحِبّ وأتوضأ وأفضل منه لأهلي. وقال الإمام أحمد: من فقه الرجل قلة ولوعه بالماء. وقال المروزي: وضأت أبا عبدالله بالعسكر فسترته من الناس لئلا يقولوا إنه لا يحسن الوضوء لقلة صبه الماء. وبالجملة فالموسوس لا تطاوعه نفسه لاتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأن يأتي بمثل ما أتى به أبداً وكيف يطاوع الموسوس نفسه أن يغتسل هو وامرأته من إناء واحد قدر الفَرَقِ قريباً من خمسة أرطال بالدمشقي يغمسان أيديهما فيه ويفرغان عليهما فالموسوس يشمئز من ذلك كما يشمئز المشرك إذا ذكر الله وحده.

قال أصحاب الوسواس إنما حملنا على ذلك الاحتياط لديننا والعمل بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «دَعْ ما يُرِيبُك إلى مَا لَا يُرِيبُك» وقوله: «مَنْ اتقى الشّبهات اسْتَبرأ لِدينه وعِرضه» وقوله: «الإثمُ ما حَاكَ في الصَّدر»

---

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال بعض السلف الإثم حور القلوب وقد وجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثمرة فقال: «لَوْلاَ أنّي أخشى أنْ تكون من الصَّدقة لأكلتها» أفلا يرى أنه ترك أكلها احتياطاً (ثم ذكر رحمه الله بعض ما جاء في الاحتياط من أقوال الأئمة).

ثم قال: وقال أهل الاقتصاد والاتباع قال الله تعالى: **﴿لَقْد كان لكم في رسُول الله أُسْوة حسنةٌ لمن كان يرجُو الله واليَومَ الآخِر﴾** وقال تعالى: **﴿قُل إن كُنتم تُحبون الله فاتّبعِوني يُحبِبْكُم الله﴾** وقال تعالى: **﴿واتَّبِعُوه لَعَلّكم تهتَدون﴾** وقال تعالى: **﴿وأنَّ هَذا صِراطي مُستقيماً فاتَّبِعُوه وَلاَ تَتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سَبِيْله ذلكم وصَّاكم بِهِ لعَلّكم تَتَّقون﴾** وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه وهو قصد السبيل وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة وإن قاله من قاله لكن الجور قد يكون جوراً عظيماً عن الصراط وقد يكون يسيراً وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله وهذا كالطريق الحسي فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جوراً فاحشاً وقد يجوز دون ذلك فالميزان الذي يُعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله وأصحابه عليه والجائر عنه إما مفرط ظالم أو مجتهد متأوّل أو مقلد جاهل فمنهم من المستحق للعقوبة ومنهم المغفور له ومنهم المأجور أجراً واحداً بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله أو تفريطهم. ونحن نسوق من هدي رسول الله وهدي أصحابه ما يبين أي الفريقين أولى باتباعه ثم نجيب عما احتجوا به بعون الله وتوفيقه وتقدم قبل ذلك ذكر النهي عن الغلو وتعدي الحدود والإسراف وأن الاقتصاد والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدين قال الله تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلوا في دِينكُم﴾** وقال تعالى: **﴿وَلاَ تُسْرفوا إنَّه لاَ يُحِبّ المسْرفين﴾** وقال تعالى: **﴿تِلْكَ حُدود الله فلا تَعْتَدُوها﴾** وقال تعالى: **﴿وَلاَ تَعْتَدوا إنَّ الله لاَ يُحِب المُعتدِينَ﴾** وقال تعالى: **﴿ادْعُوا ربّكم تَضرّعاً وخُفْية إنَّه لا يحب المعتدِين﴾** وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته: «الْقُط لِي حصىً فلقطتُ لَه سبعَ حَصَيات من حصى الخذْفِ فجعل ينفضهن في

كفه ويقول أمثال هؤلاء فارْموا ثم قال: أيُّها الناسُ إيّاكم والغُلُوَّ في الدّين فإنّما أهْلَكَ الّذين مِنْ قَبْلِكم الْغُلوُّ في الدّين» رواه الإمام أحمد والنسائي وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم فإنّ قوماً شدّدوا على أنْفُسهم فشدّد الله عليهم فَتِلْك بَقَاياهم في الصَّوامع والدِّيَارات رهبانيّة ابتدعُوها ما كَتْبناها علَيهم» فنهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن التشديد في الدين وذلك بالزيادة على المشروع وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقدر وإما بالشرع فالتشديد بالشرع كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل فيلزمه الوفاء به. وبالقدر كفعل أهل الوسواس فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم. قال البخاري (وكره أهلُ العلم الإسراف فيه ـ يعني الوضوء وأن يُجاوزوا فِعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (إسباغ الوضوء الإنقاء) فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام بالسنة قال أبي بن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله عز وجل فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسننهم.

قال الشيخ أبو محمد المقدسي في كتابه ذم الوسواس (بعد أن أورد عدة آيات من كتاب الله تعالى): فمن اتّبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله وفعله فهو على صراط الله المستقيم وهو ممن يحبه الله ويغفر له ذنوبه ومن خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدع متبع لسبيل الشيطان غير داخل فيمن وعد الله بالجنة والمغفرة والإحسان.

فصل

ثم إن طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان حتى اتصفوا بوسوسته وقبلوا قوله وأطاعوه ورغبوا عن اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم وصحابته حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله عليه الصلاة والسلام أو صلى كصلاته فوضوءه باطل وصلاته غير صحيحة ويرى أنه إذا فعل مثل فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام في مواكلة الصبيان وأكل طعام عامة المسلمين أنه قد صار نجساً يجب عليه تسبيع يده وفمه كما لو ولغ فيهما كلب أو بال عليهما هر.

ثم إنه بلغ من استيلاء إبليس عليهم أنهم أجابوه إلى ما يشبه الجنون ويقارب مذهب السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات. وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور الضروريات اليقينيات وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلاً يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه بحيث تسمعه أذناه ويعلمه بقلبه بل يعلمه غيره منه ويتيقنه ثم يشك هل فعل ذلك أم لا وكذلك يشككه الشيطان في نيته وقصده التي يعلمها من نفسه يقيناً بل يعلمها غيره منه بقرائن أحواله ومع هذا يقبل قول إبليس في أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها مكابرة منه لعيانه وجحد اليقين نفسه حتى تراه متلدداً متحيراً كأنه يعالج شيئاً يجتذبه أو يجد شيئاً في باطنه يستخرجه كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس وقبول وسوسته ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد فقد بلغ النهاية في طاعته ثم انه يقبل قوله في تعذيب نفسه ويطيعه في الإضرار بجسده تارة بالغوص في الماء البارد وتارة بكثرة استعماله وإطالة العرك وربما فتح عينيه في الماء البارد وغسل داخلهما حتى يضر ببصره وربما أفضى إلى كشف عورته للناس وربما صار إلى حال يسخر منه الصبيان ويستهزىء به من يراه.

قلت: ذكر أبو الفرج بن الجوزي عن أبي الوفاء بن عقيل أن رجلاً قال له: أنغمس في الماء مراراً كثيرة وأشك هل صح لي الغسل أم لا فما ترى في ذلك فقال له الشيخ: اذهب فقد سقطت عنك الصلاة قال: وكيف قال: لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة: المجنونِ حتَّى يُفيق. والنائم حتَّى يَسْتيقظ والصَّبي حَتَّى يَبْلغ» ومن ينغمس في الماء مراراً ويشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون. قال وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت. ويشغله بوسوسته في النية حتى تفوتهالتكبيرة

الأولى وربما فوت عليه ركعة أو أكثر ومنه من يحلف أنه لا يزيد على هذا ثم يكذب. قلت وحكى لي من أثق به عن موسوس عظيم رأيته أنا يكرر عقد النية مراراً عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة فعرض له أن حلف بالطلاق أنه لا يزيد على تلك المرة فلم يدعه إبليس حتى زاد ففرق بينه وبين امرأته فأصابه لذلك غم شديد وأقاما متفرقين دهراً طويلاً حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر وجاءه منها ولد ثم إنه حنث في يمين حلفها ففرق بينهما وردت إلى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها وبلغني عن آخر أنه كان شديد التنطع في التلفظ بالنية والتقعر في ذلك فاشتد به التنطع والتقعر يوماً إلى أن قال أصلي أصلي مراراً صلاة كذا وكذا وأراد أن يقول أداء فأعجم الدال وقال أذاء لله فقطع الصلاة رجل إلى جانبه فقال ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين. قال ومنهم من يتوسوس في إخراج الحرف حتى يكرره مراراً قال فرأيت منهم من يقول الله أكككبر قال وقال لي إنسان منهم قد عجزت عن قول السلام عليكم فقلت له قل مثل ما قد قلت الآن وقد استرحت. وقد بلغ الشيطان منهم أن عذبهم في الدنيا قبل الآخرة وأخرجهم عن اتباع الرسول وأدخلهم في جملة أهل التنطع والغلو وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.
فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله وفعله وليعزم على سلوك طريقته عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته ويوقن أنه عدو له لا يدعوه إلى خير ﴿**إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ وليترك التعريج على كل ما خالف طريقة رسول الله عليه الصلاة والسلام كائناً ما كان فإنه لا يشك أن رسول الله عليه السلام كان على الصراط المستقيم ومن شك في هذا فليس بمسلم ومن علمه فإلى أين العدول عن سنته وأي شيء يبتغي العبد غير طريقته ويقول لنفسه ألست تعلمين أن طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هي الصراط المستقيم فإذا قالت له بلى قال لها: فهل كان يفعل هذا فستقول لا فقل لها فماذا بعد الحق إلا الضلال وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان فإن اتبعت سبيله كنت قرينه

وستقـولين (يَا لَيتَ بَيْني وبيْنَـك بُعد المشـرِقَين فَبِئْس القَـرِين) ولينـظر أحـوال السلف في متابعتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليقتد بهم وليختر طريقهم. وقال زين العابدين يوماً لابنه: يا بني اتخذ لي ثوباً ألبسه عنـد قضاء الحـاجة فـإني رأيت الذبـاب يسقط على الشيء ثم يقع على الثـوب ثم انتبـه فقـال: ما كـان للنبي صلى الله تعالى عليـه وسلم وأصحـابـه إلا ثـوب واحـد فتركه. وكان عمر رضي الله تعالى عنه يهم بالأمر ويعـزم عليه فـإذا قيل لـه لم يفعله رسـول الله صلى الله تعـالى عليــه وسلم انتهى. حتى أنـه قــال: لقـد هممت أن أنهى عن لبس هذه الثياب فإنه قد بلغني أنها تصبـغ ببول العجـائز فقال له أُبيّ: مالك أن تنهى فـإن رسول الله عليـه الصلاة والسـلام قد لبسهـا ولبست في زمـانه ولـو علم الله أن لبسها حـرام لبينه لـرسولـه ﷺ فقال: عمـر صدقت. ثم ليعلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسولـه وصحابتـه وهم من خير الخلق وأفضلهم ولـو يدرك رسـول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم الموسـوسين لمقتهم ولو أدركهم عمـر رضي الله تعالى عنه لضربهم وأدبهم ولو أدركهم الصحابة لبدعوهم.

فصل

في النية في الطهارة والصلاة: النية هي القصد والعزم على فعل الشيء ومحلها القلب لا تعلق لها باللسان أصـلاً ولذلـك لم تنقل عن النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم ولا عن أصحـابه في النيـة لفظ بحال ولا سمعنـا عنهم ذكر ذلـك وهذه العبـارات التي أحدثت عنـد افتتاح الـطهارة والصـلاة قـد جعلهـا الشيطان معتركـاً لأهل الـوسواس يحبسهم عنـدها ويعـذبهم فيها ويـوقعهم في طلب تصحيحها فترى أحدهم يكررها ويجهد نفسـه في التلفظ بها وليست من الصلاة في شيء وإنما النية قصد فعل الشيء فكل عازم على فعل فهـو ناويـه لا يتصور انفكاك ذلك عن النية فإنه حقيقتها فلا يمكن عدمها في حال وجودها ومن قعد ليتوضأ فقد نوى الوضوء ومن قام ليصلي فقـد نوى الصـلاة ولا يكاد العـاقل يفعـل شيئاً من العبـادات ولا غيرهـا بغير نيـة فالنيـة أمـر لازم لأفعـال الإنسـان المقصودة لا يحتـاج إلى تعب ولا تحصيـل ولـو أراد إخـلاء أفعـالـه

قال سفيان بن عيينة: من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود لأن النصارى عبدوا بغير علم واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه.

قال بعض السلف من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: هم لازم، تعب دائم، حسرة لا تنقضي.

حديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا».

وقد مثل عيسى بن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر كلما ازداد شربا ازداد عطشا.

قال أبو شامة في كتاب الحوادث والبدع: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ص وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم.

قال امام أحمد: «من فقه الرجل قلة ولوعه بالماء».



الاختيارية عن نية لعجز عن ذلك ولو كلفه الله عز وجل الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه ما لا يطيق ولا يدخل تحت وسعه وما كان هكذا فما وجه التعب في تحصيله وإن شك في حصول نيته فهو نوع جنون فإنّ علم الإنسان بحال نفسه أمر يقيني فكيف يشك فيه عاقل من نفسه ومن قام ليصلي صلاة الظهر خلف الإمام فكيف يشك في ذلك ولو دعاه داع إلى شغل في تلك الحال لقال إني مشتغل أريد صلاة الظهر ولو قال له قائل في وقت خروجه إلى الصلاة أين تمضي لقال أريد صلاة الظهر مع الإمام فكيف يشك عاقل في هذا من نفسه وهو يعلمه يقيناً. بل أعجب من هذا كله أن غيره يعلم بنيته بقرائن الأحوال فإنه إذا رأى إنساناً جالساً في الصف في وقت الصلاة عند اجتماع الناس علم أنه ينتظر الصلاة وإذا رآه قد قام عند إقامتها ونهوض الناس إليها علم أنه إنما قام ليصلي فإن تقدم بين يدي المأمومين عُلم أنه يريد إمامتهم فإن رآه في الصف علم أنه يريد الائتمام.

(من علاج الوسواس) ما روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص قال: قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها عليّ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ذَاكَ شَيْطان يُقال له خَنْزب فإذا أحْسَسْتَه فتعوّذ بالله منه واتْفل عن يَسَارِك ثَلاثاً» ففعلت ذلك فأذهبه الله تعالى عني. فأهل الوسواس قرّة عين خنزب وأصحابه. نعوذ بالله عز وجل منه.

فصل

ومن ذلك الإسراف في ماء الوضوء والغسل روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن عمرو أنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرّ بسعد وهو يتوضأ فقال: «لَا تُسْرف» فقال: يا رسول الله أوَ في الماءِ إسْراف قال: «نعم وإنْ كُنتَ على نَهرٍ جارٍ» وفي جامع الترمذي من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن لِلْوُضُوء شيطاناً يُقال له الولهانُ فاتَّقوا وسواسَ الماءِ».

فصل

من ذلك الوسواس في انتقاض الطهارة لا يلتفت إليه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إِذَا وَجَد أحدُكم في بطنِهِ شَيئاً فأشكَلَ عليه أخرَجَ منه شيء أمْ لَا فلا يَخْرُج من المسْجِد حَتَّى يَسمعَ صَوتاً أوْ يَجِدَ ريحاً» وفي الصحيحين عن عبدالله بن زيد قال شكى إلى رسول الله ﷺ الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة قال: «لَا يَنْصَرفْ حتّى يَسمعَ صَوتاً أوْ يَجِدَ ريحاً» وفي المسند وسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إنّ الشّيطان يأتي أحدَكُم وهو في الصلاة فيأخُذُ بِشَعْرة من دُبُره فيُمِدُّها فَيُرَى أنَّه قَد أحْدثَ فَلَا يَنصرف حَتّى يَسْمعَ صوتاً أو يَجِدَ رِيحاً» ولفظ أبي داود: (إذا أتَى الشّيطانُ أَحَدكُمْ فقال لَهُ إنك قد أحدثتَ فَلْيَقُل لـه كَذَبْتَ إلاّ ما وَجَد رِيحاً بأنْفِهِ أو سَمِعَ صوتاً بأُذُنِهِ).

فصل

ومن ذلك أشياء سهل فيها المبعوث بالحنيفية السمحة فشدد فيها هؤلاء. فمن ذلك المشي حافياً في الطرقات ثم يصلي ولا يغسل رجليه فقد روى أبو داود في سننه عن امرأة من بني عبد الأشهل قالت: قلت يارسول الله إنّ لنا طريقاً إلى المسجد منتنة فكيف نفعل إذا تطهرنا قال: «أَوَلَيْسَ بَعْدَهَا طَريقٌ أطيبُ منها. قالت: قلت بلى. قال: فهـذِهِ بِهَـذِه» وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الرجل يطأ العذرة قال: إن كانت يابسة فليس بشيء وإن كانت رطبة غسل ما أصابه. وقال حفص أقبلت مع عبدالله بن عمر عامدين إلى المسجد فلما انتهينا عدلت إلى المطهرة لأغسل قدمي من شيء أصابهما فقال عبدالله لا تفعل فإنك تطأ الموطىء الرديء ثم تطأ بعده الموطىء الطيب أو قال النظيف فيكون ذلك طهوراً فدخلنا المسجد جميعاً فصلينا.

فصل

ومما لا تطيب به قلوب الموسوسين الصلاة في النعال وهي سنة رسول

الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه فعلاً منه وأمراً فروي أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يصلي في نعليه متفق عليه.

وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «خَالِفُوا اليَهود فإنّهم لاَ يُصلون فِي خِفَافِهم ولاَ نِعالهم» رواه أبو داود وقيل للإمام أحمد أيصلي الرجل في نعليه فقال إي والله. وفي حديث أبي سعيد الخدري فإذا جَاء أحدُكم المسجِدَ فَلْيقلِب نَعليه ثم لِينظر فإنْ رأى خَبثاً فلْيمْسَحه بالأرض ثم لِيُصَلِّ فِيهما.

فصل

ومن ذلك أن سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: الصلاة حيث كان وفي أي مكان اتفق سوى ما نهى عنه من المقبرة والحمام وأعطان الإبل فصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «جُعِلَت لي الأرضُ مَسْجِداً وَطُهوراً فَحيثُما أدْرَكَتْ رجلاً من أمّتي الصَّلاة فَلْيُصَلِّ» وكان يصلي في مرابض الغنم وأمر بذلك ولم يشترط حائلاً وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «صَلُّوا في مَرابِضِ الغَنَمِ وَلا تصلُّوا في أعْطَانِ الإبلِ» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

فصل

ومن ذلك أنّ الناس في عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا يأتون المساجد حفاة في الطين وغيره، قال يحيى بن وثاب قلت لابن عباس. الرجل يتوضأ يخرج إلى المسجد حافياً قال: لا بأس به. وقال كميل بن زياد رأيت علياً رضي الله عنه يخوض طين المطر ثم دخل المسجد فصلى ولم يغسل رجليه.

قال أبو البركات بن تيمية: وهذا كله يقوي طهارة الأرض بالجفاف لأن الإنسان في العادة لا يزال يشاهد النجاسات في بقعة بقعة من طرقاته التي يكثر فيها تردده إلى سوقه ومسجده وغيرهما فلو لم تطهر إذا أذهب الجفاف

أثرها للزمه تجنب ما يشاهده من بقاع النجاسة بعد ذهاب أثرها ولما جاز له التحفي بعد ذلك وقد علم أن السلف الصالح لم يحترزوا من ذلك ويعضده أمره عليه الصلاة والسلام بمسح النعلين بالأرض لمن أتى المسجد ورأى فيهما خبثاً ولو تنجست الأرض بذلك نجاسة لا تطهر بالجفاف لأمر بصيانة طريق المسجد عن ذلك لأنه يسلكه الحافي وغيره.

قلت: وهذا اختيار شيخنا رحمه الله. وقال: أبو قلابة جفاف الأرض طهورها.

فصل

ومن ذلك إجماع المسلمين على ما سنه لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جواز الاستجمار بالأحجار في زمن الشتاء والصيف مع أن المحل يعرق فينضح على الثوب ولم يأمر بغسله. ومرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فسقط عليه شيء من ميزاب ومعه صاحب له فقال: يا صاحب الميزاب ماؤك طاهر أونجس فقال عمر رضي الله عنه: يا صاحب الميزاب لا تخبرنا ومضى ذكره أحمد.

وقد نص أحمد على طهارة سكين الجزار بمسحها. ومن ذلك أنه نص على حبل الغسال أنه ينشر عليه الثوب النجس ثم تجففه الشمس فينشر عليه الثوب الطاهرة فقال: لا بأس به وهذا كقول أبي حنيفة أن الأرض النجسة يطهرها الريح والشمس وهو وجه لأصحاب أحمد حتى أنه يجوز التيمم بها.

ومن ذلك أن الذي دلّت عليه سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وآثار الصحابة أن الماء لا ينجس إلا بالتغير وإن كان يسيراً. وهذا قول أهل المدينة وجمهور السلف وأكثر أهل الحديث وبه أفتى عطاء بن أبي رباح وسعيد بن المسيب وجابر بن زيد والأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس وعبدالرحمٰن بن مهدي واختاره ابن المنذر وبه قال أهل الظاهر ونص عليه أحمد في إحدى روايتيه واختاره جماعة من أصحابنا منهم ابن عقيل في مفرداته وشيخنا أبو العباس وشيخه ابن أبي عمر وقال ابن عباس رضي الله

عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «المَاءُ لَا يُنَجِّسه شَيءٌ» رواه الإمام أحمد. وقال البخاري قال الزهري لا بأس بالماء ما لم يتغير منه طعم أو ريح أو لون.

وقد ذم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المتنطعين في الدين وأخبر بهلكتهم حيث يقول: «ألَا هَلَكَ المتنطّعون ألَا هلك المتنطّعون ألا هلك المتنطّعون» وكان عليه الصلاة والسلام يبغض المتعمقين حتى إنه لما واصل بهم ورأى الهلال قال: «لَوْ تأخر الهِلالُ لواصلتُ وِصالاً يدع المتعمّقون تَعمّقَهم» كالمنكل بهم.

وكان الصحابة أقل الأمة تكلفاً اقتداء بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى: **﴿قُلْ ما أسْألكم عَليه مِنْ أجرٍ وَمَا أنا مِنَ المتكلِّفين﴾**.

فصل

وأما إذا اشتبهت عليه القبلة فالذي عليه العلم كلهم أنه يجتهد ويصلي صلاة واحدة. وشذ بعض الناس فقال: يصلي أربع صلوات إلى أربع جهات وهذا قول شاذ مخالف للسنة.

فصل

ومن مكائد عدو الله ومصائده التي كاد بها من قلّ نصيبه من العلم والعقل والدّين وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمٰن وهو رقية اللواط والزنا وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسنه لها مكراً منه وغروراً.

فصل

هذا السماع الشيطاني المضادّ للسماع الرحماني له في الشرع بضعة عشر اسماً اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا،

وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسمود.

أسماؤه دلت على أوصافه   تباً لذي الأسماء والأوصاف

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سَبيلِ اللَّه بِغَيرِ عِلْمٍ وَيَتّخِذها هُزُواً أولئك لَهم عَذَابٌ مهينٌ. وإذَا تُتْلَى عَلَيه آياتُنَا ولّى مُسْتَكْبِراً كأنْ لَمْ يَسْمعها كأنَّ في أُذُنيه وَقراً فَبَشِّرهُ بِعَذابٍ أَلِيم﴾ قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء قاله: ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومقسم عنه وقاله عبدالله بن مسعود في رواية أبي الصهباء عنه وهو قول مجاهد وعكرمة.

فصل

إنك لا تجد أحداً عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علماً وعملاً وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك وثقل عليه سماع القرآن وربما حمله الحال على أن يُسكت القارىء ويستطيل قراءته ويستزيد المغني ويستقصر نوبته وأقل ما في هذا أن يناله نصيب وافر من هذا الذم إن لم يحظ به جميعه.

والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها فأما من مات قلبه وعظمت فتنته فقد سدّ على نفسه طريق النصيحة. ﴿وَمَنْ يُرِدِ الله فِتْنَتَه فَلَنْ تَملِكَ له مِن الله شَيئاً أولٰئِكَ الَّذِين لَمْ يُرِدِ اللَّه أنْ يُطهّر قُلوبَهم لَهُمْ في الدُّنيا خِزْي وَلَهم في الآخِرة عَذَاب عَظِيم﴾ وأما تسميته رقية الزنى فهو اسم موافق لمسماه ولفظ مطابق لمعناه فليس في رقى الزنى أنجع منه قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا الحسين بن عبدالرحمٰن قال: قال فضيل بن عياض الغناء رقية الزنى قال: وأخبرنا إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال: قال يزيد بن الوليد يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فإن كنتم لا بد

فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنى. ومن الأمر المعلوم عند القوم أنّ المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء فحينئذ تعطي الليان. وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً فإذا كان الصوت بالغناء صار انفعالها من وجهين من جهة الصوت ومن جهة معناه ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنجشة حاديه: «يَا أَنْجَشَةْ رُوَيْدَك رِفْقاً بالقَوارِير» يعني النساء. فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا. وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا. وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا. وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا. وكم من معافى تعرّض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا وكم أهدي للمشغوف به من أشجان وأحزان فلم يجد بداً من قبول تلك الهدايا. وكم جرّع من غصة وأزال من نعمه. وجلب من نقمه وذلك منه من إحدى العطايا. وكم خبأ لأهله من آلام منتظرة وغموم متوقعة وهموم مستقبلة. فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونباته فيه كنبات الزرع بالماء فمن خواصه أن يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً لما بينهما من التضاد فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي وينهى عن اتباع خطوات الشيطان والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي فيثير كامنها ويزعج قاطنها ويحركها إلى كل قبيح ويشوقها إلى وصل كل مليحة ومليح فهو والخمر رضيعا لبان وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدينه وصديقه عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ وهو جاسوس القلب وسارق المروءة وسوس العقل يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفئدة ويدب إلى محل التخيل فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل وبهجة الإيمان ووقار الإسلام وحلاوة القرآن فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله وقلّ حياؤه وذهبت مروءته وفارقه بهاؤه وتخلى عنه وقاره وفرح به شيطانه وشكا إلى الله تعالى

إيمانه وثقل عليه قرآنه وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه وأبدى من سره ما كان يكتمه وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب والزهزهة والفرقعة بالأصابع فيميل برأسه ويهز منكبيه ويضرب الأرض برجليه ويدق على أم رأسه بيديه ويثب وثبات الذباب ويدور دورات الحمار حول الدولاب ويصفق بيديه تصفيق النسوان ويخور من الوجد ولا كخوار الثيران وتارة يتأوّه تأوّه الحزين وتارة يزعق زعقات المجانين ولقد صدق الخبير به من أهله حيث يقول:

أتذكر ليلة وقد اجتمعنا	على طيب السماع إلى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغاني	فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهمُ إلا نَشَاوَى	سروراً والسُّرور هناك صاحِي
إذا نادى أخو اللذات فيه	أجاب اللهو حيٌّ على السّماح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً	أرقناها لألحاظ الملاح

وقال بعض العارفين السماع يورث النفاق في قوم. والعناد في قوم. والكذب في قوم. والفجور في قوم. والرعونة في قوم.

وأكثر ما يورث عشق الصور واستحسان الفواحش وإدمانه يثقل القرآن على القلب ويكرهه إلى سماعه بالخاصية وإن لم يكن هذا نفاقاً فما للنفاق حقيقة.

وسر المسألة أنه قرآن الشيطان فلا يجتمع هو وقرآن الرحمٰن في قلب أبداً وأيضاً فإن أساس النفاق أن يخالف الظاهر الباطن وصاحب الغناء بين أمرين إما أن يتهتك فيكون فاجراً أو يظهر النسك فيكون منافقاً فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو ما يدعو إليه الغناء ويهيجه فقلبه بذلك معمور وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر وهذا محض النفاق. وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمٰن فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت

النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء. وقال ابن أبي الدنيا في كتاب مكائد الشيطان وحيله عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال: يا ربِّ أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً. قال الحمام. قال: فاجعل لي مجلساً قال: الأسواق ومجامع الطرقات قال: فاجعل لي طعاماً قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه قال: فاجعل لي شراباً قال: كل مسكر قال: فاجعل لي مؤذناً قال: المزمار قال: فاجعل لي قرآناً قال: الشعر قال: فاجعل لي كتاباً قال: الوشم قال: فاجعل لي حديثاً قال: الكذب قال: فاجعل لي رسلاً قال: الكهنة قال: فاجعل لي مصائد قال: النساء» وشواهد هذا الأثر كثيرة فكل جملة منه لها شواهد من السنة أو من القرآن.

فصل

ومن مكايده ومصايده ما فتن به عشاق الصور وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلّاقها وملّكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها وألقت الحرب بين العشق والتوحيد ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد فصيرت القلب للهوى أسيراً وجعلته عليه حاكماً وأميراً فأوسعت القلوب محنة وملأتها فتنة وحالت بينها وبين رشدها وحرفتها عن طريق قصدها ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالي من غرف الجنان فضلاً عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمٰن فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس الذي أُلْمُها به أضعاف لذتها ونَيْله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً عن قريب ويتبرأ منه محبه لو أمنه حتى كأن لم يكن له بحبيب وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين لا سيما إذا صار الأخِلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس وشهوة عاجلة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها وانقضت منفعتها وبقيت مضرتها فذهبت الشهوة وبقيت الشقوة وزالت النشوة وبقيت الحسرة فوارحمتاه لصب جمع له بين الحسرتين

حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم فهناك يعلم المخدوع أي بضاعة أضاع وأنَّ من كان مالك رقه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع فأي مصيبة أعظم من مصيبة ملك أُنزل عن سرير ملكه وجعل لمن لا يصلح أن يكون مملوكه أسيراً وجعل تحت أوامره ونواهيه مقهوراً فلو رأيت قلبه وهو في يدي محبوبه لرأيته:

كعُصفورة في كفِّ طفل يَسُومُها حياضَ الرّدى والطفل يلهو ويلعب

ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت:

وما في الأرض أشقى من محب وإن وجد الهوى حلو المذاقِ
تراه باكياً في كل حين مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي أن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا حذر الفراق

ولو شاهدت نومه وراحته لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا وتحالفا أن ليسا يلتقيان. ولو شاهدت فيض مدامعه ولهيب النار في أحشائه لقلت:

سُبحان رب العرش متقن صنعه ومؤلف الأضداد دون تَعَانُدِ
قطرٌ تولد عن لهيب في الحشا ماءٌ ونارٌ في محلٍّ واحدِ

ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغله فيه لعلمت أن الحب ألطف مسلكاً فيه من الأرواح في أبدانها فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غنى له عنه ولا بد له منه أعظم الحجاب فالمحب بمن أحبه قتيل وهو له عبد خاضع ذليل إن دعاه لباه وإن قيل له ما تتمنى فهو غاية ما يتمناه لا يأنس ولا يسكن إلى سواه فحقيق به أن لا يملِّك رقه إلا لأجلِ حبيب وأن لا يبيع نصيبه منه بأبخس نصيب.

فصل

ومن أبلغ كيد الشيطان وسخريته بالمفتونين بالصور أنه يمني أحدهم أنه إنما يحب ذلك الأمر أو تلك المرأة الأجنبية لله تعالى لا للفاحشة ويأمره

بمواخاته وهذا من جنس المخادنة بل هو مخادنة باطنة كذوات الأخدان اللاّتي قال الله تعالى فيهن: ﴿**مُحصناتٍ غَير مُسافحات ولا متَّخذاتِ أخذان**﴾ وقال في حق الرجال: ﴿**مُحصنين غيرَ مُسافحين ولا مُتّخذي أخدان**﴾ فيظهرون للناس أن محبتهم تلك الصورة لله تعالى ويبطنون اتخاذها خدناً يتلذذون بها فعلاً أو تقبيلاً أو تمتعاً بمجرد النظر والمخادنة والمعاشرة واعتقادهم أن هذا لله وأنه قربه وطاعة هو من أعظم الضلال والغي وتبديل الدين حيث جعلوا ما كرهه الله سبحانه محبوباً له وذلك من نوع الشرك والمحبوب المتخذ من دون الله طاغوت فإن اعتقاد كون التمتع بالمحبة والنظر والمخادنة وبعض المباشرة لله وأنه حب فيه كفر وشرك كاعتقاد محبي الأوثان في أوثانهم (إلى أن قال رحمه تعالى) ومعلوم أن شارب الخمر لا يدوم سكره بل لا بد أن يفيق ولعل أوقات إفاقته أكثر من أوقات سكره وأما سكرة العشق فقلّ أن يفيق صاحبها إلا إذا جاءت الرسل تطلبه للقدوم على الله تعالى ولهذا استمرت سكرة اللوطية حتى فجأهم عذاب الله وعقوبته وهم في سكرتهم يعمهون فكيف إذا خرج العشق إلى حد الجنون المطبق كما أنشد محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب اعتلال القلوب قال: أنشد الصيدلاني:

قالت جننت على رآي فقلت لها ... العشق أعظم مما بالمجانين
العشق ليس يفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

فصاحبه أحق بأن يشبه بعابد الوثن والعاكف على التماثيل فإن عكوف قلب العاشق على صورة محبوبه وتمثاله يشبه عكوف عابد الصنم على صنمه وإذا كان الشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين في الخمر والميسر ويصدهم بذلك عن ذكر الله وعن الصلاة فالعداوة والبغضاء والصد الذي يوقعه بالعشق أعظم بكثير وجميع المعاصي يجتمع فيها هذان الوصفان وهما العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة فإن التحاب والتآلف إنما هو بالإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿**إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات سَيجعل لهم الرحمٰن ودّاً**﴾ أي يلقي بينهم المحبة فيحب بعضهم بعضاً فيتراحمون ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض من المحبة. وقال ابن عباس: يحبهم ويحببهم إلى عباده. قال هرم بن حيان: ما

أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

وأهل المعاصي والفسوق وإن كان بينهم نوع مودة وتحاب فإنها تنقلب عداوة وبغضاً وفي الغالب يتعجل لهم ذلك في الدنيا قبل الآخرة وأمّا في الآخرة فالأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

إلى أن قال والمقصود أن الله سبحانه وتعالى فتن أصحاب الشهوات بالصور الجميلة وفتن أولئك بهم فكل من النوعين فتنة للآخر فمن صبر منهم على تلك الفتنة نجا مما هو أعظم منها ومن أصابته تلك الفتنة سقط فيما هو شر منها فإن تدارك ذلك بالتوبة النصوح وإلّا فبسبيل من هلك ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «ما تركتُ بَعدي فِتنة أضرّ من النّساء على الرجال» أو كما قال. فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمّارة وشيطانه المغوي المزين وقرنائه وما يراه ويشاهده مما يعجز صبره عنه ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها وفيها نشأ فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به.

فوالله لولا الله يُسعد عبدَهُ ... بتوفيقه والله بالعبد أرحم
لَما ثَبت الإيمان يوماً بقلبه ... على هذه العلّاتِ والأمر أعظم
ولا طاوعته النّفس في ترك شهوة ... مخافَةَ نار جمرها يتضرّم
ولا خاف يوماً من مقام إلٰهه ... عليه بحكم القسط إذ ليس يظلم

فصل

فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات كما أن البغض والكراهية مبدأ كل ترك وكف فإذا عرف ذلك فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له. فتحرك محب الرحمٰن ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان. ومحب

المتاع والأثمان ومحب الأوثان والصلبان ومحب النساء والمردان ومحب الأوطان ومحب الإخوان. فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه منها دون غيره ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ومحب قران الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ولا عند تلاوة القرآن حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره فكل هذه المحاب باطلة ومضمحلة سوى محبة الله وما ولاها من محبة رسوله وكتابه ودينه وأوليائه فهذه المحبة تدوم وتدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به وفضلها على سائر المحاب كفضل من تعلقت به على سواه وإذا انقطعت علائق المحبين وأسباب توادهم وتحابهم لم تنقطع أسبابها. قال تعالى: ﴿إذ تبرأ الَّذين اتُّبِعوا من الَّذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (المودة) وقال مجاهد: تواصلهم في الدنيا وقال الضحاك: يعني تقطعت بهم الأرحام وتفرقت بهم المنازل في النار وقال أبو صالح: الأعمال. والكل حق فإن الأسباب هي الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم أحوج ما كانوا إليها وأما أسباب الموحدين المخلصين لله فاتصلت بهم ودام اتصالها بدوام معبودهم ومحبوبهم فإنّ السبب تبع لغايته في البقاء والانقطاع إذا تبين هذا فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله تعالى بها وخلق خلقه لأجلها هي محبته وحده لا شريك له المتضمنة لعبادته دون عبادة ما سواه ومدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن محبة ما يضادها وملازمتها وضرب الأمثال والمقاييس لأهل المحبتين وذكر قصصهم ومآلهم ومنازلهم وثوابهم وعقابهم ولا يجد حلاوة الإيمان بل لا يذوق طعمه إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «ثَلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان ـ وفي لفظ ـ لا يجد طعم الإيمان إلاّ من كان فيه ثلاث من كان الله ورسولُهُ أحب إليه مما سِواهما وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبّه إلا لله وأن يكره أن يَرجع في الكفر بَعْد إذ أنْقَذه الله تعالى منه كما يكرهُ أنْ

يُلقى في النـار» وفي الصحيحين أيضـاً عنـه قـال: قـال رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «والَّذي نفسي بيده لا يُؤمن أحـدُكم حتَّى أكونَ أحب إليـه من وَالِـدِه وَوَلَدِه والنَّـاس أجمعين» ولهذا اتفقت دعـوة الـرسـل من أولهم إلى آخرهم على عبادة الله وحده لا شريك له وأصل العبادة وتمـامها وكمـالها هـو المحبـة وإفراد الـرب سبحانـه بهـا فـلا يشـرك العبـد بـه فيهـا غيـره والكلمـة المتضمنة لهذين الأصلين هي الكلمـة التي لا يُدخـل في الإسلام إلا بهـا ولا يعصم دمه وماله إلا بالإتيان بها ولا ينجـو من عذاب الله إلا بتحقيقهـا بالقلب واللسان وذكرها أفضل الذكر كمـا في صحيح ابن حبـان عنه صلى الله تعـالى عليه وسلم (أفضل الذكر لا إله إلا الله) والآية المتضمنـة لها ولتفضيلهـا سيدة آي القرآن والسورة المختصة بتحقيقها تعدل ثلث القرآن ولهذا كانت دعـوات المكـروب (لا إله إلا الله العـظيم الحليم لا إله إلا الله رب العـرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم) ودعـوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربـه (لا إله إلا أنت سبحـانك إني كنت من الـظالمين) وفي الترمـذي من حديث إبـراهيم بن محمـد بن سعـد بن أبي وقـاص عن أبيه عن جـده عن النبي صلى الله تعـالى عليـه وآلـه وسلم قـال: «دعـوة يونس إذ نـادى في بـطن الحـوت لا إلـه إلا أنت سبحانـك إني كنت من الظالمين فإنـه لم يدع بهـا مسلم في شيء إلاّ استجيبَ لَهُ» وفي مسنـد الإمام أحمد مرفوعاً: (دعواتُ المكروب اللهم رحمتَـكَ أرجُو فـلا تكلني إلى نفسي طرفَةَ عينٍ وأَصْلِح لي شأني كلَّه لا إله إلا أنت) فالتوحيد ملجأ الطالبين ومفزع الهـاربين ونجاة المكـروبين وغياث الملهـوفين وحقيقة إفـراد الـرب سبحـانـه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع.

(رجع إلى المحبة) فالمحبة النافعة ثلاثة أنـواع: محبة الله، ومحبـة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، والمحبة الضـارة ثلاثة أنـواع: المحبة مـع الله، ومحبة مـا يبغضه الله تعـالى، ومحبة مـا تقطع محبتـه عن محبة الله تعـالى أو تنقصها. فهـذه ستة أنـواع عليها مـدار محـابّ الخلق فمحبة الله عز وجل أصل المحابّ المحمودة وأصـل الإيمان والتـوحيد والنوعان الآخران تبع لهـا والمحبة مـع الله أصل الشـرك والمحابّ المـذمومـة

والنوعان الآخران تبع لها.

ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد وكلما كان أكثر إخلاصاً وأشد توحيداً كان أبعد.

فصل

وذكر الملائكة إلى أن قال: والمقصود أن الله سبحانه وتعالى وكّل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة لكونهم هم المباشرين للتدبير كقوله تعالى: **﴿فالمدبّراتِ أمراً﴾** ويضيف التدبير إليه كقوله: **﴿إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثم استوى على العرش يدبّر الأمر﴾** وقوله: **﴿قُل من يَرزقكم من السّماء والأرض أمّن يملك السّمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله﴾** وهذا كما أضاف التوفي إليهم تارة كقوله تعالى: **﴿تَوفَّته رسلنا﴾** وإليه تارة كقوله **﴿الله يَتَوفى الأنْفُس﴾** ونظائره والملائكة الموكلة بالإنسان من حيث كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله وأجله وشقاوته وسعادته وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أقواله وأفعاله وحفظه في حياته وقبض روحه عند وفاته وعرضها على خالقه وفاطره وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره وما يحبه ليقوى قلبه ويزداد شكراً وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه وينهونه عن الشر ويحذرونه منه فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون له والمستغفرون له وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه وهم الذين يزهدونه في الدنيا

ويرعبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا جزع وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم وتصعد إليه بالأمر (قد أطّت بهم السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم).

ما ذكرناه مختصراً مما ذكره ابن القيم رحمه الله عن الملائكة وبنهاية البحث قال: ولهذا كان الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية فأرحم بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك فمن رحمة الأب بولده أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم. ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد فإنه أعلم بمصلحته فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه وقد جاء في الأثر: (أن المبتلى إذا دعي له اللهم ارحمه يقول الله سبحانه كيف أرحمه من شيء به أرحمه) وفي أثر آخر: (إن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا وطيباتها وشهواتها كما يحمي أحدكم مريضه) فهذا من تمام رحمته به لا من بخله عليه كيف وهو الجواد الماجد الذي له الجود كله وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها فمن رحمته سبحانه وتعالى بعباده ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية لا حاجة

منه إليهم بما أمرهم به فهو الغني الحميد ولا بخلاً منه عليهم بما نهاهم عنه فهو الجواد الكريم.

ومن رحمته أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم. ومن رحمته بهم أن حذرهم نفسه لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به كما قال تعالى: **﴿وَيُحذركُم الله نفسه والله رؤوفٌ بالعباد﴾** قال غير واحد من السلف: من رأفته بالعباد حذرهم نفسه لئلا يغتروا به.

فصل

ولما كان تمام النعمة على العبد إنما هو بالهدى والرحمة كان لهما ضدان الضلال والغضب فأمرنا الله سبحانه أن نسأله كل يوم وليلة مرات عديدة أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم وهم أولو الهدى والرحمة ويجنبنا طريق المغضوب عليهم وهم ضد المرحومين وطريق الضالين وهم ضد المهتدين ولهذا كان هذا الدعاء من أجمع الدعاء وأفضله وأوجبه وبالله التوفيق.

فصل

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص وكذلك ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه قال تعالى: **﴿والله ولي المؤمنين﴾** وقال تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا﴾** وكذلك معيته الخاصة هي لأهل الإيمان كما قال تعالى: **﴿وأنَّ الله مع المؤمنين﴾** فإذا نقص الإيمان وضعف كان حظ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل قال تعالى: **﴿إنّا لَنَنْصر رسلَنا والّذين آمنوا في الحياة الدُّنيا ويومَ يقومُ الأشهاد﴾** وقال تعالى: **﴿فأيّدنا الَّذين آمنوا عَلَى عدوّهم فأصبحوا ظاهرين﴾** فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو بإدالة

عدوه عليه فإنما هي بذنوبه إما بترك واجب أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه وبهذا يزول الإشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجعل الله لِلْكافرين عَلَى المؤمنين سَبيلا﴾ ويجيب عنه كثير منهم بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الآخرة ويجيب آخرون بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الحجة.

والتحقيق أنها مثل هذه الآيات وأن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان ولو اجتمع عليه من بأقطارها إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلاَ تهِنوا ولاَ تحزَنوا وأنتم الأعْلَون إنْ كُنتم مُؤمنين﴾ وقال تعالى: ﴿فَلا تَهِنوا وتَدْعُو إلى السَّلْمِ وأنتم الأعْلون والله معكم ولَنْ يَتِرَكم أعمالكم﴾ فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بهم ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالهم إذا كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره.

فصل

إن محبة الله سبحانه والأنس به والشوق إلى لقائه والرضى به وعنه أصل الدين وأصل أعماله وإرادته كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها فمعرفته أجل المعارف وإرادة وجهه أجل المقاصد وعبادته أشرف الأعمال والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى لرسوله: ﴿ثمَّ أوحينا إلَيك أنِ اتَّبِع مِلَّة إبراهيم حَنِيفاً وما كان من المشركين﴾.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: (أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) وذلك هو حقيقة شهادة أن لا

إلـه إلا الله وعليها قـام دين الإسلام الـذي هو دين جميـع الأنبياء والمـرسلين وليس لله دين سواه ولا يقبل من أحد ديناً غيره ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسـلامِ ديناً فَلَنْ يُقبل منه وَهُو في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرين**﴾.

ومتى لم يكن الله وحده غاية مراد العبـد ونهايـة مقصوده وهـو المحبوب المراد له بالذات والقصد الأول وكل ما سواه فإنمـا يحبه ويـريده ويـطلبه تبعـاً لأجله لم يكن قـد حقق شهادة أن لا إلـه إلا الله وكان فيـه من النقص والعيب والشرك بقدره ولـه من موجبـات ذلك من الألم والحسـرة والعذاب بحسب مـا فاته من ذلك ولو سعى في هـذا المطلوب بكـل طريق واستفتـح من كل بـاب ولم يكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه مفتقراً إليه في حصوله متيقناً أنه إنما يحصل بتوفيقه ومشيئته وإعانته لا طريق له سوى ذلك بوجه من الوجـوه لم يحصل لـه مطلوبه فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يـوصل إليـه سواه ولا يـدل عليـه سواه ولا يعبـد إلا بإعـانتـه ولا يـطاع إلا بمشيئتـه ﴿**لِمَنْ شـاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين**﴾ وإذا عرف هذا فـالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذته تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استترت عنهوتوارت أو نقصت أو ذهبت فإنها لو كانت موجـودة كاملة لمـا قدم عليهـا لذة وشهـوة لا نسبة بينهـا وبينها بـوجه مـا بل هي أدنى من حبـة خردل بالنسبة إلى الدنيا ومـا فيها ولهـذا قال النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم: «لَا يَزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السَّارقُ حين يسرق وهو مؤمن ولا يشربُ الخمر حين يشربُها وهو مؤمن» فإن ذوق حقيقة الإيمان ومباشرتـه لقلبه يمنعه من أن يُؤثِر عليه ذلك القدر الخسيس وينهاه عما يُشَعِّثه وينقصه.

فصل

والفتنـة نوعـان فتنة الشبهـات وهي أعظم الفتنتين وفتنـة الشهوات وقـد يجتمعـان للعبد وقـد ينفرد بـأحدهمـا ففتنة الشبهـات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بـذلك فسـاد القصد وحصـول الهوى فهنـالك الفتنـة العظمى والمصيبة الكبرى فقل ما شئت في ضلال سيء القصـد الحاكم عليـه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسـوله فهـو من

الـذين قال الله تعـالى فيهم: ﴿إنْ يَتّبعُون إلاّ الـظّنّ وما تَهْـوى الأنفسُ﴾ وقد أخبر سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال: **﴿يـا دَاوُدُ إنَّا جَعلنـاكَ خليفةً في الأرضِ فاحكم بين النَّاس بالحقّ ولا تَتَّبع الهوى فيضلَّك عن سبيل الله إنّ الّذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بمـا نَسُوا يومَ الحسابِ﴾** وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البـدع على حسب مـراتب بدعهم فجميعهم إنمـا ابتدعـوا من فتنـة الشبهـات التي اشتبـه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتبـاع الرسـول وتحكيمه في دِقِّ الـدين وجلِّه ظاهـره وباطنـه عقائـده وأعمالـه حقائقه وشرائعه فيتلقى عنه حقائق الإيمـان وشرائـع الإسلام ومـا يثبته الله من الصفـات والأفعال والأسمـاء وما ينفيـه عنه كمـا يتلقى عنـه وجـوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها ووجوب الوضـوء والغسل من الجنـابة ومقـادير نصب الـزكاة ومستحقيهـا وصوم رمضـان والحج فـلا يجعله رسـولاً في شيء دون شيء من أمور الدين بل هو رسـول في كل شيء تحتـاج إليه الأمـة في العلم والعمل لا يتلقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه فالهـدى كله دائر على أقـواله وأفعـاله وكـل ما خرج عنها فهو ضلال فإذا عقد قلبه على ذلك وأعـرض عما سـواه ووزنه بمـا جاء به الرسول فإن وافقه قبله لا لكون ذلك القائل قاله بـل لموافقتـه للرسالـة وإن خالفه رده ولو قاله من قاله فهذا الـذي ينجيه من فتنـة الشبهات وإن فـاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه وهـذه الفتنة تنشـأ تارة من فهم فـاسد وتارة من نقل كاذب وتارة من حق ثابت خفي على الرجـل فلم يظفـر به وتـارة من غرض فاسد وهوى متبع فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة. وأما النوع الثاني من الفتنة ففتنة الشهوات وقد جمـع سبحانـه بين ذكر الفتنتين في قـولـه: **﴿ كـالـذّيـن مِنْ قَبلكم كـانـوا أشـدَّ منكم قـوّة وأكْثَـرَ أمـوالاً وأولاداً فـاسْتَمْتَعوا بِخَـلاقِهِمْ فـاسْتَمْتَعْتُم بِخَـلاَقِكم﴾** أي تمتعـوا بنصيبهم من الـدنيـا وشهـواتها والخـلاق هو النصيب المقـدر ثم قـال تعـالى: **﴿وَخُضْتُم كـالَّـذي خاضُوا﴾** فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الإستمتاع بالخَلاَق والخـوض بالبـاطل لأن فسـاد الدين إمـا أن يكون بـاعتقاد البـاطل والتكلم بـه أو بالعمـل بخلاف

العلم الصحيح. فالأول هو البدع وما والاها والثاني فسق الأعمال فالأول فساد من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون احذروا من الناس صنفين صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه. وكانوا يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل.

فصل

إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين بهما سعادته وفلاحه وكماله وهما الهدى والرحمة قال تعالى عن موسى وفتاه: **﴿فَوَجَدَا عبداً من عِبَادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً﴾** فجمع له بين الرحمة والعلم وذلك نظير قول أصحاب الكهف: **﴿رَبَّنا آتِنا من لَدُنك رحمةً وهيّىء لنا من أمْرنا رشدا﴾** فإن الرشد هو العلم بما ينفع والعمل به والرشد والهوى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق والرشد هو العمل به وضدهما الغيّ واتباع الهوى. والهدى في الأصل مصدر هدى يهدي هدى فمن لم يعمل بعلمه لم يكن مهتدياً كما في الأثر (من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى إلا بعداً) قال تعالى: **﴿قُلْ بِفضل الله وَبرحمتِهِ فَبِذلك فَلْيفرحوا هُو خيرٌ ممّا يجمعون﴾** فأمر سبحانه عباده المؤمنين المهتدين أن يفرحوا بفضله ورحمته وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هو العلم والإيمان والقرآن وهما اتباع الرسول وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده فإن الأمن والعافية والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته مع الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة. والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق مع الضلال والحيرة ومثل هذا بمسافرين أحدهما قد اهتدى لطريق مقصده فسار آمناً مطمئناً والآخر قد ضل الطريق فلم يدر أين يتوجه.

فصل

فيما في الشرك والزنا واللواطة من الخبث وقد وسم الله سبحانه الشرك

والـزنا واللواطـة بالنجـاسة والخبث في كتـابه دون سـائر الـذنـوب وإن كـانت مشتملة على ذلك لكن الذي وقع في القرآن قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا إنّما المشركون نَجَسٌ﴾ وقولـه تعالى في حق اللوطيـة: ﴿وَلُوطـاً آتيناه حُكْمـاً وعِلمـاً ونجّيناه من القَـرْية الَّتي كـانت تعملُ الخبـائِثَ إنّهم كانـوا قَـوْمَ سَـوءٍ فـاسِقين﴾ وقـالت اللوطيـة: ﴿أَخْـرجـوا آلَ لـوطٍ من قَـريتِكم إنَّهم أُنـاسٌ يتطهّرون﴾ فأقروا مع شركهم وكفـرهم أنهم هم الأخابث الأنجـاس وأنّ لوطـاً وآله مطهرون من ذلك بـاجتنابهم لـه وقال تعـالى في حق الزنـاة: ﴿الخَبِيْثاتُ لِلْخَبِيْثِينَ وَالخَبِيْثُون لِلْخَبِيثَاتِ﴾.

فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة فالمغلظة الشـرك الأكبر الـذي لا يغفره الله عـز وجـل فـإنَّ الله لا يغفـر أن يشـرك بـه. والمخففة الشرك الأصغر كيسير الـرياء والتصنـع للمخلوق والحلف به وخـوفه ورجائه. ونجاسة الشرك عينيه ولهذا جعل سبحانه وتعـالى الشرك نَجَسـاً بفتح الجيم ولم يقـل إنما المشـركـون نجِس بـالكسـر فـإنّ النَّجَس عين النجـاسـة والنجِس بـالكسر هـو المتنجس فالثـوب إذا أصابـه بول أو خمـر نجِس والبول والخمر نجَس فأنجس النجـاسة الشـرك كما أنـه أظلم الظلم فـإن النجَس في اللغة والشرع هو المستقذر الذي يطلب مبـاعدتـه والبعد منـه بحيث لا يلمس ولا يشم ولا يرى فضلاً أن يخالط ويلابس لقذارته ونفـرة الطبـاع السليمة عنـه وكلما كان الحي أكمل حياة وأصح حياء كـان إبعاده لـذلك أعـظم ونفرتـه منه أقوى فالأعيان النجسة إما أن تؤذي البدن أو القلب أو تؤذيهما معاً والنَّجَس قد يؤذي برائحته وقد يؤذي بملابسته وإن لم تكن له رائحة كريهة.

والمقصود أنّ النجاسة تارة تكون محسوسـة ظاهـرة وتارة تكـون معنويـة بـاطنة فيغلب على الـروح والقلب الخبـث والنجاسـة حتى أنّ صاحب القلب الحي ليشم من تلك الروح والقلب رائحة خبيثة يتأذى بهـا كما يتـأذى من شم رائحة النتن ويظهر ذلك كثيراً في عرقه حتى ليوجد لرائحة عرقـه نتناً فـإن نَتْن الروح والقلب يتصل ببـاطن البدن أكثـر من ظاهـره والعرق يفيض من البـاطن ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق وكان رسـول الله صلى الله تعالى عليـه وآله وسلم أطيب الناس عرقاً قالت أم سليم وقد سألها رسول الله عليه الصلاة

والسلام عنه وهي تلتقطه (هو من أطيب الطيب) فالنفس النجسة الخبيثة يقوى خبثها ونجاستها حتى يبدو على الجسد والنفس الطيبة بضدها فإذا تجردت وخرجت من البدن وجد لهذه كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض ولتلك كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض.

قوله تعالى: ﴿**الَّذينَ تَتَوفّاهم الملائِكةُ طيّبين يَقولون سلامٌ عليكم ادخلوا الجنَّة بما كُنتم تَعْملون**﴾ فالجنة لا يدخلها خبيث ولا من فيه شيء من الخبث فمن تطهر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاساته دخلها بغير معوق ومن لم يتطهر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية كالكافر لم يدخلها بحال وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعدما يتطهر في النار من تلك النجاسة ثم لا يخرج منها حتى أن أهل الإيمان إذا جازوا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيهذّبون ويُنقّون من بقايا بقيت عليهم قصرت بهم عن الجنة ولم توجب لهم دخول النار حتى إذا هذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة.

والله سبحانه وتعالى بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطهارة فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفاً على الطيب والطهارة فلا يدخلها إلا طيب طاهر فهما طهارتان طهارة البدن وطهارة القلب ولهذا شرع للمتوضىء أن يقول عقيب وضوئه (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فطهارة القلب بالتوبة وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه.

وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ: (اللَّهم طهّرني من خَطَايَايَ بالماء والثَّلج والبرد) كيف يطهر الخطايا بذلك وما فائدة التخصيص بذلك وقوله في لفظ آخر (والماء البارد) والحار أبلغ في الإنقاء فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعاً فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه فإنّ الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه والماء يغسل الخبث ويطفىء النار فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى

في التبريد وصلابة الجسم وشدته فكان أذهب لأثر الخطايا هـذا معنى كلامـه وهو محتاج إلى مزيد بيـان وشرح فـاعلم أن هاهنـا أربعة أمـور أمران حسيـان وأمران معنويان فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان. وأثـر الخطايـا التي تـزول بالتـوبة والاستغفـار هي ومزيلهـا معنويـان وصلاح القلب وحيـاتـه ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهـذا فذكـر النبي صلى الله تعالى عليـه وآله وسلم من كلٍّ قسماً نبـه به على القسم الآخـر فتضمن كلامـه الأقسام الأربعـة في غايـة الاختصار وحسن البيان كما في حديث الدعاء بعد الوضوء (اللهم اجعلني من التَّوابين واجعلني من المتطهرين).

النفس اللوامـة اختلف في اشتقاق هـذه اللفظة هـل هي من التلوم وهو التلون والتردد أو هي من اللوم وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس ما اللوّامة قال: هي النفس اللؤم.

وقال مجاهد: هي التي تُنَدِّم على ما فات وتلوم عليه.

وقال عكرمة تلوم على الخير والشر.

والنفس قد تكون تارة أمارة وتارة لوّامة وتارة مطمئنة بل في اليوم الواحد والساعة الـواحدة يحصـل منها هـذا وهذا والحكم للغـالب عليها من أحـوالها فكونها مطمئنة وصف مدح لها وكونها أمارة بالسوء وصف ذم لها وكونها لـوّامة ينقسم إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه.

والمقصـود ذكر عـلاج مرض القلب بـاستيلاء النفس الأمـارة عليـه ولـه عـلاجان محاسبتهـا ومخالفتها. وهـلاك القلب من إهمـال محـاسبتهـا ومن مـوافقتها واتبـاع هـواهـا وفي الحـديث الـذي رواه أحمـد وغيـره من حـديث شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواهـا وتمنى على الله» دان نفسه أي حـاسبها. وذكـر الإمام أحمـد عن عمر بن الخـطاب رضي الله عنه أنـه قال: (حـاسبـوا أنفسكم قبل أن تحاسبـوا وزنوا أنفسكم قبـل أن توزنـوا فإنـه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتَزيَّنوا للعرض الأكبر يومئذ تعـرضـون لا تخفى منكم خافية). وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْره فُرُطـاً﴾ أضاع نفسه وغبن مع ذلك تراه حافظاً لمالـه مضيعاً لدينه.

قال ابن أبي الدنيا حدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيدالله قال: كان توبة بن الصِّمَّة بالرّقة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب كيف وفي كل يوم آلاف من الذنوب ثم خرج مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول: يا لكِ ركْضَة إلى الفردوس الأعلى.

هذا ما تيسر نقله من إغاثة اللهفان نرجو الله تعالى أن ينفع به من قرأه وكتبه إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

حكم وأمثال

من رضي عن نفسه سخط عليه الناس.

اتق العثار بحسن الاعتبار.

يا عاقد اذكر حلاً.

لا تكن كمن أراق الماء واتبع السراب.

أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان والتأني بعد الفرصة.

العقل كالسيف. والتجربة كالمسن.

التجارب مرائي الغيوب ونواظر العيوب.

لا تؤاخ شاعراً فإنه يمدحك بثمن ويهجوك مجاناً.

أفضل المعروف نصرة الملهوف.

ليس العاقل من يعرف الخير من الشر وإنما العاقل من يفرق بين الشرين.

من كثر وعده ووعيده اجترأ عليه صديقه وعدوه.

لا خير في وعد مبسوط وإنجاز مربوط.

ليس خطأ الإنسان عنواناً على سوء قصده.

من لم ينظر في العواقب تعرض لحادثات النوائب.

أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنه.

الصمت زين العاقل وستر الجاهل.

أساء سمعاً فأساء إجابة.

من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم.

التواضع سلم الشرف.

الحسد داعية النكد.

الخذلان مسامرة الأماني.

رب حسب دفنه الفقر.

لا شيء أوجع للأحرار من الاضطرار إلى مسألة الأشرار.

من بخل بمال في واجب ذهب ضعفه في باطل.

الحازم من لم يَشْغله البَطَرُ بالنعمة عن العمل للعاقبة. والهمُّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها.

أربعة أشياء لا يُسْتَقَلُّ قليلُها المرض، والنار، والدَّين، والعداوة.

بالصبر على لبس الحديد تتنعم في الثوب الجد.

في الصبر على النوائب إدراك الرغائب.

للعادة على كل شيء سلطان.

من استعمل الخوفَ من المكاره مع وقوع المحابّ سلم.

من لم يكن معه من مطالب الأشياء غير تمنيها فاتته.

الصدق كله حَسَنٌ وأحسنه أن يقول العالم لما جهله لا علم لي به.

لا تكره سخط من يرضيه الباطل.

لا تغالب أمراً مقبلاً فإنه يغلبك.

جارٌ قريب أنفع لك من أخ بعيد.

المال للجاهل وبال عليه.

بإحياء الملاطفة تستمال القلوب العارفة.

فقير صدوق. خير من غني كذوب.

العجب ما عدم فيه العادة.

من لم يتّعظ بالناس وعظ الله عز وجل به الناس.

من صيَّرَ الأمورَ الحادثة قبله موعظته نجا.

نعم المعين الغضب للدين.

أرْدَى ما في الكريم منعُ الخير وأحسنُ ما في الشّرير كفُّ الشر.

حفظ ما في يدك أيسر من طلب ما في أيدي الناس.

طلب الشرف يكسب حزناً.

من كل مفقود عوض إلا العقل.

اجتنب الأشرار يجتنبوك.

التمس الأنصار قبل الحرب والطبيب قبل المرض.

من كتاب محاضرات الأدباء

عز العلم

قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال الأحنف: كل عز لم يؤيد بعلم فإلى ذل يصير: وقال: من لم يكن له علم ولا أدب لم يكن له حسب ولا نسب. وقال الشاعر:

ما ضر من حاز التأدب والنهى ... أن لا يكون من آل عبد مناف

وقال صالح بن عبد القدوس:

قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبداً ... فلا يحاذر منه الفوت والطلبا

العلم يزهد في الدنيا الضارة ويرغب في الآخرة السارة.

وقال عبد الملك: اطلبوا معيشة لا يقدر سلطان جائر على غصبها قيل: ما هي قال: الأدب.

وقال الأصمعي لرجل: ألا أدلك على خليل إن صحبته زانك وإن احتجت إليه مانك وإن استعنت به أعانك قال: نعم فقال: عليك بالأدب.

وقيل: من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة. ومن تسلى بالكتب لم تفته السلوة.

ذم من شان علمه بتقصير

قال النبي ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع.

كتب الشافعي رحمه الله إلى عالم قد أوتيت علماً فلا تطفىء نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنورهم.

التعلم في الصغر: سمع الحسن رجلاً يقول: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر. فقال: الكبير أوفر عقلاً منه لكنه أشغل قلباً. وقيل: من لم يتعلم في الصغر هان في حال الكبر. وقال الشاعر:

هـل الحفظ إلا للصبي فـذو النهى　　　يمـارس أشغـالاً تشـرد بـالـذكـر

فضـل التعلم في الكبر: قيـل: لأنو شـروان. أيحسن بالشيـخ أن يتعلم قال: إن كانت الجهالة تقبـح منه فـالتعلم يحسن به. فقيل: وإلى متى يحسن منـه فقال: مـا حسنت به الحيـاة. وقال شيـخ للمأمون: أقبيـح لي أن أستفهم فقال: بل قبيح بك أن تسبهم.

قيل: لا يصير الإنسان عالماً إلا بخمس: غريـزة محتملة للعلم وعنايـة تامة. وكفاية قائمة. واستنباط لطيف ومعلم فصيح. وقيل:

لا تستـطيـع أن تعي العلوم السنيـة　　　حتى تمحو من ذهنك الأمور الدنيـة

الحث على الحفظ دون الاعتماد على الكتب.

قيل: إذا فقد العالم الذهن قل على الأضداد احتجاجه. وكثر إلى الكتب احتياجه وقيل لاخير في علم لا يعبر معك الوادي. ولا يعمر بك النادي.

وقال محمد بن بشير:

إذا لـم تـكـن حـافـظاً واعـيـاً　　　فـجـمـعـك لـلكـتـب لا يـنـفـع

وقال آخر:

غـدوت بـتشـميـر وجـد عـليهـم　　　فمحبـرتي سمعي ودفتـرهـا قلبي

وقيل: قيدوا العلم بالكتابة. وقال سقراط: ما بنته الأقلام لم تـطمع في دروسـه الأيام. وقيـل: اكتبوا مـا تسمعونـه من الحكم ولو في بيـاض النواظـر بأطراف الخناجر.

الحث على الأخذ ممن كان

قال النبي ﷺ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها قيدها.

وقيل: خذ الحكمة ممن تسمعها منه فرب رمية من غير رام وحكمـة من غير حكيم. وسمع الكندي كلمة من مخنث فكتبهـا فلامـوه على ذلك فقـال: رب لسان خنث أنتج لفظاً فحلاً. والجوهرة النفيسة لا يشينها سخـافة غـائصها ولا دناءة بائعها. وقال بزرجمهر: أخذت من كل شيء أحسن مـا فيه حتى من

الكلب ذبه عن حريمه ومن الخنزير بكوره في مقاصده. وقال ابن السكيت لرجل أتراك أحطت بما لم أحط به فقال: وما أنكرت وقد قال الهدهد وهو أخس الطيور لسليمان عليه السلام أحطت بما لم تحط به.

ترويح النفس في طلب العلم

قال النبي ﷺ إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وقيل دار القلب فإذا نشط فأودعه وإذا فتر فتودعه. وقيل: روحوا الأذهان كما تروحون الأبدان فإن العقل المكدود ليس لرؤيته لقاح ولا لرأيه نجاح وقيل: نفسك مطيتك إن رفهتها اصطلعت وإن تحاملت عليها انقطعت.

حمد التأديب

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج. وسأل الرشيد يوماً من أكرم الناس خدماً قيل أمير المؤمنين فقال: لا بل أكرم خدماً الكسائي فقد رأيته يخدمه الأمين والمأمون وليا عهد المسلمين وليس لي من الخدم مثلهما.

فائدة

قوله تعالى: ﴿**وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب**﴾ هذه الآية الكريمة تدل على أن النبوة والكتاب في خصوص ذرية إبراهيم وقد ذكر في سورة الحديد ما يدل على اشتراك نوح معه في ذلك في قوله: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب**﴾ والجواب أن وجه الاقتصار على إبراهيم أن جميع الرسل بعده من ذريته وذكر نوح معه لأمرين أحدهما أن كل من كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح والثاني أن بعض الأنبياء من ذرية نوح ولم يكن من ذرية إبراهيم كهود وصالح ولوط ويونس على خلاف فيه ولا ينافي ذلك الاقتصار على إبراهيم لأن المراد من كان بعد إبراهيم لا من كان قبله أو في عصره كلوط عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ هذه الآية الكريمة تدل على الأمر ببر الوالدين الكافرين وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله**﴾

الآية ثم نص على دخول الآباء في هذا بقوله: ﴿**ولو كانوا آباءهم**﴾ والذي يظهر لي والله تعالى أعلم أنه لا معارضة بين الآيتين ووجه الجمع بينهما أن المصاحبة بالمعروف أعم من الموادة لأن الإنسان يمكنه إسداء المعروف لمن يوده ومن لا يوده والنهي عن الأخص لا يستلزم النهي عن الأعم فكأن الله حذر من المودة المشعرة بالمحبة والموالاة بالباطن لجميع الكفار يدخل في ذلك الآباء وغيرهم وأمر الإنسان بأن لا يفعل لوالديه إلا المعروف وفعل المعروف لا يستلزم المودة لأن المودة من أفعال القلوب لا من أفعال الجوارح ومما يدل لذلك إذنه ﷺ لأسماء بنت أبي بكر الصديق أن تصل أمها وهي كافرة وقال بعض العلماء أن قصتها سبب لنزول قوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**﴾ الآية انتهى من كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

يعرف حامل القرآن بليله إذ الناس نائمون. وبنهاره إذ الناس مفطرون وبحزنه إذ الناس فرحون. وببكائه إذ الناس ضاحكون. وبصمته إذ الناس يخوضون. وبخشوعه إذ الناس يختالون.

قال حماد بن زيد: عجبت لمن يحتمي من الأطعمة لمضراتها كيف لا يحتمي من الذنوب لمعراتها.

من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه. ومن عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.

قال بعض الأدباء: ذكِّ قلبك بالأدب. كما تذكي النار بالحطب واتخذ الأدب غنماً والحرص عليه حظاً. يرتجيك راغب ويخاف صولتك راهب ويُؤملُ نفعك ويُرجى عدلك.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار: وقال بعض أهل الأدب إنما قيل (ديوان) لموضع الكتبة والحُسّاب لأنه يقال للكاتب بالفارسية (ديوان) أي شياطين لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمِّي موضعهم باسمهم.

وكان الناس يستحسنون لأبي نواس قوله:

يــا كـاتبــاً كتب الـغــداة يسُبّني | مـن ذا يــطيق بــراعــة الـكـتّــاب
لم تــرض بـالإعجـام حين سببتني | حـتى شـكلت عـليـه بـالإعـراب
وأردت إفـهــامي فـقــد أفهـمتـنـي | وصــدقت فيمـا قلت غَيــر مُحـابي

وذكر في خيانات العمال: عن ابن أبي نجيح قال: لمـا أُتي عمر بتـاج كسرى وسِوَاريه جعل يقلبه بعود في يـده ويقول والله إن الـذي أدى إلينا هـذا لأمين فقال رجل يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون إليـك ما أدّيت إلى الله فإذا رتعت رتعوا قال: صدقت.

ومرّ ببنّاء يبنى بحجـارة وجص فقال: لمن هـذا فذكـروا عامـلاً له على البحرين فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها وشاطره ماله وكان يقول لي على كل خائن أمينان الماء والطين. انتهى من عيون الأخبار.

كتب رجل من الكتاب إلى سلطان: أعيذك بالله من أن تكـون لاهياً عن الشكر محجوباً بالنعم صارفاً فضلَ ما أوتيتَ من السلطان إلى مـا تقِلّ عـائدتـه وتعظم تبعتُه من الظلم والعدوان وأن يستزلّك الشيطان بخَدْعه وغروره وتسويله فيُزيلَ عاجل الغِبـطة وينسيَك مـذموم العـاقبة فـإن الحازم من يـذكر في يـومه المخوفَ من عواقب غده ولم يغره طول الأمل وتـراخي الغايـة ولم يضرب في غَمْرة من الباطل ولا يدري ما تتجلّى به مغبّتُها هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المنقلَب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه كرّ الجديدين واختلاف العصرين.

قـال وذكـر الـظلم في مجلس ابن عباس فقـال كعب: إني لا أجـد في كتـاب الله المنزل أن الـظلم يُخْرب الـديار فقـال ابن عباس: أنا أُوجِدكَـهُ في القرآن قال الله عز وجل: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُم خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾.

وَلِيَ أعرابي تبالة فصعد المنبـر فما حمـد الله ولا أثنى عليه حتى قـال: أن الأميـر أعزنـا الله وإياه ولاني بـلادكم هـذه وإني والله مـا أعـرف من الحق موضع سوطي ولن أُوتىِ بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً فكانوا يتعـاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه. انتهى من عيون الأخبار.

وقف سائل على باب فقال: يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل

أن يتم كلامه وقال على الله فقال السائل (يا قرنان) كنت تصبر لعلي جئت أدعوك إلى وليمة.

قيل للعتابي إنك تلقى العامة ببشر وتقريب قال: دفع ضغينة بأيسر مؤنة واكتساب إخوان بأيسر مبذول.

يروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعامر بن مرة من أحمق الناس قال: من ظن أنه أعقل الناس قال: صدقت فمن أعقل الناس قال: من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال.

قال بعضهم: ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شحْم.

متفرقات

سيعرضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ... ويحدُث بعدي للخليل خليلُ

* * *

إذا ما كنت في طرفي كساء ... ولم يكن الكساء يعمّ كلك
فلا تتبسَّطن فيه ولكن ... على قدرِ الكساء فمد رجلَك

* * *

وحقّ لمن قد صحّ تمييزُ عقلهِ ... إذا ما رأى الدينارَ أن يترك الفلسا

* * *

لا تأمنَنَّ على النساء ولو أخا ... ما في الرجال على النساء أمينُ
إن الأمين وإن تحفَّظَ جهدَه ... لا بدَّ أنْ بنظرةٍ سيخونُ

* * *

كأنّ حنو الشمس ثم غروبها ... وقد جعلت في مجنح الليل تمرضُ
تخاوص عين ملء أجفانها الكرى ... يرنق فيها النومُ ثم تغمضُ

* * *

إذا لم تكن ليلى بنجدٍ تغيَّرتْ ... محاسنُ دنيا أهلِ نجدٍ وطيبُها

* * *

يـا ذا الـذي جـازَ الـديـارَ ولم يقف   قِفْ لا وقفتَ أمـا تـرى أطـلالَهـا
لـو كنتَ ذا وجـدٍ بسـاكِنهـا لمـا   جـاوزتَـهـا حتـىٰ أطلتَ سـؤالَـهـا

* * *

وكيف سلوّي عن هَـوَاهَـا وكُلَّمـا   تَـأَلَقَ نجمٌ قلت هـاتيـك نـارُهَـا

* * *

لا تَجْـزعنَّ على مـا فـات مـطلبُـهُ   وإنْ جـزِعْتَ فمـاذا ينفـعُ الجـزعُ
إنّ السعـادة يـأسٌ إن ظفـرتَ بِـهِ   فَـدُونَكَ اليـأسَ إنَّ الشِّقـوة الـطمـعُ

* * *

إن كنتَ تَبغي الَّذي أصبحت تُظهرُه   فاحفظْ لسانكَ واخْشَ القالَ والقيـلاَ
مـا بالُ عبـدٍ سهامُ الموتِ تـرشُقُهُ   يكـونُ عنْ ربِّهِ بـالنـاس مشْغُـولاَ

* * *

من النَّاسِ من يدعي صديقاً ولو ترى   خبيّـة جَـنْبيـه لسـاءك غـائبُـهُ

* * *

النّـاس أشبـاهٌ فـإن خـطبٌ عـرىٰ   حطّ الـدّنيّ وشـادَ قـدرُ الأفضـلِ
كـالعـود مشتبِـهٌ فـإن حـرقتـه   كـرُه الدّخـان وطاب عَـرفُ المندلِ

* * *

انـظُر إلى حسنِ صَبْـر الشمـع يُظهـر للـرَّائين نـوراً وفيـه النـار تستعـرُ
كـذا الكـريمُ تـراه ضـاحكـاً جَذِلا   وقَـلبُـه بِـدخيـلِ الـغَمِّ مُـنفـطرُ

نبذة من كتاب لباب الأدب
للأمير أسامة بن منقذ

قـال لقمان لابنه: إياك وصـاحب السُّوء فـإنـه كـالسيف المسلول يُعجب منظره ويَقْبُحُ أَسْره. ولا يهوننّ عليك من قبح منظره ورثّ لباسه فإنّ الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب ويجازي بالأعمال.

وقال الحكيم: لا تثق بالصديق قبل الخِبْرة. ولا توقع بالعـدوّ قبل القـدرة وقال: لا تفتح بـابـاً يُعْيِيـك سدُّه ولا تَـرمِ سهماً يُعجـزكَ ردّه ولا تُفسدنَّ أمـراً

يُعييك إصلاحُه ولا تغلق باباً يُعجزك افتتاحه.

وقال أربعة تُوّلد المحبة: حُسن البشر. وبذل البِر. وقصد الوفاق. وترك النفاق.

أربعة من علامات الكرم: بذل الندى، وكف الأذى، وتعجيل المتوبة. وتأخير العقوبة.

أربعة يَزُلْن بأربعة: النِّعمة بالكفران. والقدرة بالعدوان. والدّولة بالإغفال. والحظوة بالإدل.

أربعة تدل على صحة الرأي: طول الفكر. وحفظ السر. وفرط الاجتهاد وترك الاستبداد.

أربعة توصل إلى أربعة: الصبر إلى المحبوب، والجد إلى المطلوب، والزهد إلى التقى، والقناعة إلى الغِنى.

أربعة لا تستغني عن أربعة: الرعيّة عن السياسة. والجيش عن القادة والرأي عن الاستشارة. والعزم عن الاستخارة.

ومن أمن المكائد لقي الشدائد. ومن أمن المكر لقي الشرّ.

لا تقطع قريباً وإن كفر. ولا تأمن عدواً وإن شكر. ضعف النظر يُورث العثار. وضعف الرأي يُورث الدّمار.

قال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب الفرائد والقلائد، في الاستعانة على حُسن السياسة. آفة الملوك سوء السيرة. وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة القادة. وآفة الرعية مخالفة الطاعة. وآفة الزعماء ضعف السياسة. وآفة العلماء حب الرياسة. وآفة القضاة شدّة الطمع. وآفة العدول قلة الورع. وآفة العَدْل ميل الولادة وآفة الملك تضادُد الحماة. وآفة الحرب إضاعة الحزم. وآفة القَوِيِّ استضعاف الخصم. وقال من استحلى معاداة الرجال. اسْتَمَرّ ملاقاة القتال. ومن فعل ما شاء لقيَ ما ساء. من خانه الوزير فاته التدبير. من كتم سره أحكم أمره. ومن كثر اعتباره قل عثاره.

ومن عمل بالرأي اعتلى مناره. ومن أحكم التجارب أحمد العواقب. ومن إمارات الجَدّ حسن الجِد. وزوال الدول باصطناع السُّفل. القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير. عزيمة الصبر تطفىء نار الشرّ. فإن الصبر على ما تكرهه وتجتويه يُؤديك إلى ما تحبُّه وتشتهيه.

بعث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى عبيد بن شَرِيَّه الجرهمي وكان من المعمرين[1] فقال له ما أدركت فقال: أدركتُ يوماً شبيهاً بيوم قبله وليلة شبيهة بأختها. ومولود يولد وحياً يموت قال: أخبرني بأعجب ما رأيت قال: حضرت جنازة فذكرتُ الموت والبلى فخنقتني العبرة فقلت متمثلاً:

يا قلب إنك في أسماء مغرور ... فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير

فاستقدر الله خيراً وارضينّ به ... فبينما العسر إذ دارت مياسير

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً ... إذ صار في القبر تعفوه الأعاصير

حتى كأن لم يكن إلا تذكُّرُه ... والدَّهر أينما حال دهارير[2]

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحي مسرور

فقال لي رجلٌ من أهل الجنازة أتدري لمن هذا الشعر قلت: لا قال: هو لهذا المدفون. وأنت غريب تبكي عليه وقراباته الذين يرثونه مسرورون.

حكاية

وشاهدت رجلاً من الأجناد من الأكراد يُنعت بزهر الدولة بختيار القُرصي سمي بذلك لصغر خلقته وكان رحمه الله من خيار المسلمين في الشجاعة والدين وقد ظهر عندنا أسد فحمل عليه فاستقبله الأسد فحاص به الحصان فرماه فجأه الأسد فرفع رجله لَقَّمهاالأسد وبادرناه فقتلنا الأسد فقلنا له يا زهر الدولة ما معنى رفع رجلك إلى الأسد قال: رأيتها أكْسَى ما فيّ فيها

(١) عبيد به شريه زعموا أنه عاش ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام وأسلم وقدم على معاوية وعاش إلى خلافة عبدالملك بن مروان. ذكره ابن الأثير في أسد الغابة. وذكره ابن حجر في الإصابة، وذكره أبو حاتم. المعلق.

(٢) الدهارير أول الدهر في الزمن الماضي.

الرانات والخف والساق موزاً فقلت: إن أمسك أضلاعي كسرها وإن مسك رأسي فجشه يشتغل برجلي إلى أن يفرج الله تعالى فعجبنا من حضور فكره في ذلك الوقت.

ومن فصل الأدب. قال ابن عطاء رحمه الله تعالى: الأدب الوقوفُ مع المستحسنات فقيل: وما معناه قال: إن تعامل الله تعالى بالأدب سرّاً وإعلاناً فإذا كنتَ كذلك كنتَ أديباً. وروي عن ابن سيرين رحمه الله تعالى أنه سُئل أي الآداب أقرب إلى الله فقال معرفة ربوبيّته وعمل بطاعته والحمد لله على السَّراء والصبر على الضراء.

وكان يقال من حسن الأدب أن لا تنازع من فوقك. ولا تقول مَا لا تعلم ولا تتعاطى ما لا تنال. ولا يُخالف لسانك ما في قلبك ولا قولك فعلك ولا تَدَعَ الأمرَ إذا أقبل وتطلبه إذا أدبر.

وقال عبدالملك بن مروان ما الناسُ إلى شيء من الأدب أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يَتعاوَرون الكلام ويتعاطون البيان ويتهادون الحكمة ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ويجمعون ما تفرق منها فإن الكلام قاضٍ يحكم بين الخصوم وضياء يجلو الظُّلَم حاجة الناس إلى موادّه حاجتهم إلى موادّ الأغذية وكان يقال: أربعةٌ يَسُودُ بها العبدُ. العلمُ، والأدبُ، والفقه، والأمانة. وكان يُقال: الأدبُ خيرُ ميراث وحسنُ الخلق خيرُ قرين والتوفيقُ خير قائد والاجتهادُ أربح بضاعةٍ ولا مال أعْوَدَ من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا ظهيرَ أوثقُ من المشورة ولا وحدةَ أوحشُ من العُجب.

وقال الثوري رحمه الله تعالى من لم يتأدّب للوقت فوقته مقت. قال الله سبحانه وتعالى: **﴿وأيُّوبَ إذْ نَادَى رَبَّهُ أني مَسَّنِي الضرُّ وأنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ﴾** لم يَقُل ارحمني لأنه حفظ أدب الخطاب وكذلك عيسى عليه السلام إذ قال له الباري سبحانه وتعالى: **﴿يَا عِيسَى بن مَرْيَمَ ءأنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذوني وَأُمِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ إنْ كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمتَهُ﴾** ولم يقل لم أقل رعاية للأدب. وقال الحكماء ليس العاقل وإن كان تامّاً بمستغن عن الأدب والعلم اللَّذَيْنِ

هما زينته وجماله لأن الله تعالى جعل لكثير من خلقه زينةً فزينةُ السماء بكواكبها. والأرض بزهرتها والقمر بنوره. والشمس بضيائها والأدبُ للعقول كالجلاء للسيوف فإن السيوف إذا تُعُوهدت بالصقل عملت ونفعت وإذا لم تجلَ صدأت وبطلت. وقيل لبقراط ما الفرقُ بين من له أدب ومن لا أدب له قال: كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق. وقالوا: من كثُر أدبه شَرُفَ وإن كان وضيعاً. وساد وإن كان غريباً وكثُرت الحاجةُ إليه وإن كان فقيراً. وقال بعض السلف ناهيك من شرف الأدب أنَّ أهله متبوعون والناسُ تحت راياتهم فَيَعْطِفُ ربّك تعالى عليهم قلوباً لا تَعْطِفها الأرحام وتجتمع بهم كلمةٌ لا تأتلفُ بالغلبة وتُبذل دونهم مُهَجُ النفوس.

وقال ارسطاطاليس من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً.

التجارب، من أقوال الحكماء

قالت الحكماء التجارب عقلٌ ثانٍ. ودليلٌ هادٍ وأدب للدهر فافهم عن الأيام أخبارها فقد أوضحت لك آثارها واتّعِظ بما وعظك منها وتأمّل ما ورد عليك من أحوالها تأمُّل ذي فكرة منها فإن الفكرة تَدْرأ عنك عَمَى الغَفْلَة وتكشف لك عن مستخفيات الأمور.

وقالوا الدهر أفصح المؤدِّبين وكفاك من كل يوم خبر يورده عليك وإنما الأيام مراقي الأدب ودرجات إلى العلم الأكبر فمن فهم عنها أُورِثَ زيادة وسَطَعَ نورُ علمه ولم يفتقر إلى غير نفسه.

كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى عِكْرمة بن أبي جهل رحمه الله وهو عامله على عمان: إياك أن توعدَ في معصية بأكثر من عقوبتها فإنك إن فعلت أثمت وإن تركت كذبت.

قالت الحكماء خير الكلام ما أغنى قليله عن كثيره.

وقالوا: خير الكلام ما لَمْ تَحْتَجْ بعده إلى كلام.

وقالوا: أبلغُ الكلام ما سبق معناه لفظه.

وقالوا: البلاغة ما فهمته العامّة. ورضيته الخاصة.

قال مؤلف[1] الكتاب في جواب عتاب وصله من أخيه:

أبا حَسَنٍ وافى كتابُك شاهراً ... صَوَارِمَ عَتْبٍ كلُّ صفح لها حدُّ
فقابلتُ بالعتبى مضيضَ عتابِهِ ... ولَم يَتَجهمه الحِجَاجُ ولا الردُّ
واعجبني عِيّي لديه ولم أزَلْ ... إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللّدُّ
فيا حَبَّذا ذنب إليَّ نسبتَه ... وما خطأً مِني أتاه ولا عمدُ
ولو كان ما بُلّغتَه فظننته ... لكفّره حقُّ الأخوة والودُّ
فأهلاً بَعتب تستريحُ ببه ... ويُؤمنني أن يَسْتمرّ بك الحِقْد
لقد راقَ في قَلبِي ولذَّ سماعُهُ ... بِسمعي فَزِدْني من حديثكِ يا سعدُ

وله أيضاً:

هَبْني أتيتُ بجهل ما قُذفتُ به ... فأين فَضْلُكَ والحِلمُ الذي عُرفا
وَلَا وَمَنْ يعلمُ الأسرارَ حِلفَةَ مَنْ ... يبرُّ فيما أتىٰ إن قال أو حلفا
ما حدَّثَتْني نَفْسي عندَ خلوَتِها ... بِمَا تُعنّفُنِي فيهِ إذَا انكَشَفَا

وقال المقنع الكندي:

يُعاتِبُني في الدَّين قومي وإنَّما ... ديونيَ في أشياء تكسبهم حمدا
أسدُّ بها ما قد أخلّوا وضيّعوا ... ثغورَ حُقُوق ما أطاقُوا لَها سدّا
فإن أكلُوا لَحْمي وَفَرْتُ لحومَهمْ ... وإن هَدمُوا مَجْدي بنيتُ لَهم مَجْدا
وَلا أحْمِلُ الحقدَ القديمَ عليهمُ ... وليْسَ يَسودُ القومَ مَنْ يَحملُ الحقدا
لَهُم جلُّ ما لي إنْ تَتَابَع لي غِنىً ... وإنْ قلَّ مالي لَمْ أكلِّفهمُ رِفْدا

قال حكيم من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياءَ فهو خليق أن لا ينزل به من المكروه ما ينزل بغيره: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني. فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الجنون، وثمرة العجب البغضاء وثمرة التواني الذّلّة.

وقالت تابوا الحكيمة: وسُئِلتْ أي الألوان أحسنُ عندكِ قالت: الحمرة قيل لها: ولِمَ فقالت: لأنها توجَدُ في وجوه المُسْتَحِينَ.

---

(١) أي الأمير أسامة بن منقذ.

كتب أفلاطون إلى سقراط قبل أن يتعلم (إني أسألك عن ثلاثة أشياء إن أجبت عنها تتلمذت لك) فكتب إليه: (سل وبالله التوفيق) فكتب إليه: أيُّ الناس أحق بالرحمة. ومتى تضيع أمورُ الناس. وبما تُتَلَقَّى النعمة من الله عز وجل فكتب إليه أحق الناس بالرحمة ثلاثة: البَرُّ يكون في سلطان الفاجر فهو الدهرَ حزينٌ لما يَرَى ويسمع. والعاقلُ في تدبير الجاهل هو الدهرَ مُتْعَب مغموم. والكريم يحتاج إلى اللئيم فهو الدهر خاضعٌ ذليل. وتضييعُ أمور الناس إذا كان الرأيُّ عند من لا يُقبل منه. والسلاحُ عند من لا يستعمله. والمال عند من لا ينفقه. وتُتَلَقَّى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته. فأقبل إليه أفلاطون وكان تلميذاً له إلى أن مات.

نبذة من كتاب محاضرات الأدباء

قيل للفضل الرقاشي: صف الحمّام فقال: نعم البيت الحمّام يذهب القشافة ويعقب النظافة. ويهضم الطعام. ويجلب المنام. وينفي الغضب. ويقضي الأرب. قيل: قد مدحته فذمه قال: بئس البيت الحمام يهتك الأستار. ويؤلف الأقذار. ويحرق كالنار. ورد أعرابي الحضر فمرّ بحمام فقيل له: ادخل وتطهر فدخل فشج رأسه فقال:

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة ... فرحت من الحمام غير مطهر
وزوّدت منه شجة فوق حاجبي ... بفلسين إني بئسما كان متجري
وما تحسن الأعراب في السوق مشية ... فكيف ببيت من رخام ومرمر

قال الحجاج لابن القرية صف لي البصرة قال: حرها شديد وشرها عتيد. مأوى كل تاجر. وطريق كل عابر. قال: فواسط قال: جنة بين حمأة وكمأة. قال: فالكوفة قال نقصت عن حر البحرين. وسفلت عن برد الشام فطاب ليلها. وكثر خيرها. قال: فخراسان قال: ماؤها جامد وعدوها جاهد. بأسهم شديد. وحرهم عتيد. قال: فكرمان قال: ماؤها وشل. وتمرها دقل. وعدوها بطل. إن قل الجيش بها ضاعوا. وإن كثر جاعوا. قال: فإصبهان قال: في حاضرة من الأرض زائغة من الطريق الأعظم. قال: وأحسن الأرض مخلوقة الري وأحسن الأرض مصنوعة جرجان وأحسن الأرض قديمة وحديثة

جنـدي سابـور وهو شـر البـلاد. ودخـل محمـد بن عبـدالملك الـزيـات على المـأمون فقـال: صف لي أصبهان وأوجـز قال: هـواؤها طيب ومـاؤها عـذب وحشيشهـا الزعفـران وجبالهـا العسل إلا أنهـا لا تخلو من خلال ثـلاث جـور السلطان وغلاء الأسعار. وقلة مياه الأمطار. فطرق ساعـة وقال: لعـل تجارهـا مرابون وقراؤها منافقون.

وقيـل: حُمى خيبر. وطحـال البحرين. ودمـاميل الجـزيرة. وطـاعـون الشـام. جملة من اختلاف الخلق. كـل حيـوان أصـل لسـانـه إلى داخـل إلا الفيل.

وكل سمك في العـذب بلسان ودمـاغ. وكل ذي عين من ذوات الأربـع فالأشفار لجفنها الأعلى إلا الإنسان فللأعلى والأسفل. وكل حيـوان ذي صدر فصدره ضيق إلا الإنسان والفيل والبقر. وللجواميس أربعة أخـلاف في بطنهـا وللشاة خلفان وللنـاقة أربعـة. وللسنور والكلب ثمـانية وللفهـد أربعة وللظبيـة اثنـان. ما يحـد بصره الفـرس والهدهـد والعقاب والنسـر وأما السنـور والفـأر والجـرذ والسباع والأفعى فـإنها تبصـر بالليـل كمـا تبصـر بـالنهـار انتهى. من محاضرات الأدباء.

نبذة من كتاب محاضرات الأدباء

قال بعض الصالحين: كم لي من ذنب لو عرف به الصديق لمقتني ولـو عرف به العدوّ لهتكني. وقال مطرف ما نزل بلاء فاستعظمته إلا ذكرت ذنـوبي فأستصغره. وقيل لحسان بن سنـان كيف أصبحت قال: أصبحت قـريباً أجلي بعيداً أملي. سيئاً عملي.

وقيـل: أجل مـا ينزل من السمـاء التوفيق وأجـل مـا يصعـد من الأرض الإخلاص. قال: أبو الدرداء إن أخوف ما أخـاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد عَلِمْت فما عَمِلْت. وقيل: ويـل للذي لا يعلم مرة وويـل للذي يعلم عشر مرات. روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لـو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ولكنهم وضعوه عنـد أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك. وروي عن الحسن قصم ظهري عالم لا زهد معه وزاهد لا علم معه هذا يدعو إلى جهله بزهده وهذا ينفر عن علمه بحرصه. قال بعض الحكماء النِّيران أربع نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة. ونار تأكل ولا تشرب وهي النار الموقدة. ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر. ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار الحجر.

لقي الرشيد موسى بن جعفر على بغلة فاستنكر ذلك وقال: أتركب دابة إن طَلبتَ عليها لم تَلْحق وإن طُلبت لم تَسبق. فقال: لست بحيث أحتاج أن أطلب أو أطلب فإنها دابة تنحط عن خيلاء الخيل وترتفع عن ذلة الحمير وخير الأمور أوساطها.

بنى ازدشير بناء عظيماً فدخله هو ووزيره فقال: هل فيه عيب قال: عيب عظيم لا يمكنك إصلاحه. لك منه خروج لا دخول بعده أو دخول لا خروج بعده فقال: لقد نغصته عليّ. ودخل ابن السّائب القاضي على المتقى وقد بنى داره فقال له: كيف ترى: فقال: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴿**جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً**﴾ أوصاف مجموعة من الجمال. قيل لأعرابي أي امرأة أحسن فقال: التي لطفت كفاها. وخدلت ساقاها. والتفت فخذاها. وعرضت وركاها. ونهد ثدياها. وعظمت إليتاها. وسال خداها. وقال آخر في وصف جارية. وجهها كضوء البدر. وخدها كجني الوَرد ولسانها ساحر وطرفها فاتر. ضمها يهيج اللوعة ونطقها ينقع الغلة. تنهض بقد كالقضيب وتدبر بكفل كالكثيب. ثديها يرنو إلى ذقنها ولا يطرف عكنها شعرها لاحق بذيلها في مثل سواد ليلها. ثغرها كاللؤلؤ النظيم. يجلو دجا الليل البهيم. ريحها كالمسك المفتق يستجمع صنوف النعيم مضاجعها ولا يأسى على ما فاته مالكها، صحيحة الحدقة مريضة الجفون. كأن ساعدها طلعه ومعصمها جمار وأصابعها مداري فضة وكأن نحرها من ساج وبشرتها من زجاج. وسرتها من عاج. ولينها من خز. ودثارتها من قز. وقال ابن مقبل:

يهــززن للمشي أعــطافــاً منعـمــةً　　هــزَّ الـريــاح ضحى عـيـدان يبـرينـا
يمشين هيـل النقـا مــالت جـوانبُــه　　ينهــالُ حينـاً وينهــال الثـرى حينــا

انتهى من كتاب محاضرات الأدباء.

متفرقات

ولـكنّـهـم بــانــوا ولـم أدر بـغـتــةً　　وأفــظَعُ شيء حين يفجعـك البغتُ
إذا مـحــاسـني الــلاَّتـي أدلُّ بـهــا　　كـانت عيوبي فقـل لي كيف أعتـذرُ

* * *

قــد رأيـنــاك فـمــا أعــجـبـتـنــا　　وخـبــرنــاك فـلم نــرض الـخـبــر

* * *

مــالي أرى القبّــة الفيحــاء مقفـلةً　　دوني وقد طال مـا استفتحت مقفلها
كــأنهـا جنــة الفـردوس معــرضــة　　ولـيس لـي عــمــلٌ زاكٍ فأدخلهــا

* * *

تُنــافس في طـيب الـطعــام وكُـلُّـه　　ســواء إذا مــا جــاوز الـلّهــوات

* * *

تمــدّ المنى للمـرء أسبــاب عمـره　　وسهم الـردى من لحظ عينيه أسـرع

* * *

وقــد زادنـي حبــاً لـنفـسـي أنـنـي　　بغيض إلى كـل امرىء غيـر طـائـل

* * *

أعــاذل أن الجهــل من لــذة الفتى　　وإن المنــايــا للنفــوس بمــرصــد

* * *

إن الجــديـد إذا مــا زيـد في خلق　　تبيَّن النــاسُ أن الـثــوب مــرقــوعُ

* * *

إذا لم تكن ليـلى بنـجـد تغيــرت　　محــاسنُ دنيا أهــل نجد وطيبهــا

* * *

هــل العيشُ إلا مــا تــلذّ وتشـتهـي وإن لام فـيــه ذو الشـنــار وفـنــدا

* * *

هـو الحبيب الذي نفسي الفـداء لـه ونـفس كــل نصيــح لامــني فيــه

* * *

دع اللـوم إن اللوم يـغــري وربمــا أراد صــلاحــاً من يلوم فــأفســدا

* * *

ومــا زادهــا الــواشـون إلا كــرامـة عـلي ووداً فـي الــقـلوب مــوفــراً

* * *

إذا ســألـوني عنــك مـوّهت قصتي ولجلجت لجلاج الضفادع في البحر

* * *

ولمــا رأيت الكــاشحين تـتبّـعــوا هــوانـاً وأبــدوا دوننا نــظراً شـزراً

جعلت ومــا بي من جفــاء ولا قلى أزوركم يــومــاً وأهجــركـم شهــراً

* * *

ولقــد أمــازحُــه بــإظهــار الهــوى عــمــداً لــيكـتــم ســره إعــلانُــه

ولــربـمــا كـتـم الـهــوى إظـهــاره ولــربما فضـح الهـوى كتمــانُــه

* * *

وليس الفـرارُ اليومَ عـاراً على الفتى إذا عـرفت منه الشجـاعـة بـالأمسِ

* * *

أنــا المحصـونُ من كتب المغــازي إذا قــرئـت ســرى فيـهــا قــرانـي

أرى في الـنــوم سيفــاً أو سـنــانــاً فـأسلح في الفـراش على المغــاني

* * *

نـفس وشـيــطان ودنـيــا والـهــوى يــا ربّ سلم من شـــرور الأربعــه

* * *

كــل لــه غــرض يسعى لـيــدركــه والحرب يجعل إدراك العلى غـرضه

* * *

وقيل للأحنف بن قيس: ما المروءة قال: صدق اللسان ومواساة الإخوان. ومن المنسوب للأحنف قوله: يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله في عدوه. ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يقبل قوله في نفسه وخاصته.

من كلام الحكماء من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه. إياك وما يُعْتَذَرُ منه وإياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً. الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإن جاء الذي لك فلا تبطر وإن جاء الذي عليك فلا تضجر. من عظّم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها. فقر بلا دَيْن هو الغنى الكامل. أطوع الناس لله تعالى أشدهم بغضاً لمعاصيه.

(اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت).

إذا أراد الله بعبد خيراً أرضاه بما قسم له.

قال ميمون بن مهران لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوّان إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

يروى أن عبدالملك اشترى جارية فلما خلا بها قالت: يا أمير المؤمنين ما منزلة أرفع منزلة من منزلتي هذه ولكن القيامة لها خطر إن ابنك فلاناً كان قد اشتراني وخلا بي ليلة فلا يحل لك مسي فاستحسن قولها وولاها أمر داره.

ويروى أنه تزوج رجل من همدان بنت عمه وكان محباً لها فلم يلبث أن ضرب عليه البعث إلى أذربيجان فأصاب بها خيراً. واستفاد جارية تسمى حبابة وفرساً يقال له الورد فلما نفل القوم امتنع من القفول وقال: أخشى أن امرأتي تمنع عليّ جاريتي وإني لمشغوف بها ثم قال:

ألا لا أبالي اليوم ما صَنَعَتْ هند إذا بقيت عندي حبابة والوردُ
شديد مناط المنكبين إذا جرى وبيضاء مثل الريم زينها العقدُ

فسمعت بذلك المرأة فكتبت إليه:

ألا فأقره مني السلام وقلْ له غنينا بفتيان غطارفة مرد

إذا شـاء منـه نـاشيء مـد كفـه ... إلـى كفـلٍ ريـان أو كـعتب نهـد
فـأرسـل لنـا منـك السـراحَ فـإنـه ... منـانـاً ولا نـدعـو لـك الله بـالـرد
إذا رجـع الجنـدُ الـذي أنت فيهمُ ... فـزادك ربّ النـاس بعـد إلى بعـد

فلمـا وصل إليـه الكتاب بـاع الجاريـة وبـادر إليهـا فـرآهـا معتكفـة في مصـلاها فقـال: مـا فعلتِ فقـالت: معـاذ الله أن أركب محـرمـاً ولكني أردت أذيقك طعم الغيرة كما أذقتني. قال ابن دريد يصف الأترج:

جسـم لـجيـن قـميـصـه ذهـب ... ذرّ عـلـى عـلبـة مـن الـطيـب
فـيـه لـمـن شـمـه وأبـصـره ... لـون مـحـب وريـح مـحـبـوب

وقال ابن العميد:

يقـدرهـا الـرائي سبيكـة عسجـد ... على أنهـا من فـارة المسـك أضـوعُ
ومـا حكت العشـاق صفـرة لـونهـا ... ولكن لمـا قـاسى المحبين تجـزعُ

وفال الرستمي:

وأتـرجـه مـدت أصـابـع من ذهب ... لهـا أرج من فـأرة المسـك منتهب
تبـدت لنـا والـريح داج ظـلامـه ... كغـابـر نـار هـزّه الـريـح فـانشعب

وقال بعضهم في وصف البطيخ: هو فاكهة وأدم. وأشنـان وحلواء، وإذا أردت الشراء للبطيخ فخذ أثقلها رأساً وأعظمها فلسا وأخشنها مساً.

وقال المأموني:

وحمـراء خلناهـا إذا غث واضمـرت ... وقـد عـل بـرديهـا جسـام وعنـدم
قـراضـة تبـر في صفـائـح فضـة ... تضمنهـا حق من الـجـزع مسـهم
إذا قـطعت كـانت سفـائن لـجـة ... وإن لم تقـطع فهي عـكم مـحـزم

فصل
في فضل ذكر الله تعالى

عن أبي الـدرداء رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفـاق

الـذهب والورق وخيـر لكم من أن تلقوا عـدوكم فتضربـوا أعنقاهم ويضـربـوا أعناقكم» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «ذكر الله» أخرجه الترمذي وابن ماجـه وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وعن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال: قـال النبي ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» أخرجه مسلم وعن عبدالله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شـرائع الإيمـان قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يزال لسـانك رطبـاً من ذكر الله تعالى» رواه الترمذي. وقال حديث حسن.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر به مثل الحي والميت» أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قعد مقعـداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تِره ومن اضطجع مضـطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه مِن الله ترة أي نقص وتبعة وحسـرة أخرجـه أبو داود. انتهى من الكلم الطيب لابن تيمية.

الحديث الرابع والأربعون
من كتاب بهجة قلوب الأبرار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مـات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به أو ولد صالـح يدعـو له» رواه مسلم. دار الدنيا جعلها الله دار عمـل يتزود منهـا العباد من الخيـر والشر للدار الأخرى وهي دار الجزاء وسيندم المفرطون إذا انتقلوا من هذه الدار ولم يتزودوا لآخرتهم ما يسعدهم وحينئـذ لا يمكن الاستدراك ولا يتمكن العبـد أن يزيد حسناته مثقال ذرة ولا يمحو من سيئاته كذلك وانقطع عمل العبـد عنه إلا هذه الأعمال الثلاثة التي هي من آثار عمله.

الأول: الصـدقة الجـارية أي المستمـر نفعها وذلـك كالـوقف للعقارات التي ينتفع بمغلها أو الأواني التي ينتفع باستعمـالها أو الحيـوانات التي ينتفـع

بركوبها ومنافعها أو الكتب والمصاحف التي ينتفع باستعمالها والانتفاع بها أو المساجد والمدارس والبيوت وغيرها التي ينتفع بها فكلها أجرها جارٍ على العبد ما دام ينتفع بشيء منها وهذا من أعظم فضائل الوقوف وخصوصاً الأوقاف التي فيها الإعانة على الأمور الدينية كالعلم والجهاد والتفرغ للعبادة ونحو ذلك ولهذا اشترط العلماء في الوقف أن يكون مصرفه على وجهة بدو وقربه.

الثاني: العلم الذي ينتفع به من بعده كالعلم الذي علمه الطلبة المستعدين للعلم والعلم الذي نشره بين الناس والكتب التي صنفها في أصناف العلوم النافعة وهكذا كل ما تسلسل الانتفاع بتعليمه مباشرة أو كتابة فإن أجره جارٍ عليه فكم من علماء هداة ماتوا من مئات من السنين وكتبهم مستعملة وتلاميذهم قد تسلسل خيرهم وذلك فضل الله.

الثالث: الولد الصالح ولد صلب أو ولد ابن أو بنت ذكر أو أنثى ينتفع والده بصلاحه ودعائه فهو في كل وقت يدعو لوالديه بالمغفرة والرحمة ورفع الدرجات وحصول المثوبات وهذه المذكورة في هذا الحديث هي مضمون قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾ [يسن ١٢] فما قدموا هو ما باشروه من الأعمال الحسنة أو السيئة وآثارهم ما ترتب على أعمالهم مما علمه غيرهم أو انتفع به غيرهم وجميع ما يصل إلى العبد من آثار عمله ثلاثة:

الأول: أمور عمل بها الغير بسببه وبدعايته وتوجيهه.

الثاني: أمور انتفع بها الغير أيّ نفع كان على حسب ذلك النفع باقتدائه في الخير.

الثالث: أمور عملها الغير وأهداها إليه أو صدقه تصدق بها عنه أو دعا له سواء كان من أولاده الحسيين أو من أولاده الروحيين الذين تخرجوا بتعليمه وهدايته وإرشاده أو من أقاربه وأصحابه المحبين أو من عموم المسلمين بحسب مقاماته في الدين وبحسب ما أوصل إلى العباد من الخير أو تسبب به وبحسب ما جعل الله له في قلوب العباد من الود الذي لا بد أن تترتب عليه

آثاره الكثيرة التي منها دعاؤهم واستغفارهم له وكلها تدخل في هذا الحديث الشريف وقد يجتمع للعبد في شيء واحد عدة منافع كالولد الصالح العالم الذي سعى أبوه في تعليمه وكالكتب التي يقفها أو يهبها لمن ينتفع بها.

ويستدل بهذا الحديث على الترغيب في التزوج الذي من ثمراته حصول الأولاد الصالحين وغيرها من المصالح كصلاح الزوجة وتعليمها ما تنتفع به وتنفع غيرها والله أعلم.

لغز في موسى

وما شيء له حد وخد	يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس	وهذا الرأس قد صار تحت حلقه

فائدة

من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: **﴿وَعِبَادُ الرحمٰن الَّذِيْنَ يَمشُونَ عَلى الأرضِ هَوْناً وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً. والَّذِينَ يَبِيتُون لِرِبِّهم سُجَّداً وقِياماً. والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّم إنَّ عَذَابَها كَان غَرَاماً. إنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً ومقاماً. والَّذِينَ إذَا أنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾**.

هذه صفات عباد الله المؤمنين (الذين يمشون على الأرض هوناً) أي بسكينة ووقار من غير تجبر ولا استكبار كقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ الآية وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب وكأنما الأرض تطوى له وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع حتى روي عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رويداً فقال: ما بالك أأنت مريض قال: لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة. فما

أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا» وقوله تعالى: ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾ أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلماً وكما قال تعالى: ﴿**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه**﴾ الآية ثم ذكر أن ليلهم خير ليل فقال تعالى: ﴿**والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً**﴾ أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى: ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ وقوله تعالى: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾ الآية وقال تعالى: ﴿**أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**﴾ الآية ولهذا قال تعالى: ﴿**والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً**﴾ أي ملازماً دائماً كما قال الشاعر:

إنْ يُعَذِّبْ يكنْ غراماً وإن يعـ ـطِ جزيلاً فإنه لا يبالي

ولهذا قال الحسن في قوله تعالى: ﴿**إن عذابها كان غراماً**﴾ كل شيء يصيب ابن آدم ويزول عنه فليس بغرام وإنما الغرام اللازم ما دامت الأرض والسماوات ﴿**إنها ساءت مستقراً ومقاما**﴾ أي بئس المنزل منزلاً وبئس المقيل مقاماً وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: إن في النار لجباباً فيها حيات أمثال البُخْت وعقارب أمثال البغال الدُّهْم فإذا قذف بهم في النار خرجت إليهم من أوطانها فأخذت شفاههم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم إلى أقدامهم فإذا وجدت حر النار رجعت. وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عبداً في جهنم لينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فأتني بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك فيقول يا رب شر مكان وشر مقيل فيقول الله عزّ وجلّ ردوا عبدي فيقول يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها فيقول الله عز وجل دعوا عبدي. وقوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾ الآية أي ليسوا بمبذرين في

إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونـهم بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا ﴿**وكان بين ذلك قواماً**﴾ كما قال تعالى: ﴿**ولا تجعل يـدك مغلولة إلى عنقـك ولا تبسطهـا كل البسط**﴾ الآيـة. وفي الحـديث: «من فقـه الـرجـل قصـده في معيشتـه» وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عال من اقتصد**» وقال الحسن البصـري ليس في النفقة في سبيـل الله سرف. وقـال إيـاس بن معـاويـة: مـا جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف انتهى.

نصيحة مدرس

جلس أستاذ قديم قضى حياته في التـدريس ينصح مـدرساً نـاشئاً فقـال لـه: سوف تجـد في كل فصـل طـالبـاً واحـداً على الأقـل ميـالاً إلى الجـدل والنقـاش وإثـارة الأسئلة وسـوف تحس عنـدئـذ بميـل إلى ردعــه أو تجـاهله وأنصحك ألا تفعل فقد يكون هو الطالب الوحيد الذي ينصت إليك.

قيل للخليل بن أحمد من الزاهد في الدنيا قال: الذي لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود.

كـدر العيش في ثلاث: جـار السوء، والـولـد العـاق، والمـرأة السيئـة الخلق.

من كتاب الآداب الشرعية

قال بعض الحكـماء: اذكر عند قدرتك وغضبـك قدرة الله عليـك وعند حكمك حكم الله فيك. روي عن عمر رضي الله عنه قال: لا حلم أحب إلى الله من حلم إمام ورفقه. ولا جهل أبغض إلى الله من جهل إمـام وحدتـه ومن ينصف النـاس من نفسه يعط الظفـر من أمـره والـذل في الـطاعـة أقـرب إلى المؤمن من التقرب في المعصية.

قال إبراهيم بن هانيء اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاث ليال ثم قال: اطلب لي موضعاً حتى أدور قلت: إني لا آمن عليك يا أبا عبدالله فقال: النبي

ﷺ اختفى في الغار ثلاثة أيام وليس ينبغي أن تُتبع سنة رسول الله ﷺ في الرخاء وتترك في الشدة.

وقال الحسن رحمه الله تعالى: الأخلاق للمؤمن قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة وقناعة في الفاقة، ورحمة للجمهور وإعطاء في كرم وبر في استقامة.

سئل عبدالله بن عمر رضي الله عنه عن السؤدد فقال: الحلم السؤدد وقال أيضاً: نحن معشر قريش نعد الحلم والجود السؤدد ونعد العفاف وإصلاح المال المروءة. وقال أبو عمرو بن العلاء كان أهل الجاهلية لا يسوّدون إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعه: السخاء، والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب وفي الإسلام زيادة العفاف.

وذكر ابن عبد البر عن النبي ﷺ قال: «من رزقه الله مالاً فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد». وقال الأحنف بن قيس: ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال إن كان فوقي عرفت له قدره وإن كان دوني كرمت نفسي عنه وإن كان مثلي تفضلت عليه. أخذه محمود الوراق فقال:

سأُلزم نفسي الصبر عن كل مذنب ... وإن كثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
أما الذي فوقي فأعرف فضله ... وألزم فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالعز حاكم

انتهى من الآداب الشرعية.

* * *

رأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه وبين عينيه سجادة[1] فقال له بين عينيك درهم مثل هذا وتقف ببابي فقال: إنه ضرب على غير سكه.

---

(١) أي أثر السجود.

حكم وأمثال

ثمرة الأدب العقل الراجح وثمرة العلم العمل الصالح.

أصبر الناس من كان رأيه رادّاً لهواه

العدل أقوى جيش.

العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى.

لا تعتذر إلى من لا يجب أن يرى لك عذراً.

ولا تستعن بمن لا يحب أن تظفر بحاجتك.

لا يدرك الشباب بالخضاب.

ولا الغنى بالمنى دون العمل.

ولا العلم بالادعاء والكسل.

إن الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغباً راهباً.

الموت أهون مما بعده. وأشد مما قبله.

الحظ يأتي إلى من لا يأتيه والسعي لا يجلبه ولكنه يفتش عنه.

ليس المهم ثمن الشيء المهم أن تعرف قيمته.

الويل كل الويل لمن ترك عياله بخيروأقبل على ربه بشر.

من دام كسله خاب أمله والهمّة رائد الفوز الحميد.

من رضي الله لم يسخطه أحد.

الطيور على أشكالها تقع

صانع المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكئاً.

البطنة تذهب الفطنة.

كل نعمة لا تقرب إلى الله فهي نقمة

إنّ المعارف في أهل الذمم.

من كثر كلامه كثر ملامه.

المشرب العذب مزدحم.

مهلكة المرء حدة طبعه.

ما ندم من سكت.

منقبة المرء تحت لسانه.

الدنيا عسل مشوب بِسُمّ وفرح موصول بِغَم فلا تغرنك زهرتها ولا تفتنك زينتها.

سامح الناس ولا تسامح نفسك.

من جهل قدر نفسه كان بقدر غيره أجهل.

اقتصد في إنفاق الدراهم فإنها لجراح الفاقة مراهم.

كل بداية صعبة.

المنتصر لا يشعر بالتعب.

النصيحة بعد وقوع المحذور كالدواء بعد الموت.

حمار يحملك خير من حصان يلقيك على الأرض.

إذا أردت السلامة فلا تعارض أحداً.

النهار يكشف عمل الليل.

لا تشعل ناراً لا تستطيع إطفاءها

ثلمة الحرص لا يسدها إلا التراب.

من أعطى وقت الحاجة كانت عطيته مضاعفة.

العادة قميص ترتديه إلى أن تموت.

من علت همته طالت همومه.

مجلس العلم روضة.

مصاحبة الأشرار كركوب السفينة.

مجلس الكرام حصون الكلام.

مجالسة الأحداث مفسدة الدين.

مكارم المرء تصنعها مكارمه.

لا يكاديعدم الصرعةمن عادته السرعة.

عليك من المال ما يعولك ولا تعوله.

الكلمةليست سهماًلكنهاتخرق القلب.

لا علاج للحزن إلا بقتله بالصبر.

السؤال مفتاح المعرفة.

قد يقوى الضعيف. ويضعف القوي.

مرآة كل إنسان جاره.

ما تدخره تجده عند الحاجة.

من لم يقنع بالقليل لا يقنعه الكثير.

الطفل يعرف من يُدلله ولا يعرف من يحبه.

جد بالكثير واقنع باليسير.

خير اللسان المخزون وخير الكلام الموزون.

من لم يَنحنِ كُسر.

كل فتاة بأبيها معجبة.

أريها السهى وتريني القمر.

تسعة تقبح في تسعة ضيق الذرع قبيح وفي الملوك أقبح. والغدر قبيح وفي الأشراف أقبح. والكذب قبيح وفي القضاة أقبح والخديعة قبيحة وفي العلماء أقبح والغضب قبيح وفي الأبرار أقبح والحرص قبيح وفي الأغنياء أقبح والسفه قبيح وفي الشيوخ أقبح، والتهزؤ قبيح وفي الفقراء أقبح والفخر قبيح وفي القراء أقبح.

قـال بعض الكبار لـرجل أتـذكرني مـع فلان وفـلان فقال: قـد ذكر الله تعـالى النار والجنـة. وفرعـون مع مـوسى. وآدم مـع إبليس فلم يهن بـذلـك أولياءه ولم يكرم به أعداءه.

قـال الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنـه يا بني إذا جـالست العلماء فكن على أن تسمـع أحرص منـك على أن تقول وتعلم حسن الاستمـاع كمـا تتعلم حسن الكلام ولا تقطع على أحد حديثه وإن طال حتى يمسك.

قـال أعرابي: من خـاف المـوت بـادر الفَـوْت ومن لم يُنَحِّ النفس عن الشهـوات أسرعت بـه إلى الهلكات.والجنـة والنار أمـامك. وقـال أعرابي من كسـاه الحياء ثـوبه خفي على النـاس عيبـه. وقـال: بئس الـزاد التعـدي على العباد. وقال: التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة. وقال أعرابي لابنه: لا يسرك أن تغلب بـالشرّ فـإن الغالب بـالشرّ هـو المغلوب. وقال أعـرابي والله لولا أنّ المروءة ثقيل محملها شديدة مؤنتها ما ترك اللئام للكرام شيئاً. احتُضِر أعرابي فقال له بنوه: عظنا يا أبانا فقال: عاشروا الناس معـاشرة إن غبتم حنّـوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم. ومدح أعـرابيّ قومـاً فقال: أدبتهم الحِكمـة وأحكمتهم التجـارب فلم تَغرُهم السـلامة المنـطوية على الهلكـة ورحل عنهم التسـويف الذي به قطع الناسُ مسافة آجـالهم فذلّت ألسنتهم بـالوعـد وانبسطت أيـديهم بالوَجْد[1] فأحسنوا المقال وشفعـوه بالفعـال. وذكر أعـرابي قومـاً فقال: جعلوا أموالهم مناديل[2] أعراضهم فـالخير بهم زائـد والمعروف لهم شـاهد فيعـطونها بـطيبة أنفسهم إذا طَلبت إليهم ويبـاشرون المعـروف بإشـراق الـوجـوه إذا بُغي لديهم.

قال الأصمعي: كنتُ أختلف إلى أعرابي أقتبس منـه الغريب فكنت إذا استأذنتُ عليه يقول: يا أمامة ائذني له فتقول: ادخل فاستأذنتُ عليه مراراً فلم أسمعه يذكر أمامـة فقلت له: يـرحمك الله مـا أسمعك تـذكر أمامة منـذُ حين

(١) الوجد اليسار والسعة.
(٢) مناديل أعراضهم أي يمسحون بها ما قد يدنس أعراضهم.

قال: فَوجَم وجمة ندمت معها على ما كان مني ثم قال:

ظَعنت أمــامــة بــالــطلاق ونجــوتُ من غُــلّ الــوَثــاقِ
بــانــت فلم يــألــم لــهــا قــلبي ولــم تــدمــع مــآقــي
ودواء مــا لا تــشــتــهــيــــــه النفس تعجيــل الفــراق
والــعــيش لــيس يــطــيب بــيــــــن اثنيــن من غــيــر اتفــاق
لــو لــم أُرَح بــفــراقــهــا لأرحــت نــفــســي بــالإبــاق

قال العتبي خطب إلى أعرابيّ رجل موسر إحدى ابنتيه وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى: لا أريده قال أبوها: ولم قالت: يومٌ عتاب ويومٌ اكتئاب يبلى فيما بين ذلك الشباب. قالت الصغرى زوجنيه قال لها: على ما سَمِعت من أختك قالت نعم: يوم تَزَيّن ويومٌ تَسَمُّن وقد تقر فيما بين ذلك الأعين.
قال الأصمعي رأيت امرأة تُرقّصُ طفلاً لها وتقول:

أحبُّــه حُــبَّ الــشّــحــيــح مــالــه قــد كــان ذاق الــفَقْــر ثــم نــالــه
إذا أراد بــذلــه بــدا لــه

قال الرياشي أنشدني العتبي لأعرابي:

مــا تَــظنُّ بــســلمــى إن ألــمَّ بــهــا مُــرجّــل الــرأس ذو بُــردَين مــزّاح
حُــلوٌ فكــاهــتــه خَــزٌ عــمــامــتــه في كفّــه مــن رُقى إبــليس مفتــاح

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد كتاباً إلى إبراهيم بن المهدي وفي أسفل الكتاب:

ركوبك الهَوْلَ ما لم تُلفِ فرصته جهل رمى بك بالإقحام تغرير
أهْونْ بدنيا يصيب المخطئون بها حظّ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صواباً وخذ بالحزم حيطته فلن يُذم لأهل الحزم تدبير
فإن ظفرتَ مصيباً أو هلكتَ به فأنتَ عند ذوي الألباب معذور
وإن ظفرت على جهل ففزت به قالوا جهول أعانته المقادير

محاورة مقتصد مع مبذر

قال المقتصد عبتموني حين ختمت على سدٍّ[1] وفيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نفيسة ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وأمة لكعاء وزوجة مضيّعة. وعبتموني أن قلت للغلام إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق. وعبتموني بخصف النعل وبتصدير القميص حين زعمتُ أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك وأن الترقيع من الحزم والتفريق من التضييع والاجتماع من الحفظ وقد كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلطع[2] أصابعه ويقول: لو أهدي إليّ ذراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع لأجبت وقال الحكماء: لا جديد لمن لا يلبس الخلق. وبعث زياد رجلاً يرتاد له محدِّثاً واشترط عليه أن يكون عاقلاً فأتاه به موافقاً فقال له: أكنت به ذا معرفة قال: لا ولكني رأيته في يوم قائظ يلبس خلقاً ويلبس الناسُ جديداً فتفرست فيه العقل والأدب وقد علمتُ أن الخَلَق في موضعه مثل الجديد في موضعه وقد جعل الله لكل شيء قدراً وسمى له موضعاً كما جعل لكل زمان رجالاً ولكل مقام مقالاً وعبتموني حين قلت من لم يعرف مواضع السَّرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدّخل فقد أضاع الأصل وعبتموني أن قلت إن كسب الحلال مضمن بالإنفاق في الحلال وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث وإن الطيب يدعو إلى الطيب فعبتم عليّ هذا القول وقد قال معاوية: لم أر تبذيراً قطّ إلاّ وإلى جنبه حق مضيّع وقد قال الحسن: إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا ينفقه فإن الخبيث إنما ينفق في السرف. انتهى.

نبذة من تفسير شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى قول الله تعالى: **﴿وَمَا أَنفَقْتُم من نفقةٍ أو نَذرتُم من نذرٍ فإنْ الله يَعلمه وَمَا للظّالمين مِنْ أنصَار. إنْ تُبدوا الصَّدقاتِ فَنِعمّاً هِيَ وإنْ تُخفوهَا وتُؤتُوهَا الفُقرآء فَهو خَير**

(١) السد سلة تتخذ من قضبان.

(٢) اللطع اللحس.

لكُم ويُكفّر عنكُم مِنْ سَيئاتِكم والله بمـا تعملون خبير﴾ يخبـر تعالى أنـه مهما أنفق المنفقـون أو تصدق المتصـدقـون أو نـذر النـاذرون فـإن الله يعلم ذلـك ومضمـون الإخبار بعلمـه يدل على الجـزاء وأن الله لا يضيع عنـده مثقـال ذرة ويعلم ما صدرت عنه من نيات صالحة أو سيئة وأن الظالمين الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم أو يقتحمون ما حرم عليهم ليس من دونهم أنصار ينصرونهم ويمنعـونهم وأنه لا بـد أن تقع بهم العقـوبات. وأخبـر أن الصدقـة إن أبداهـا المتصدق فهي خير وإن أخفاها وسلمهـا للفقير كـان أفضل لأن الإخفـاء على الفقير إحسان آخر. وأيضاً فإنه يـدل على قوة الإخـلاص وأحد السبعـة الذين يظلهم الله في ظله (من تصدق بصدقة فـأخفاهـا حتى لا يعلم شمالـه ما تنفق يمينه).

وفي قوله تعالى: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾

فائدة لطيفة

وهو أن إخفاءها خير من إظهارها إذا أعطيت الفقير فأما إذا صـرفت في مشروع خيري لم يكن في الآيـة ما يـدل على فضيلة إخفائهـا بل هنـا قواعـد الشرع تدل على مـراعاة المصلحـة فربمـا كان الإظهـار خيراً لحصـول الأسوة والاقتداء وتنشيط النفوس على أعمال الخير وقـوله تعـالى: **﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾** في هذا أن الصدقات يجتمـع فيها الأمران حصول الخيـر وهو كثـرة الحسنـات والثواب والأجـر ودفع الشـر والبـلاء الـدنيـوي والأخـروي بتكفيـر السيئات **﴿والله بـما تعملون خبير﴾** فيجازي كلًا بعمله بحسب حكمته.

فوائد من القرآن الكريم

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ ﴿فعسى أن تكـرهوا شيئـاً ويجعل الله فيـه خيراً كثيـراً﴾ ﴿مـا على المحسنين من سبيـل﴾ ﴿هل جـزاء الإحسـان إلا الإحسـان﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لـم تقولون ما لا تفعلون﴾ ﴿فلا تزكـوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ ﴿من عمل صـالحاً فلنفسـه ومن أساء فعليهـا﴾ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾.

حكم وأمثال

إذا كنت مناطحاً فناطح بذوات القرون.

آفة المروءة خلف الوعد.

كلب جوال خير من أسد رابض.

الحاوي لا ينجو من الحيات.

الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ.

خذ اللص قبل أن يأخذك.

صديق الوالد عمّ الولد.

ربّ رأي أنفع من مال وحزم أنفع من رجال.

عندما يذهب الغضب يأتي الأسف.

الغريب من لم يكن له حبيب.

لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو.

الطير بالطير يصاد.

عدو الإنسان حمقه.

أفضل المعروف معونة الملهوف.

الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت بالمذنب معذرته.

من تطير من شيء وقع فيه.

من ركب المعاصي لبس المخازي.

لا يقيم أمر الله إلا من يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع.

الخيل أعرف بفرسانها.

ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.

عند النطاح يُغلب الكبش الأجم.

النصح بين الملأ تقريع.

الحرّ حرّ وإن مسه الضر.

عناية القاضي خير من شاهدي عدل.

كنت سنداً لها فصرت مطرقة.

الحرمان خير من الامتنان.

الذي يعاشر الذئاب يتعلم العواء.

ربيع القلب ما اشتهى.

بَكى عليك مَنْ أبكاك وضحك عليك من أضحكك.

شر من الواشي والمغتاب هو الذي يستمع لهما.

سفير السوء يفسد ذات البين.

إذا أقبل الفقر من الباب هرب الحب من النافذة.

أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء.

من عَذُبَ لسانه كثر إخوانه.

المحبة الصادقة كضوء الشمس لا يمكن أن يحجبه أحد.

ربما أصاب الأعمى رشده وأخطأ البصير قصده.

من نقل إليك فقد نقلك عنك.

من سره الفساد ساءه المعاد.

من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد.

حكم شعرية

أيها السائل عما قد مضى | هل جديد مثل ملبوس خلق

* * *

ألم تر أن المرء تدوى يمينه | فيقطعها عمداً ليسلم سائره

* * *

تلوم على القطيعة من أتاها | وأنت سننتها للناس قبلي

* * *

ربّ مهزول سمين عرضه | وسمين الجسم مهزول الحسب

* * *

للموت فينا سهام وهي صائبة | من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

* * *

تُسوّد أعلاها وتأبى أصولها | وليس إلى رد الشباب سبيل

* * *

وهوّن حزني عن خليلي أنني | إذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه

قال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس. وقيل: لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك يروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحلة. يروى من كلام عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: لا تخلونّ بامرأة وإن أقرأتها القرآن. ولا تصل من قطع رحمه فإنه لك أقطع ولا تتكلم بكلامٍ اليوم تعتذر منه غداً.

قال سمرة بن جندب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» أخرجه مسلم.

نبذ من العقد الفريد

لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة صاحب الأزارقة بعث إلى مالك بن بشير فقال له: إني موفدك إلى الحجاج فسر فإنما هو رجل مثلك وبعث إليه بجائزة فردّها وقال: إنما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل إلى الحجاج قال له: ما اسمك قال: مالك بن بشير قال: ملك وبشارة كيف تركت المهلب قال: أدرك ما أمل وأمن من خاف قال: كيف هو بجنده قال: والد رؤوف قال: فكيف جنده له قال: أولاد بررة قال: كيف رضاهم عنه قال: وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال: فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم قال: نلقاهم بحدّنا فنطمع فيهم ويلقوننا بحدّهم فيطمعون فينا قال: كذلك الحد إذا لقي الحد قال: فما حال قطري قال: كادنا ببعض ما كدناه قال: فما منعكم من اتباعه قال: رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه قال: فأخبرني عن ولد المهلب قال: أعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار قال: أيهما أفضل قال: ذلك إلى أبيهم قال: لتقولَنّ قال: هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها قال أقسمت عليك هل روّأت[1] في هذا الكلام قال: ما أطلع الله على غيبه أحداً فقال الحجاج لجلسائه: هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع. انتهى.

وقال: قال أحمد بن أبي دُواد: ما رأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يُحب أن يفعله إلا تميم بن جميل فإنه كان تغلّب على شاطىء الفرات وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامة ودخل عليه فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فأحضرا فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً وجعل المعتصم

---

(١) روأ في الأمر نظر فيه وتعقبه.

يصعّد النظر فيه ويصوّبه وكان جسيماً وسيماً ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره فقال: يا تميم إن كان لك عُذْرٌ فأتِ به أو حجة فأدل بها فقال: أمّا إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول الحمد لله ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماءمهين﴾ يا أمير المؤمنين إن الذنوب تُخرس الألسنة وتصدع الأفئدة ولقد عظمت الجريرة وكَبُر الذنب وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بإمامتك وأشبههما بخلاقتك ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً — يلاحظني من حيثما أتلفّتُ
وأكبر ظنّي أنّك اليوم قاتلي — وأيّ أمرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يُدلي بعذر وحجة — وسَيف المنايا بينَ عينيه مصلت
يعزّ على الأوس بن تغلب موقف — يسلّ عليّ السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وإنني — لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكنّ خلفي صبية قد تركتهم — وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أُنعى إليهم — وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشتُ عاشوا خافضين بِغِبطةٍ — أذود الرّدى عنهم وإن متّ موتوا
فكم قائل لا يُبعد الله رُوحه — وآخرَ جذلانٌ يسرّ ويشمت

قال فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل أذهب فقد غفرت لك الصبوة وتركتك للصبية.

لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك وإن كان خطأ فما عذرك فكتب إليه: **﴿وَداودَ وسليمانَ إذْ يحكمان في الحرث إذ نَفَشَت فيه غنم القوم وكنّا لحُكمهم شاهِدين. فَفهمناها سُليمان وَكلًّا آتينا حُكْماً وعلماً﴾**.

قال أبو الأسود الدّؤلي الملوك حكام على الدنيا. والعلماء حكام على الملوك. وقال أبو قِلابة: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء من تركها ضل ومن غابت عنه تحيّر. وقال سفيان بن عُيينة: إنما العلم مثل

السِّـراج من جاءه اقتبس من عِلمـه ولا ينقصه شيئـاً كما لا ينقص القـابس من نور السراج شيئـاً. وقيل لبعض العلمـاء: كيف رأيت العلم قال: إذا اغتممت سلوتي وإذا سلوت لذتي.

وأنشد لسابق البربري:

العلم زيـنٌ وتَشْـريـف لصـاحبـه   والجهـلُ والنّوك مقـرونـان في قـرن

وقـال الأصمعي أول العلم الصَّمت. والثـاني الاستمـاع. والثـالث الحفظ. والرابع العمل. والخامس نشره.

وقال معاذ بن جبل: تعلموا العلم فإنّ تعلمه حسنـة وطلبه عبـادة وبذلـه لأهله قربة. والعلم منار سبيل أهل الجنة والأنيس في الـوحشة والصـاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدّليل على السراء والضراء والزين عند الأخلاء والسـلاح على الأعداء يـرفع الله بـه قومـاً فيجعلهم قـادة أئمـة تقتفى آثـارهم ويقتدى بفعالهم. والعلم حياة القلب من الجهل ومصبـاح الأبصار من الـظلمة وقوّة الأبدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الأخيار والدّرجات العُلا في الدنيـا والآخرة. الفكر فيه يعدل الصّيام ومذاكرتُه القيـامَ وبه تـوصل الأرحـام ويعرف الحلال من الحرام.

وقـالت الحكمـاء علّم علمـك من يجهـل وتعلم مِمَّن يعلم فـإذا فعلت ذلك حفظت ما عَلِمتَ وعَلِمتَ ما جَهلتَ. وسأل إبراهيم النّخعي عامر الشعبي عن مسألة فقال: لا أدري. فقال: هذا والله العالم سئل عما لا يـدري فقال: لا أدري.

وقال مالك بن أنس: إذا ترك العالم لا أدري أُصيبت مقاتله.

يـروى أن رجـلاً من العقـلاء غصبـه بعض الـولاة ضيعـة لـه فـأتى إلى المنصور فقال له أصلحك الله يـا أمير المؤمنين أأذكـر حاجتي أم أضـرب لك قبلها مثلاً فقال: بل اضرب المثل فقال: إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهـه فإنما يفـزع إلى أمه إذ لا يعـرف غيرهـا وظناً منـه أن لا ناصـر له غيـرها فـإذا ترعرع واشتد كان فراره إلى أبيه فإذا بلغ وصار رجلاً وحدث به أمر شكـاه إلى

الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان لعلمه أنه أقوى ممن سواه فإن لم ينصفه السلطان شكاه إلى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك إلا الله تعالى فإن أنصفتني وإلا رفعت أمري إلى الله تعالى في الموسم فإني متوجه إلى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وأمر أن يكتب إلى واليه برد ضيعته إليه.

ينقل عن كتاب سراج الملوك للطرطوشي قال: حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الأخبار بمصر قال: كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئاً في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهي تحمل عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل ويبة بدينار.

وحكى أيضاً رحمه الله قال: شهدت في الإسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الأطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد إلى يومنا هذا.

وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

روي أن بعض الملوك رقم على بساطه:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم مصدره يفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال الآخر:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ... ويرسلها إذا نفذ القضاء

قال ابن القيم رحمه الله تعالى. في كتابه تفسير المعوذتين:

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها وكم من حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: «وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» وفي الترمذي أن رجلاً من الأنصار توفي فقال بعض الصحابة: طوبى له فقال النبي ﷺ: «فما يدريك فلعله تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه» وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان. بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات وكان السلف يحذرون من فضول النظر كما يحذرون من فضول الكلام وكانوا يقولون ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان. وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شراً فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها فمن وقي شر بطنه فقد وقي شراً عظيماً والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام ولهذا جاء في بعض الآثار: (ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم) وقال النبي ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن» ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهام به في كل واد فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت وطافت على أبواب الشهوات وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت.

روي أن هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية رضي الله عنه يسأله عن الشيء ولا شيء. وعن دين لا يقبل الله غيره. وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة. وعن صلاة كل شيء. وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وعن رجل لا أب له. وعن رجل لا أم له. وعن قبر جرى بصاحبه. وعن قوس قزح ما هو. وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة

واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها. وعن شجرة نبتت من غير ماء. وعن شيء تنفس ولا روح له. وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد. وعن البرق والرعد وصوته. وعن المحو الذي بالقمر. فقيل لمعاوية متى أخطأت في شيء من ذلك سقطت من عينه فاكتب إلى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب إليه فأجابه أما الشيء فالماء قال الله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ وأما لا شيء فإنها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا إله إلا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. وأما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمده. وأما الأربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش إسماعيل. وأما الرجل الذي لا أب له فالمسيح عليه السلام. وأما الرجل الذي لا أم له فآدم عليه السلام. وأما القبر الذي جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به في البحر وأما قوس قزح فأمانٌ من الله لعباده من الغرق. وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبني إسرائيل. وأما الظاعن الذي ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الأرض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو إسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد إن قبلتم التوراة كشفته عنكم، وإلا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معذورين فرده الله تعالى إلى موضعه فذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم**﴾ الآية وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التي أنبتها تعالى على يونس عليه السلام. وأما الشيء الذي تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى: ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾ وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل وبعد غد فأمل. وأما البرق فمخاريق بأيدي الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره. وأما المحو الذي في القمر فقول الله تعالى: ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾ ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل.

فائدة

من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصّابرين والصّادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار**﴾ يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى: ﴿**الذين يقولون ربنا إننا آمنا**﴾ أي بك وبكتابك وبرسولك ﴿**فاغفر لنا ذنوبنا**﴾ أي بإيماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا بفضلك ورحمتك ﴿**وقنا عذاب النار**﴾ ثم قال تعالى: ﴿**الصابرين**﴾ أي في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات ﴿**والصادقين**﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة ﴿**والقانتين**﴾ والقنوت الطاعة والخضوع ﴿**والمنفقين**﴾ أي من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات وصلة الأرحام والقرابات وسد الخلات ومواساة ذوي الحاجات ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾ دل على فضيلة الإستغفار وقت الأسحار وقد قيل أن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه ﴿**سوف أستغفر لكم ربي**﴾ أنه أخرهم إلى وقت السحر وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من سائل فأعطيه. هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره فانتهى إلى السحر. وكان عبدالله بن عمر يصلي من الليل ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر فإذا قال نعم أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح[1] وقال ابن جرير عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال: سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: يا رب أمرتني فأطعتك وهذا السحر فاغفر لي فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه وعن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة[2]. انتهى.

(١) رواه ابن أبي حاتم.
(٢) رواه ابن مردويه.

من العقد الفريد

قال الحجاج بن يوسف للباذون طبيبه صف لي صفة آخذ بها نفسي ولا أعدوها قال له: لا تتزوج من النساء إلا شابة ولا تأكل اللحم إلا فتياً ولا تأكله حتى تنعم طبخه ولا تشرب دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام واشرب عليه فإذا شربت فلا تأكل ولا تحبس الغائط ولا البول وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة. انتهى.

قال أعرابي لأخيه يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تَفُوته وتطلب ما قد كُفيته فكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه فامْهَدْ لنفسك وأعدّ زادك وخذ في جهازك. وقال أعرابي الدراهم مياسم تسم حمداً أو ذمّاً فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له وما كل من أعطى مالاً أُعطي حمداً ولا كل عديم ذَميم. أخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

وقال أعرابي مضى لنا سلف أهل تواصل اعتقدوا مِنَناً واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً وإظهار البرّ واجباً ثم جاء الزمان ببنين اتخذوا مننهم بضاعة وبِرَّهم مُرابحة وأياديهم تجارة واصطناع المعروف مقارضة كنقد السوق خذ مني وهات وقال أعرابي لصاحب له أصبحت من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه.

ما يجري مجرى الحكم والأمثال

من كلام قابوس بن وشمكير:

الكريم إذا أوعد لم يخلف. وإذا نهض لفضيلة لم يقف. العفو عن المجرم من مواجب الكرم. وقبول المعذرة من محاسن الشيم. بزند الشفيع توري القداح. الوسائل أقدام ذوي الحاجات. من ألبسه الليل ثوب ظلمائه. نزعه عنه النهار بضيائه. الدنيا دار تغرير وخداع وملتقى ساعة لوداع. غاية كل متحرك سكون. لكل شيء غاية ومنتهى. وانقطاع وإن بعد المدى. ترك الجواب داعية الارتياب. همّ المنتظر للجواب ثقيل. والمدى فيه وإن كان

قصيراً طويل. كل غم إلى انحسار وكل عال إلى انحدار.

يروى أنه كثر الموت سنة بالبصرة فقيل للحسن: ألا ترى فقال: ما أحسن ما صنع ربنا أقلع مذنب. وأنفق ممسك ولم يغلط بأحد.

الصبر على مرارة العاجل يفضي إلى حلاوة الآجل. قيل لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر الظفر. وقيل الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت.

وقيل الأحزان تسقم القلوب كما أن الأمراض تسقم الأبدان.

ظلمة الليل: سأل هشام بن عبدالملك خالد بن صفوان فقال: كيف سيرك فقال: قتل أرضاً عَالِمُها. وقَتَلَتْ أرضٌ جاهِلَهَا. بينا أنا أسير ذات ليلة إذا عصفت ريح شديدة اشتدت ظلماؤها. وأطبق سناؤها وطبق سحابها. ونطق ذبابها. فبقيت محرنجماً كالأشقر. إن تقدم نحر. وإن تأخر عقر. لا أسمع لواطىء همساً. ولا لنائح جرساً. تدلت عليّ غيومها. وتوارت عني نجومها. فلا أهتدي بنجم طالع. ولا بعَلَم لامع. أقطع محجة. وأهبط لجه. في ديمومة قفر. بعيدة القعر. فالريح تخطفني والشوك تخبطني. في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشني آكامها، وقطعني سلامها، فبينا أنا كذلك وقد ضاقت عليّ معارجي، وسدّت مخارجي، إذ بدا نجم لائح، وبياض واضح، وعرضت لي آكام محرملة فإذا أنا بمصانعكم هذه فقرت العين. وانكشف الرين. وذهب الأين. فقال هشام لله درك فما أحسن وصفك:

قال الصنوبري في تفضيل الربيع على سائر الأزمنة:

إن كان في الصيف ريحانٌ وفاكهةٌ ... فالأرض مستوقدٌ والجو تنورُ

وإن يكن في الخريف النخلُ مخترفاً ... فالأرض عريانة والجو مقرور

وإن يكن في الشتاء الغيثُ متصلاً ... فالأرض محصورةٌ والجو مأسور

ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا ... أتى الربيعُ أتاك النَّور والنُّورُ

الأرض ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فيروزجٌ والماء بلور

* * *

وقف الأحنف بن قيس ومعه رجل آخر بباب معاوية فأذن للأحنف ثم أذن للآخر فأسرع في مشيته حتى تقدّم الأحنف ودخل قبله فلما رآه معاوية غمه ذلك فالتفت إليه فقال: والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم ولا يزيد متزيد في خطوة إلا لنقص يجده من نفسه.

وقال العتابي في الحجاب:

حجابك ليس يشبهه حجاب ... خبروك دون مطلبه السحاب
ونومك نوم من ورد المنايا ... فليس له إلى الدنيا إياب

وقال آخر:

حجابك من مهابته عَسِير ... وخيرك في تزيّده يسير
خرجتُ كما دخلت إليك إلا ... تُراب طار في خفي كثير

قال الربيع حاجب المنصور قلت يوماً للمنصور إن الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم قال: اخرج إليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم: من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد فإنما هو كلب من الكلاب. ولا بالحيّة فإنما هي دُويّبة منتنة تأكل التراب ولا بالجَبل فإنما هو حجر أصم ولا بالبحر فإنما هو غطامط[1] لجب ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في شعره فلينصرف فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فإنه قال له: أنا له يا ربيع فأدخلني فأدخله فلما مثل بين يديه قال المنصور: يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره هات يابن هرمة فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

له لحظات عن حفافي سريره ... إذا كرّها فيها عقاب ونائل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم ... إذا اسودَّ من كوم التراب القبائل
إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى ... وإن قال إني فاعل فهو فاعل

---

(١) غطامط: عظيم للأمواج.

فقال: حسبك ها هنا بلغت.

يقال: إخلاف الوعد ألأم من البخل لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذمُّ اللؤم وحده ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مذمات. ذمّ اللؤم وذمّ الخُلف وذمّ الكذب.

وقال زياد الأعجم:

لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجوا د وحبّذا صدق البخيل

قصة رجل جاء يستمنح الفضل بن يحيى قال عبدالله بن منصور كنت يوماً في مجلس الفضل بن يحيى فأتاه الحاجب فقال: إن بالباب رجلاً قد أكثر في طلب الأذن وزعم أن له يداً يمت بها فقال: أدخله فدخل رجل جميل الوجه رثّ الهيئة فسلم فأحسن فأومأ إليه بالجلوس فجلس فلما عَلِم أنه قد انطلق وأمكنه الكلام قال له: ما حاجتك قال له: قد أعْرَبَتْ بها رثاثة هيئتي وضعف طاقتي قال: أجل فما الذي تمُت به قال: ولادة تَقْرُب من ولادتك وجوار يَدنو من جوارك واسم مشق من اسمك قال: أما الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن ما علمك بالولادة قال: أعلمتني أمي أنها لما وضعتني قيل إنه وُلد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل فسمتني فُضَيلاً إعظاماً لاسمك أن تُلحقني به فتبسَّم الفضل وقال: كم أتى عليك من السنين قال: خمس وثلاثون سنة قال: صدقت هذا المقدار الذي أتيتُ عليه فما فعلت أمك قال: توفّيت رحمها الله قال: فما منعك من اللحوق بنا فيما مضى قال: لم أرضَ نفسي للقائك لأنها كانت في عاميّة وحَداثة تقعدني عن لقاء الملوك قال: يا غلام أعطه لكل عام مضى من سنيه ألفاً وأعطه من كسوتنا ومراكبنا ما يصلح له فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوانه وخاصة أهله.

وكتب حبيب بن أوس الطائي إلى أحمد بن أبي دُواد:

اعلم وأنت المرء غير معلّم وافهم جُعلت فداك غير مفهّم

إن اصطناع البر ما لم توله مستكمِلاً كالثوب ما لم يُعْلَم
والشكر ما لم يستتر بصنيعة كالخط تقرؤه وليس بِمُعجَمِ
وتفنني في القول إكثار وقد أسرجتَ في كرم الفعال فألْجِم

* * *

وسمع النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها تنشد أبيات زهير بن جناب:

ارفع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضَعْفُهُ يوماً فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَزى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس.

قال الأصمعي قال كسرى: أي شيء أضرّ فأجمعوا على الفقر فقال: كسرى الشح أضرّ منه لأنّ الفقير يجد الفرجة فيتسع. انتهى من العقد الفريد.

قال ابن كثير في تفسيره لما نزلت ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال له النبي ﷺ ما يبكيك قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص فقال: صدقت ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء» وقال الإمام أحمد: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤن آية في كتابكم لو علينا معشراليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: وأي آية قال: قوله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم جمعة. انتهى.

ثلاث لا يستصلح فسادهن العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء والركاكة في الملوك. وثلاث لا يفسد صلاحهن. العبادة في العلماء والقناعة في المستبصرين. والسخاء في ذوي الأخطار. وثلاث لا يشبع منهن العافية والحياة والمال. وقيل: ستة لا تخطئهم الكآبة. فقير قريب العهد بالغنى،

ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود، والحقود، وخليط أهل الأدب وهو غير أديب. وقيل: أربعة تضيع سراج في نهار، ومطر في سبخة، وطعام عند غير ذي شهوة، وزفاف بكر إلى عنين. أربعة لا تنكتم: العقل والحمق والغنى والفقر.

قال حكيم: من الذي اتبع الهوى فلم يعطب. وجاور النساء فلم يفتتن بهن. وطلب إلى اللئام فلم يهن. وواصل الأشرار فلم يندم، وصحب السلطان فدامت سلامته.

كتب رجل إلى آخر أما بعد فإن الولد ما عاش حزن لوالده وفتنة وإذا قدمه فهو صلاة ورحمة فلا تجزعن فيما أزال الله عنك من حزن ومن فتنة ولا تزهد فيما أولاك من صلاة ورحمة. وعزى رجل عبيدالله بن سليمان فقال: لئن حرم الأجر ببرك لقد كفي الإثم بعقوقك ولئن فجعت بفقده لقد أمنت الفتنة به.

ونزل عروة بن الزبير بالوليد ومعه ابنه فضربته دابة فأصبح ميتاً ووقعت الأكلة في رجله فقطعت بالمنشار ولم يمسكه أحد فقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ثم قدم قوم من عبس على الوليد وفيهم ضرير فقال: نزلت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسياً أكثر مالاً مني فطرقنا سيل ذهب باهلي ومالي غير بعير ومولود فند البعير وتبعته فسمعت صرخة الولد فرجعت فإذا الذئب قد أكله فرجعت للبعير وتعلقت بذنبه فحطم وجهي فأعماني فأصبحت لا أهل ولا مال ولا عين فقال الوليد: خذوا بيده إلى عروة ليتسلى به.

تعازي الحمقاء: اغتم الحجاج بموت صديق له وعنده شامي أوفده إليه عبدالملك في مهم فقال الحجاج: ليت إنساناً يعزيني عنه بأبيات فقال: أقول أيها الأمير قال: قل فقال: كل خليل سوف يفارق خليله بموت أو بصلب أو يقع فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يسقط في بئر أو يكون سبب لا نعرفه فقال الحجاج: حسبك فمصيبتي بأمير المؤمنين حيث أرسل مثلك في مهم أنستني هذه.

وقال شاعر:

وتـقـرعـنـي في كـل يــومٍ مصيبــةٌ ... فقد صرتُ ذا أُنس بقـرعِ المصائبِ
لعمــرك مــا تعـفــو كلوم مصـيبــة ... على صــاحبٍ إلا فجعت بصـاحب

* * *

فصل
من كتاب محاضرات الأدباء

قيل لأكمه: ما تشتهي فقال: أن أرى وجه السماء فقيل: وكيف اخترت ذلك فقال: لقول الله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وقوله تعالى: ﴿إنا زينا السـماء بزينة الكواكب﴾ فهل شيء أحسن مما يخبر الله عز وجل أنه زيّنه. ونظر أعرابي إلى السماء فقال: سبحانه الذي أدى حواشيك إلى غير علاقة ووكد أعاليك بلا تسنم وأقل أسافلك بلا عمد. قال ابن دريد سألت أعرابياً فقلت: ما أموالكم قال: النخل فقلت: أين أنتم من غيره فقال: النخل سعفها صلاء. وجذعها غماء. وليفها رشاء. وفروها إناء. ورطبها غذاء: ووصفها بعضهم فقال: سريعة العلوق سائحة العروق. صابرة على الجدب. لا يخشى عليها عدو الذئب. وعاب أعرابي النخل فقال: صعبة المرتقى، بعيدة الهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المؤنة، قليلة المعونة خشنة المس ضئيلة الظل.

واختلف في البر والتمر اثنان عند محمد بن سليمان فقال: طالما اختلف في ذلك الأمم وقال لابن داحة اقض بينهما فقال لصاحب البر خبرني أيهما أوجد في الجدب قال: التمر قال: فأيهما أبقى على الغرق قال: النخل قال: فأيهما الحرق أسرع إليه قال السنبل قال: أيهما أمنع من النار قال: النخل قال: أي الأرضين أعز قال: أرض النخل قال: قد قضيت وفضلت النخل انتهى من محاضرات الأدباء.

روي أن ذا الرياستين ركب ركبة لم يركب مثلها بخراسان وبين يديه أربعة آلاف سائق وألفا حامل قوس فلما صار بقرب الماخور برز إليه رجل

كأن الأرض انشقت عنه فقال: أيها الأمير: اسمع تَنْتَفع وتَنْفَعْ قال: قل: قال: الأجل آفة الأمل. والمعروف ذخيرة الأبرار. والبرّ غنيمة الحازم. والتفريط مصيبة أخي القدرة. فدعا الفضل كاتبه وهب بن سعيد فقال: اكتب هذه الكلمات الأربع وأعطه أربعة آلاف درهم. قال يحيى بن معاذ رحمه الله: طلب الخير شديد وترك الشر أشد منه لأن ليس كل الخير يلزمك عمله والشر كله يلزمك تركه.

من شعر أبي حيان:

أريدُ من الدُّنيا ثلاثاً وإنها ... لغَايَةُ مطلوبٍ لمن هو طالبُ
تلاوةُ قرآنٍ ونفس عفيفةٌ ... وإكثار أعمالٍ عليها أواظبُ

فائدة

من تفسير شيخنا عبدالرحمٰن بن سِعدي رحمه الله تعالى.

قول الله تعالى: **﴿وَلَنَبْلونكم بشيءٍ من الخَوفِ وَالجُوع وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوالِ والأنْفُسِ وَالثَّمراتِ وَبَشِّر الصَّابِرينَ. الَّذِينَ إذا أصابَتْهم مُصِيْبَةٌ قَالُوا إنْا لِلَّهِ وَإنا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَة وَأُولئك هُمُ المُهْتَدُونَ﴾**.

أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذب والجازع من الصابر وهذه سنته تعالى في عباده لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر هذه فائدة المحن لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان ولا ردهم عن دينهم فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده **﴿بشيء من الخوف﴾** من الأعداء **﴿والجوع﴾** أي بشيء يسير منهما لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا والمحن تمحص لا تهلك **﴿ونقص الأموال﴾** وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية وغرق وضياع وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة وقطاع الطريق وغير ذلك **﴿والأنفس﴾** أي ذهاب

الأحباب من الأولاد والأقارب والأصحاب ومن أنواع الأمراض في بدن العبد أو بدن من يحبه ﴿**والثمرات**﴾ أي الحبوب وثمار النخيل والأشجار كلها والخضر ببرد أو بَرد أو حرق أو آفة سماوية من جراد ونحوه فهذه الأمور لا بد أن تقع لأن العليم الخبير أخبر بها فوقعت كما أخبر فإذا وقعت انقسم الناس قسمين جازعين وصابرين فالجازع حصلت له المصيبتان فوات المحبوب وهو وجود هذه المصيبة وفوات ما هو أعظم منها وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر ففاز بالخسارة والحرمان ونقص ما معه من الإيمان وفاته الصبر والرضا والشكران وحصل له السخط الدال على شدة النقصان وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب فحبس نفسه عن التسخط قولاً وفعلاً واحتسب أجرها عند الله وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له بل المصيبة تكون نعمة في حقه لأنها صارت طريقاً لحصول ما هو خير له وأنفع منها فقد امتثل أمر الله وفاز بالثواب فلهذا قال تعالى: ﴿**وبشر الصابرين**﴾ أي بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب فالصابرين هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة والمنحة الجسيمة ثم وصفهم بقوله: ﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة**﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره ﴿**قالوا إنا لله**﴾ أي مملوكون لله مدبرون تحت أمره وتصريفه فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم فلا اعتراض عليه بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه فيوجب له ذلك الرضا عن الله والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك ومع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم المعاد فمجاز كل عامل بعمله فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر فكون العبد لله وراجعاً إليه من أقوى أسباب الصبر ﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿**عليهم صلوات من ربهم**﴾ أي ثناء وتنويه بحالهم ﴿**ورحمة**﴾ عظيمة ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾ الذين عرفوا الحق وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله وأنهم إليه راجعون وعملوا به وهو هنا صبرهم

لله ودلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم فحصل لـه الذم من الله والعقوبة والضلال والخسارة فما أعظم الفـرق بين الفريقين ومـا أقل تعب الصـابرين وأعـظم عناء الجـازعين فقد اشتملت هـاتـان الآيتـان على تـوطين النفوس على المصائب قبل وقوعها لتخف وتسهل إذا وقعت وبيان ما تقابل بـه إذا وقعت وهو الصبر وبيان ما يعين على الصبر وما للصابرين من الأجر ويعلم حال غير الصابر بضد حال الصـابر وإن هـذا الابتلاء والامتحـان سنة الله التي قد خلت ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وبيان أنواع المصائب. انتهى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: (ما لِعَبْدي المؤمن عندي جَزاءً إذا قبضتُ صفِيّه من أهل الدنيا ثم احْتَسَبَـهُ إلاّ الجنة) رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن الله عـزّ وجلّ قال: (إذا ابْتَلَيتُ عبدي بحَبِيبَتَيه فَصَبَرَ عوَّضتهُ مِنْهما الجنَّـة) يريـد عينيه رواه البخاري.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابنُ عبـاس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة فقلتُ بلى قال: هذه المـرأة السَّودَاءُ أتَت النبيَّ ﷺ فقالت: إنّي أُصْرَعُ وَإنّي أتَكَشَّفُ فـادع الله تعالى لي قـال: إنْ شِئْتِ صَبَـرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ وإن شِئْتِ دَعَوْتُ الله تعالى أنْ يُعَافِيَكِ فَقَـالتْ أصْبرُ فقـالت: إنّي أتَكَشَّفُ فـادْعُ الله أنْ لا أتَكَشَّفَ فدعـا لها متفق عليـه. وعن أبي سعيـد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: مـا يُصيبُ المُسْلمَ من نَصَبٍ[1] ولَا وَصـبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُـزنٍ وَلَا أذَى وَلَا غَمٍّ حتَّى الشَّوكَـةَ يُشَاكُهَـا إلاّ كفَّر الله بها مِنْ خَطَايَاهُ. متفق عليه. والوصب المرض.

قال ابن قيس فيمن عرض عليه الصلح فلم يقبل فكانت عاقبته وخيمة:

---

(١) النصب التعب وفي الحديث أن الأمراض ونحوها من المؤذيـات التي تصيب المؤمن مطهـرة من الـذنوب وأنـه ينبغي للإنسـان أن لا يجمع على نفسـه بين المـرض أو الأذى مثلاً وبين تفويت الثواب.

ومولى دعاه الغيُّ والغيُّ كاسمه ... وللجبن أسباب تصد عن الحزم
أتاني يشب الحرب بيني وبينه ... فقلتُ له لا بل هلمّ إلى السلمِ
ولما أبى أرسلتُ فضلة ثوبه ... إليه فلم يرجع بحزم ولا عزم
فكان صريعَ الجهل أوّل مرةٍ ... فيا لك من مختارٍ جهلٍ على علم

الحَمَام: قال المثنى لم أر شيئاً في الرجل والمرأة إلا رأيته في الحمامة رب حمامة لا تريد إلا ذكرها وأخرى لا تمنع يد طالبها. وحمامة لا تزيف إلا بعد شدة وأخرى تزيف حالة يرومها الذكر. وذكر له انثيان يحضن معهما وآخر يقتصر على واحدة. وكأن غرض الحمام بالجماع طلب الذرية وهو أكثر الأشياء تغزلاً وتصنعاً من التقبيل والتنشيط. وكره كثير من الناس كونها في بيت الفارغات من النساء خشية أن تدعوهن إلى طلب الرجال وكل طائر يرجع كالقمري. والفاختة والورشان واليمامة واللعبوب تسمين حماماً. قال بعضهم: يصف لونه:

كأن بنحرها والجيدِ منها ... إذا ما أمكنت للناظرينا
مخطاً كان من قلم دقيقٍ ... فخطّ بجيدها والنحر نونا

* * *

وقال أعرابي:

مزبرجةُ الأعناق نمر ظهورُها ... محطمةٌ بالدر خضرٌ روائعْ
ترى طرراً بين الخوافي كأنها ... حواشي برودٍ أحكمتها الوشائعُ
ومن قطع الياقوت صيغت عيونُها ... خواضبُ بالحنا منها أصابعُ

* * *

وقال كشاجم:

وفجعت بالقمري فجعةَ ثاكلٍ ... وفقدتُ منه أمتعَ السمارِ
لونُ الغمامةِ والغمامةُ لونهُ ... ومناسبُ الأقلامِ بالمنقارِ
ومطوق من صنعِ خِلقةِ ربّهِ ... طوقين خلتَهما من النوارِ
ولطالما استغنيتُ في غسق الدجى ... بهديره عن مطرب الأوتارِ

وقيل لشيخ من علمك هذا. قال: من علم الحمامة تقليب البيض لتعطي الوجهين نصيبهما من الحضن ـ قال أبو علي البصير في وصف القبج: وهو الحجل:

ولابسة ثوباً من الخز أدكناً ومن أخضر الديباج راناً ومعجرا
مقلدة في النحر سبحةَ عنبرٍ على أنها لم تلتمسْ أن تعطرا
لها مقلتا جزعٍ يمانٍ تحمَّلت جفونهما من موضعِ الكحل عصفرا
مطرزة الكمينِ طرزاً تخالها بتقويمها من حلكة الليل أسطرا

* * *

الكروان: هذه اللفظة تقال للواحد والجمع والعامة تقول الكيروان ابن الحباري. قال شاعر:

ألم ترَ أن الزبدَ بالتمر طيبٌ وأن الحبارى خالةُ الكروانِ

فضيلة العقل الحكمة وفضيلة القلب الشجاعة

سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الرجل يطلب الحديث فيكثر. قال: ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب. ثم قال: سبيل العلم مثل سبيل المال فإن المال إذا زاد زادت زكاته.

وقال حكيم: من أراد عزاً بلا عشيرة. وغنى بلا مال. وجاهاً بين الأخوان. ومهابة عند السلطان. ومحبة عند الرحمٰن فليخرج من ذل معصية الله إلى عزّ طاعته.

اغراء الشيطان

يغريك الشيطان بالدنيا عن طريق الحيطة من تقلباتها. ويغريك بمصاحبة الأشرار بحجة الأمل في هدايتهم. ويغريك بالنفاق للظالمين عن طريق الرغبة في توجيههم. ويغريك بالتشهير بخصومك بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويغريك بترك العمل عن طريق القضاء والقدر. ويغريك بترك إصلاح الناس بحجة الاشتغال بإصلاح نفسك

فالشيطان لك عدو فاتخذه عدواً.

قيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى فقال للسائل: أجِزت في أرض فيها شوك فقال: نعم فقال: كيف كنت تصنع فال: كنت أتوقى قال أبو هريرة: فتوق الخطايا.

يروى عن بعض السلف أنه قال: قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصيه. مع كثرة ما نعصيه فلا ندري أيهما نشكر أجميل ما ينشر أو قبيح ما يستر.

قالت الحكماء من لم يرغب في ثلاث بلي بست:
من لم يرغب بالإخوان، بلي بالعداوة والخذلان
ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان
ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

قال شاعر في الشيب:

إذا ما رأتك البيض صدت وربما ... غدوت وطرف البيض نحوك أصور
وما ظلمتك الغانيات بصدها ... وإن كان في أحكامها ما يجور
أعر طرفك المرآة وانظر فإن نبا ... بعينيك عنك الشيب فالبيض أعذر
إذا شَنِئت عين الفتى شيب نفسه ... فعين سواه بالشناءة أجدَر

ذُكر أنه لما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاباً فيه إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل. وإذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز. وإذا كان الموت لكل أحد راصداً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

ذكر الحسن عن بعضهم لما حضرته المنية قيل له: أوص فقال: أوصيكم على المحافظة بآخر سورة النحل: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** وقيل لهرم بن حيان أوص قال: مالي من مال ولكني أوصي بخواتيم سورة البقرة. وقيل لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله أوص لبنيك فقال: أوصي بهم الذي أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. واشتكى ابن له فجزع عليه ثم مات فرُئي متسلياً فقيل له في ذلك فقال: إنما كان جزعي رقة له

ورحمة فلما وقع القضاء زال المحذور.

من الكرم: روي أنه كان بجنب دار ابن المقفع دار وكان يستامها وصاحبها يمتنع من بيعها فاتفق أن ركب صاحب الدار دين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه فقال: ما قمت إذا بحرمة الجوار إن رغبت في ابتياعها بعد أن باعها معدماً وحمل إليه ثمن الدار وقال: أبقِ دارك عليك وردّ هذا على دينك. وساوموا جاراً لفيروز على داره بثمن فقال: هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار قالوا: وهل يباع الجوار قال: نعم لا أبيعه إلا بأضعافه دراهم فبلغ فيروز فأرسل إليه بثمن الدار.

قال شاعر:

كم كافر بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره

* * *

تعوذات

قال بعضهم: اللهم إنا نعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد. وضعف الصبر وقلة القناعة. وإلحاح الشهوة. ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة. وإيثار الباطل على الحق. والإصرار على المأثم واستكثار الطاعة والإزراء على المقلين وسوء الولاية لما تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا وأن نعين ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا به حق أو نقول في العلم بغير علم. ونعوذ بك من سوء السيرة وإحصاء الصغيرة ومن عيشة في شدة وميتة على غير عدة ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب ونعوذ بك من شماتة الأعداء وخيبة الرجاء.

ودعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من الفاجر وجدواه والسفيه وعدواه وذي الرحم ودعواه ومن عمل لا ترضاه اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعل المال في سمحائنا.

كتب أبو دلف إلى عبدالله بن طاهر:

أرى ودكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدومُ له ودُ
وودي لكم كالآس حسناً ونضرة له زهرةٌ تبقى إذا فني الوردُ

* * *

فأجابه:

وشبهت ودي الورد وهو شبيهُهُ وهل زهرةٌ إلا وسيدُها الوردُ
وودك كالآس المرير مذاقُهِ وليس له في الطيب قبلٌ ولا بعدُ

* * *

قال أزدشير لابنه وقر المشايخ فهم مواطن الوقار ومعادن الآثار ورواة الأخبار وحفظة الأسرار إن رأوك في قبيح منعوك أو جميل أيدوك وإياك وأغمار الشباب فهم أهل الصبوة إلى الشهوات.

وقيل: من عرف حق من فوقه عرف حقه من دونه.

مرّ غلام بشيخ فقال: يا عماه قد قصر قيدك فقال: تركت الذي قيدني بفتل قيدك. قيل: المشيب تمهيد الحمام وتاريخه وعنوانه ورائده ونذيره وقيل: هو أول مواعيد الفناء. وقيل: هو واعظ نصيح ومنذر فصيح وقيل: إذا ضحك الشيب في القذال بكت الحياة للزوال وقيل في قوله تعالى: ﴿**أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**﴾ إن النذير الشيب.

المعمرون: عاش نوح عليه السلام ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة بعث بعد مائتي سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وبقي بعد الطوفان مائتي سنة وخمسين سنة فلما أتاه ملك الموت قال له: كيف رأيت الدنيا قال: كدارٍ لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا. وعاش لقمان خمسمائة وستين سنة عُمر سبعة أنسر كل نسر ثمانون سنة ومنه قيل: طال الأمد على لبد وعاش المستوغر بن زبيد ثلاثمائة وثلاثين سنة ولما بلغ ثلاثمائة قال:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وعمرتُ من بعد السنين مئينا
مائةٌ جزتُها بعدها مائتان لي ازددتُ من عددِ الشهورِ سنينا

هـل مـا بقي إلا كمـا قـد فـاتـنـا ... يـومٌ يـمـرُّ ولـيـلةٌ تـحـدونـا

وعاش معدي كرب الحميري مائتين وخمسين سنة. وعاش عامر بن الظرب ثلاثمائة سنة. وكذلك أكثم بن صيفي وكانا من حكماء العرب وأدرك أكثم الإسلام واختلف في إسلامه وعاش قس بن ساعدة الأيادي ستمائة سنة وكان من عقلاء العرب وحكمائهم وهو أول من أقر منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة أما بعد[1]. وعاش دريد بن الصمة دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنيناً. وعاش عبيد الجرهمي وكان معاوية حج من الشام فقال: هل تعرفون أحداً بقي له علم بأيام العرب فنسأله فقالوا: عبيد وهو على طريقك فدعاه فقال: ممن أنت فانتسب إلى قبيلة فقال: وهل بقي منهم أحد قال: نعم أنا قال: وكم لك من السنين فقال: مائتان وعشرون سنة. فقال: من أين تعلم فقال: أما قال الله تعالى: ﴿**وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا**﴾ فقال: أخبرني عما رأيت فقال: باتت علي سنيهات بلاء وسنيهات رخاء ويوم في أثر يوم وليلة في أثر ليلة. ومنهم لبيد بن ربيعة وخبره مشهور. ومعاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين سنة صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر:

قـل لـمـعـاذ إذا مـررت بـه ... قـد ضـجَّ من طـول عمرك الأبـد

قـد أصـبـحـت دار آدم خـربـت ... وأنـت فـيـهـا كـأنـك الـوتـد

تـسـأل غـربـانـهـا إذا نـعـبـتْ ... كـيف يـكـون الصـداع والـرمـد

قال ابن عباس رضي الله عنه إذا آخى رجل رجلاً فليسأله عن اسمه واسم أبيه وإلا فهي معرفة حمقى. قال حبيب بن أبي ثابت لأن أعزّ في خميصه أحب إليّ من أذل في مطرف. وقال أبو هفان:

تَعجَّبت درٌّ من شيبي فقلت لها ... لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف

---

(١) هكذا في كتاب محاضرات الأدباء وفيه خلاف كما قال الشاعر:

جرى الخلف أما بعد من كان بادئاً ... بها عدّ أقوالها وداود أقرب

ويعقوب أيوب الصبور وآدم ... وقس وسحبان وكعب ويعرب

وزادها عجباً أن رحت في سملٍ   وما درت درّ أن الدرّ في الصدف

دخل محمد بن كعب على سليمان فقال: ما هذه الثياب الرثة فقال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي أو الفقر فأشكو ربي.

نظر أرسطاطاليس إلى رجل حسن اللباس سيء الكلام فقال له: يا رجل تكلم على قدر لباسك أو البس على قدر كلامك.

وقال ابن السماك الصوفي إن كان لباسكم وفقاً لسرائركم فقد أحببتم أن يطلع الناس عليها وإن كان مخالفاً لها فقد نافقتم وهلكتم.

كان الأوزاعي يكره لبس السواد ويقول يلبس في المأتم وبمثله يعاقب المجرم ولم أره على محرم ولا جليت فيه عروس.

قيل: لكل شيء راحة وراحة الثوب طيه. وراحة البيت كنسه. وقيل إن الثوب يقول صنّي بالليل أصنك بالنهار. وذُكر لأبي أيوب المتقشفة فقال: ما علمت أن القذر من الدين.

ومن الوارد عن النبي ﷺ قوله: «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل. وقيل: من طاب ريحه زاد عقله ومن نظف ثوبه قل همه. قال حكيم: ليس بحكيم من اشتغل بعمل عمّا هو أتمّ منه وقال: ما عَجَزَ الصدقُ عن إصلاحه فالكذبُ أعجز منه.

قال محمود الوراق:

إني شكرت لظالمي ظلمي   وغفرتُ ذاك له على علمي
ورأيتُه أسدى إلي يدا   لما أبان بجهله حلمي
رجعتْ إساءته عليه   فعاد مضاعف الجرم
وغدوتُ ذا أجر ومحمدة   وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له   وأنا المسيء إليه في الحكم
ما زال يظلمني وأرحمه   حتى بكيت له من الظلم

* * *

قيل: أول من خاطب بأطال الله بقاك عمر بن الخطاب قاله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وأول من قال جعلني الله فداك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وأول من قال جعلت فداءك علي رضي الله عنه.

نَقَل ديوان الفارسية إلى العربية صالح بن عبدالرحمٰن فقال له رجل من الفرس: كيف تكتب. دهيوده وبنجيوده. فقال: عشير ونصف عشير فقال: وكيف تكتب: أندي، قال: أيضاً، فقال: قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية. وقال لقومه اطلبوا مكسباً غيره.

قال الكلبي: كتابة الأمم نوعان أحدهما يبتدىء باليمين وهي العربية والعبرانية. والثاني من اليسار وهو اليونانية والرومية. وكل كتابة من اليسار فهي مفصولة. وكتابة الصين نقوش تصور. وحكي أن ملك الروم قال: ما حسدت العرب على شيء كالحسد على أشكال خطوطهم.

قيل: من أعجوبة الخطوط كثرة اختلافها مع اتفاق أصولها كاختلاف الأشخاص مع اتفاقها في الصنعة. وعجب بعض الكتاب من إلحاق القافة بالولد بالشبه فقال له قائف: أعجب من هذا ما يبلغنا من تمييزكم الخطوط وإلحاق كل بصاحبه. وحكي أن رجلاً ادعى على آخر بخط له معه فجحد المدعى عليه خطه فتحاكما إلى سليمان بن وهب فأحضر الخط وأملى على الرجل كتاباً طويلاً ردد فيه الحروف فتصنع الرجل في كتابته فأبت سجيته في أحرف إلا أن تأتي كما جرت به عادته فتبين لسليمان كذبه فاستقصى عليه حتى اعترف بخطه.

وقيل: كل صناعة تحتاج إلى ذكاء إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءين جمع المعاني بالقلب والحروف بالقلم. وقال الجاحظ لم أر مثل طريقة الكتاب فإنهم اختاروا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا ساقطاً سوقياً وقال: إنما عذب شعر النابغة لأنه كان كاتباً وكذلك زهير.

قال يزيد بن المهلب لابنه حين استخلفه على خراسان إذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه فإنما هو عقلك تضع عليه طابعك. وإن كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع رأيه.

قال بعض الشعراء:

وما من كاتب إلا ستبقى كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

فضل الخط المستحسن.

نظر الحسن بن رجاء إلى خط حسن فقال: منتزه الألحاظ ومجتنى الألفاظ. وقيل لبعضهم: كيف ترى إبراهيم الصولي فقال:

يولد اللؤلؤ المنثورَ منطقه وينظم الدر بالأقلام في الكتب

وتحاكم إلى الحسن بن سهل صبيان في خطيهما فقال لأحدهما: خطك تبر مسبوك. وقال للآخر خطك وشي محوك. وقد تسابقتما إلى غاية فوافيتما في نهاية.

وقال الحسن بن وهب:

وما شيء بأحسنَ مِن ثيابٍ على حافاتها سِمة المدادِ

في الكتب ونفعها:

ذكر الجاحظ الكتب فقال: نعم الذخر والعدة والمستغل والحرفة. ونعم القرين والدخيل والوزير والنزيل: والكتاب هو الذي لا يطريك. والصديق الذي لا يغريك. يطيل إمتاعك ويشحذ طباعك. وقال ابن المقفع كل مصحوب ذو هفوات والكتاب ميمون العثرات. وقال الرفاء:

اجعل جليسَك دفتراً في نشره للميت من حكم العلوم نشور
ومفيد آداب ومؤنس وحشة وإذا انفردت فصاحب وسمير

فائدة

قوله تعالى: **﴿أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾** هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن الكفار لا عقول لهم أصلاً لأن قوله شيئاً نكرة في سياق النفي فهي تدل على العموم وقد جاءت آيات أخر تدل على أن

الكفار لهم عقول يعقلون بها في الدنيا كقوله تعالى: ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين**﴾ والجواب أنهم يعقلون أمور الدنيا دون أمور الآخرة كما بينه تعالى بقوله: ﴿**وعْد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾.

قوله تعالى: ﴿**إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**﴾ الآية هذه الآية تدل بظاهرها على أن الوسوسة وخواطر القلوب يؤاخذ بها الإنسان مع أنه لا قدرة له على دفعها. وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الإنسان لا يكلف إلا بما يطيق كقوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ وقوله: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ والجواب أن آية ﴿**إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه**﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾. انتهى. من كتاب دفع إيهام الاضطراب.

قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن جرير عن سعيد بن مرجانة سمعه يحدث أنه بينما هو جالس مع عبدالله بن عمر تلا هذه الآية: ﴿**لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء**﴾ الآية. فقال: والله لئن واخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه قال ابن مرجانة: فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها فقال ابن عباس يغفر الله لأبي عبدالرحمٰن لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبدالله بن عمر فأنزل الله بعدها ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ إلى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل. طريق أخرى عن سالم أن أباه قرأ: ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**﴾ فدمعت عيناه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبدالرحمٰن لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله ﷺ حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ إن الله

تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل.

فائدة
من كتاب الفوائد لابن القيم

قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد. قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص. ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً فمن نُصر عليها نصر على عدوه ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه.

وقال رحمه الله في موضع آخر:

علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق.

وقال رحمه الله: من أحدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته ومن أفطر قبل غروب الشمس ذهب صيامه ضائعاً. ومن أساء في آخر عمره لقي ربه بذلك الوجه لو قدمت لقمة وجدتها[1] ولكن يؤذيك الشره كم جاء الثواب يسعى إليك فوقف بالباب فرده بواب سوف ولعل وعسى. كيف الفلاح بين إيمان ناقص وأمل زائد ومرض لا طبيب له ولا عائد وهوى مستيقظ وعقل راقد ساهياً في غمرته عَمِهاً في سكرته سابحاً في لجة جهله مستوحشاً من ربه مستأنساً بخلقه. ذِكْر الناس فاكهته وقوته وذكر الله حبسه وموته لله منه جزء يسير من ظاهره وقلبه ويقينه لغيره.

---

(١) أي لو قدمها هنا لوجدها هناك.

لا كـان مـن لسـواك فيـه بقيـة   يجـد السبيـل بهـا إليـه العـذل

وقال في موضع آخر. احـذر نفسك فمـا أصابـك بلاء قط إلا منهـا ولا تهادنها فوالله ما أكرمها من لم يهنها ولا أعزها من لم يذلهـا ولا جبرهـا من لم يكسرها ولا أراحهـا من لم يتعبها ولا أمنهـا من لم يخوفهـا ولا فرحهـا من لم يحزنها.

سبحان الله ظاهرك متجمل بلباس التقوى وبـاطنك بـاطية لخمـر الهوى فكلمـا طيبت الثوب فـاحت رائحة المسكـر من تحته فتبـاعد منـك الصادقـون وانحاز إليك الفاسقون. يدخل عليـك لص الهوى وأنت في زاويـة التعبد فـلا يرى منك طرداً له فلا يزال بك حتى يخرجك من المسجد.

فصل
من كتاب محاضرات الأدباء

قال الحجاج لغـلامه ائتني بـأعز مفقـود وأذل موجـود فلم يفهم ما عنـاه فقال له ابن القرية ائته بالماء. وقال ابن يزيد لشراعة ما تقول في الماء قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار. وقيـل ليس للماء قيمـة لأنه لا يبـاع إذا وجد ولا يبتاع إذا فقد. ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن. ومن فضيلته أن كل شراب وإن رق وصفا وعـذب وحلا فليس يعـوض منه بـل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته. قيل للنظام ما لـون الماء قـال لون إنـائه. وإذا بعد قعره تصور أسود. وقـال الله تعالى: ﴿**فيهـا أنهار من مـاء غير آسن**﴾ فلم يذكره بأكثر مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه وقال بعض البلغـاء في وصفه ومـا ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت العنبـر وولـد القـار والماء لا يغذو ولا يرى من اغتذى بـه واستدلـوا على ذلك بـأن كل سيـال إذا طبخ انعقد إلا الماء وعلى قياسه قالوا: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبـد وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

ومن الكتاب المذكور قال: وسمع زياد امرأة تقول اللهم اعزل عنا زياداً فقـال لها: زيـدي في دعائـك وأبدلنـا خيراً منـه فإن الأخيـر أبداً شـر. وقـال

بعضهم كان الناس ورقاً بلا شوك فصاروا شوكاً بلا ورق.

شاعر:

لم أبك من زمن شكوت صروفه   إلا بكيت عليه حين يزول

أُتي يزيد بخارجي فأراد قتله فقال:

عسى فرج يأتي به الله إنه   له كل يوم في خليقته أمر

فقال والله لأضربن عنقك اقتلوه فدخل الهيثم بن الأسود فقال: أمسكوه قليلاً فدنا منه فقال: يا أمير المؤمنين هب مجرم قوم لوافدهم فقال: هو لك فخرج الخارجي وهو يقول تأبى على الله فأبى إلا أن يكذبه وغالبه فأبى إلا أن يغلبه. وأحضر رجل ليقتل في أيام نازوك فدعا بطعام فأخذ يأكل ويضحك فقيل تضحك وأنت مقتول فقال: من الساعة إلى الساعة فرج فَسُمعت صيحة فقيل مات نازوك فخلوا الرجل. وشدّ بعض العمال رجلاً إلى أسطوانة يريد ضربه فقال: حلني من هذه إلى هذه فحله فما حله إلا وقد عزل وشد إلى الأسطوانة بعينها.

والله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض﴾** وقال: **﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾** فَرَح الدنيا مشوب بالترح ومعقب الهموم: قيل في كل جرعة شرطة ومع كل أكلة غصة: ونظر أنو شروان إلى ملكه فأعجبه فقال: هذا ملك لولا أنه هالك. ونعيم لولا أنه عديم وغناء لولا أنه عناء. وسرور لولا أنه شرور. ويوم لو كان يوثق له بغد.

قيل: لا تغتر لا بصفاء الأوقات فتحتها غوامض الآفات. وقيل لا يغرنك الإملاء فالإملاء من الاستدراج والله تعالى يقول: **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم أن كيدي متين﴾** وقيل مثل الدنيا مثل الحية ليّن مسها وفي جوفها السم الناقع يهوي إليها الصبي الجاهل ويحذرها الحازم العاقل.

وقال أبو عمرو بن العلاء كنت أدور في ضيعتي في شدة الحرّ فسمعت هاتفاً يقول:

وإن أمرأ دنياه أكبرُ همه — لمستمسِك منها بحبل غرورِ

فنقشت ذلك على خاتمي. وقيل كل قتيل يقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يقتص منه. وقيل الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود منها الخسارة.

وقال المأمون لو نطقت الدنيا لم تصف نفسها بأجود مما قال أبو نواس:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفت — له عن عدوٍ في ثيابِ صديق

انتهى من كتاب محاضرات الأدباء.

قال أبو سعيد الرستمي. من قصيدة:

عزيز علينا أن تشط منازله — سقته الغوادي من عزيز تزايله
ولا زال حاديه دميثاً فجاجه — وقمراً لياليه وصفواً مناهله
يحل عزالى الغيث حيث يحله — ويغشى كما يغشى الربيع منازله
ومهجورة خافت عليها يد النوى — فلم تبق في حافاتها ما أسائله
سوى كحل عين ما اكتحلت بنظرة — إلى جفنه إلا شجتني مكاحله
وقفت فأما دمع عيني فسائل — عليه وأما وجد قلبي فسائله
أقلب قلباً ما يخف غرامه — عليه وطرفاً ما تجف هوامله
لعلي أرى من أهل ريا وان نأت — بأرجائه شبهاً لريا أواصله
فأصبحت قد ودعت ريا ووصلها — كما ودعت شمس النهار أصائله
بكرهي زال الحي من بطن عازب — وغودر مني عازب اللب زائله[1]
وقلب إذا ما قلت خف غرامه — وأبصر غاويه وأقصر عاذله
دعاه الهوى فاهتز يهوى كما دعا — صبا الريح غصن البان فاهتز مائله
وهاجرة من نار قلبي شببتها — وقد جاش من حر الفراق مراجله
صليت بها والآل يجري كما جرى — من الدمع في جفني للبين جائله[2]

(١) عازب الأولى اسم جبل والثانية اسم فاعل من عزب بمعنى غاب.
(٢) الآل السراب: وقيل أنه خاص بما يكون أول النهار.

الديك والدجاج: يوصف الديك بالشجاعة والصبر والقوة على السفاد والسياسة للإناث. ويأخذ الحب فيلقيه إلى الإناث وبه عني قولهم أسمع من لاقطه فإذا هرم لم يفعل ذلك.

ويقال من العجائب ذُو ريشٍ أرضي وذُو جلد هوائي يعني الديك والخفاش.

وفي المثل أغير من الديك وأشجع. وشرابٌ أصفى من عين الديك. وأسلح من دجاجة ساعة الأمن.

الخفاش هو طائر بلا ريش إنما هو لحم وجلد ولا يطير في ضوء ولا ظلمة لقوة بصره وكثرة شعاع عينه فيلتمس فيما بين الوقتين رزقه وهو يصيد البعوض. وقيل إن أنثاه تحيض وترضع كالأرنب وما له منقار وله أسنان حداد ويصبر على الطعام.

وقيل إن أنثاه تحمل ولدها تحت جناحها ترضعه في طيرانها وتتجنب ورق الدلب حيث كان وفيه قال ابن المعتز:

أرى علماء الناس لا يعرفونني وقد ذهبوا للعلم في كل مذهب
بجلدة إنسان وصورة طائر وأظفار يربوع وأنياب ثعلب

من كلام بعض الحكماء. السلطان إمام متبوع فإن ظلم جارت الحكام لظلمه. وإن عدل لم يَجِر أحد في حكمه. من مكنه الله في أرضه وبلاده وائتمنه على خلقه وعباده وبسط يده وسلطانه ورفع محله ومكانه فحقيق عليه أن يؤدي الأمانة ويخلص الديانة ويجمل السريرة ويحسن السيرة ويجعل العدل دأبه المعهود والأجر غرضه المقصود. فالظلم يزل القدم ويزيل النعم ويجلب الفقر ويهلك الأمم وقال معارضة الطبيب توجب التعذيب. رب حيلة أنفع من قبيلة. سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول. قلوب الحكماء تستشف الأسرار من لمحات الأبصار. ارضَ من أخيك في ولايته بعشر ما كنت تعهده في مودته. التواضع من مصائد الشرف.

ذكر في البداية والنهاية. ترجمة عفيف الدين بن البقال شيخ رباط

المرزبانية كان صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسه قال كنت بمصر فبلغني ما وقع من القتل الذريع ببغداد في فتنة التتار فأنكرت في قلبي وقلت يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له فرأيت في المنام رجلاً وفي يده كتاب فأخذته فقرأته فإذا فيه هذه الأبيات فيها الإنكار عليّ:

دع الاعتراضَ فما الأمر لك ... ولا الحكمُ في حركات الفلك
ولا تسألِ الله عن فعله ... فمن خاضَ لجةَ بحر هلك
إليه تصير أمور العباد ... دع الاعتراض فما أجهلك

متفرقات

كم طوى البؤس نفوساً لو رعت ... منبتاً خصباً لكانت جوهراً
كم قضى العدم على موهبة ... فتوارت تحت أطباق الثرى

* * *

وكم مضمر حقداً يريك بشاشة ... وفي الزند نار وهو في اللمس بارد

* * *

كم من رجال أفنوا أيامهم في التجارب فلم يهتدوا إلى ما يطلبون وكم من رجال اهتدوا عفواً إلى ما يقصدون.

ولم أر شيئاً مثل دائرة المنى ... توسعها الآمال والعمر ضيق

* * *

تمد المنى للمرء أسباب عمره ... وسهم الردى من لحظ عينيه أسرع

* * *

إذا زارَ بالجثمان غيري فإنني ... أزورُ مع الساعات ربعكَ بالقلبِ
وما كل ناءٍ عن ديارٍ بنازحٍ ... ولا كُل دانٍ في الحقيقة ذو قربِ

* * *

وقائلة ماذا نأى بك عنهم ... فقلت لها لا علم لي فسلي القدر

* * *

جسمي معي غيرَ أن الروحَ عندكمُ فالجسمُ في غربة والروحُ في وطن
فليعجب الناسُ مني أن لي بدنا لا روحَ فيه ولي روح بلا بدن

* * *

تقول وقد ودعتها ودموعها على خدها من خشية البين تلتقي
مضى أكثرُ العمر الذي كانَ نافعاً رويدكَ فاعمل صالحاً في الذي بقي

* * *

إذا كنت في قوم ولم تك منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

* * *

فيا سفراً أودى بلهوي ولذتي ونغصني عيشي عدمتك من سفر

* * *

سئل أحدهم عن لغة فعجز عنها بمحضر مَنْ خجل منه فأقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ (الغريب المصنف) فاتفق أن دخلت عليه أمّه في تلك الحال فارتاعت فقال:

ريعت عجوزي أن رأتني لابساً حلق الحديد ومثلُ ذاك يَروعُ
قالت جُنِنْتَ فقلت بل هي همة هي عنصرُ العلياء والينبوعُ
سَنَّ الفرزدق سنة فتبعتها إني لما سنَّ الكرامُ تبوعُ

الجمع بين الرجاء والخوف قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿**يرجون رحمته ويخافون عذابه**﴾ ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تقبل منك وارجه رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها الله لك. وقيل: ارج إذا خفت وخف إذا رجوت وقال رجل لابنه خف الله خوفاً لا يمنعك من الرجاء وارجه رجاء لا يمنعك من الخوف. ويروى عن سعيد بن جبير من الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء الغفران.

قال أبو الحسين الظاهر البصري في وضوحية قتلها في بعض أسفاره:

عرفت في الأسفار ما لم أعرف من كل موصوف وما لم يوصف

سرت وصحبي وسط قاع صفصف   إذ أشرفت من فوق طود مشرف

رقشاء ترنو من قليب أجوف   تومي برأس مثل رأس المجدف

ذنب مندمج معقف   حتى إذا أبصرتها لا تنكفي

علوتها بحد سيف مرهف   فظل يجري دمها كالقرقف

أتلفتها لما أرادت تلفي

الحسين بن دعبل يصف سحابه:

أما ترى الغيثَ قد سالت مدامعهُ   كأنه عاشقٌ يسطو به الذكرُ

جاءت موقرة الأطرافِ خاشعة   تكاد تؤخذ بالأيدي فتقتصرُ

راحَتْ رياحُ الصّبا ينظمن عارضها   حتى إذا نظمته ظلّ ينتشرُ

أضحت له الأرضُ سكرى والثرى طربٌ   والأفقُ مبتسمٌ والجدب مستترُ

وقال ابن طباطبا في وصف ليلة مقمرة:

وليلةٍ مثل يوم شمسُها قمرٌ   بدت بدوَّ الضحى ظلاء قمراء

يا حسنَها ليلة عاد النهارُ بها   أُنساً وطيباً وإشراقاً ولألاء

* * *

ولآخر عكسه:

وليل يقول القومُ في ظلماتِه   سواءٌ بصيراتُ العيونِ وعورُها

كأن لنا منها بيوتاً حصينةً   مسوحاً أعاليها وساجاً كسورُها

* * *

ثمان خصال: المرأة بزوجها، والولد بوالده، والمتأدب بمؤدبه. والجند بقائده، والناسك بالدين، والعامة بالملوك، والملوك بالتقوى، والعقل بالتثبت. ستة يهزأ منهم: مدعي الشجاعة وشدة النكاية في الأعداء وبدنه سليم لا أثر فيه. والمرأة الخلية تعيب ذات زوج. والعالم يناظر الجاهل ويماريه. والمفضي بسره من لا يجرب. ومودع ماله من لم يختبره. والمحكم بينه وبين خصمه من لا يعرفه. ستة يكثرون التسخط: الملك المترف، والشيخ القلق، والسفيه، والأديب العديم الحلم. والباذل نصيحته للأخرق. والمكلف العمل بغير رفق.

سبع خصال: الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، والاجتهاد أربح بضاعة. ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا ظهير أوثق من المشورة. والتوفيق خير قائد.

قال رجل لآخر: لو مت أنا ما كنت تفعل قال: كنت أكفنك وأدفنك قال: فأكسني الساعة ما تكفنني به وإذا مت فادفني عرياناً.

أُتي يزيد بن الوليد بفالوذج فجعل الغاضري يأكل ويسرع فقال يزيد ارفق فالإكثار منه يقتل فقال الغاضري منزلي على طريق المقابر وما رأيت جنازة قيل إن صاحبها مات من أكل الفالوذج.

العسل أجوده الذهبي الذي إذا قطرت منه على الأرض قطرة استدارت استدارة الزئبق ولم يتغبش ولم يختلط بالتراب.

التمر: قال النبي ﷺ من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر. وصف أعرابي تمراً فقال: تمرات جرد فطس يغيب فيهن الضرس كأن نواها السن الطير تضع التمرة في فمك فتجد حلاوتها في كعبك. وقيل: خير التمر ما غلظ لحاه ورق سحاه ودق نواه.

قال النابغة يصفه:

صغار النوى مكنوزة ليس قشرها إذا طار قشر التمر عنها بطائر

* * *

آخر:

كنت إذا مـا قُـرّب الـزادُ مـولعـاً بـكـل كميـت جـلدُه لـم يـؤسـف
مـداخله الأقـراب غيـرُ ضئيلة كمبيت إذا خفت مزاده مخلف

وقال الحجاج يوماً لجلسائه ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام وليدفعه إليّ فكتب كلهم التمر والزبد. وقال سوار لرجل حضر لشهادة بم تشهد فقال:

شهدتُ بأن التمر بالزبـد طيبٌ وأن الحبـارى خـالـةُ الكـروان

فقال: أما الأول فإني أشهد به أيضاً.

ذاكر الرشيد عيسى بن جعفر أي الرطب أطيب فقال الرشيد: القريتا: وقال عيسى: السكر: فأرسلوا إلى الأصمعي فلما دخل سألاه فقال: هذا لا يخفى أن القريتا أجود إنا كنا بالبصرة صبياناً نلعب بالنوى فنجعل نوى القريتا دنانير ونوى السكر دراهم فنعطي نواة من قريتا ونأخذ عشرين من سائر النوى فضحك الرشيد وأمر له

العنب: قيل أجود العنب ما غلظ أعمده واخضر عوده وسبط عنقوده وقال أبو حنيفة الدينوري عن بعض أهل دمشق أنه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب فكان وزنها عشرة دراهم وأن العنقود منها يملأ السلة.

الرمان قال الواسطي:

رأيت رمانةً من فوقِ دوحتها ... ولونُها ببديعِ الحسنِ منعوتُ
فالقشرُ حقّ لماضٍ ضمّ رائحةً ... والشحمُ قطنٌ له والحب ياقوتُ

* * *

ابن شاه:

ورمانةٍ شبهتُها إذ رأيتها ... بثدي كعابٍ أو بحقّةِ مرمر
منمنمةٍ صفراءَ نُضِّدَ حولَها ... يواقيتُ حمرٌ في ملاء معصفر
لها قشرُ عقيانٍ ورأسٌ مشرق ... وأغصانُ خيريٍ وأوراقُ عبهري

الموز قال ابن الرومي:

إنما الموز حين يمكنُ منه ... كاسمه مبدلاً من الميم فاء
وكذا فقدة العزيزُ علينا ... كاسمه مبدلاً من الزاي تاء
فلهذا التأويل سمّاه موزاً ... من أفاد المعاني الأسماء

قال الأصمعي رأيت أعرابية تأكل قشور الرمان فقلت: ما هذا قالت: أدفع به الجوع فإن الجوع إذا دفعته بشيء اندفع. وقال الشاعر:

تنافس في طيب الطعام وكلُّه ... سواء إذا ما جاوز اللهواتِ

* * *

آخر:

وما هي إلا جرعةٌ إن سددتها　　فكلّ طعامٍ بين جنبيك واحد

وقال بعضهم لقيت أعرابياً فقلت: من أين فقال: من البادية من جبل ضرية أرض لا نبتغي بها بدلاً ولا عنها حولاً في أرغد عيش وأنعم معيشة فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة أو ما سمعت قول قائلنا:

إذا ما أصبنا كلَّ يوم مذيقةً　　وخمسَ تميراتٍ صغار هوامزِ
فنحن ملوكُ الناس خصباً ونعمةً　　ونحن أسود الغاب وقت الهزاهِز
وكم متمنٍّ عيشةً لا ينالها　　ولو نالها أضحى بها جدّ فائزِ

قيل لأبي العملس أي الطعام أطيب فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة قيل: فما ألذ الأشربة قال: شربة ماء تضيع بها غلتك وقال محمد بن جعفر العين طليعة المعدة. وكان مكتوباً على مائدة أنو شروان ما طعمته وأنتَ نشتهيه فقد أكلته وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. أكل أعرابي بملعقة شيئاً فاحترق فمه فقال: أبعدني الله أن أحكم على فمي غير يدي فإنها رائد حق ونذير صدق. حضر أعرابي طعام أمير فأكل معه فأحضر الفالوذج فقال الأمير: إن أكلت هذا حزت رأسك فنظر ملياً ثم مدّ إليه يده وقال: أوصيك بصبيتي خيراً.

فائدة

قوله تعالى: ﴿**فمهل الكافرين أمهلهم رويداً**﴾ هذا الإمهال المذكور هنا ينافيه قوله تعالى: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ الآية، والجواب أن الإمهال منسوخ بآيات السيف والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: ﴿**من شر الوسواس الخناس**﴾ لا يخفى ما بين هذين الوصفين اللذين وصف بهما هذا اللعين الخبيث من التنافي لأن الوسواس كثير الوسوسة ليضل بها الناس والخناس كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس والجواب أن لكل مقام مقالاً فهو وسواس عند غفلة العبد عن ذكر ربه. خناس عند ذكر العبد ربه تعالى كما

دل عليه قوله تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً فهو لهو قرين**﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا**﴾ الآية، انتهى من كتاب دفع إيهام الاضطراب.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الفوائد:

فائدة

من فقد أنسه بالله بين الناس ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف. ومن وجده بين الناس وفقده في الخلوة فهو معلول. ومن فقده بين الناس وفي الخلوة فهو ميت مطرود ومن وجده في الخلوة وفي الناس فهو المحب الصادق القوي في حاله.

تزخرفت الشهوات لأعين الطباع فغض عنها الذين يؤمنون بالغيب ووقع تابعوها في بيداء الحسرات فـ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ وهؤلاء يقال لهم: ﴿**كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون**﴾.

لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوى طلباً لحياة الأبد لما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد فقرب عليهم البعيد وكلما أمرّت لهم الحياة حلى لهم تذكر ﴿**هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾ شهوات الدنيا كلعب الخيال ونظر الجاهل مقصور على الظاهر فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر.

تالله ما كانت الأيام إلا مناماً فاستيقظوا وقد حصلوا على الظفر. ما مضى من الدنيا أحلاماً وما بقي منها أماني والوقت ضائع بينهما.

اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة

ممكنة وبابها مفتوح وكأنكم بالباب قد أغلق وبالرهن وقد غلق وبالجناح وقد علق ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ذلك يوم التغابن يوم يعض الظالم على يديه.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى وأبصرت يوم الحشر من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر الذي يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

روي عن بعض الصالحين أنه قيل له مالك: لا تطلب الدنيا فقال: من خاف السؤال عن الشكر طابت نفسه عن المال.

وقيل: من لم يشكر الناس لم يشكر الله. وأخذه البحتري فقال:

فمن لا يؤدي شكر نعمة خله فأنى يودي شكر نعمة ربه

قيل: اتقوا ألسنة الشعراء فإنها سمة لائحة. وأنشد:

وللشعراء ألسنة حداد على العورات موفية دليلة
إذا وضعت مكاويهم عليها وإن كذبوا فليس لهن حيلة
ومن عقل الفتى أن يتقيهم ويدفعهم مدافعة جميلة

قيل استحياء الكريم من المدح أكثر من استحياء اللئيم من الذم وقيل: أعوذ بالله من صديق يطري. وجليس يغري. وقال الجاحظ شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك. وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك. قيل: كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك. وقيل: من مُدح :الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. وقيل: من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية. قيل: كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول إذا مُدح:اللهم أنت أعلم مني بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون.

قام رجل في أيام صفين إلى معاوية فقال: اصطنعني فقد قصدتك من

عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم فقال: من الذي تعنيه قال: علي بن أبي طالب فقال: كذبت يا فاجر أما الجبن فلم يك قط فيه وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه وأما اللكن فما رأيت أحداً يخطب ليس محمد ﷺ أحسن من علي إذا خطب قم قبحك الله ومحا اسمه من الديوان.

قيل: من سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت وإلا سمع أكثر منها. وشتم رجل آخر فلم يرد عليه فقيل له في ذلك فقال: أرأيت لو نبحك كلب أتنبحه أو رمحك حمار أكنت ترمحه.

قيل لرجل فلان شتمك واغتابك فقال: هو في حل فقيل: تحل من يغتابك وبه يثقل ميزانك فقال: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار أخواني.

قال بعضهم: بثوا السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤنة واكتساب أخوة بأهون عطية.

قالت امرأة لرجل: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك.

اجتمع أربعة من الأطباء عند المأمون عراقي ورومي وهندي وسوادي فقال: ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه فقال الرومي: حب الرشاد، وقال الهندي: الهليلج الأصفر. وقال العراقي: الماء الحار. وقال السوادي: وهو أبصرهم حب الرشاد يورث الرطوبة والماء الحار يرخي المعدة والهليلج يرقق البطن. ولكن الذي لا داء معه أن تجلس على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه.

دعا عيسى بن علي ابن المقفع إلى الغداء فقال: لست اليوم بمواكل للكرام لأنني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار. مانعة من عشرة الأحرار.

اعتل الفضل بن سهل بخرسان ثم برأ فجلس للناس فهنؤه بالعافية وتصرفوا في فنون الكلام فلما فرغوا أقبل على الناس فقال: إن في العلل نعماً ينبغي للعاقل أن يعرفها. تمحيص الذنب والتعرض للثواب. والإيقاظ من الغفلة

والإذكار بالنعمة في حال الصحة والاستدعاء للتوبة والحض على الصدقة وفي قضاء الله وقدره الخيار.

وقال جحظة البرمكي:

مرضتُ فلم يكن في الأرض حرٌّ يشرفني ببرٍ أو سلام
وضنُّوا بالعيادة وهي أجرٌ كأن عيادتي بذلُ الطعام

* * *

قال بقراط حدثوا المريض حال من كان في أصعب من علته فبرأ ولا تحدثوه عمن كان في مثل علته فمات.

قال أنو شروان لوزيريه يوماً أي الفراش ألذ فقال أحدهما: ألذ الفراش الخز محشواً وقال الآخر ألذ الفراش الحرير محشواً وكان بين يديه غلام في عدد الحجاب فقال: أيها الملك أتأذن لي في الكلام فقال: نعم قال: ألذ الفراش الأمن. قال: صدقت قال فما ألذ الطعام قال: ما لا يهيج على طبيعة عله ولا يعقد في عنق آكله منه فقال: أحسنت فما ألذ الشراب فقال: ما لا يزيل عقلاً عن محله ولا يهيج على طبيعة شيئاً من علله قال: أحسنت فما ألذ الريحان قال: الولد السار ريحان أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته: فرفع محله وألحقه بأكابر حشمه.

قيل للربيع بن خيثم: أتعبت نفسك في العبادة وإصلاح أمر الناس فقال: راحتها أريد فإن أفره العبيد أكسبهم لمولاه. وقد أجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يُدرك نعيم بنعيم قط وما أدرك نعيم إلا ببؤس قبله.

شاعر:

وتحمُّل المكروه ليس بضائرٍ ما خلته سبباً إلى محمود

* * *

المتنبي:

تلذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

* * *

آخر:

إني رأيتُ مِن المكارِمِ حسبكم أن تلبسوا خزَّ الثياب وتشبعوا
فإذا تُذوكِرَتِ المكارِمِ مرة في مجلس أنتم به فتقنَّعوا

* * *

قال يزيد بن المهلب ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز.

شاعر:

لا تضجرن ولا تدخلك معجزة فالنجح يهلك بين العجز والضجر

* * *

مما قيل في التلاقي والفراق

قال شاعر:

ولو فهم الناس التلاقي وحسنه لحبب من أجل التلاقي التفرقُ
فيا حسننا والدمعُ بالدمعِ واشجٌ نمازجه والخدّ بالخدّ ملصق
وقد ضمنا وشكُ التلاقي ولفّنا عناقٌ على أعناقِنا ثمّ ضيق
فلم تر إلا مخبراً عن صبابة بشكوى وإلا عبرةً تترقرق
ومن قُبلٍ قبل التلاقي وبعده نكاد بها من شدة اللثم نشرق

* * *

آخر:

ومما دهاني أنها يومَ أعرضت تولّت وماء العين في الجفن حائرُ
فلما أعادت من بعيد بنظرة إليّ التفاتاً أسلمته المحاجر

* * *

آخر:

سقى الله ركباً ودعوا يوم ودعوا وعيرهم شوقي وحاديهم وجدي
غداة مضت واستوثقتني عبرةٌ أسائل في سعد عن القمر السعدي

* * *

آخر:

وذكرت ما يلقى المحب مخلفاً بعد الأحبة من جوى وسهاد
بالله لا تنس الوداد فإنني باق على عهدي ومحض ودادي

قال ابن القيم في كتاب الفوائد:

احترز من عدوين هلك بهما أكثر الخلق. صادٍّ عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله. ومفتون بدنياه ورئاسته.

من خلق فيه قوة واستعداد لشيء كانت لذته في استعمال تلك القوة فيه فلذة من خلقت فيه قوة واستعداد للجماع استعمال قوته فيه ولذة من خلقت فيه قوة الغضب والتوثب استعمال قوته الغضبية في متعلقها. ومن خلقت فيه قوة الأكل والشرب فلذته باستعمال قوته فيهما. ومن خلقت فيه قوة العلم والمعرفة فلذته باستعمال قوته وصرفها إلى العلم. ومن خلقت فيه قوة الحب لله والإنابة إليه والعكوف بالقلب عليه والشوق إليه والأنس به فلذته ونعيمه استعمال هذه القوة في ذلك. وسائر اللذات دون هذه اللذة مضمحلة فانية وأحمد عاقبتها أن تكون لا له ولا عليه.

لو استنشقت ريح الأسحار لأفاق منك قلبك المخمور.

من استطال الطريق ضعف مشيه. وقال رحمه الله تعالى:

فصل

علّمتَ كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لنعمتك وخوفاً من سطوتك. وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل. حرم صيد الجاهل والممسك لنفسه فما ظن الجاهل الذي أعماله لهوى نفسه جُمع فيك عقل الملك وشهوة البهيمة وهوى الشيطان وأنت للغالب عليك من الثلاثة إن غلبتَ شهوتك وهواك زدت على مرتبة ملك وإن غَلَبَك هواك وشهوتك نقصت عن مرتبة كلب.

قوله تعالى: ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيرا**﴾ هذا من ألطف خطاب القرآن وأشرف معانيه وأن المؤمن دائماً مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو

ربه وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه فهو مع الله على عدوه الداخل فيه والخارج عنه يحاربهم ويعاديهم ويغضبهم له سبحانه كما يكون خواص الملك معه على حرب أعدائه والبعيدون منه فارغون من ذلك غير مهتمين به والكافر مع شيطانه وهواه على ربه. وعبارات السلف على هذا تدور ذكر ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: عوناً للشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقال ليث بن مجاهد: قال يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه عليها وقال زيد بن أسلم: ظهيراً أي موالياً والمعنى أنه يوالي عدوه على معصيته والشرك به فيكون مع عدوه معيناً له على مساخط ربه فالمعية الخاصة التي للمؤمن مع ربه وإلهه قد صارت لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان ومع نفس وهواه وقربانه ولهذا صدر الآية بقوله: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾** وهذه العبادة هي الموالاة والمحبة والرضا بمعبوديهم المتضمنة لمعيتهم الخاصة فظاهروا أعداء الله على معاداته ومخالفته ومساخطه. بخلاف وليه سبحانه فإنه معه على نفسه وشيطانه وهواه وهذا المعنى من كنوز القرآن لمن فهمه وعقله وبالله التوفيق.

قال الوزير ابن شهيد من قصيدة:

خليلي ما انفك الأسى منذ بينهم ... حبيبي حتى حل بالقلب فاختطا
أريد دنوا من خليلي وقد نأى ... وأهوى اقتراباً من مزار وقد شطا
وإني لتعروني الهموم لذكركم ... هدواً فلا أستطيع قبضاً ولا بسطا
وإن هبوط الواديين إلى النقا ... بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
لمسرح سرب ما تقر نعاجه ... بريرا ولا تقرو جآذره خطا
ومرتجز ألقى بذي الأثل كلكلا ... وحط بجرعاء الأبارق ما حطا
سعى في قياد الريح يسمح للصبا ... فألقت على غير التلاع به مرطا
وما زال يروي الترب حتى كسا الربى ... درانك والغيطان من نسجه بسطا
وعنت له ريح فأسقط قطره ... كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
ولم أر درّاً بددته يد الصبا ... سواه فبات الزهر يجمعه لقطا

وقال أحمد اللؤلؤي:

لئن غـاب عن عيني وأعجز نـاظري ... لما غاب عن وهمي ولا زال عن فكري
وتـالله لـو أسـطيـع محض مـودة ... لأحللتـه قلبي وأسكـنتـه صـدري
أتتني بصفـو الـود منـه صحيفـة ... تـخبـر عـن ودّ وتـنـطـق عـن بـر
تضمنهـا من جـوهـر الشعـر حكمـة ... بهـا سحرت من كـاد ينفث بالسحـر
يـطول لهـا لفظ الـذكي بـلاغـة ... ويـقـص بالـراوي لها طـائل العمـر

فصل
من كتاب محاضرات الأدباء

دخـل مجوسي على وال فقـال: ما اسمـك قال: يـزدان بـاذان. قـال: اسمان وجزية واحدة لا يكون ذلك وألزمه جـزيتين. وقال رجـل للفرزدق: من أنت قال: فرزدق قـال: لا نعرف فـرزدقاً إلا عجينـاً فتيتاً تـأكله نساؤنـا فقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

الشيعة يبغضون ويقاتلون من كني بأبي بكـر أو سمي بعمر وكـانت قريـة يقال لها يزداد وأهلها من الشيعة مرّ بهم رجـل فسألـوه عن اسمه فقـال عمران فضربوه ضرب التلف وقالوا في اسمه عمر وحرفان من اسم عثمان ألا يستحق القتل.

(ومن اللباس) قال عمر رضي الله عنه: إيـاكم أن تلبسوا ألبسـة مشهورة أو محقورة. وقال خالد: البسوا من الثياب مـا تستحسنه الملوك والسـوقة فـإن تغيرت بأحدكم حال لم يعلم به أحد. وقيل: البس ما لا يـزدريك بـه السفهاء ولا يعيبك به العلماء. وحكي أن الشيخ الأمين عباد بن العباس كان له جبـات كثيرة كلها عنابي على لون واحد يخدم بها ركن الدولـة الحسن بن بويـه فقال يوماً لحاشيته: انظروا إلى نظافته يلبس جبة كذا كذا سنة لا يغيرها ولا يبليها. وقـال حبيب بن أبي ثـابت لأن أعـز في خميصـة أحب إليّ من أن أذل في مـطرف. وقال أبـو أويس الخولاني: قلب نقي في ثـوب دنس أحب من قلب دنس في ثوب نقي.

قال رجل لآخر: إنك لا تحسن أن تلبس الثياب فقال: لكني أُحسن أن

ألبسها. وعوتب آخر فقال: من عظمت مؤنته في نفسه قل تفقده لأمر غيره. وقيل: من كان شغله بنفسه فقد مكر به. وقيل: ما استوت عمامة على رأس كريم قط.

وقال أبو أمامة إذا طُولت الكمة[1] وكورت العمة ووسعت الأكمة فقد هلكت الأمة. وذكرت العمامة لأبي الأسود فقال: هي جنة في الحرب ومكنة في الحر ومدفاة في القر ووقار في الندى وزيادة في القامة وتعظيم للهامة.

الألوان: سئل بعض الأعراب عن ألوان الثياب فقال: الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل.

وقال ابن عباس: لو كان البياض صبغاً لتنوفس فيه. قال أفلاطون: الصبغ الشقائق والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية والنرجسية تحرك السرور. وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية وإذا مزجت التفاحية بالخمرية تحركت الطبائع كلها. انتهى من محاضرات الأدباء.

الحب في الله تعالى

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما. ومن أحبّ عبداً لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يُظِلُّهُم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه الإمامُ العادل. وشابٌّ نشأ في عبادة الله ورجلٌ معلّقٌ قلبُه في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأةٌ ذاتُ مَنْصب وجمال فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

---

(١) الكمة: القلنسوة.

نصح رجل ولده فقال: أي بني إياك وعداوة الرجال فإنها لن تعدمك مكر حليم أو مفاجأة لئيم. وقال آخر: يا بني إياك والجزع على ما فات. والطمع فيما لا يرجى فما اشتد خطب إلا وأعقبه فرج ولا انسد باب إلا وسوف ينفرج فإن الله عز وجل قد جعل مع العسر يسرين وجعل في الصبر خير الدارين وما زال مع الصبر الظفر والأنس ومع الجزع الكدر واليأس فاختر لنفسك ما يدنيك إلى الله ويقربك واطرح عنها ما يحزنك ويكربك.

كان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسْكُت فأسلم وأسمع فأعلم إن حظ المرء في أذنه له وفي لسانه لغيره. كتب رجل لحكيم يقول: لم تبخل على الناس بالكلام فقال: إن الخالق سبحانه وتعالى قد خلق لك أذنين ولساناً واحداً لتسمع أكثر مما تقول لا لتقول أكثر مما تسمع.

فصل

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلم حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» رواه البخاري ومسلم.

وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» رواه البخاري ومسلم.

بكى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى يوماً حتى أبكى من في بيته وهم لا يدرون سبب بكائه ثم قالت له زوجته فاطمة بعد أن انجلى عنه الحزن: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين لم بكيت فقال: ذكرت يا فاطمة

منصرف القوم من يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير ثم غشي عليه.
بلغ عائشة رضي الله عنها أنّ أناساً يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقالت: إن الله قطع عنهما العمل فأحب أن لا يقطع عنهما الأجر.

من الفطنة ما ذكر في ترجمة علي بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك وكان موصوفاً بقوة الفطنة وتنقل عنه حكاية عجيبة وهي أن صاحب حلب تاج الملوك أمر كاتبه أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه ففهم الكاتب أنه يقصد شراً وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكاتب كما أمر إلى أن بلغ إلى (إن شاء الله تعالى) فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة تاج الملوك فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك إني أرى في الكتاب ما لا ترون ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب: (أنا الخادم المقر بالإنعام) وكسر الهمزة من أنا وشدد النون فلما وصل الكتاب إلى تاج الملوك ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لأصدقائه: قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سديد الملك وقد أجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى: **﴿إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾** فأجاب سديد الملك بقوله تعالى: **﴿إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾** فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه.

وذكر في ترجمة ابن الفرات وزير المقتدر بالله قال وكان يُجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء أكثرهم مائة درهم في الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك.

قال الصولي ومن فضائله التي لم يُسْبَقْ إليها أنه كان إذا رفعت إليه قصة فيها سعاية خرج من عنده غلام فنادى أين فلان بن فلان الساعي فلما عرف الناس ذلك من عادته امتنعوا من السعاية.

وذكر في ترجمة حاتم الأصم قيل: لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبدالله أحمد بن حنبل اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبدالرحمٰن أنت

رجل أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأيّ معنى فقال حاتم: معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي قالوا: أي شيء هي قال: أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن له إذا أخطأ. وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله من رجل. انتهى من وفيات الأعيان.

الرافضة
ملخصاً من العقد الفريد

إنما قيل لهم: رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يرفضهما أحد من أهلِ الأهواء غيرهم. والرافضة لهم غلوّ شديد في علي رضي الله عنه ذهب بعضُهم مذهب النصارى في المسيح وهم السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ عليهم لعنة الله وقال فيهم الشاعر:

قومٌ غَلَو في علي لا أبا لهم ... وأجشموا أنفساً في حبه تعبا
قالوا: هو الله جلّ الله خالقنا ... من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا

وقد أحرقهم عليّ رضي الله عنه بالنار. ومن الروافض من يزعم أن عليّاً رضي الله عنه في السحاب فإذا أمالّت عليهم سحابة قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن. والرّوافض كلها تؤمن بالرجعة. ومن حديث ابن أبي شيبة أن عبدالله بن شداد قال: قال لي عبدالله بن عباس لأخبرنك بأعجب شيء قرع اليوم عليّ الباب رجل لما وضعت ثيابي للظهيرة فقلت: ما أتى به في مثل هذا الحين إلا أمر مهم أدخلوه فلما دخل قال: متى يبعث ذلك الرجل قلت: أي رجل قال: علي بن أبي طالب. قلت لا يبعث حتى يبعث الله من في القبور قال: وإنك لتقول بقول هذه الجهلة قلت: أخرجوه عنّي لعنه الله.

قال مالك بن معاوية قال لي الشعبي وذكرنا الرافضة: يا مالك إني دست الأهواء كلها فلم أرَ قوماً أحمق من الرافضة ثم قال: أحذرك الأهواء المضلة شرها الرافضة فإنها يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود

النصرانية. وقد أحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار ونفاهم إلى البلدان منهم عبدالله بن سبأ نفاه إلى ساباط وعبدالله بن سباب نفاه إلى الجازر وأبو الكروس. وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود قالت اليهود: لا يكون الملك إلا في آل داود وقالت الرافضة: لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب. وقالت اليهود: لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المنتظر وينادي مناد من السماء وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينزل سبب من السماء. واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئاً وكذلك الرافضة واليهود لا ترى على النساء عدة وكذلك الرافضة. واليهود تستحلّ دم كل مسلم وكذلك الرافضة. واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفت القرآن[1] واليهود تبغض جبريل وتقول هو عدوّنا من الملائكة وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب. واليهود لا تأكل لحم الجزور وكذلك الرافضة ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة في خصلتين سُئل اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا: أصحاب موسى وسُئلت النصارى فقالوا: أصحاب عيسى. وسُئلت الرافضة مَن شرّ أهل مِلّتكم فقالوا: أصحاب محمد أمرهم الله بالاستغفار لهم فَشَتَموهم. فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا تثبت لهم قدم ولا تقوم لهم راية ولا تجمع لهم كلمة دعوتهم مدحورة وكلمتهم مختلفة وجمعهم مفرق (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) وقال الشعبي ما شَبّهتُ تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من أهل مكة وجدته قاعداً بفناء الكعبة فقال: يا شعبي ما عندك في تأويل هذا البيت فإن بني تميم يغلطون فيه ويزعمون أنه إنما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر:

بَيْتا زُرارة مُحتب بِفنائه ومُجاشع وأبو الفَوارس نَهشلُ

فقلت له: وما عندك أنت فيه قال: البيت هو هذا البيت وأشار بيده إلى

---

(١) قوله حرفت القرآن لا بد أنه يقصد تحريف معانيه ومقاصده أما ذات القرآن فالله سبحانه حافظه كما قال تعالى في سورة الحجر: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

الكعبة. وزُرارةُ الحجر زُرر حول البيت فقلت له: فمجاشع قال زمزم جشِعت بالماء قلت: فأبو الفوارس قال: هو أبو قبيس جبل مكة قلت: فنهشل ففكر فيه طويلاً ثم قال: أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النّهشل. انتهى.

تفسير الآيتين آخر سورة البقرة. من تفسير شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى. قوله تعالى: **﴿آمنُ الرَّسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكَتِه وَكُتبه ورُسله لا نفرّق بينَ أَحدٍ منْ رُسله وقالُوا سَمِعنا وأطَعنا غفرانَك ربَّنا وإليكَ المصير * لا يُكلّف الله نَفساً إلاّ وُسعها لَها ما كَسبَت وعلَيْها ما اكتسَبت ربَّنا لا تُؤاخذْنآ إن نَسينا أو أخطَأنا ربَّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حَملتَه على الّذِين منْ قَبْلنا ربّنا ولاَ تحمِّلنا ما لاَ طاقةَ لَنَا به واعفُ عنّا واغْفر لنا وَارحَمنا أنتَ مولْنا فانْصرنا على القومِ الكافِرينَ﴾** ثبت عنه ﷺ أن من قرأ هاتين الآيتين في ليلته كفتاه أي من جميع الشرور وذلك لما احتوتا عليه من المعاني الجليلة فإن الله أمر في أول هذه السورة الناس بالإيمان بجميع أصوله في قوله تعالى: **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾** الآية وأخبر في هذه الآية أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين آمنوا بهذه الأصول العظيمة وبجميع الرسل وجميع الكتب ولم يصنعوا صنيع من آمن ببعض وكفر ببعض كحالة المنحرفين من أهل الأديان المنحرفة. وفي قرن المؤمنين بالرسول ﷺ والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد شرف عظيم للمؤمنين وفينه أنه ﷺ مشارك للأمة في الخطاب الشرعي له وقيامه التام به وأنه فاق المؤمنين بل فاق جميع المرسلين في القيام بالإيمان وحقوقه وقوله تعالى: **﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾** هذا التزام من المؤمنين عام لجميع ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة وأنهم سمعوه سماع قبول وإذعان وانقياد ومضمون ذلك تضرعهم إلى الله في طلب الإعانة على القيام به وأن الله يغفر لهم ما قصروا فيه من الواجبات وما ارتكبوه من المحرمات وكذلك تضرعوا إلى الله في هذه الأدعية النافعة والله تعالى قد أجاب دعاءهم على لسان نبيه ﷺ فقال: (قد فعلت) فهذه الدعوات مقبولة من مجموع المؤمنين قطعاً ومن أفرادهم إذا لم يمنع من ذلك مانع في الأفراد وذلك أن الله رفع عنهم المؤاخذة في الخطأ والنسيان وأن الله سهل عليهم شرعه غاية التسهيل ولم

يحملهم من المشاق والآصار والأغلال ما حمله من قبلهم ولم يحملهم فوق طاقتهم وقد غفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين. فنسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته وبما منّ به علينا من التزام دينه أن يحقق لنا ذلك وأن ينجز لنا ما وعدنا على لسان نبيه وأن يصلح أحوال المؤمنين.

ويؤخذ من هنا قاعدة التيسير ونفي الحرج في أمور الدين كلها. وقاعدة العفو عن النسيان والخطأ في العبادات وفي حقوق الله تعالى وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المأثم توجه الذم.

وأما وجوب ضمان المتلفات خطأ أو نسياناً في النفوس والأموال فإنه مرتب على الإتلاف بغير حق وذلك شامل لحالة الخطأ والنسيان والعمد. انتهى.

متفرقات الشعر

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بأيدي البائعين جديد

* * *

إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

* * *

إذا لم يكن فيكن ظل ولا خبا ... فأبعدكن الله من شجرات

* * *

إذا أراد كريم نفع صاحبه ... فليس يخفى عليه كيف ينفعه

* * *

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتد

* * *

أيها السائل عما قد مضى ... هل جديد مثل ملبوس خلق

* * *

إذا محاسني اللاتي أتيت بها ... عدّت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

* * *

إذا أنـت عبت المـرء ثـم أتيتـه فـأنـت ومن تـزري عـليـه سـواء

* * *

بـالملح نصلح مـا نخشى تغيـره فكيف بـالملح إن حلت بـه الغيـر

* * *

تلجـي الضـرورات في الأمـور إلى سـلوك مـا لا يـليـق بـالأدب

* * *

حيـاك من لم تكن تـرجـو تحيتـه لـولا الـدراهم مـا حيـاك إنسـان

* * *

كلوا اليـوم من رزق الإلـه وأبشـروا فـإن عـلى الخـلاق رزقـكم غـدا

* * *

كـل المصـائب قـد تمـر على الفتى فـتهـون غيـر شمـاتـة الأعـداء

* * *

نسـوّد أعـلاهـا وتـأبى أصـولهـا ولـيس إلى رد الـشبـاب سـبيـل

* * *

وإذا خـشيـت مـن الأمـور مـقـدراً وهــربـت منـه فـنحـوه تـتـوجـه

* * *

ولا يـغــررك طـول الـحـلم منـي فـمـا أبـداً تـصـادفـني حـليـمـا

* * *

ومـا المـرء إلا كـالهـلال وضـوئـه يـوافـي تمـام الـشهـر ثـم يغـيب

* * *

وإذا افتقـرت إلى الذخـائر لم تجـد ذخـراً يكـون كصـالـح الأعمـال

* * *

ومن عاش في الدنيا فلا بـد أن يرى من العيش مـا يصفـو ومـا يتكـدر

* * *

يفارقني من لا أطيق فراقه ... ويصحبني من الناس من لا أريده

* * *

قال الأمير محمد الصنعاني من قصيدة:

أفق أيها القلب الذي قاده الهوى ... وليس له غير المنى من أزمة

شربت الأماني بالحقائق ضلة ... وبعت نفيساً ناجزاً بالنسيئة

أجدك ما الدنيا وماذا نعيمها ... وهل هي إلا دار بؤس وحسرة

إذا أدركت فيها مسرة ساعة ... أتتك إساءات تنسيك بالتي

وإن عطفت فالعطف عطف توهم ... فإياك أن تغتر منها بعطفة

رأينا أناساً قد أناخت بسوحهم ... وقالت خذوا من زهرتي كل منية

فغرتهمُ حتى استباحوا حريمها ... وحطو بها الأثقال من كل شهوة

فما هي إلا أن أرتهم نعيمها ... ومدوا أعناقاً إلى كل لذة

أتتهم فأجلت عنهمُ كل شهوة ... أرادوا وأخلت عنهمُ كل غرفة

فصاروا أحاديثاً لكل محادث ... وهم سمر السمّار في كل سمرة

وللعين كانوا قرة ثم أصبحوا ... وهم عِبرة تجري بها كل عَبرة

تبدل منها كل شيء بضده ... فإياك أن تغتر منها برتبة

ومنها:

كذا عكس ذا فارفق بنفسك إنما ... لها ما قضاه الله رب البرية

وامح نقوش الجاه عن لوح خاطر ... يرى الجاه عند الناس خير مزية

فما هو إلا مثل مقلوب اسمه ... يهيج قليلاً ثم يطفى بسرعة

وله من قصيدة جواباً لأحد أصدقائه:

وما زال ذكري كل يوم وليلة ... سجاياك لما نلت كل فضيلة

فسامح أخاً لا يخلق الدهر وده ... وهل تخلق الأيام ثوب مودتي

على أنه قد مازج القلب حبكم ... فأنت غذا روحي وغاية منيتي

وحبكم في القرب والبعد واحد ... ولكنني أهوى أراكم بمقلتي

وهنأتني بالعيد لا زال عائداً ... على الكل في خير وأكمل صحة

وعذرك مقبول وحاشاك لم تكن ... تعاملني ما عشت يوماً بجفوة

وكتب له أحد أصدقائه ملغزاً في (باب):

يا من له الذهن الشريف والذكا ... فسِّرْ لنا اسماً أتاك نعته
أحكامه الفتح لدى المضاف هل ... تحكم بالفتح إذا أضفته
وليس ممنوعاً من الجر بلا ... شك فإن أردت ذا جررته
يرفعه ينصبه يجره ... يكسره الفعل إذا أردته
والجاهل الصرف يرى جنس الذي ... ألغزت في الوصف الذي وصفته
ليس له قلب ولا عين على ... أن له رجلين إن شاهدته
وحرفه الأول ثلثاه وإن ... حذفته يبقى الذي أحببته
ومن عجيب شأنه أراه إن ... قطعته تعمداً وأصلته
في جوفه النار وإن أخرجتها ... من جوفه يا سيدي أحرقته
يصلحه البرد ولا ينفع من ... برد شديد هاك ما أضمرته

فأجابه بقوله:

مولاي خذ نشر الذي طويته ... ودونك الباب الذي أغلقته
بفتح للمضاف إكراماً له ... وفتحه بالجر إن أردته
ملازم للرفع حقاً والبنا ... وقابل للفتح إن فتحته
يحفظ ما في الدار حفظ حاذق ... وجنسه صرف كما ذكرته
أصم لكن إن أتاك طارق ... ناداك إن أجبته أدخلته
تنام إن أحببت وهو قائم ... يدفع عنك كل أمر خفته
وهو ثلاثي خماسي وإن ... طردته فهو كلو عكسته
وصدره البا كما آخره ... أب إذا أحببته أكرمته
قلتم لنا ومن عجيب شأنه ... أن إذا قطعته واصلته
أعجب من هذا بأن خِلَّهُ ... أقرب شيء منه إن نظرته
وليس يدنو للعناق جزؤه ... إليه لكن إن تشا صممته
فما أظن النار في ضلوعه ... إلا من الوجد الذي عرفته
إن يصلح البرد منه عوجاً ... فقبله بالنشر قد أحييته
فهل نشرنا ماله طويتُمُ ... وهل فتحنا الباب إذا أرتَجْتَه[1]

(١) هذا اللغز المراد أبواب الخشب المستعملة بالزمان الماضي.

فائدة

من كتاب بهجة قلوب الأبرار. لشيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى.

الحديث السابع: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب. وإذا عاهد غدر. وإذا خاصم فجر» متفق عليه.

النفاق أساس الشر وهو أن يظهر الخير ويبطن الشر هذا الحد يدخل فيه النفاق الأكبر الاعتقادي الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر وهذا النوع مُخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدّرك الأسفل من النار وقد وصف الله هؤلاء المنافقين بصفات الشر كلها من الكفر وعدم الإيمان والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم لهم في عداوة دين الإسلام وهم موجودون في كل زمان ولا سيما في هذا الزمان الذي طغت فيه المادية والإلحاد والإباحية.

والمقصود هنا القسم الثاني من النفاق الذي ذكر في هذا الحديث فهذا النفاق العملي وإن كان لا يخرج من الدين بالكلية فإنه دهليز الكفر ومن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر وخلصت فيه نعوت المنافقين فإن الصدق والقيام بالأمانات والوفاء بالعهود والورع عن حقوق الخلق هي جماع الخير ومن أخص أوصاف المؤمنين فمن فقد واحدة منها فقد هدم فرضاً من فروض الإسلام والإيمان فكيف بجميعها.

فالكذب في الحديث يشمل الحديث عن الله والحديث عن رسول الله ﷺ الذي من كذب عليه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار: ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب**﴾ [الصف:٧] ويشمل الحديث عما يخبر به من الوقائع الكلية والجزئية فمن كان هذا شأنه فقد شارك المنافقين في أخص صفاتهم وهي الكذب الذي قال فيه النبي ﷺ إياكم والكذب فإن الكذب يدعو إلى الفجور وإن الفجور يدعو إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى

الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ومن كـان إذا أؤتمن على الأموال والحقـوق والأسرار خانها ولم يقم بأمانته فـأين إيمانـه وأين حقيقة إسـلامه. وكـذلك من ينكث العهـود التي بينه وبين الله والعهـود التي بينه وبين الخلق متصف بصفـة خبيثة من صفات المنـافقين وكذلـك من لا يتورع عن أمـوال الخلق وحقوقهم ويغتنم فرصها ويخاصم فيها بالباطل ليثبت باطلاً أو يدفـع حقاً فهـذه الصفات لا تكاد تجتمع في شخص ومعه من الإيمان مـا يجزىء أو يكفي فـإنها تنـافي الإيمان أشد المنافاة.

واعلم أن من أصـول أهل السنـة والجماعـة أنـه قـد يجتمـع في العبـد خصـال خير وخصـال شر وخصـال إيمان وخصـال كفـر أو نفـاق ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك وقد دل على هذا الأصـل نصوص كثيرة من الكتاب والسنة فيجب العمل بكل النصوص وتصديقهـا كلها وعلينا أن نتبرأ من مذهب الخوارج الذين يدفعون ما جـاءت به النصـوص من بقاء الإيمان وبقاء الدين ولو فعل الإنسـان من المعاصي مـا فعل إذا لم يفعـل شيئاً من المكفرات التي تخرج صاحبها من الإيمان فـالخوارج يـدفعون ذلـك كله ويرون من فعل شيئاً من الكبائر ومن خصال الكفر أو خصال النفاق خارجاً من الدين مخلداً في النار وهذا مذهب بـاطل بـالكتاب والسنـة وإجماع سلف الأمة. انتهى.

من سخاء الليث بن سعد رحمه الله.

قال أبو نعيم في الحليـة بسنده إلى عـلان بن المغيرة قـال: سمعت أبا صـالح يقـول: كنا على بـاب مالـك بن أنس فامتنـع علينا فقلنـا: ليس يشبـه صاحبنا قال: فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليـه فقال لنـا: من صاحبكم قلنـا: الليث بن سعد فقال: تشبهوني برجل كتبنا إليه في قليل عصفر نصبغ بـه ثياب صبياننا فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنـا الفضلة بألف دينار. وذكـر عن إسحاق بن إسمـاعيل الـرملي قال: سمعت ابن رميـح يقول: كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمـانين ألف دينار مـا أوجب الله تعالى عليه درهماً بزكاة قط.

وذكر أبو نعيم من كلام سفيان بن عيينة: لو أن رجلاً أصاب من مال رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء به إلى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة له ولو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه في حل ما كان في حل فعرض المؤمن أشد من ماله افقهوا ما يقال لكم. وقال وقف فضيل بن عياض على رأس سفيان وحوله جماعة فقال له: يا أبا محمد: (قل بفضل اللهوبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فقال له سفيان: يا أبا علي والله لا يفرح أبداً حتى يأخذ دواء القرآن فيضعه على داء قلبه. وذكر أنه قال: كان يقال أن يكون لك عدو صالح خير من أن يكون لك صديق فاسد لأن العدو الصالح يحجزه إيمانه أن يؤذيك أو ينالك بما تكره والصديق الفاسد لا يبالي ما نال منك.

(البعوض) قيل أنه على خلقة الفيل إلا أنه أكثر أعضاء منه فإن للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة أو يزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فإذا طعن جسد إنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى إذا جلس على عضو إنسان يتتبع مسام العروق فإنها أرق وأسرع له في إخراج الدم وعنده شره في مصه حتى قيل أنه لا يمصّ شيئاً فيتركه باختياره إلى أن ينشف أو يطار ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع. وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دماً وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها إذا طعنت في ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحدّ لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته. ومن الحكم التي أودعها الله تعالى إياها أن جعل فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفاً ومخاً وعروقاً وعظاماً فسبحان من قدّر فهدى ولم يترك شيئاً سدى وقال الزمخشري في تفسير سورة البقرة في ذلك:

يا من يرى مد البعوض جناحها — في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها — والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم في أوداجها — متنقلاً من مفصل في مفصل

ويرى وصول غذاء الجنين ببطنها في ظلمة الأحشاء بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها في سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها في قاع بحر مظلم متهوّل
امنن عليّ بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأوّل

* * *

(الباز) كنيته أبو الأشعث وهو من أشد الحيوان تكبراً وأضيقها خلقاً. وذكروا من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازاً فغاب قليلاً ثم أتى وفي فيه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إن الجوّ معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ علي هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. والله أعلم.

فصل

من بدائع الفوائد لابن القيم رحمه الله تعالى:

الله سبحانه مهد الأرض لآدم وذريته قبل خلقه فقال: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ وقضى أن يعرفه قدر المخالفة وأقام عذره بقوله: ﴿**فأزلهما الشيطان**﴾ وتداركه برحمة بقوله: ﴿**ثم اجتباه ربه**﴾ يا آدم لا تجزع من كأس خطأ كان سبب كيسك فقد استخرج منك داء العجب وألبسك رداء العبودية ﴿**لو لم تذنبوا**﴾ لا تحزن بقولي لك ﴿**اهبطوا منها**﴾ فلك خلقتها ولكن اخرج إلى مزرعة المجاهدة واجتهد في البذر واسق شجرة الندم بساقية الدمع فإذا عاد العود أخضر فعد لما كان.

منصب الخلة منصب لا يقبل المزاحمة بغير المحبوب وأخذ الولد شعبة من شعاب القلب غار الحبيب على خليله أن يسكن غيره في شعبة من شعاب قلبه فأمره بذبحه فلما أسلم للامتثال خرجت تلك المزاحمة وخلصت المحبة لأهلها فجاءته البشرى ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾ ليس المراد أن يعذب ولكن يبتلى ليهذب.

ليس العجيب من أمر الخليل بذبح الولد إنما العجيب من مباشرة الذبح بيده ولولا الاستغراق في حب الآمر لما هان مثل هذا المأمور فلذلك جعلت آثارها مثابة للقلوب تحن إليها أعظم من حنين الطيور إلى أوكارها.

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر: العلم والعمل توأمان أمهما علوّ الهمة والجهل والبطالة توأمان أمهما إيثار الكسل. أيها المعلم تثبت على المبتدي وقدر في السرد فللعالم رسوخ وللمتعلم قلق ويا أيها الطالب تواضع في الطلب فإن التراب بيننا هو تحت الأخمص صار طهوراً للوجه. تجلى عليك عروس المعرفة ولكن على غير كفء وإنما يحل النظر إذا كان العقد جائزاً فغض الطرف إنك من نمير ليس العالم شخصاً واحداً العالم عالم تصانيف العالم أولاده المخلدون دون أولاده.

من خلق للعلم شف جوهره من الصغر. طول السهر مفض إلى طيب المرقد والهوان في ظل الهوينا كامن وجلالة الأخطار في ركوب الأخطار.

من عجيب الاتفاق. يزيد وزياد ومدرك بنو المهلب بن أبي صفرة ولدوا في عام واحد وقتلوا في عام واحد وعاش كل منهم ثمانياً وأربعين سنة.

أربعة أنفس ولد لكل منهم مائة ولد أنس بن مالك. وعبدالله بن عمر الليثي وخليفة السعدي وجعفر بن سليمان الهاشمي.

تلخيص فصل

من نبت جسمه على الحرام فمكاسبه كبريت به يوقد عليه.

الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب. أتراهم نسوا طي الليالي لمن تقدمهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فما هذا الاغترار وقد خلت من قبلهم المثلات فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم. من لهم إذا طلبوا العودة فحيل بينهم وبين ما يشتهون سبحان الله كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة واحترقت كبد يتيم وجرت دمعة مسكين ﴿**كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون**﴾ ﴿**ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾ ما ابيض لون رغيفهم حتى اسود لون ضعيفهم وما سمنت أجسامهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه لا تحتقر

دعاء المظلوم فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك ويحك نبال أدعيته مصيبة وإن تأخر الوقت قوسه قلبه المقروح ووتره سواد الليل وأستاذه صاحب ﴿**لأنصرنك ولو بعد حين**﴾ وقد رأيت ولكن لست تعتبر.

احذر عداوة من ينام وطرفه باك يقلب وجهه في السماء يرمي سهاماً ما لها غرض سوى الأحشاء منك فربما ولعلها إذا كانت راحة اللذة تثمر ثمر العقوبة لم يحسن تناولها.

ما تساوي لذة سنة غم ساعة فكيف والأمر بالعكس.

وأنت أيها المظلوم فتذكر من أين أُتيت فإنك لا تلقى كدراً إلا من طريق جناية ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ كان لبّان يشوب الماء باللبن فجاء سيل فذهب بالغنم فجعل يبكي فهتف به هاتف اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً ولسان الجزاء يداك أوقدتا وفوك نفخ اذكر غفلتك عن الأمر والأمر وقت الكسب ولا تنس اطراح التقوى عند معاملة الخلق فإذا انقض غاصب فسمعت صوت سوطه يضرب عقد المكسب جزاء لخيانته العقود فلا تستعظم ذاك فأنت الجاني والبادي أظلم.

أجوبة مسكتة:

حكي أن الحجاج خرج يوماً متنزهاً فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فإذا هو بشيخ من بني عجل فقال له: من أين أيها الشيخ قال: من هذه القرية قال: كيف ترون عمّالكم قال: شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال: فكيف قولك في الحجاج قال: ذاك ما ولي العراق شر منه قال: تعرف من أنا قال: لا قال: أنا الحجاج قال: جعلت فداك أو تعرف من أنا قال: لا قال: أنا فلان بن فلان من بني عجل أُصرع في كل يوم مرتين فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة. وقال رجل لصاحب منزل: أصلح خشب هذا السقف فإنه يفرقع قال لا تخف فإنه يسبح قال: إني أخاف أن تدركه رقة فيسجد.

وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبي صغير أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص ـ لفص كان في يده ـ قال: نعم يا أمير المؤمنين اليد التي هو فيها أحسن منه. فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة. وقيل أن رجلاً سأل العباس رضي الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله.

نبذة من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: **﴿يا أَيُّها الَّذِين آمنُوا اتَّقُوا الله وابْتَغُوا إلَيْهِ الوسيلةَ وجَاهِدُوا في سَبِيلِهِ لعَلَّكم تُفْلِحونَ﴾** هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه وذلك بأن يجتهد العبد ويبذل غاية ما يمكنه المقدور في اجتناب ما يسخط الله من معاصي القلب واللسان والجوارح الظاهرة والباطنة ويستعين بالله على تركها لينجو بذلك من سخط الله وعذابه **﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾** أي القرب منه والحظوة لديه والحب له وذلك بأداء فرائضه القلبية كالحب له وفيه والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والبدنية كالزكاة والحج والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها من أنواع القراءة والذكر ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه والبدن والنصح لعباد الله فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله له الدعاء ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه الجهاد في سبيله وهو بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال والنفس والرأي واللسان والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد لأن هذا النوع من أجلّ الطاعات وأفضل القربات ولأن من قام به فهو على القيام بغيره أحرى وأولى **﴿لعلكم تفلحون﴾** إذا اتقيتم الله بترك المعاصي وابتغيتم الوسيلة إلى الله بفعل الطاعات وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب والنجاة من كل مرهوب فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم ومن الفتاوى:

س: هل يجوز للمرأة الانفراد عن الصف ومعها نساء؟

ج: إذا كان في المسجد نساء غيرها يصلين مع الإمام فيجب عليهن المصافة كالرجال وإذا كانت وحدها فلا بأس.

س: ما حكم تأخير الصبيان عن مقدم الصفوف؟

ج: الصبيان إذا كانوا في الصف الفاضل فالذي أرى أنهم لا يؤخرون لأنهم تقدموا واستحقوا المكان ويتركون لأجل ترغيبهم.

ذكاء الصبيان في الكتاب

قال مؤدب يزيد بن عبدالملك له لم لحنت. فقال الجواد يعثر فقال المؤدب إي والله ويضرب حتى يستقيم. فقال: يزيد وربما يرمح سائسه فيكسر أنفه. ويروى عن ابن السكيت قال: أحضرت لأتخذ على المعتز بالله فقلت له: بأي شيء نبدأ اليوم فقال: بالخروج فقلت: نعم. فعدا من بين يدي وعثر على المرمر فقال:

يموت الفتى من عثرة بلسانه   وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فقلت للمتوكل: جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني فأمر لي بعشرة آلاف درهم. وقال أبو محمد يحيى وكان مؤدب المأمون في صغره. صليت يوماً قاعداً فأخطأ المأمون فقمت لأضربه فقال: أيها الشيخ أتطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً. فكتبت بهذا إلى الرشيد فأمر لي بخمسة آلاف درهم.

صبي استدل بعقله على كبر همته.

قيل: أول ما عرف من سؤدد خالد القسري: أنه مر في بعض طرق دمشق راكباً وله عشر سنين فوطىء فرسه صبياً فوقف عليه فرآه لا يتحرك فانتهى إلى أول مجلس مرَّ به فقال: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم. وكان عبدالملك صغيراً فأربىٰ عليه صبي فضربه فقيل له: لو شكوته إلى عمك لانتقم منه فقال: أنا لا أعد انتقام غيري انتقاماً.

الايجاز بالكلام

قيل من أطال الحديث فقد أصحابه للسآمة وسوء الاستماع. وقيل الكلام إذا طال اختل وإذا اختل اعتل.

سئل جعفر بن يحيى عن أوجز كلام فقال: قول سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم * ألّا تعلوا علي وأتوني مسلمين) فجمع في ثلاثة أحرف العنوان والكتاب والحاجة وإظهار الدين وعرض الرشاد إلى المكتوب إليهم. وقال جعفر: إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار هذراً. وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً.

خطب رجل خطبة نكاح فأطال فقام بعض الحاضرين فقال: إذا فرغ الخطيب فبارك الله لكم فإني على شغل.

الموصوف بالفصاحة: سمع أعرابي الحسن يتكلم فقال: هو فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ وقال:

ملقن ملهم فيما يحاوله   جم خواطره جواب آفاق

وقيل انتهت الفصاحة إلى أربعة علي وابن عباس وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم.

قال عبدالله بن الحسين لابنه استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعو نفسك إلى الكلام فإن للقول ساعات يضر خطؤها ولا ينفع صوابها وقيل: من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

الحث على كفارة اليمين: قال النبي ﷺ: «إذا حلف أحدكم على يمين فرأى غيرها خيراً له منها فليأت الذي هو خير. وليكفر عن يمينه» وقال أبو العيناء أتي بأحد الولاة ممن كان بالسند بين يدي المتوكل فقال: والله لأضربنه بالسياط ووالله لا يشفع فيه أحد إلا ضربت ظهره وبطنه وكان ابن أبي دؤاد حاضراً فتركه حتى ضربه عشرين سوطاً ثم قال: يا أمير المؤمنين في هذا أدب وإن تجاوزت فسرف فقال له: أما سمعت يميني فقال: بلى ولكن ما كان

أمير المؤمنين ليؤثر غيظه على ما قال نبيه وابن عمه صلوات الله عليه وعلى آله. قال: «من حلف على شيء فرأى خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» وكفارة أمير المؤمنين مع العلو أقرب إلى الله وأفضل فعفا عنه وكفر عن يمينه. سأل بعض الناس بعض الخلفاء حاجة فقال: حلفت أن لا أفعل فقال: يا أمير المؤمنين إن لم تكن حلفت بيمين إلا بررتها فما أحب أن أكون أول من يؤثمك وإن كنت ربما حلفت فرأيت ما هو خير منها فكفرتها فلست أحب أن أكون أهون إخوانك عليك فقال: سحرتني وقضى حاجته.

أيمان الأعراب: اختصم أعرابيان في حق فأقبلا إلى والٍ فوجبت اليمين على أحدهما فقال المدعي كله إليّ أيها الحاكم أحلفه فقال له: أنت وذاك فدور له دائرة في الأرض وقال: إجلس فيها فجلس فقال له: جعل الله نومك نغصاً. وأكلك غصصاً. ومشيك رقصاً. ومسحك برصاً، وقطعك حصصاً. فأدخلك قفصاً، وأدخل في أستك هذا العصا. فأبى أن يحلف واتقاه بحقه: واستحلف أعرابي خصماً فقال: قل لا أصحبني الله عصمة. ولا سد عني خلة، وأحضرني كل نقمة. وأثكلني كل نعمة، وصرد لي المشرب، وسلبني الأقرب فالأقرب، إن كان ما ادعيت حقاً فاتقاه بحقه، اختصم أعرابيان إلى أمير اليمامة فقال أحدهما: إن لي قبل صاحبي حقاً فمره يخرج منه فأنكر فقال الوالي: أحالف أنت قال: نعم فقال خصمه: دعني من يمينك حتى أحلفه فقال: قل لا ترك الله لي خفاً يتبع خفاً. ولا ظلفاً يتبع ظلفاً. وحتني من أهلي ومالي حت الورق. وخلعني من أهلي ومالي خلع الخضاب وأحوجني إلى شر خلق الله إن كان لهذا قبلي حق فقال لا أحلف واتقاه.

وقال أعرابي لآخر في حق أتحلف فقال: نعم فقال: قل ألزمني الله الزلل. ولا سد عني الخلل، وألبسني القل والملل، وألصق بي الغم والعلل، وقطع عني سببه، وأصحبني غضبه، وأحضرني نقمه وأعدمني نعمه وكدر لي المشرب وأفقدني الأقرب فالأقرب. إن كان لك عندي حق فاتقاه ولم يحلف كان قوم عليهم دين لأعرابي فقَدموا على أن يحلفوا فقال الأعرابي:

يا ربّ إن كانَ بنو عميرَة قد أجمعوا بحلفةٍ مشهورَة

فـابعَثْ إليهم سنَـةً قـاشـورَة   تـختلقُ المـالَ احتـلاقَ النـورَة

دخـل رجل على أبي دلف فـاستماحـه وانتسب له فقـال لـه: أتستميـح وجدك القائل:

ومن يفتقـر منـا يعش بـحسـامـه   ومن يفتقـر من سـائـر النـاس يسـأل

فخرج الرجـل وجرد سيفـه فاستقبله وكيـل لأبي دلف معه مـال فاستلبـه وقتله فاتصل الخبر بأبي دلف فقال دعوه فإني علمته.

الاقتصاد

قال أبو بكـر رضي الله عنه إني لأبغض أهـل بيت ينفقون رزق أيـام في يوم واحد: وقيل: ما وقع تبذير في كثير إلا هدمه. ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمره.

قال بعضهم: وجدت خير الدنيـا والآخرة في شيئين وشـرهما في شيئين خيرهما الغنى والتقى. وشرهما الفقر والفجور.

صعوبة مقاسات الجوع: قَتَل رجل بصفين أبا امرأة وابنها وأخاها وعمها وعشرين من أهل بيتها. ثم أتت تسأله فقال: ما أظن على ظهر الأرض أبغض إليـكِ مني فقالت بلى: إن الـذي ألجاني إليـك أبغض إليّ منـك وهـو جـوع بطني قال عبدالملك للهيثم بن الأسـود كم مالـك فلم يخبره بـه فقيل لـه في ذلك فقال صاحب المال بـإحدى منـزلتين إن كان كثيـراً حُسد وإن كـان قليلاً حُقر.

وقيل رضيَ بالذل من كشف ضره وبالحسد من كشف يسره.

سمـع صبيٌ فقير امـرأة في جنازة تقـول يذهبـون بك إلى بيت ليس لـه غـطاء ولا وطـاء ولا عشـاء ولا غـداء ولا سـراج. فقـال الصبي يـا أبت إنهم يذهبون به إلى بيتنا.

وقال جحظة:

جـاء الشتـاءُ ومـا عنـدي لـه ورقٌ   ممـا وهبـت ولا عنـدي لـه خـلع

كـانت فبـدّدهـا جـودٌ ولعتُ بـه وللمسـاكين أيضـاً بـالنـدى ولـع

طيب عيش من لا مال له ولا عيال: قال أبو حازم:

فـلا ولـدٌ يـروعـني بـسـقـمٍ ولا مـالٌ عـلى شـرفِ الـشـواء
ولا لـي صـاحـبٌ أبـكـي عـليـه ولا عـقـبٌ أُخـلّف مـن ورائـي

وقال ابن عبد القدوس:

الله أحـمـد شـاكـراً فـبـلاؤه حـسـنٌ جـمـيـلُ
أصـبـحـتُ مـسـتـوراً مُـعـا فـى بـيـنَ أنـعُـمِـهِ أجـولُ
خـلو مـن الأحـزان خـفّ الـظهـر يقنعني القليـل
حـرّاً فـلا مـنٌّ لـمـخـلوقٍ عـلي ولا سـبـيـل
ونـفيـت بـاليـأسِ الـمـنى عـني فـطاب لـي الـمقـيـل

* * *

غيره:

إذا كـان لي قـوتٌ بيـومي وصحـةٌ فـلا حـال أرجـو بعـدهـا أن أنـالهـا
ولـم أتـتـبـع رتـبـة إن بـلغـتـهـا أخـاف بعـزلٍ أو بمـوتٍ زوالهـا

بينما فَتْح الموصلي في أصحابه إذا بصبيين معهما رغيفان على رغيف أحدهما كامخ وعلى رغيف الآخر عسل فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل أطعمني من عسلك فقال: أطعمك على أن تكون لي كلباً فقال: أنا كلبك فجعل في فمه خرقه يجره بها فالتفت فتح إلى أصحابه وقال: لـو قنع هـذا بكامخه لم يصر كلباً لصاحب العسل.

قال ابن الرومي:

إذا أنـا نـالتني فـواضـلُ مفضـلٍ فـأهـلاً بهـا مـا لم تكن بهـوانِ
فـأمـا إذا كـان الهـوانُ قـرينَهـا فـبعـداً لـهـا مـا ينـقـضـي لأوان
ومَن ذا الـذي يلتـذُّ شهـداً بعلقمٍ أبـت لـهـواتـي ذاكَ والـشـفـتـان
أريـدُ مكـانـاً من كـريم يصـونني وإلا فـلـي رزقٌ بـكـلّ مـكـان

قال شريح: من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق فإن قضاها

المسؤول استعبده بها وإن رده رجع حراً وهما ذليلان هذا بذل اللؤم وهذا بذل السؤال.

قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في كتاب الفتاوى:

في الحياة الطيبة: قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أجرَهُمْ بأحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وعد الله ومن أصدق من الله قيلاً. من جمع بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح أن يُحييه في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة وأن يجزيه في الآخرة أفضل الجزاء وخيره فالحياة الطيبة اسم جامع لما يحصل به سرور القلب وراحته وطمأنينته وعدم قلقه واضطرابه في جميع مقامات الحياة. والبدن بالطبع تابع للقلب في راحته وضدها. فمن آمن إيماناً صحيحاً بأن آمن بوحدانية الله وتوحده في الربوبية والألوهية وانفراده في الخلق والرزق والتدبير والنعم الظاهرة والباطنة واطمأن لخبر الله وخبر رسوله اعترافاً وتصديقاً ولأمره ونهيه إذعاناً وانقياداً وعملاً وذلك يتضمن تصديق الخبر وامتثال الأمر واجتناب النهي من قام بذلك حقّ القيام فلا بد أن يتحقق له هذا الوعد ومن فاته ذلك أو بعضه فاته من هذه الحياة الطيبة بحسب ما ضيعه ونقصه واعتبر ذلك بجميع مقامات هذه الحياة وتنقلات العبد فيها من غنى وفقر وسراء وضراء ومرض وصحة وحصول محبوبات ووقوع مكاره ومصيبات وقيام بعبوديات وحقوق ومعاملات وجميع ما يعرض للعبد من التصرفات فإنه إذا استصحب الإيمان الكامل تنقل في هذه المقامات بسكون وطمأنينة وقناعة واحتساب للثواب وخوف من العقاب وكان عند النعماء والمحبوبات من الشاكرين وعند المكاره والمصائب من الصابرين المحتسبين المرتقبين من الله أعظم الثواب وكان ساعياً في المغنم في سرائه وضرائه وإن قام بالعبادة التي بينه وبين الله كان داخلاً في سرور قلبه ونعيم روحه ورأى أن قطع أوقاته ونفاد ساعاته في كل ما يقربه إلى رب العالمين خير ما تنافس فيه المتنافسون وأن هذا هو حقيقة الحياة التي من جرمها فهو مغبون غبناً لا ربح بعده. وإن قام بحقوق من له حق عليه من والدين وأولاد وأهل ومماليك وأقارب وجيران وأصحاب ونحوهم كان الداعي له إلى ذلك طلب القرب من ربه واحتساب الأجر عنده

واكتساب الفضائل والسلامة من الرذائل فكان في قيامه بها مسرور القلب مطمئن النفس لا يبالي بتعب بدنه ولا بنفقة ماله لأنه يعتقد بذلك أنه تاجَر مع الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وإن تناول لذاته وشهواته المباحة وقام بالكسب المباح مما يسره الله له نوى بذلك الاستعانة على طاعة المولى المنعم والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة فهو يتنقل في هذه الأمور وروح التقرب ورجاء الثواب والأجر وارتقاب الخير العاجل والآجل ملء قلبه وحشو فؤاده ومع ذلك فهو يطمع في آخرته بكل خير عظيم وثواب جسيم فهذه الحياة لا يمكن التعبير عن كنهها ولذاتها وطيبها فقس بها حياة فاقد الإيمان والعمل الصالح الذي لا هم له إلا ما أكل وشرب وكسب لا غاية له يرجوها ولا أصل له يبني عليه فهذا من أين له الراحة والطمأنينة والفرح والسرور وعيشته أدنى من عيشة البهائم السالمة من الهموم القلبية والآلام الروحية فهذا قد خسر الدنيا والآخرة وحصلت له الصفقة الخاسرة انتهى.

قال السفاريني في أول صحيفة من كتابه غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب:

لعمري لقد أنفقتُ في العلم قوّتي	ولم آلُ جُهداً في اقتناصي العواليَا
وطُفتُ وفتشتُ الطروس وليتني	خلصتُ كفافاً لا عليَّ ولا ليا

وقال ص ١ / ٥٠ : وقال الشيخ عماد الدين الواسطي في بعض رسائله إذا أراد الله بعبده خيراً أقام في قلبه شاهداً من ذكر الآخرة يريه فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة ودوامها فيزهد في الفاني ويرغب في الباقي فيبدأ بالسير والسلوك في طريق الآخرة وأول السير فيها تصحيح التوبة والتوبة لا تتم إلا بالمحاسبة ورعاية الجوارح السبعة العين والأذن الخ. وكفها عن جميع المحارم والمكاره والفضول هذا أحد شطري الدين ويبقى الشطر الآخر وهو القيام بالأوامر فتحقيق الشطر الأول وهو ترك المناهي من قلبه وقالبه أما القالب فلا يعصي الله بجارحة من جوارحه ومتى زال أو أخطأ تاب وأما القلب فينقى منه الموبقات المهلكات مثل الرياء والعجب والكبر والحسد والبغض لغير الله وحب الدنيا ورد الحق واستثقاله والازدراء بالخلق ومقتهم وغير ذلك من

الكبـائر القلبيـة التي هي في مقابلة الكبـائر القـالبية من شـرب الخمر والـزنـا والقذف وغير ذلك فهذه كبائر ظاهرة وتلك كبائر باطنة قـال: فمن انطوى على شيء من الكبائر الباطنية ولم يتب حبط عمله بـدليل لا يـدخل الجنـة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. وجاء أن الحسـد يأكـل الحسنات كمـا تأكـل النار الحطب. وجاء: يقول الله تعالى أنـا أغنى الشركـاء عن الشرك من عمـل عملاً فأشرك معي فيه غيري تركته وشركه وقال تعالى: ﴿**فمن كان يرجـوا لقاء ربـه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربـه أحداً**﴾ فمتى تنقى القلب من مثـل هذه الخبائث والرذائل طهر وسكنت فيه الـرحمة في مكـان البغض والتواضـع في مقابلة الكبر والنصيحة في مقابلة الغش والإخلاص في مقابل الرياء ورؤية المنة في مقابلة العجب ورؤية النفس فعند ذلك تزكو الأعمال وتصعد إلى الله تعـالى ويطهـر القلب ويبقى محلاً لنـظر الحق بمشيئة الله ومعـونته فهـذا أحد شطري الدين وهو رعايـة الجوارح السبعـة عن المآثم والمحـارم وإنما تصلح وتـطهر بـرعايـة القلب وطهارتـه من المـوبقـات والجـرائم ومعنى المـوبقـات المهلكات. أخرج البخـاري ومسلم وأبو داود والنسـائي عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبـع الموبقـات» قيل يـا رسول الله وما هن قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكـل مـال اليتيم وأكل الـربا والتـولي يـوم الـزحف وقـذف المحصنـات الغـافـلات المؤمنات».

وقـال ص ١/٨١ قال ابن الجـوزي في كتاب آداب النسـاء: واعلم أن أصـل العشق إطلاق البصـر وكما يخـاف على الرجـل من ذلـك يخـاف على المرأة قال: وقد ذهب دين خلق كثير من المتعبـدين بإطـلاق البصر ومـا جلبه فليحذر من ذلك انتهى.

وقال الشيخ مـوسى الحجاوي في شـرح الآداب وجدت في ظهـر ورقة في كتاب أبياتـاً منظومـة كأنهـا والله أعلم جواب سؤال رجـل كان يعلم أولاداً مرداً فخاف أن تميل نفسه إليهم أو كادت تميل هذا ما وجدت.

أيـا سـائـلاً بـالله إن كنت ذا تقى ... وتـرجـو ثـواب الله في جنـة الخلد
فـإيـاك والأحـداث لا تقـربنـهم ... ولا تـرسلن الطرف فيهم على عمـد

وإرسال طرف منك لا تحقرنه ... ففي ضمنه سهم يفوق على الهند
فإنك إن أرسلت طرفك رائداً ... تمتعته يا صاح بالناعم الخد
تبوء بإثم ثم تسلب أنعماً ... ثلاثاً بهن الله يهدي إلى الرشد
حلاوة إيمان ونور فراسة ... وثالثها إيمان ذي القوة الجلد
فما بعد ذا الخسران ربح فخلهم ... يعلمهم ذو عفة حسن القصد

ومن العزلة. ص ٢/٣٩٣ قال ابن الجوزي وفصل الخطاب في العزلة والاختلاط أن الناس على ضربين عالم وعابد فالعالم لا ينبغي له أن ينقطع عن نفع الناس فإنه خلف الأنبياء وليعلم أن هداية الخلق أفضل من كل عبادة وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحداً خير لك من حمر النعم» قال فمتى جاء الشيطان فحسن للعالم الانقطاع عن الخلق جملة فذاك خديعة منه بل ينبغي للعالم أن يعتزل شرّ ما يؤذي ويبرز لمن يستفيد فظهوره أفضل من اختفائه. والعابد إن كان عابداً لا ينافس في هذا فإن من القوم من شغلته العبادة كما روي أن الحسن رأى رجلاً متعبداً فأتاه فقال: يا عبدالله ما منعك من مجالسة الناس فقال: ما أشغلني عن الناس قال: فما منعك أن تأتي الحسن قال: ما أشغلني عن الحسن قال: فما الذي أشغلك قال: إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي به بالاستغفار للذنب والشكر لله على النعمة فقال له: أنت عبدي أفقه من الحسن ومن القوم من غلبت عليه محبة الحي القيوم فلا يحصل له أنس ولا طيب عيش إلا بانفراده بربه فمثل هؤلاء عزلتهم أصلح لهم. نعم لا ينبغي أن تشغلهم العزلة عن الجماعات ومجالسة العلماء فإن منعتهم كانت غير محمودة وعلى كل حال العزلة حمية وسلم للسلامة ولكن لا بد من معرفة الأحكام ليعبد الله على علم. ولله در الحميدي حيث يقول الناس:

لقاء ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

وقال الحافظ السيوطي:

إني عزمت وما عزمي بمنجزم ... ما لم تساعده ألطاف من الباري

أن لا أصــاحب إلا من خبــرتهـم ... دهـراً مـديـداً وأزمـانـاً بـأسفـاري
ولا أجـالس إلا عـالـمـاً فـطنـاً ... أو صـالحـاً أو صـديقـاً لا بـإكثـار
ولا أسـائـل شخصـاً حـاجـة أبـداً ... إلا اسـتـعـارة أجـزاء وأسـفـار
ولست أحـدث فعـلاً غيـر مفتـرض ... أو مستحب ولم يـدخـل بـإنكـار
مـا لم أقـم مستخيـراً لله متـكـلاً ... وتـابـعـاً مـا أتى فيـهـا بـآثـار

فالعاقل إنما يخالط الأفاضل والأماثل من أهل التعبد والعلم والتسدد والحلم فإذا كنت ولا بد مخالطاً فعليك بمخالطة العالم الناصح الذي:

يفيـدك من علم وينهـاك عن هـوى ... فصـاحبـه تُهدى من هُـداه وتـرشـد

* * *

غيره:

فصـاحب نقيـاً عـالمـاً تنتفـع بـه ... فصحبـة أهل الخيـر ترجى وتـطلب
وإيـاك والـفسـاق لا تـصحـبنـهـم ... فقـربهـم يعـدي وهـذا مـجـرب
فـإنـا رأينـا المرء يسـرق طبعـه ... من الإلف ثم الشـر للنـاس أغلب
كـمـا قيـل طـين لاصـق أو مؤثـر ... كـذا دود مـرج خضـرة منـه يكسب
وجـانب ذوي الأوزار لا تقـربنهـم ... فقـربهـم يـردي وللعـرض يـثلب

من أخبار الحمقى والمغفلين: قال أحدهم لابنه: يا بني إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويحب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه: ما فعلت قال: قد حفظتها قال: وما هي قال: استمع الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه. ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح فقال له أبوه أمسك لأقم الصلاة فإني على غير وضوء.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار:

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقاً عليه فقال شعراً فيه:

إذا مـا الفتى لم يَبـغ إلا لبـاسـه ... ومـطعمـه فـالخيـر منـه بـعيـدُ
يـذكّـرني خـوف المنـايـا ولم أكن ... لأهـرب ممـا ليس منـه مَحيـد

فلو كنت ذا مـال لقـرّب مجلسي		وقيـل إذا أخـطأت أنـت رشيـد
رأيت الغنى قد صار في الناس سؤدداً		وكـان الفتى بـالمكـرمـات يسـود
وإن قلتُ لم يُسمـع مقـالي وإنّني		لـمبـدي حـقّ بـينـهـم ومـعـيـد
فـذرنـي أُجَـوّل في البـلاد لعله		يـسـرّ صـديـق أو يـساء حـسـود
ألا ربّـمـا كـان الشّفيـق مضـرّة		عـليـك من الإشـفـاق وهـو وَدود

وقرأت في كتاب الهند ليس من خلّة يمدح بها الغنيّ إلاّ ذمّ بها الفقير فإن كان شجاعاً قيل أهْوجُ. وإن كان وقُوراً قيل بليد وإن كان لسناً قيل مهذار. وإن كان زمّيتاً قيل عيي. (الزمّيت كثير الوقور).

ذم الغنى ومدح الفقر

قال أكثم بن صيفي ما يسرني أني مكفي كل أمر الدنيا قيل وإن أسمنت وألبنت قال: نعم أكره عادة العجز وكان يقال: عيب الغِنَى أنه يورث البَلَه وفضيلة الفقر أنه يورث الفكر. وقال بعض المتكلمين في ذمّ الغنى ألم تر ذا الغنى ما أدوم نصبه وأقل راحته وأخس من ماله حظه وأشدّ من الأيام حذره ثم هو بين سلطان يرعاه وحقوق تسترثيه وأكفاء يتنافسونه وولد يودّ فراقه قد بعث عليه الغنى من سلطانه العَنَاء ومن ألفائه الحسد ومن أعدائه البَغْيَ ومن ذوي الحقوق الذمّ ومن الولد الملامة لا كذي البلغة قنع فدام له السرور ورفض الدنيا فسلم له الجسد ورضي بالكفاف فتنكبته الحقوق.

قال لي بعض أصحابنا سمعت رجلًا ينشد:

ألا رُبّ ذي أجـل قـد حـضـر		طـويـل الـتمني قـليـل الفِـكـر
إذا هـزّ فـي الـمـشـي أعـطافـه		تـبـيّـنـتَ فـي مـنـكـبـيـه الـبـطـر

قال: فغدوتُ عليه لأكتب تمامَ القصيدة فوجدتُه قد مات.

قال المدائني رأيت فلاناً يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته بعد ذلك راجلًا في سفر فقلتُ له أراجل في هذا الموضع قال: نعم إني ركبتُ حيث يمشي الناسُ فكان حقاً على الله أن يُرْجلَني حيث يركب الناس.

قيل لأعرابي ما أحسَنَ الثناء عليك فقال: بلاء الله عندي أحسنُ من وصف المادحين وإن أحسنوا وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن كثروا فيا أسفاً على ما فرطتُ ويا سوءتا مما قدمت.

قال الشعبي تعايَش الناسُ زماناً بالدّين والتّقوى ثم رُفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ثم رُفع ذلك فما يتعايش الناسُ إلا بالرغبة والرهبة وأظُنه سيجيء ما هو أشدّ من هذا.

كان يقال: ما أحسنَ الإيمان يَزيّنهُ العِلمُ وما أحسنَ العِلمَ يُزينهُ العملُ وما أحسنَ العملَ يُزينه الرفقُ وما أضيفَ شيء إلى شيء أزيَن من حلم إلى علم ومن عفو إلى مقدرة. وكان يقال: من حَلُم ساد ومن تَفَهّم ازداد والعرب تقول: احْلُمْ تَسُدْ.

استطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال: استغفر الله من الذنب الذي سُلّطتَ به عليّ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة وتعلّموا النسبَ فَرُبَّ رحمٍ مجهولة قد وُصلت بنسبها.

يروى أنه دخل أعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون.

قال عمر بن عبدالعزيز لمؤدّبه كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني قال: أحسن طاعة قال: فأطعني الآن كما كنتُ أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شَفَتاك ومن ثوبك حتى يبدوَ عَقباك.

قصة

قال سهل: وحدثني العتبي قال: حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه قال: كنت عند المهاجر بن عبدالله والي اليمامة فأتي بأعرابي قد كان معروفاً بالسَّرق فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك قال: إنها لكثيرة ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسْبَق وكانت لي خيل لا تلحق فكنت لا

أخرج فأرجع خائباً فخرجت يوماً فاحترشتُ ضباً فعلقته على قتبي ثم مررت بخباء سريّ ليس فيه إلّا عجوز فقلت: أخلق بهذا الخبأ أن له رائحة من غنم وإبل فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مشدَّن اللحم ومعه عبد أسود وغد فلما رآني رحب بي ثم قام إلى ناقة فاحتلبها وناولني العُلْبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أنيق فشرب ألبانهن ثم نحر حُواراً فطبخه ثم ألقى عظامه بيضاً وحثا كُومةً من بطحاء وتوسّدها وغطّ غطيط البكر فقلت: هذه والله الغنيمة ثم قمت إلى فحل إبله فخطمتُه ثم قرنته إلى بعيري وصحْتُ به فاتبعني الفحل واتبعته الإبل إرْبَاباً به فصارت خلفي كأنها حبل ممدود فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة المسرع فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر فأبصرت الثنيّة فإذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره فقال: أضيفنا قلت: نعم قال: أتسخو نفسك عن هذه الإبل قلت: لا فأخرج سهماً كأن نصله لسان كلب ثم قال: أبصر بين أذني الضب ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ثم قال: ما تقول قلت: أنا على رأيي الأول قال: انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى ثم رمى به فكأنما قدر بيده ثم وضعه بأصبعه ثم قال: أرأيتَ قلت إني أحب أن أستثبت قال: انظر هذا السهم الثالث في عُكْوة ذنبه والرابعَ والله في بطنك ثم رماه فلم يخطىء العُكْوة فقلت: أنزل آمناً قال: نعم فنزلت فدفعت إليه خِطَام فحله وقلت: هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي فلما تنحَّيت قال لي: أقبل فأقبلت والله خوفاً من شره لا طمعاً في خيره فقال: أي هذا ما أحسبك جشمت الليلة ما جشمت إلا من حاجة، قلت: أجل قال: فاقْرُن من هذه الإبل بعيرين وامض لطيتك قلت: أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلاً ثم قلت والله ما رأيت أعرابياً قط أشدّ ضِرساً ولا أعدى رِجْلاً ولا أرمى يداً ولا أكرم عفواً ولا أسخى نفساً منك. انتهى من عيون الأخبار.

فائدة

سئل رباح القيسي عن السبب الذي أفسد على الناس أعمالهم فقال

حمد النفس ونسيان النعم.

قال وهب بن منبه. مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

وقال غيره: الدنيا كنز آمال والأجل أقصر من أن يبلغها وهي بلاغ إلى دارٍ غيرها والمرء يقضي عمره فيها سيراً إلى الموت. وقال آخر: لا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب ولا فائدة كالتوفيق. ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم. ولا ورع كالوقوف عند الشبهة.

من يَرْحَم يُرْحم. ومن يصمت يسلم. ومن يفعل الخير يغنم. ومن يقل بالباطل يخسر. ومن يكره الشرَّ يعتصم. ومن لا يملك لسانه يندم.

أربعة تُيبس ماء الوجه وتذهب بهجته وطلاقته: الكذب. والوقاحة. وكثرة السؤال عن غير علم. والفجور.

من بحث عن عورات المسلمين فضحه الله في قعر بيته.

ومن غرس الإحسان اجتنى المحبة.

إذا أحسنت القول فأحسن الفعل ليجتمع معك مزية اللسان وثمرة الإحسان.

قال الأحنف يوماً فقير صدوق خير من غني كذوب وقال بعض جلسائه ووضيع محبب خير من شريف مبغض فقال الأحنف هذه مثل هذه.

نبذ من العقد الفريد

دخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وفيهم شابٌّ ذابل ناحل فقال له عمر: يا فتى ما بلغ بك ما أرى قال: يا أمير المؤمنين أمراض وأسقام قال له عمر: لتصدقني قال: بلى يا أمير المؤمنين ذُقت يوماً حلاوة الدنيا فوجدتها مرة عواقبها فاستوى عندي حَجَرها وذهبها وكأني أنظر إلى عرش ربّنا بارزاً وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي وقليل كلّ ما أنا فيه في جنب ثواب الله وخوف عقابه.

وقال ابنُ أبي الحواري قلت لسفيان: بلغني في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾ الذي يلقى ربه وليس فيه أحد غيره فبكى وقال ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير.

قال عمر بن عبدالعزيز من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير. ومن علم أنّ الكلام عمل قلّ كلامه إلا فيما ينفع.

قال الصَّلتان العبدي:

أشاب الصغير وأفنى الكبير كرُّ الغداة ومرُّ العشي
إذا ليلة أهرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فَتِي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وكان سفيان بن عيينة يستحسن قول عدي بن زيد:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدها وثُمود
بينما هم على الأسرة والأنماطِ أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أمسى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعود
ثم لم ينقض الحديث ولكن بعد ذا كله وذاك الوعيد

وقال ابن عبد ربه:

ومن لي إذا جدت بين الأهل والولد وكان منّي نحو الموت قيد يَدِ
والدّمع يهمل والأنفاس صاعدة فالدمع في صبب والنفس في صُعُد
ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه حتى يفرق بين الروح والجسد

ونظر عبدالله إلى رجل يضحك مستغرقاً فقال له أتضحك ولعل أكفانك قد أخذت من عند القصّار وقال الشاعر:

وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

ومن القناعة: قال عروة بن أُذينة:

وقد علمتُ وخير القول أصدقه بأن رزقي وإن لم يأتِ يأتيني

أسعى إليه فيعييني تطلبه   ولو قعدت أتاني لا يعنيني

ووفد عروة بن أُذينة على عبدالملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فقال له عبدالملك: ألست القائل يا عروة: أسعى إليه فيعييني تطلبه. فما أراك إلا قد سعيتَ له فخرج عنه عروة وشخص من فوره إلى المدينة فافتقده عبد الملك فقيل له توجه إلى المدينة فبعث إليه بألف دينار فلما أتاه الرسول قال: قل لأمير المؤمنين الأمر على ما قلتُ قد سعيتُ له فأعياني تطلبه وقعدت عنه فأتاني لا يعنيني.

قال علي بن داود الكاتب لما افتتح هارون الرشيد هِرقله[1] وأباحها ثلاثة أيام وكان بِطريقها الخارج عليه بسيل الرومي فنظر إليه الرشيد مقبلاً على جدار فيه كتابة باليونانية وهو يُطيل النظر فيه فدعا به وقال له: لِمَ تركتَ النظرَ إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه فقال: يا أمير المؤمنين قرأت في هذا الجدار كتاباً هو أحبّ إليّ من هرقله وما فيها قال له الرشيد: ما هو قال: بسم الله الملك الحق المبين. ابن آدم غافص[2] الفرصة عند إمكانها وكل الأمور إلى وليّها ولا تحمل على قلبك همَّ يوم لم يأت بعدُ إن يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة بالمغرورين فربّ جامع لبعل حليلته. واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها. قال له الرشيد أعدها عليّ يا بسيل فأعادها عليه حتى حفظها. انتهى.

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى قول الله تعالى: **﴿وَلَا يَحسبنّ الّذين يَبخَلون بما آتاهم الله من فَضله هُو خيراً لهم بَل هُو شَرٌّ لهم سيطوّقون مَا بَخلوا به يومَ القِيامة ولله ميراث السّموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾** أي ولا يظن الذين يبخلون أي يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال والجاه والعلم وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده فبخلوا بذلك وأمسكوه

---

(١) هرقلة بالكسر ثم الفتح مدينة ببلاد الروم وكان الرشيد غزاها بنفسه وافتتحها عنوة.
(٢) المغافصة المفاجأة والأخذ على غرة.

وضنوا به على عباد الله وظنوا أنه خير لهم بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم وعاجلهم وآجلهم **﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** أي يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم يعذبون به كما ورد في الحديث الصحيح: (إن البخيل يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزميه يقول أنا مالك أنا كنزك) وتلا رسول الله ﷺ مصداق ذلك هذه الآية فهؤلاء حسبوا أن بخلهم نافعهم ومجد عليهم فانقلب عليهم الأمر وصار من أعظم مضارهم وسبب عقابهم **﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾** أي هو تعالى مالك الملك وترد جميع الأملاك إلى مالكها وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار ولا غير ذلك من المال قال تعالى: **﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾** وتأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله أخبر أولاً أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعمة ليس ملكاً للعبد بل لولا فضل الله عليه وإحسانه لم يصل إليه منه شيء فمنعه ذلك منع لفضل الله وإحسانه ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبيده كما قال تعالى: **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** فمن تحقق أن ما بيده هو فضل من الله لم يمنع الفضل الذي لا يضره بل ينفعه في قلبه وماله وزيادة إيمانه وحفظه من الآفات ثم ذكر ثانياً أن هذا الذي بيد العباد كله يرجع إلى الله ويرثه تعالى وهو خير الوارثين فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك ثم ذكر ثالثاً السبب الجزائي فقال تعالى: **﴿والله بما تعملون خبير﴾** فإذا كان خبيراً بأعمالكم جميعاً ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات والعقوبات على الشر لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق والذي يجزي به الثواب ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب انتهى.

يروى أن الحسن بن الفضل دخل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال: يا صبي تتكلم في هذا المقام فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت صبياً فلست بأصغر من هدهد سليمان عليه السلام ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال: أحطت بما لم تحط به ثم قال: ألم تر أن الله فهّم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان

داود أولى ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز أتته الوفود فإذا فيهم وفد الحجاز فنظر إلى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال: ليتكلم من هو أسن منك فإنه أحق بالكلام منك فقال الصبي: يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال: صدقت فتكلم فقال: يا أمير المؤمنين إنا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي منّ علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال: يا أمير المؤمنين إن أناساً غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**﴾ فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله تعالى عنه:

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

* * *

تعلم يا فتى والعود رطب وطينك لين والطبع قابل

يروى عن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعاً ولكنهم أذلوا أنفسهم وابتذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقال الجرجاني:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
لكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

وقال آخر:

العلم أنفس شيء أنت داخره من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده فأول العلم إقبال وآخره

فائدة

قيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها. الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدي. والكتاب على عقل الكاتب. وقال أبو عبدالله وزير المهدي: البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة.

وقالوا: البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان ولا يسلك إلا ببصائر البيان. وروي أن ليلى الأخيلية مدحت الحجاج فقال: يا غلام اذهب إلى فلان فقل له يقطع لسانها قال: فطلب حجاماً فقالت: ثكلتك أمك إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة. فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل.

ومن المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج الحروف فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل:

لو كنت كتمت الحب كنت كما
كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول الآخر:

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه
ولا ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر:

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده في الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن القرب في المخارج يحدث ثقلاً في النطق به.

وقيل: من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار. وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها.

أحمد الله كثيراً. فقالت: حيث أنشاك ضريرا.

فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشتراها. وقال فيلسوف كما أن الآنية تمتحن بأطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الإنسان يعرف حاله من منطقه.

قال: أنو شروان: أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك، والكذب في القضاة، والحسد في العلماء، والوقاحة في النساء.

عدد شعب الايمان
للامام البيهقي

١ الإيمان بالله عز وجل.
٢ الإيمان برسل الله عز وجل صلى الله عليهم أجمعين.
٣ الإيمان بالملائكة.
٤ الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزلة قبله.
٥ الإيمان بأن القدر خيره وشره من الله عز وجل.
٦ الإيمان باليوم الآخر.
٧ الإيمان بالبعث بعد الموت.
٨ الإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف.
٩ الإيمان بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنة ودار الكافرين ومأواهم النار.
١٠ الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل.
١١ الإيمان بوجوب الخوف من الله عز وجل.
١٢ الإيمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل.
١٣ الإيمان بوجوب التوكل على الله عز وجل.
١٤ الإيمان بوجوب محبة النبي ﷺ.
١٥ الإيمان بوجوب تعظيم النبي ﷺ وتبجيله وتوقيره.
١٦ شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر.
١٧ طلب العلم وهو معرفة الباري تعالى وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما يُميّز به النبي ﷺ عن غيره وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ومعرفة ما تُطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة والقياس وشروط الاجتهاد.

١٨ نشر العلم.
١٩ تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه وتبجيل أهله وحفّاظه واستشعار ما يهيج إلى البكاء من مواعيد الله ووعيده.
٢٠ الطهارات.
٢١ الصلوات الخمس.
٢٢ الزكاة.
٢٣ الصيام.
٢٤ الاِعتكاف.
٢٥ الحج.
٢٦ الجهاد.
٢٧ المرابطة في سبيل الله عز وجل.
٢٨ الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف.
٢٩ أداء الخُمس من المغنم إلى الإمام أو عامله.
٣٠ العتق بوجه التقرب إلى الله عز وجل.
٣١ الكفارات الواجبات بالجنايات.
٣٢ الإيفاء بالعقود.
٣٣ تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها.
٣٤ حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش.
٣٥ الأمانات وما يجب فيها من أدائها إلى أهلها.
٣٦ تحريم قتل النفس والجنايات عليها.
٣٧ تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف.
٣٨ قبض اليد عن الأموال ويدخل فيها تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشأ وأكل ما لا يستحقه شرعاً.
٣٩ وجوب التورع في المطاعم والمشارب واجتناب ما لا يحل منها.
٤٠ تحريم الملابس والزي (وكراهتها الوارد عن النبي ﷺ والنهي عنها).

٤١ تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة.
٤٢ الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل.
٤٣ ترك الغل والحسد ونحوهما.
٤٤ تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقيعة فيها.
٤٥ إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء.
٤٦ السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة.
٤٧ معالجة كل ذنب بالتوبة.
٤٨ القرابين وجملتها الهدي والأضحية والعقيقة.
٤٩ طاعة أولي الأمر.
٥٠ التمسك بما عليه الجماعة.
٥١ الحكم بين الناس بالعدل.
٥٢ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٥٣ التعاون على البر والتقوى.
٥٤ الحياء.
٥٥ برّ الوالدين.
٥٦ صلة الرحم وحقيقته.
٥٧ حسن الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع.
٥٨ الإحسان إلى المماليك.
٥٩ حق السادة على المماليك.
٦٠ حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه.
٦١ مقاربة أهل الدين ومودتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك من أسباب تأكيد المودة.
٦٢ ردّ السلام.
٦٣ عيادة المريض.
٦٤ الصلاة على من مات من أهل القبلة.
٦٥ تشميت العاطس.

٦٦ في مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم.
٦٧ إكرام الجار.
٦٨ إكرام الضيف.
٦٩ الستر على أصحاب الذنوب.
٧٠ الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة.
٧١ الزهد وقصر الأمل.
٧٢ الغيرة وترك ألذاذه.
٧٣ الإعراض عن اللغو.
٧٤ الجود والسخاء.
٧٥ رحم الصغير وتوقير الكبير.
٧٦ إصلاح ذات البين.
٧٧ أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق.

قال الحسن الفرقد السبخي بلغني أنك لا تأكل الفالوذج قال: يا أبا سعيد أخاف أن لا أؤدي شكره قال: وهل تؤدي شكر الماء البارد في الصيف والحارّ في الشتاء أما سمعت قول الله تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما كسبتم﴾**.

حكم وأمثال

سوء التدبير سبب التدمير.
من أخر الأكل لذّ طعامه.
من ضاق خلقه مله أهله.
خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم.
العجلة أخت الندامة.
آفة العلم النسيان.
معاشرة ذوي الألباب عمارة القلوب.
أغمد سيفك ما ناب عنك لسانك.
حق يضر خير من باطل يسر.
اليأس خير من التضرع إلى الناس.
العقل أصله التثبت وثمرته السلامة.
صداقة الجاهل تعب.

التواضع سلم الشرف.

أشرف الغنى ترك المنى.

الوقح يعرف ثمن كل شيء لكنه يجهل قيمته

من شرفت ذاته كثرت حسناته.

من ركب المعاصي لبس المخازي.

ليس لمعجب بنفسه رأي ولا لمتكبر صديق.

ذاكرة الدائن أقوى من ذاكرة المدين.

الكريم من كف أذاه والقوي من غلب هواه.

من طلب السلامة لزم الاستقامة.

الوعد وجه والإنجاز محاسنه.

من العقد الفريد

قال عن الحسن أنه قال: أصول الشر ثلاثة وفروعه ستة فالأصول الثلاثة الحسد والحرص وحبّ الدنيا. والفروع الستة حب النوم وحب الشبع وحب الراحة وحب الرياسة وحب الثناء وحب الفخر.

ويروى عنه رحمه الله تعالى أنه قال: حملة القرآن ثلاثة نفر رجل اتخذه بضاعة ينقله من مِصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس. ورجل حفظ حروفه وضيّع حدوده واستدر به الولاة واستطال به على أهل بلده وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله عزّ وجل ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليلته وهملت عيناه وتسربل الخشوع وارتدى واستشعر الحزن ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر بهم يسقي الله الغيث وينزل النّصر ويدفع البلاء.

وقال الأصمعي ما سمعت الحسن بن سهل مذ صار في مرتبة الوزارة يتمثل إلا بهذين البيتين:

وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الرجال ذوي العقول

وقد كانوا إذا ذكروا قليلاً ... فقد صاروا أقلّ من القليل

وقال شاعر:

إذا كنت ذا عقل ولم تك ذا غنى ... فأنت كذي رحل وليس له بغل
وإن كنت ذا مال ولم تك عاقلاً ... فأنت كذي بغل وليس له رحل

ويقال ثلاث من كنّ فيه حوى الفضل وإن كان راغباً عن سواها صحة العقل، والتمسك بالعدل وتنزيه نفسه عن هواها، وقال محمد بن دريد:

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

وقال مسلمة بن عبدالملك ما قرأت كتاباً قط لأحد إلا عرفتُ عقله منه. واستعمل عمر بن عبدالعزيز رجلاً فقيل له: إنه حديث السنّ ولا نراه يضبط عملك فأخذ العهد منه وقال: ما أراك تضبط عملك لحداثتك فقال الفتى:

وليس يزيد المرء جهلاً ولا عمى ... إذا كان ذا عقل حداثة سِنِّه

فقال عمر صدق وردّ عليه عهده.

ولبعض الشعراء:

فزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محصوراً عليه مكاسبه
وشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه

قال عمرو بن عتبة لما بلغتُ خمس عشرة سنة قال لي أبي يا بنيّ قد تقطعت عنك شرائع الصبا فألزم الحياء تكن من أهله ولا تزايله فتبين منه ولا يغرنّك من اغترّ بالله فيك فمدحك ما تعلم خلافَه من نفسك فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضي. قال فيك من الشر مثلَه إذا سخط فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غبِّ عواقبهم.

وقال حكيم لابنه: يا بُنيّ إني موصيك بوصية فإن لم تحفظ وصيتي عني لم تحفظها عن غيري اتق الله ما استطعت وإن قَدَرت أن تكون اليوم خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليومَ فافعل وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء قطّ إلا أغناك الله عنه. وإياك وما يُعْتذر منه فإنك لن تَعْتذر من خير أبداً. وإذ عثر عاثر فاحمد الله أن لا تكون هو يا بنيّ خذ الخير من أهله ودع الشر لأهله وإذا قمتَ إلى صلاتك فصلِّ

صلاة مودّع وأنت ترى أن لا تصلي بعدها أبداً.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه كفوا الأذى وابذلوا المعروف واعفوا إذا قدرتم ولا تبخلوا إذا سُئلتم ولا تلحفوا إذا سَألتم فإنه من ضَيّق ضُيّق عليه ومن أعطى أخلف الله عليه.

قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أعظك بِعظةٍ فيها بعضُ الغِلظة فاحتملها قال: كلا إن الله أمر من هو خير منك بالآنة القول لمن هو شر مني قال لنبيه موسى عليه السلام إذ أرسله إلى فرعون ﴿**فقولاَ له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى**﴾ قال موسى الأسواري لما وقعت الفتنة أردت أن أحرز ديني فخرجت إلى الأهواز فبلغ آزاد مرد قدومي فبعث إليّ متاعاً فلما أردت الانصراف بلغني أنه ثقيل فدخلت عليه فإذا هو كالخفاش لم يبق منه إلا رأسه فقلت: ما حالك قال: وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ثم خرجت نفسه. انتهى.

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قول الله تعالى: ﴿**يَآ أيُّها الَّذين آمنوآ أمنوا بالله ورسوله والكتاب الّذي نَزَّل عَلى رسوله والكِتاب الَّذي أنْزِلَ مِن قَبْل وَمن يَكْفر بالله وَملائكته وَكُتُبه ورُسله واليوم الآخر فَقد ضَلّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه فهذا يكون أمراً له في الدخول فيه وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان كقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم**﴾ الآية. وإما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم من الإخلاص والصدق وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات. ويقتضي أيضاً الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإنّ ذلك من المأمور به وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة وأجمع عليه سلف الأمة ثم الاستمرار على ذلك والثبات

عليه إلى الممات كما قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** وأمر هنا بالإيمان به وبرسله وبالقرآن وبالكتب المتقدمة فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمناً إلا به إجمالاً فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلاً فيما علم من ذلك بالتفصيل فمن آمن هذا الإيمان المأمور به فقد اهتدى وأنجح **﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾** وأي ضلال أبعد من ضلال من ترك طريق الهدى المستقيم وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم.

واعلم أن الكفر بشيء من هذه الأمور المذكورة كالكفر بجميعها لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض. انتهى.

يروى أن المأمون قال: ما أعياني جواب أحد قط سوى ثلاثة: أحدهم أم الفضل بن سهل فإني عزّيتها عنه وقلت: لا تجزعي ودعي البكاء فأنا ابنك مكانه فقالت: وكيف لا أجزع ولا أبكي على من جعل مثلك لي ولداً. والثاني: رجل جيء به إليّ لادعائه أنه نبي الله موسى فقلت له: إن الله تعالى أخبرنا عن موسى أنه يدخل يده في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال لي: متى فعل ذلك أليس ذلك بعد أن لقي فرعون فاعمل أنت كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى. والثالث: رجل جاء في جماعة من أهل الكوفة يشكون إليّ عاملها واختاروه للكلام فطعن على العامل وأكثر فقلت له: كذبت ومنت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فَسكتهم ثم قال: صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت وليس من العدل أن تؤثرنا به وتحرم منه سائر رعيتك.

نصيحة: إياك والكبر والحسد والغضب والشهوة. فالكبر: يمنع من الانقياد إلى أوامر الشرع. والحسد يمنع من قبول النصيحة أو بذلها والغضب يمنع من العدل والشهوة تمنع من التفرغ لعبادة الله تعالى.

نصيحة أخرى: للعبد بين يدي ربه موقفان موقف بين يديه في الصلاة وموقف بين يديه يوم القيامة فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ومن استهان بالأول شدد عليه بالثاني.

حكم وأمثال

تمـوت الحـدأة وعينهـا في الصيد.

ثقيل واسمه صخر بن جبل.

ثوب عليه وثوب على الوتد.

خبـزة بـلا إدام ويعـزم عليهـا الجيران.

صبام الخير يا جاري أنت في دارك وأنا في داري.

طعـامك مـا جـاني ودخـانـك أعماني.

إن الهزيل إذا شبع مات.

يـا أهل النعم لا تستقلوا شيئـاً من النعم مع العافية.

ترك الفضول من حزم العقول.

جور القط ولا عدل الفار.

جهل المقل دموعه.

سيغنى الله عن زيد وعمرو

ويأتي الله بالفرج القريب

لو ضاعت صفعة ما وُجـدت إلا في قفاه.

من الخذلان مسامرة الأماني.

الرفق رأس الحكمة.

أطِع من هو أكبر منك ولو بليلة.

الشبـاب أبلغ الشفعـاء عنـد النسـاء وأقوى الوسائل لقلوبهن.

عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «لأن أقـول سبحـان والحمـد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبـر أحب إليّ ممـا طلعت عليـه الشمس» خـرجه مسلم. وقال سمرة بن جنـدب رضي الله عنه قـال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهنّ بدأت سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» خـرجه مسلم. وعن سعد بن أبي وقاص قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة» فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنـة؟ قال: «يسبـح مائـة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطيئة» خـرجه مسلم.

من فوائد الحياء

الحيـاء حلة جمال. وحليـة كمال. يُحتـرم في عيون النـاس صـاحبـه.

ويزداد قدره. ويعظم جانبه، وإذا رأى ما يكره غض بصره عنه وكلما رأى خيراً قبله وتلقاه أو أبصر شراً تحاماه يمتنع عن البغي والعدوان ويحذر الفسوق والعصيان يخاطب الناس كأنه منهم في خجل ويتجنب محارم الله عز وجل فمن لبس ثوب الحياء استوجب من الخلق الثناء ومالت إليه القلوب ونال كل أمر محبوب ومن قل حياؤه قلت أحباؤه وكثر من الخلق ازدراؤه.

ومن الوارد عن النبي ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان».

يروى: أنه لما دفن الأحنف بن قيس قامت امرأة على قبره فقال: نسأل الله فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الأرامل عطوفاً ولقد كنت في الحي مسوداً وإلى الخليفة موفداً ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين. فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها. والله أعلم.

ذكر المدائني أن رجلاً عزى رجلاً أفرط في الجزع على ابنه فقال: يا هذا سررتَ به وهو حزن وفتنة وجزعتَ عليه وهو صلاة ورحمة فسري عنه.

فائدة

طول الأمل هو الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة وقسوة القلب.

مما يروى من خطبة لعمر بن عبدالعزيز: أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل. قال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شرباً ازداد عطشاً أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت. وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال:

تجيء وتمضي بابة بعد بابة ... وتفنى جميعاً والمحرك باقي

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان: إن ما يصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرضا والاحتساب فإن فاتهم الرضا فمعولهم على الصبر وعلى الاحتساب وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته فإنهم كلما شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب وإن صبروا فكصبر البهائم وقد نبه تعالى على ذلك بقوله: **﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾** فاشتركوا في الألم وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفى من الله تعالى (وقال) إن المؤمن إذا أوذي في الله فإنه محمول عنه بحسب طاعته وإخلاصه ووجود حقائق الإيمان في قلبه حتى يحمل عنه من الأذى ما لو كان شيء منه على غيره لعجز عن حمله وهذا من دفع الله عن عبده المؤمن فإنه يدفع عنه كثيراً من البلاء وإذا كان لا بد له من شيء منه دفع عنه ثقله ومؤنته ومشقته (وقال) إن المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت فيه كان أذى المحب في رضا محبوبه مستحلى غير مسخوط والمحبون يفتخرون عند أحبابهم بذلك حتى قال قائلهم:

لئن ساءني إن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

فما الظن بمحبة المحبوب الأعلى الذي ابتلاؤه لحبيبه رحمة منه له وإحسان إليه.

(وقال) إن ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه دون ما يحصل للمؤمنين بكثير بل باطن ذلك ذلّ وكسر وهواه وإن كان في الظاهر بخلافه قال الحسن رحمه الله إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم النعال إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

(وقال) إن ابتلاء المؤمن كالدواء يستخرج من الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعذبه لتمام الأجر وعلوّ المنزلة ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر

فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأقرب إليهم فالأقرب يبتلى المرء على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وما عليه خطيئة.

(وقال) إن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه وغلبته له وأذاه له في بعض الأحيان أمر لازم لا بد منه وهو كالحرّ الشديد والبرد الشديد والأمراض والهموم والغموم فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار حتى للأطفال والبهائم لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضر واللذة عن الألم لكان ذلك عالماً غير هذا ونشأة غير هذه النشأة وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر والألم واللذة والنافع والضار وإنما يكون تخليص هذا من هذا وتمييزه في دار أخرى غير هذه الدار كما قال تعالى: ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون**﴾ (وقال): إن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمة عظيمة لا يعلمها على التفصيل إلا الله عز وجل فمنها استخراج عبوديتهم وذلهم لله وانكسارهم له وافتقارهم إليه وسؤاله نصرهم على أعدائهم ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم لما قامت للدين قائمة ولا كانت للحق دولة فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارة وكونهم مغلوبين تارة فإذا غُلبوا تضرعوا إلى ربهم وأنابوا إليه وخضعوا له وانكسروا له وأنابوا إليه. وإذا غَلبوا أقاموا دينه وشعائره وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وجاهدوا عدوهم ونصروا أولياءه (وقال) إنهم لو كانوا دائماً منصورين غالبين قاهرين لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخل معهم أحد فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة وعليهم تارة فيتميز بذلك من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

وقال رحمه الله في موضع آخر أن الإنسان مدني بالطبع لا بد له أن يعيش مع الناس والناس لهم إرادات وتصوّرات واعتقادات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر فلا بد له من الناس ومخالطتهم ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم وفي الموافقة ألم وعذاب إذا كانت على باطل وفي المخالفة ألم وعذاب إذا لم يوافق أهواءهم واعتقاداتهم ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل وأيسر من الألم المترتب على موافقتهم واعتبر هذا بمن يطلبون منه الموافقة على ظلم أو فاحشة أو شهادة زور أو المعاونة على محرم فإن لم يوافقهم آذوه وظلموه وعادوه لكن تكون له العاقبة والنصرة عليهم إن صبر واتقى وإن وافقهم فراراً من ألم المخالفة أعقبه ذلك من الألم أعظم مما فر منه والغالب أنهم يسلطون عليه فيناله من الألم منهم أضعاف ما ناله من اللذة أولاً بموافقتهم فمعرفة هذا ومراعاته من أنفع ما للعبد فألم يسير يعقب لذة عظيمة دائمة أولى بالاحتمال من لذة يسيرة يعقب ألماً عظيماً دائماً والتوفيق بيد الله.

وقال رحمه الله إن البلاء الذي يصيب العبد في الله لا يخرج عن أربعة أقسام: فإنه إما أن يكون في نفسه أو في ماله أو في عرضه أو في أهله ومن يحب والذي في نفسه قد يكون بتلفها تارة وبتألمها بدون التلف فهذا مجموع ما يبتلى به العبد في الله وأشد هذه الأقسام المصيبة في النفس ومن المعلوم أن الخلق كلهم يموتون وغاية هذا المؤمن أن يستشهد في الله وتلك أشرف الموتات وأسهلها فإنه لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل ألم القرصة فليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم فمن عدّ مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل بل موت الشهيد من أيسر الموتات وأفضلها وأعلاها ولكن الفار يظن أنه بفراره يطول عمره فيتمتع بالعيش وقد أكذب الله سبحانه هذا الظن حيث يقول: **﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً﴾** فأخبر أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع فلا فائدة فيه وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلاً إذ لا بد له من الموت فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وأنفع من حياة الشهيد عند ربه ثم

قال: ﴿**قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً**﴾ فأخبر أن العبد لا يعصمه أحد من الله إن أراد به سوءاً غير الموت الذي فرّ منه فإنه فر من الموت لما كان يسوؤه فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءاً غيره لم يعصمه أحد من الله وأنه قد يفر مما يسوؤه من القتل في سبيل الله فيقع فيما يسوؤه مما هو أعظم منه وإذا كان هذا في مصيبة النفس فهكذا الأمر في مصيبة المال والعرض والبدن فإن من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته سلبه الله إياه أو قيض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلاً وآجلاً وإن حبسه وادّخره منعه التمتع به ونقله إلى غيره فيكون له مَهْنَؤُه وعلى مخلفه وزره وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب قال أبو حازم لما يلقى الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من معالجة التقوى واعتبر ذلك بحال إبليس فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ويذل وطلب إعزاز نفسه فصيره الله أذل الأذلين وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض بالسجود له ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته وكذلك عباد الأصنام أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر ورضوا أن يعبدوا إلهاً من الأحجار وكذلك كل من امتنع أن يذل لله أو يبذل ما له في مرضاته أو يتعب نفسه في طاعته لا بدّ أن يذل لمن لا يسوى ويبذل له ماله ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته عقوبة له كما قال بعض السلف من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته والله أعلم.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار:

وقرأت في كتاب للهند لا ظفر مع بغي. ولا صحة مع نَهَم. ولا ثناء مع كِبْر. ولا صداقة مع خَبّ. ولا شرف مع سوء أدب. ولا برَّ مع شُحّ. ولا اجتناب محرم مع حرص. ولا محبة مع زهو. ولا ولاية حُكم مع عدم فِقه ولا عذر مع إصرار. ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد. ولا سُؤدَد مع انتقام. ولا رياسة مع غَرَارة وعُجْب. ولا صواب مع ترك المشاورة. ولا ثبات

مُلك مع تهاون وجهالة وزراء.

كان في بني ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناساً من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفراً ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نثل كنانَته وأخذ قوسه وقال:

ما علّتي وأنا جَلْد نابلْ والقوس من نَبْع لها بلابلْ
يَرُزُّ فيها وتَرٌ عُنَابِلْ إن لم أقاتلكم فأمّي هابلْ
أكلَّ يوم أنا عنكم ناكِلْ لا أُطعِم القومَ ولا أقاتلْ
الموت حق والحياة باطلْ

ثم جعل يرميهم حتى ردهم وجاءهم الصريخ وقد مُنع الحي فصار بعد ذلك شجاعاً سمحاً معروفاً.

حدثني أبو حاتم قال: حدثني الأصمعي قال: سمعت الحَرَسِيّ يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجباً استَثْرنَا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يذريان حنطة أحدهما أحيمش أصيفر والآخر مثل الجمل عِظماً فقاتلنا الأصيفر بالمذري لا تدنو منه دابة إلا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقُتل ولم نصل إلى الآخر حتى مات فَرَقاً فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء.

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار قال: حاصر مسلمة حصناً فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم فنادى مسلمة أين صاحب النقب فما جاءه أحد فنادى إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعةَ يأتي فعزمتُ عليه إلّا جاء فجاء رجل فقال: استأذنْ لي على الأمير فقال له: أنت صاحب النقب قال: أنا أخبركم عنه فأتى مسلمة فأخبره عنه فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً ألّا تسوّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة. ولا تأمروا له بشيء. ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له قال: أنا هو. فكان مسلمة لا

يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب. انتهى من عيون الأخبار.

يروى عن عائشة رضي الله عنها: لا سهر إلا لثلاثة: مُصَلٍّ، أو عروس، أو مسافر.

حكم ومواعظ

إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث إن ضعفت عن الخير، فأمسك عن الشر. إن ضعفت عن نفع الناس، فلا تضرهم، إن ضعفت عن الصيام، فلا تأكل لحوم الناس.

دواء القلب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع وقت السحر، ومجالسة الصالحين. وقيل الدنيا والآخرة في قلب المؤمن ككفتي الميزان إذا رجحت هذه خفت هذه. وقال النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» وقيل: اجتمع فيلسوف الروم وحكيم الهند وبزرجمهر عند كسرى فتذاكروا في شر الأشياء فقال الرّومي: الهمّ يقترن به العدم. وقال الهندي سقم البدن ودوام الحزن وقال بزرجمهر دنو أجل وسوء عمل فحكم له. ودعا بعض الصالحين فقال: اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي. نظر رجل إلى امرأة عفيفة فقالت: يا هذا غضّ بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك.

مع كل فرحة ترحة وما ملىء بيت حبرة[1] إلا ملىء عبرة وما منكم إلا ضيف وما له عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة إلى أهلها.

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ القرآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُم

(١) الحبرة النعمة وسعة العيش.

تُرحمونَ﴾ هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما فدل ذلك على أن من تُلي عليه الكتاب فلم يستمع له ولم ينصت أنه محروم الحظ من الرحمة قد فاته خير كثير ومن أوكد ما يؤمر مستمع القرآن أنه يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه فإنه مأمور بالإنصات. حتى إن أكثر العلماء يقولون إن اشتغاله بالإنصات أولى من قراءته الفاتحة وغيرها. انتهى.

يروى أن شريحاً كتب إلى صديق له هرب إلى النجف من الطاعون: إن المكان الذي أنت فيه بعين من لا يفوته طلب ولا يعجزه هرب والمكان الذي خلفت لا يُعجل إلى امرىء حمامه. وأنت وهم على بساط واحد وإن النجف من ذي قدرة لقريب.

يروى أن الحسن سئل عن أقسام الناس فقال: الناس أربعة كريم وسخي وبخيل ولئيم. فالكريم هو الذي يأكل ويعطي. والسخي هو الذي يأكل ويعطي. والبخيل هو الذي يأكل ولا يعطي. واللئيم هو الذي لا يأكل ولا يعطي.

أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة:

قال كسرى: لم أندم على ما لم أقل وندمت على ما قلت مراراً.

وقال قيصر: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ما قلت.

وقال ملك الصين: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإذا لم أتكلم بها ملكتها.

وقال ملك الهند: عجب ممن يتكلم بالكلمة إن رفعت ضرته وإن لم ترفع لم تنفعه.

الرافدان: أطلق هذا الاسم على النهرين الفرات ودجلة وهو من الرفد

بمعنى العطاء والصلة ويبلغ طول الفرات ٢٣٥٠ كيلومتراً منها ٥٤٥ كيلومتراً في تركيا و٧٠٦ كيلومتراً في سوريا و١٠٩٩ كيلومتراً في العراق.

قيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال: حاجة الكريم إلى اللئيم.

قيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الأخلاق والتأدب مع الأضياف فقال: كانت الأسفار تحوجنا إلى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته.

فكاهات

أراد أحد الظرفاء أن يداعب أحد المشهورين بالبخل فقال له: إن لكل رئيس علامة ينصرف بها جليسه عنه فما علامتك التي تصرف بها جليسك فأجاب البخيل: علامتي أن أنادي يا غلام هات الطعام.

وَحُكي عن أحد البخلاء أنه كان يرسل غلامه كل يوم ليشتري له رأس خروف مطبوخ فيأكله فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرأس دون سائر اللحم في الصيف والشتاء فقال: نعم أولاً الرأس أعرف سعره فلا يقدر الغلام أن يغبنني فيه وليس بلحم فيأخذ منه دون أن أعلم ثانياً إن مس عيناً أو أذناً أو خداً أعلم به ثم إنني آكل منه ألواناً فعينه لوناً وأذنه لوناً ودماغه لوناً ولسانه لوناً ففي الرأس ألوان شتى.

ويروى أنه قبض على لص وهو يفتح أحد المحال التجارية ليلاً ولما واجهه المحقق بتهمته اعترف بها وقال: أنه فتحه عملاً بوصية والده فسأله المحقق وما هي وصية والدك فأجاب: أوصاني أن أفتح محلاً تجارياً.

ويروى أن عمر بن مهران كاتب الخيزران يأمر الوكلاء والعمال الذين معه أن يكتبوا على الأختام التي يختمون بها مخازن المؤن: (اللهم احفظه ممن يحفظه) ويروى أن فتاة قالت لأخرى لقد رأيت شحاذاً أعمى فقال: أعطني درهماً أيتها الحسناء فكيف رآني ليقول ذلك فأجابتها إنه لم يقل ذلك إلا ليبرهن على أنه أعمى.

دخل أحدهم بيتاً عافت نفسه من قذارته وعندما خرج لاحظ على بابه لافتة كتب عليها امسح قدميك من فضلك فأضاف إليها عندما تخرج.

يحكى أن أحد الشيوخ كان مشهوراً بسرعة خاطره وطرفة أجوبته كان مدعواً مع بعض أصدقائه عند أحدهم ولما حان وقت الصلاة خلع الشيخ جبته السوداء وذهب يتوضأ فأحب أحدهم أن يمازحه فرسم على الجبة وجه حمار بالطباشير ولما عاد الشيخ ورأى الرسم التفت إلى الحضور وقال من الذي نشف وجهه بالجبة. انتهى.

فصل
من الشفاعة وقضاء الحوائج

جاء رجل إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال الحسن بن سهل: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة وفي لفظ ونحن نرى كتب الشفاعات زكاة مروأتنا ثم أنشأ يقول:

فرضت عليّ زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

ولله در القائل:

وإذا امرؤ أهدى إليك ضيعة ... من جاهه فكأنها من ماله

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال: (اشفعوا فلتؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء) رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا» رواه النسائي وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم: إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك فإن يأذن الله فيها قضيتَها وحمدناك وإن لم يأذن فيها لم تقضها وعذرناك.

وقال يونس:

أنزلت بالحر إبراهيم مسألة ... أنزلتها قبل إبراهيم بالله

فإن قضى حاجتي فالله يسرها هو المقدر لها والآمر الناهي
إذا أبى الله شيئاً ضاق مذهبه عن الكبير العريض القدر والجاه

وقال خالد بن صفوان لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ولا تطلبوها في غير حينها ولا تطلبوا ما لا تستحقون منها فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان. كان يقال: لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته ولا تستعن بكذاب فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب. ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة. وقال سفيان الإلحاح لا يصلح ولا يجمل إلا على الله عزّ وجل. وفي ترجمة عبدالله بن عثمان عبدان شيخ البخاري أنه قال: ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي فإن تم وإلا قمت له بمالي فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان فإن تم وإلا استعنا له بالسلطان. انتهى من الآداب الشرعية لابن مفلح.

مواعظ وحكم متفرقة

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابن عبدالله: التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين، والعفو من الله بالعفو عن الناس، وإياك والخيلاء فتضع من نفسك، ولا تحقرن أحداً فإنك لا تدري لعل من تزدريه عيناك أقرب إلى الله وسيلة منك.

كان يقال: من أُلهم ثلاثاً لم يحرم ثلاثاً. من أُلهم الدعاء لم يحرم الإجابة. ومن أُلهم الاستغفار لم يحرم المغفرة. ومن أُلهم الشكر لم يحرم المزيد.

يروى أن إبراهيم بن أدرهم قال: للكلام أربعة وجوه فمن الكلام كلام ترجى منفعته وتخشى عاقبته فالأفضل في هذا السلامة منه. ومن الكلام كلام لا ترجى منفعته ولا تخشى عاقبته فأقل ما لك في تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك ومنه كلام لا ترجى منفعته وتخشى عاقبته وهذا هو الداء العضال ومن الكلام ما ترجى منفعته وتؤمن عاقبته فهذا الذي يجب عليك.

شتان بين أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم. وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم.

لا تستخف بـالعلماء ولا تعـرض عن الحكمـاء، فـإن استخفـافـك بهم وإعراضك عنهم مما يثبت جهلك وينفي عقلك. يقال: ثلاثة جـاذبة، حسن الذوق، واللطف، والتواضع.

سئل الحسن بن علي من أعظم الناس قدراً فقـال: من لم يبال بـالدنيـا بيد من كانت.

يقال: كل فساد في الوجود سببه شيئان اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

لقي رجل حكيماً فقال: كيف ترى الدهر قال: يخلق الأبدان. ويجـدد الآمال ويقرب المنية ويباعد الأمنية قال: فما حال أهله قال: من ظفـر به منهم تعب ومن فاته نصب. قال: فما الغنى عنه قال: قـطع الرجـاء منه قـال: فأي الأصحـاب أبر وأوفى قـال: العمل الصـالح والتقـوى قال: أيّهم أضـر وأردى قـال: النفس والهوى قـال: فأين المخـرج قال: سلوك المنهـج قال: ومـا هو قـال: بذل المجهـود وترك الـراحة ومـداومة الفكـرة قـال: أوصني قـال: قـد فعلت.

قيـل للإمـام أحمد: متى يجـد العبد طعم الـراحة قـال: عند أول قـدم يضعها في الجنة.

قال الحسن البصري لرجل حضر جنازة: أتراه لو رجع إلى الدنيـا لعمل صالحاً قال: نعم قال: فإن لم يكن هو فكن أنت.

قال الأصمعي خطبنا أعرابي بالبادية فقال: أيها الناس إن الدنيا دار ممر والآخـرة دار مقر فخـذوا من ممركم لمقـركم ولا تهتكوا أستـاركم عنـد من لا تخفى عليه أسراركم.

وقـال الحسن البصري رحمـه الله في يـوم عيـد فـطر وقـد رأى النـاس وهيآتهم: إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخـابوا فـالعجب من الضاحـك اللاعب في اليوم الذي يفوز به المحسنون ويخسـر فيه المبـطلون أما والله لـو كشف الغطاء لَشُغِل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته انتهى.

نتيجة طول الأمل، الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة. والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة. والقسوة في القلب.

قصة عجيبة ذكرها ابن خلكان قال:

وروى المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الواقدي المذكور قال. كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر فوجه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراري حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي فوجهت إليه الكيس بحاله وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيياً من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك إذا وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي: أصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك فعرفته الخبر على وجهه فقال لي: إنك وجهت إليّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي: فتواسينا الألف الدرهم فيما بيننا وقد أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمي الخبر إلى المأمون فدعاني وسألني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار.

عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها» فقالت نعم فقال النبي ﷺ: «لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضى نفسه سبحان الله مداد كلماته» أخرجه مسلم.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لقيت

إبراهيم ليلة أُسري بي فقال لي: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» قال الترمذي حديث حسن.

قال الحافظ الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى:

كتاب الله عز وجل قولي	وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءاً	وعوداً فهو عن حق مبين
فدع ما صَدَّ عن هذي وخذها	تكن منها على عين اليقين

وقال:

طريق الزهد أفضل ما طريق	وتقوى الله بادية الحقوق
فثق بالله يكفيك واستعنه	يعنك وذَرْ بنيات الطريق

قال ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس ص ٢٣: اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه وأعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى: ﴿**لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين * إنّمَا يأمُرُكُمْ بالسُّوءِ وَالفَحْشَاءَ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**الشَّيْطَان يَعِدُكُم الفَقْرَ وَيأمُرْكُمْ بالفَحْشَاء**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّكُم ضَلَالاً بَعِيْداً**﴾ وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاء فِي الخَمْرِ وَالمَيسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكرِ الله وَعَنِ الصَّلاة فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**﴾ وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُم عَدُوّ فَاتَّخِذُوه عدواً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيْر**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَغُرَنَّكُمْ بِالله الغَرُور**﴾ وقال تعالى:

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾.

فصل

وينبغي أن تعلم أن إبليس الذي شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم فقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ والمعنى أخبرني لم كرمته عليّ غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ منه﴾ ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب فمتى سوّل للإنسان أمراً فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحي ببلوغي شهوتي وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فيّ لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر في عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس.

وعن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا أن كل مال نحلته عبدي فهو له حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه أو قال فيلتزمه ويقول: نعم أنت وبه قال أحمد.

وعنه رضي الله عنه يرفعه. قال إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش[1] بينهم. قال المصنف: انفرد به البخاري والذي قبله مسلم وفي لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه قال: إن الشيطان واضع خطمه[2] على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه.

وقال ص ٤١ ذكر تلبيسه على الدهرية:

قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه وهل يشك ذو عقل في وجود صانع فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بان بناه فهذا المهاد الموضوع وهذا السقف المرفوع وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة. أما تدل على صانع وما أحسن ما قال بعض العرب إن البعرة تدل على البعير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومراكز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على اللطيف الخبير. ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلاً ولشفت غليلاً فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع. وتقريض الأضراس لتطحن. واللسان يقلب الممضوغ. وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء. وهذه الأصابع التي هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح فيمكن العمل بها ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضمت. وأخفى في البدن ما فيه قوامه وهي النفس التي إذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد إلى المصالح. وكل شيء من هذه الأشياء ينادي أفي الله شك. وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس. ومن الناس من جحده لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود ولو

---

(١) أي يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن.
(٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الأنف والفم فاستعير للشيطان.

أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل. ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما. وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة. وكيف يقال: كيف هو أو ما هو ولا كيفية له. ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه.

وقال ص ٤٣: ذكر تلبيسه على الطبائعيين[1] لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع حَسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال: ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه فدل على أنها الفاعلة.

وجواب هذا نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها وذلك يخالف طبيعتها فدل على أنها مقهورة وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المنسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً.

فإن قالوا ولو كان الفاعل حكيماً لم يقع في بنائه خلل ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع.

قلنا: ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع. فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة أو في طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيبسها ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للأدخار والنضج في هذه للتناول والعجب أن الذي أوصل إليها اليبس في أكنة[2] لا يلقي جرمها والذي

---

(١) الطبائعيين نسبة إلى الطبائع الأربعة وهي التراب والماء والنار والهواء على مذهبهم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ويعتقدون أنها أصول كل شيء.

(٢) الأكنه الأغطية قال تعالى: ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة**﴾ أي أغطية.

رطبها يلقي جرمها ثم أنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلي العنب والماء واحد وقد أشار المولى سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله: ﴿**تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل**﴾ انتهى.

من لقب بشيخ الاسلام

الأوزاعي	عبدالله بن المبارك
شعبة بن الحجاج	يزيد بن هارون بن زاذان
حماد بن سلمة بن دينار	الحسين بن علي الجعفي
سفيان الثوري	أبو عاصم الضحاك بن مخلد
مالك بن أنس	عبدالله بن يزيد العمري المقرىء
الفضيل بن عياض	عبدالله بن مسلمة القعنبي
سفيان بن عيينة	محمد بن المبارك الصوري
أبو بكر بن عياش	أحمد بن حنبل
أبو إسحاق الفزاري	هشام بن عمار
أبو سعيد الأشج	ابن مهران عبدالرحمن بن محمد
محمد بن يحيى الذهلي	الدارقطني
الدارمي	أبو عمرو الداني
محمد بن إسماعيل البخاري	أبو عمر بن عبدالبر
إبراهيم الحربي	أبو إسماعيل الهروي
إسماعيل القاضي	أبو القاسم إسماعيل التيمي
بقي بن مخلد	أبو طاهر السلفي
محمد بن نصر المروزي	أبو العلاء الهمذاني
النسائي صاحب السنن	أبو موسى المديني
ابن خزيمة	ابن الصلاح
أبو العباس بن سريج	عبدالعظمي بن عبدالقوي المنذري
عبدالرحمٰن بن أبي حاتم	النووي
أبو النصر محمد بن محمد بن	ابن دقيق العيد

يوسف الطوسي　　　　　　ابن تيمية
أبو بكر الإسماعيلي

انتهى نقلاً من كتاب التقاط الدرر واقتطاف الثمر من كتب أهل العلم والأثر. نقله من تذكرة الحفاظ للذهبي.

من شعر محمود سامي البارودي وهو منفي بجزيرة سرنديب:

لكل دمع جرى من مقلة سَبَبُ　　　وكيف يملك دمع العين مكتئب
لولا مكابدة الأشواق ما دمعت　　　عين ولا بات قلب في الحشا يجب
فيا أخا العذْلِ لا تعجل بلائمة　　　عليَّ فالحب سلطان له الغَلَبُ
لو كان للمرء عقل يستضيء به　　　في ظلمة الشك لم تعلق به النوب
ولو تَبَين ما في الغيب من حدث　　　لكان يعلم ما يأتي ويجتنب
لكنه غرض للدهر يرشقه　　　بأسهم ما لها ريش ولا عقب
فكيف أكتم أشواقي وبي كلف　　　تكاد من مَسِه الأحشاء تنشعب
وكيف أسْلوُ ولي قلب إذا التهبت　　　بالأفق لمعة برق كاد يلتهب
أصبحتُ في الحب مطوي على حرق　　　يكاد أيسرها بالروح ينتشب
إذا تنفستُ فاضت زفرتي شرراً　　　كما استنار وراء القدحة الشرر
لم يبق لي غير نفسي ما أجود به　　　وقد فعلت فهل من رحمة تجب
كأن قلبي إذا هاج الغرام به　　　بين الحشا طائر في الفخ يضطرب
لا يترك الحبُّ قلبي من لواعجه　　　كأنما بين قلبي والهوى نسب
فلا تلمني على دمع تحدّر في　　　سفح العقيق فلي في سفحه أرب
منازل كلما لاحت مخايلها　　　في صفحة الفكر مني هاجني طرب
لي عند ساكنها عهد شقيت به　　　والعهد ما لم يَصُنْه الود منقضب
وعاد ظني عليلاً بعد صحته　　　والظن يبعد أحياناً ويقترب
فيا سراة الحمى ما بال نصرتكم　　　ضاقت عليّ وأنتم سادة نُجُب
أضعتموني وكانت لي بكم ثقة　　　متى خفرتم ذِمامَ العهد يا عرب
أليس في الحق أن يلقى النزيلُ بكم　　　أمناً إذا خاف أن ينتابه العطب

إلى أن قال:

أبيتُ في غُـربَـةٍ لا النفس راضيـة بهـا ولا الملتقى من شيعـتي كثب
فـلا رفيق تَسـرُّ النّفس طلعتُـه ولا صـديقٌ يـرى مـا بي فيكـتئب
ومن عجـائب مـا لاقيت من زمني أني مُنيتُ بِخَـطبٍ أمـره عجـب
لم أقتـرفْ زَلـةً تقضي عليَّ بـمـا أصبحتُ فيه فماذا الـويل والحـرب
فهـل دفـاعي عن ديني وعن وطني ذنـبٌ أُدان بِـهِ ظـلمـاً وأغـتـرب
فـلا يـظن بيَ الحسّـاد مندمـةً فـإنّني صـابـر في الله محـتسب
أثـريت مجـداً فلم أعبأ بمـا سلبت أيـدي الحـوادث مني فهـو مكتسب
لا يَخْفِضُ البؤسُ نفسـاً وهي عاليـة ولا يشيـد بـذكـر الخـامـل النشب
إني امـرؤ لا يـردُّ الخـوف بـادرتي ولا يحيف على أخـلاقي الغـضب
ملكت حلمي فلم أنـطق بمنديـة وصنت عـرضي فلم تعلق به الـريب
وما أُبـالي ونفسي غيـرُ خـاطئـةٍ إذا تـخـرص أقـوام وإن كـذبـوا
هـا إنّهـا فِريـة قـد كـان بـاء بهـا في ثـوب يوسفَ من قبلي دمٌ كـذب
فـإن يكن سـاءني دهـري وغـادرني في غُـربـة ليس لي فيها أخ حـدب
فسـوف تصفو الليـالي بعد كـدرتهـا وكـلّ دَوْرٍ إذا مـا تـم يـنـقـلب

انتهى

حكم وأمثال

الأمن مـع الفقـر خيـر مـن الخوف مع الغنى.

حظ في السحـاب وعقـل في التراب.

لكل ثوب لابس.

إذا اصطلح الفـارة والسنـور خـرب دكان البقال.

من شاور الرجـال شاركهم في عقولهم.

كلام الله دواء القلوب.

السؤال نصف العلم ومـداراة الناس نصف العقل.

تعلم ولو من خصمك.

لكل در حالب.

المرء تواق إلى ما لم ينل.

من أراد علو بنيـانـه فـعليـه بتوثيق أساسه.

من ترك الشهوات عاش حراً.

فاز من سلم من شر نفسه.

لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو.

كل عزيز تحت القدرة ذليل.

أخسر من القابض على الماء.

كالحادي وليس له إبل.

من الحبة تنشأ الشجرة.

أغنى الصَّبَاح عنِ المصباح

كل مبذول مملول.

ربَّ مملول لا يستطاع فراقه.

الجهل شر الأصحاب.

أحْسِن كما تحب أن يُحسن إليك.

حسن في كل عين ما تود.

لا تعدم الحسناء ذاماً.

عندما يذهب الغضب يأتي الأسف.

قال الأحنف ربَّ رجل لا تغيب فوائده وإن غاب وآخر لا يسلم من جليسه وإن احترس.

قال إبراهيم بن الجنيد كان يقال: أربع للشريف لا ينبغي أن يأنف منهن وإن كان أميراً. قيامه من مجلسه لأبيه. وخدمته لضيفه، وخدمته للعالم يتعلم منه، وإن سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم.

قال رجل لبشر بن الحارث: إني أحب أن أسألك طريق إبراهيم بن أدهم قال: لا تقوى قال: ولِمَ قال: لأن إبراهيم بن أدهم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل.

قال إبراهيم الصولي:

دَنَتْ بأناسٍ عن تناء زيارَةٌ ... وشطَّ بليلي عن دنو مزارها
وإن مقيمات بمنعرج اللوى ... لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

حكى عبدالعزيز بن الفضل قال خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيج. وأبو بكر محمد بن داود الظاهري، وأبو عبدالله نفطوَيْه إلى وليمة دعوا لها فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه فقال ابن سريج ضيق الطريق يورث سوء الأدب وقال

ابن داود لكنه يعرّف مقادير الرجال فقال نفطويه: إذا استحكمت المودّة بطلت التكاليف.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين:

فصل

في أن الله خلق دارين وخص كل دار بأهل ص ١٧٦.

والله سبحانه مع كونه خالق كل شيء فهو موصوف بالرضا والغضب والعطاء والمنع والخفض والرفع والرحمة والانتقام فاقتضت حكمته سبحانه أن خلق دار الطالبين رضاه العاملين بطاعته المؤثرين لأمره القائمين بمحابه وهي الجنة وجعل فيها كل شيء مرضي وملأها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ وجعل الخير بحذافيره فيها وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والأقوال. وخلق داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته العاملين بأنواع مخالفته القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال الواصفين له بما لا يليق به الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله وهي جهنم وأودعها كل شيء مكروه وسجنها مليء من كل شيء مؤذ ومؤلم وجعل الشر بحذافيره فيها وجعلها محل كل خبيث من الذوات والصفات والأقوال والأعمال فهاتان الداران هما دار القرار. وخلق داراً ثالثة هي كالميناء لهاتين الدارين ومنها يتزود المسافرون إليهما وهي دار الدنيا ثم أخرج إليها من أثمار الدارين بعض ما اقتضته أعمال أربابهما وما يستدل به عليهما حتى كأنهما عين ليصير الإيمان بالدارين وإن كان غيباً وجه شهادة تستأنس به النفوس وتستدل به فأخرج سبحانه إلى هذه الدار من آثار رحمته من الثمار والفواكه والطيبات والملابس الفاخرة والصور الجميلة وسائر ملاذ النفوس ومشتهاها ما هو نفحة من نفحات الدار التي جعل ذلك كله فيها على وجه الكمال فإذا رآه المؤمنون ذكّرهم بما هناك من الخير والسرور والعيش الرخي كما قيل:

فإذا رآك المؤمنون تيقنوا حور الجنان لدى النعيم الخالد

فشعروا إليه وقالوا: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة وأحدثت لهم رؤيته عزمات وهمماً وجداً وتشميراً لأن النعيم يذكر بالنعيم والشيء يذكر بجنسه فإذا رأى أحدهم ما يعجبه ويروقه ولا سبيل له إليه قال: موعدك الجنة وإنما هي عشية أو ضحاها فوجود تلك المشتهيات والملذوذات في هذه الدار رحمة من الله يسوق بها عباده المؤمنين إلى تلك الدار التي هي أكمل منها وزاد لهم من هذه الدار إليها فهي زاد وعبرة ودليل وأثر من أثار رحمته التي أودعها تلك الدار فالمؤمن يهتز برؤيتها إلى ما أمامه ويثير ساكن عزماته إلى تلك فنفسه ذواقة تواقة إذا ذاقت شيئاً منها تاقت إلى ما هو أكمل منه حتى تتوق إلى النعيم المقيم في جوار الرب الكريم وأخرج سبحانه إلى هذه الدار أيضاً من أثار غضبه ونقمته من العقوبات والآلام والمحن والمكروهات من الأعيان والصفات ما يستدل بجنسه على ما في دار الشقاء من ذلك مع أن ذلك من آثار النَفَسين الشتاء والصيف اللذين أذن الله سبحانه بحكمته لجهنم أن تنفس بهما فاقتضى ذانك النفسان أثاراً ظهرت في هذه الدار كانت دليلاً وعبرة عليها وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى ونبه عليه بقوله في نار الدنيا: ﴿**نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ**﴾ تذكرة يذكر بها الآخرة ومنفعة للنازلين بالقواء وهم المسافرون يقال: أقوى الرجل إذا نزل بالقي والقوى وهي الأرض الخالية وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهاً لعباده والله أعلم بمراده من كلامه على أنهم كلهم مسافرون وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر.

والمقصود أنه سبحانه أشهد في هذه ما أعد لأوليائه وأعدائه في دار القرار وأخرج إلى هذه الدار من أثار رحمته وعقوبته ما هو عبرة ودلالة على ما هناك من خير وشر وجعل هذه العقوبات والآلام والمحن والبلايا سياطاً يسوق بها عباده المؤمنين فإذا رأوها حذروا كل الحذر واستدلوا بما رأوه منها وشاهدوه على ما في تلك الدار من المكروهات والعقوبات وكان وجودها في هذه الدار وإشهادهم إياها وامتحانهم باليسير منها رحمة منه بهم وإحساناً إليهم وتذكرة وتنبيهاً.

ولما كانت هـذه الدار ممـزوجاً خيـرها بشـرها وأذاهـا براحتهـا ونعيمها بعذابها اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن خلص خيـرها مـن شـرها وخصـه بدار أخرى هي دار الخيرات المحضة ودار السرور المحضة فكتب على هـذه الدار حكم الامتزاج والاختلاط وخلط فيها بين الفريقين وابتلى بعضهم ببعض وجعل بعضهم لبعض فتنة حكمة بالغـة بهرت العقـول وعزة قـاهرة فقـام بهذا الاختلاط سوق العبودية كما يحبه ويـرضاه ولم يكن تقـوم عبوديتـه التي يحبها ويرضاهـا إلا على هذا الـوجه بـل العبد الـواحد جمـع فيه بين أسبـاب الخير والشـر وسلط بعضه على بعض ليستخـرج منه مـا يحبـه من العبـوديـة التي لا تحصل إلا بذلك فلما حصلت الحكمة المطلوبة من هذا الامتـزاج والاختلاط أعقبـه بالتمييـز والتخليص فميـز بينهمـا بـدارين ومحلين وجعـل لكـل دار مـا يناسبها وأسكن فيها من يناسبهـا وخلق المؤمنين المتقين المخلصين لرحمتـه وأعداءه الكافرين لنقمته والمخلطين للأمرين فهؤلاء أهل الرحمـة وهؤلاء أهل النقمـة وهؤلاء أهل النقمـة والرحمـة وقسم آخر لا يستحقـون ثوابـاً ولا عقابـاً ورتب على كـل قسم من هذه الأقسـام الخمسة حكمـه اللائق بـه وأظهـر فيـه حكمته الباهرة ليعلم العباد كمال قدرته وحكمته وأنه يخلق ما يشاء ويختار من خلقه من يصلح للاختيار وأنه يضع ثوابه موضعه وعقابه موضعه ويجمع بينهمـا في المحل المقتضي لذلك ولا يظلم أحداً ولا يبخسه شيئاً من حقه ولا يعاقبه بغير جنايته هذا مع ما في ضمن هـذا الابتلاء والامتحـان من الحكم الراجعـة إلى العبيـد أنفسهم من استخـراج صبـرهم وشكـرهم وتـوكلهم وجهـادهم واستخراج كمالاتهم الكامنة في نفـوسهم من القوة إلى الفعـل ودفع الأسبـاب بعضها ببعض وكسر كل شيء بمقابلته ومصادمته بضده لتظهر عليـه آثار القهـر وسمـات الضعـف والعجـز ويتيقن العبـد أن القهـار لا يكـون إلا واحـداً وأنـه يستحيل أن يكون لـه شريـك بل القهـر والوحـدة متـلازمـان فالملك والقـدرة والقوة والعزة كلها لله الواحد القهار ومن سـواه مربـوب مقهور لـه ضد ومنـاف ومشـارك فخلق الريـاح وسلط بعضها على بعض تصـادمهـا وتكسـر سـورتهـا وتذهـب بها وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصـرفه وتكسـره وخلق النار وسلط عليها الماء يكسرها ويطفئها وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوتـه

وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها ويفتتها. وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم كل مشرد ويطردونهم كل مطرد وخلق الحرّ والبرد والشتاء والصيف وسلط كلاً منهما على الآخر يذهبه ويقهره وخلق الليل والنهار وقهر كلاً منهما بالآخر وكذلك الحيوان على اختلاف ضروبه من حيوان البر والبحر لكل منهم مضاد ومغالب فاستبان للعقول والفطر أن القاهر الغالب لذلك كله واحد وأنه من تمام ملكه إيجاد العالم على هذا الوجه وربط بعضه على بعض وأحوج بعضه إلى بعض وقهر بعضه ببعض وابتلاء بعضه ببعض وامتزاج خيره بشره وجعل شره بخيره الفداء ولهذا يدفع إلى كل مؤمن يوم القيامة كافر فيقال له: هذا فداؤك من النار وهكذا المؤمن في الدنيا يسلط عليه من الابتلاء والامتحان والمصائب ما يكون فداء من عذاب الله وقد تكون تلك الأسباب فداء له من شرور أكثر منها في هذا العالم أيضاً فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التدبر يتبين له حكمة اللطيف الخبير. انتهى.

لغز في الشمعة

صفراء من غير سقام بها	كيف وكانت أمها الشافية
عارية باطنها مكتسى	فأعجب بها عارية كاسية

مقدمة كتاب المختارات الجليلة لشيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله.

إعلم أنه يتعين على طالب العلم أن يسعى بجهده لتحصيل ما يحتاجه من الفهم وتشتد إليه ضرورته مبتدئاً بالأهم فالأهم قاصداً بذلك وجه الله تعالى يعتقد أن درسه ومدارسته وبحثه ومباحثته ونظره ومناظرته وتعلمه وتعليمه طريق يوصله إلى ربه ويحتسب به ثوابه ويخرج به نفسه وغيره من ظلمة الجهل إلى نور العلم ومن تبعة الإعراض عن الواجب والمستحب إلى القيام بهما وأن يعلم أن العلم المشروع هو ميراث عن نبيه محمد ﷺ فليستكثر منه لتتحقق الوراثة النبوية وأنه يجتهد ويحرص في كل مسألة من مسائل الدين والأحكام على تصورها وتحريرها وتفصيلها وحدها وتفسيرها ثم يسعى في

إدراك ما بنيت عليه من الدليل والتعليل الراجح لمعاني الكتاب والسنة وأصولهما فإن العلم الحقيقي هو الجمع بين هذين الأمرين والتحقيق بهذين الأصلين بحسب القدرة والاستطاعة فإذا فعل ذلك وقصد ترجيح ما قام عليه الدليل من الأقوال المختلفة فقد وُفِّقَ بسلوك طريق العلم الذي من سلكَهُ سلكَ الله به طريقاً إلى الجنة وكان سعيه مشكوراً وخطأه مغفوراً وثوابه مضاعفاً وأجره موفوراً والله الموفق للخير. انتهى.

ومن مختاراته من كتاب الطهارة:

الصواب أن الماء نوعان طهور مطهِّر. ونجس منجِّس وأن الحد الفاصل بينهما هو التغير لأحد أوصافه بالنجاسات والأخباث فما تغير لونه أو ريحه أو طعمه بنجاسة فهو نجس منجس وسواء كان التغير كثيراً أو قليلاً في محل التطهير أو في غيره للون أو لريح أو لطعم وسواء كان ذلك بممازجة أو بغير ممازجة.

وأما الماء الذي أصابته نجاسة فلم تغير أحد أوصافه فهو طهور لعدم الدليل الدال على نجاسته ولدخوله في الطيبات ولدخوله في العمومات ومن باب أولى وأحرى إذا كان تغيره بشيء طاهر. هذه الخلاصة وعليك بمراجعة الاختيارات فهناك التوضيح الكافي.

عند قضاء الحاجة: الصحيح أنه لا يكره استقبال النيِّرين وقت قضاء الحاجة والتعليل الذي ذكروه. وهو: لما فيهما من نور الله تعالى منقوض بسائر الكواكب وعلة غير معتبرة وقول النبي ﷺ: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولكن شرقوا أو غربوا» صريح في عدم الكراهة لأنه نهاهم عن استقبال القبلة واستدبارها ولم ينههم عن استقبال غيرها من الجهات ولأن قوله: «ولكن شرقوا أو غربوا» عام في كل وقت.

وإذا شرق وقت طلوعهما استقبلهما وإذا غرب عند ميلانهما للغروب استقبلهما فدل ذلك على أنه لا بأس بذلك والله أعلم.

والصحيح أن السواك للصائم لا يكره لا قبل الزوال ولا بعده بل محبوب

لـه كل وقت كمـا في الحديث: «من خيـر خصـال الصـائم السـواك» وعمـوم التـرغيب فيه ومدحه والأمر به للصلاة وغيرها يشمل الصائم كغيـره. والحديث الذي أوردوه: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستـاكوا بـالعشي» لم يثبت عن النبي ﷺ فلا يحتج به. وأما مستند من كره السـواك للصائم حـديث: «خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» قـالوا والخلوف في الغـالب يكون بعد نصف النهار فتعلق الحكم بـه. وليس في هذا دليـل على كراهـة السواك ولا تعرض له وإنما المقصود به الترغيب في الصيام وأنه عند الله بهذه المنـزلة العالية ولا يدل على استحباب بقـاء الخلوف. وأيضاً فقـد يخلف قبل الـزوال وربمـا أن بعض الصائمين لا يحصـل له خلوف أصـلاً فما الفـارق للكـراهـة والمقصود أن هذا الوهم والاحتمال لا يزيل ما ثبت بالنصـوص الصحيـحة ولا يخصصها والله أعلم.

واستحبابهم لقص الأظافر على وجه المخالفة فيه نظر والأثر الذي يروى فيه: (من قصّ أظفاره مخالفاً لم ير في عينيه رمـداً) باطـل لا يبنى عليه حكم شـرعي وإنما المستحب التيـامن في كـل شيء كمـا ثبت بـه الحـديث سـوى الأشياء المستقذرة فإنها تكرم اليمنى عن مباشرته كـالاستنجاء والاستنثـار ونحو ذلك.

والصحيح أن كل خف يمسـح سواء كـان مخرقـاً أو مفتقاً وسـواء أمكن متابعة المشي فيه أم لا بل وكذلك لو كان على قدميه لفـافة جـاز المسح على ذلك كله لأن النبي ﷺ رخص فيه رخصة عامة فقصد بها السهولة على الخلق ونفي الحرج والمشقة. ومن المعلوم أن الخفـاف خصوصـاً خفاف الفقـراء لا تخلو من شق أو فتق والحاجة داعية إلى ذلك. ولأن تـرك البيان وقت الحـاجة إليه غير جائز.

والصحيح أن الدم والقيء ونحوها لا ينقض الـوضوء قليلهـا ولا كثيرهـا لأنه لم يرد دليل بيّن على نقض الوضوء بها والأصل بقاء الطهارة وحـديث أنه ﷺ قاء فتوضأ نهاية ما يدل عليه استحبـاب الوضـوء لخروج القيء لأن الفعـل الذي تجرد من الأمر يدل على الاستحباب.

والصحيح أن الذي يعجز عن الطهارتين ويصلي على حسب حاله أنه يصلي ما شاء من فروض ونوافل ويزيد على ما يجزىء لأنها كاملة في حقه لا نقص فيها وليس للاقتصار على مجرد الواجبات نظير في العبادات يقاس عليه والله أعلم.

والصحيح في غسل النجاسات كلها غير الكلب أنه يكفي فيها غسلة واحدة تذهب بعين النجاسة وأثرها فإن لم تذهب زاد حتى يذهب أثرها ولو جاوز السبع وسواء كانت على الأرض أو الثياب أو البدن أو الأواني أو غير ذلك. وأما الحديث المروي عن ابن عمر: (أمرنا بغسل الأنجاس سبعاً) فهذا لم يثبت ولا يصح الاحتجاج به.

ومن كتاب الصلاة:

قولهم: (لا يجوز تأخير الصلاة إلا لمشتغل عن وقتها إلا لناوي الجمع أو المشتغل بشرطها الذي يحصله قريباً) فيه نظر فإن شيخ الإسلام ابن تيمية حكى اتفاق الأئمة على أنه لا يحل تأخير الصلاة عن وقتها متعمداً لعذر من الأعذار غير الجهاد فإن العلماء أجازوا تأخيرها لأجل الجهاد المشروع وإن كان جمهور العلماء لم يجيزوه في هذه الحال. وأمّا ما سوى ذلك من الأعذار فلا يبيح التأخير بل يصلي الإنسان في الوقت بحسب قدرته واستطاعته ولا يكلف الله نفساً إلا وُسعها.

والصحيح وجوب الأذان حتى على المسافرين للعمومات ولأن النبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يتركون الأذان في أسفارهم وفي إجزاء الأذان للفجر قبل طلوع الفجر إذا لم يكن مؤذن يؤذن للفجر نظر ظاهر فإن الأذان شرع للإعلام بدخول الوقت فكيف يجوز أن يترك هذا المقصود الأعظم في صلاة الفجر بل الأذان في الوقت في الفجر أكثر من غيرها من الأوقات لتعلق الصلاة والصوم بطلوع الفجر وإذا كان أهل البلد كلهم يؤذنون للفجر قبل طلوع الفجر فبأي شيء يعرفون الوقت ومن ترك الأذان المشروع فلا بد أن يعتاض عنه بدعة غير مشروعة. وأما الاستدلال بحديث «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» فإنما يدل على أنه يجوز أن يكون

بعض المؤذنين يؤذن قبل الفجر للحاجة إلى ذلك ولذلك كان النبي ﷺ لا يكتفي بأذان بلال وحده.

والقول الصحيح أنه إذا صلى في ثوب نجس ناسياً أو في حال الضرورة أنه لا إعادة عليه لأنه أتى بما يقدر عليه وسقط عنه ما عجز عنه ولأن النبي ﷺ صلى في نعليه فلما كان في أثناء الصلاة خلعهما بعدما أخبره جبريل أن فيهما قذراً ثم بنى على صلاته وإذا كان يبنى على ما مضى منها فإذا لم يعلم إلا بعد الفراغ كان صحتها من باب أولى وأحرى.

والصحيح في أوقات النهي أن النهي في الفجر يتعلق بصلاة الفجر لا بطلوع الفجر كما هو صريح الحديث الذي في صحيح مسلم وكصلاة العصر فإن النهي فيها إنما يتعلق بصلاتها لا بوقتها.

وتجويز ذوات[1] الأسباب في أوقات النهي أرجح من منعها لأن أحاديثها عامة محفوظة. وأحاديث النهي فيها تخصيصات كثيرة ولأن في بعض ألفاظ أحاديث النهي. النهي عن تحري الصلاة في هذه الأوقات وذلك إنما يكون في النفل المطلق.

ومن باب صلاة أهل الأعذار:

لم يثبت عن النبي ﷺ في صلاة المريض إلا قوله: «يصلي المريض قائماً فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنبه» وأما صلاته بطرفه أو بقلبه فإنه لم يثبت ومفهوم هذا الحديث يدل على أن الصلاة على جنبه مع الإيماء آخر المراتب الواجبة وهذا اختيار شيخ الإسلام رحمه الله.

والصحيح أنه لا يشترط نية الجمع ولا نية القصر بل إذا وجد العذر المبيح للقصر والجمع جاز ذلك ولو لم ينو ولذلك لم يكن النبي ﷺ يقول قبل التكبير: نويت الجمع ولا القصر ولا أمر بذلك ولو كان شرطاً لنقل نقلاً متواتراً مشتهراً وأيضاً فليس العلة عدم النية وإنما العلة في وجود السبب المبيح للرخصة فلا تأثير للنية في شيء من ذلك. انتهى.

---

(١) ذوات الأسباب كالإعادة وركعتي الطواف وتحية المسجد وسنة الوضوء وسجود التلاوة.

وصية علي بن سعيد العنسي لابنه: من كتاب نفح الطيب قال ابنه علي لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة رأى والدي أن يكتب لي وصية أجعلها إماماً في الغربة وهي هذه وكفى بها دليلاً على ما اختبر وعلم:

أودعُكَ الرحمٰن في غُربَتك ... مُرتقباً رُحْماه في أوبتكْ
وما اختياري كانَ طوعَ النوى ... لكنَّني أجري على بُغْيتكْ
فلا تُطل حَبْلَ النوى إنّني ... والله أشتاقُ إلى طَلْعتكْ
مَنْ كَانَ مفتوناً بأبنائه ... فإنني أمْعَنْتُ في خبرتك
فاختصِر التوديع أخْذاً فما ... لي ناظرٌ يَقْوىَ على فُرقتك
واجعل وصاتي نُصبَ عينٍ ولا ... تبرَحُ مدى الأيام من فكرتك
خُلاصةُ العُمر التي حُنِّكَتْ ... في ساعة زُفَّتْ إلى فِطْنَتِك
فلتجاريب أمورٌ إذا ... طالَعْتَها تَشْحَذُ من غفلتك
فلا تَنَمْ عن وَعْيِها ساعةً ... فإنها عَوْنٌ إلى يَقْظَتِكَ
وكلُّ ما كابدتَهُ في النَّوى ... إيَّاك أن يكسر من هِمَّتِك
فليس يُدرى أصلُ ذي غُربة ... وإنّما تُعرفُ من شِيمتك
وكلُّ ما يفضي لعذر فلا ... تجعلهُ في الغُربَة من إربتك
ولا تجالِسْ من فشا جهلُه ... واقْصد لمن يرغب في صنعتك
ولا تجادلْ أبداً حاسِداً ... فإنَّه أدْعى إلى هَيْبتك
وامْشِ الهُوينَا مُظهراً عِفَةً ... وابغ رضى الأعين عن هيئتك
أفْشِ التحيّاتِ إلى أهلها ... ونبِّه الناس على رتبتك
وانْطِقْ بحيثُ العيُّ مُستَقْبَحٌ ... واصْمتُ بحيثُ الخيرُ في سكتتك
ولا تَزَلْ مجتمعاً طالباً ... مِنْ دَهْرِكَ الفُرصَةَ في وثبتك
وكلما أبْصَرتَهَا أمكنت ... ثِبْ واثقاً بالله في مُكنتك
ولِجْ على رِزْقِكَ من بابه ... واقصِدْ له ما عشتَ في بُكرتك
وايْأسْ من الودِّ لدى حاسد ... ضِدّ ونافِسْه على خُطتك
ووفِّر الجهدَ فَمن قصدُهُ ... قصدُكَ لا تَعْتِبْه في بغْضَتِك
ووفِّ كُلّاً حَقه ولْتكُن ... تكسرُ عند الفخر من حِدتك
ولا تكنْ تَحْقِرُ ذا رُتبة ... فإنه أنفعُ في غُرْبَتِكَ

وحَيْثُما خَيَّمت فاقصِدْ إلى صُحبَة من تَرْجُوه في نصرتك
وللرَّزيا وَثْبَةٌ مالها إلا الذي تَذْخَرُ من عُدتك
ولا تقُلْ أسلمُ لي وحْدَتي فقد تُقاسي الذلَّ من وَحْدتك
ولْتَزِنِ الأحوال وزناً ولا ترجِعْ إلى ما قام في شهوتك
ولتجعلِ العقلَ مَحكَّاً وخُذْ كُلًّا بما يظهرُ في نَقْدتك
واعتبر الناس بألفاظِهمْ واصْحب أخاً يرغبُ في صُحبتك
بَعْدَ اختيارٍ منك يَقْضي بما يحسُنُ في الأخْدانِ من خلطتك
كم من صديقٍ مُظهرٍ نُصْحَه وفكْرُهُ وَقْفُ على عَثْرتك
إيَّاكَ أن تَقْربه إنَّه عَونٌ مع الدَّهر على كُربتك
واقْنَعْ إذا ما لم تجد مَطمعاً واطمع إذا نفست من عسرتك
وانْمُ نموَّ النَّبْتِ قَدْ زارَهُ غبُّ الندى واسْمُ إلى قُدرتِك
وإن نَبا دهرٌ فوطِّن لَهُ جأشَكَ وأنظِره إلى مُدتك
فكلُّ ذي أمرٍ لَه دُولَةٌ فوفِّ ما وافاك في دُولتك
ولا تُضَيِّعْ زَمناً ممكناً تذكارُهُ يُذكي لظى حَسْرَتك
والشَرُّ مهما اسطعتَ لا تأتِه فإنَّه حوبٌ على مُهجتك

يا بني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثله قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة إن شاء الله تعالى وإن أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول:

يزين الغريبَ إذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانيةٌ حسنُ أخلاقِهِ وثالثة اجتناب الريب

وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها مع الغربة رأيتها جامعة نافعة لا يلحقك إن شاء الله تعالى مع استعمالها ندم ولا يفارقك بر ولا كرم ولله درُّ القائل.

يُعَدّ رفيعَ القومِ من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسيب
إذ حلَّ أرضاً عاش فيها بعَقْله وما عاقلٌ في بَلدةٍ بغريب

واصْغِ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسُلَّم الكرم والصبر:

ولو أن أوطانَ الديار نَبتْ بكم لسكنتم الأخلاقَ والآدابا

وفي أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ أمثلة من جَرَّب واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال فإنها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غالياً بتجاربهم يُربحك ويقع عليك رخيصاً وإن رأيت من له مروءة وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع فعله ولا قوله فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك وحثاً لك واهتداء وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه حتى تتدبره فإن كان موافقاً لعقلك مصلحاً لحالك قوّاه ذلك عندك وإلا فانبذه نبذ النواة.

يا بني وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل اصْحَبْ من شئت فإنك مفارقه فمتى فارقت أحداً فعلى حسنى في القول والفعل فإنك لا تدري هل أنت راجع إليه فلذلك قال الأول: ولما مضى سلم بكيت على سِلم وإياك والبيت السائر:

وكُنْتَ إذا حَلَلْتَ بدار قوم رَحَلْتَ بخزية وتركت عاراً

واحرص على ما جمع قول القائل: ثلاثة تبقي لك الود في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه. وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره وآكد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار وتسلم للأقدار إذ الأفكار تجلب الهموم وتضاعف الغموم. وملازمة القُطوب عنوان المصائب والخطوب يستريب به الصاحب ويشمت العدو المجانب ولا تضر بالوساوس إلا نفسك ولا يفسد خاطرك من صار يذم الزمان وأهله ويقول: ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يستراح فيه فإن الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان واستحقت طلعته للهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها فاستراحوا إلى الوقوع في الناس: واعتقد في الناس قول القائل:

ومن يلق خيراً يحمد الناسُ أمرَهُ ومن يَغْو لا يَعْدَم على الغي لائما

وتحفظ بما تضمنه قول الآخر:

ومن دَعا الناس إلى ذمّه ذموه بالحق وبالباطل

والأمثال تضرب لذي اللّبّ الحكيم. وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتي عليك لا رب سواه انتهى.

ذكر ابن خلكان في ترجمة كثير عزه قال: وكان لكثير غلام عطار بالمدينة وربما باع نساء العرب بالنسيئة فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئاً من العطر فمكثت أياماً وحضرت إلى حانوته في نسوة فطالبها فقالت له: حباً وكرامة ما أقرب الوفاء وأسرعه فأنشد متمثلاً:

قضى كل ذي دين فوفّى غريمه وعزة ممطول معنّى غريمها

فقالت النسوة أتدري من غريمتك فقال: لا والله فقلن: هي والله عزة فقال: أشهدكن الله أنها في حل مما لي قبلها ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك فقال كثير وأنا أشهد الله أنك حرّ لوجهه ووهبه جميع ما في حانوت العطر فكان من عجائب الاتفاق.

حكم وأمثال

نعم العادة للإنسان إعادة الإحسان.

العذل على البذل فعل النذل.

السعيد من يبدىء البر ثم يعيد.

من يعدم خيرك يخدم غيرك.

فلان يخلف عداتي ويشمت عداتي.

الأفعال أعلى صوتاً من الكلمات.

إن يكن الشغل مجهده فإن الفراغ مفسده.

العلم في الصدور لا في السطور.

إذا تم العقل نقص الكلام.

كل الصِلات إلى زوال إلا الصلة بالله ومن أجله.

العين تصدق نفسها. والأذن تصدق غيرها.

الشقي من شكاه التقي.

رب عتق شر من رق.

ليس للمختال في حسن الثناء نصيب.

من ألقى عنه حبّ المال فقد استراح.

لا تحكم على الكتاب من غلافه.

لا يغرك من الثعبان ملمسه.

أغر من الأماني.

أصلح نفسك يصلح لك الناس.

احتمل مضرة يومك لمسرة غدك.

من حسن ظنه طاب عيشه.

من المديح قول عبدالمحسن الصوري:

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي | إذا كان هم الناس كسب الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى | وحق العطايا كان أول قائم
يزيد ابتهاجاً كلما جاء قاصد | كأن به شوقاً إلى كل قادم

وقال أبو فراس الحمداني يمدح سيف الدولة من قصيدة:

وإنك للمولى الذي بك أقتدي | وإنك للنجم الذي بك أهتدي
وأنت الذي عرفتني طرق العلا | وأنت الذي أهديتني كل مقصد
وأنت الذي بلغتني كل غاية | مشيت إليها فوق أعناق حسدي
فيا ملبسي النعمى التي جل قدرها | لقد أخلقت تلك الثياب فجدد

وكتب القاضي التنوخي إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة منها:

أسير وقلبي في هواك أسير | وحادي ركابي لوعة وزفير
ولي أدمع غزر تفيض كأنهم | جد أفاض في العافين منك غزير
وطرف طريف بالسهاد كأنه | لهاك وحبيسُ الجود فيه مغير
رياضكم خضر يرف نباتها | ونؤكم رطب السحاب مطير
وجوه كأكباد المحبين رقة | ولكنها يوم الهياج صخور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها:

كتبت وليلي بالسهاد نهار | وصدري لوارد الهموم صدار

ولـي أدمـع غـزر تفيض كـأنهـا سحـائب فـاضت من يـديـك غـزار
ولم أر مثـل الـدمع مـاء إذا جـرى تـلهب مـنــه في الـمـدامـع نــار
رحـلت وزادي لــوعـة ومـطيـتـي جــوانـح من حــر الفــراق حــرار
مسيـرة دعـاه النـاس سيـراً تــوسعـاً ومـعنـي اسمــه أن حـقـقــوه إســار
إذا رمت أن أنسى الأسى ذكـرت به ديــار لـهــا بـيـن الـضــلوع ديــار
لـك الخير من غيـر اختيـار تـرحلي وهـل لي على صرف الـزمـان خيـار
وهــذا كتــابي والجفــون كـأنمـا تـحـكـم فـي أسـفــارهـن شـفــار

وقال آخر:

فتى جبلت يـداه عـلى الـعـطايـا كمـا جُبـل اللســان على الكـلام
فـيـســراه لـنـيـل أو عـنــان ويـمـنـاه لـرمـح أو حـســام
لقـد أحيى المكــارم بعـد مـوت وشــاد بـنــاءهــا بـعــد انـهــدام
ســواء عـنـده قـول الـمـنـادي هـلمّ إلى الـطعـان أو الـطعـام

كـان أحد شعـراء الأندلس يسهـر في الليل ويشتغـل بالأدب وكـان أبوه فقيراً جداً. فلامه وقال له: نحن فقراء ولا طاقة لنا بـالزيت الـذي تسهر عليـه فاتفق أن برع في الأدب والعلم ونظم الشعر فقال في أبي بكر بن عبـدالعزيـز صاحب بلنسيه قصيدة أولها:

يـا شمس خـدر مـا لهـا مَغْـرِبُ أرامـةُ خِـدركِ أم يـثـربُ
ذهبت فـاستَعْبَـرَ طـرفي دمـاً مـفـضَّضُ الـدمـع بـه مــذهـبُ

ومنها:

نـاشـدتُــكَ الله نَـسيـمَ الـصَّبـا أنّـى استَـقَـرّت بـعـدنـا زَيـنـب
لـم نـسـرِ إلاّ بـشــذا عَـرفـهـا أولاً فـمـاذا الـنَّـفَس الـطيـب
إيــهٍ وإن عَـذَّبـنـي حُـبُّـهـا فمن عـذابِ الـنفس مـا يَعْـذب

فأطلق له ثلاثمائة دينار فجاء بها إلى أبيه وهو جـالس في حانـوته مكب على صنعته فوضعها في حجره وقال: خذها فاشتر بها زيتاً.

خصمه سوء

بينما كان عبدالله بن جعفر راكباً إذ تعرض له أعرابي وأمسك بعنان فرسه وقال: أيها الأمير! سألتك بالله أن تضرب عنقي فقال له الأمير: أمعتوه أنت فقال الأعرابي لا ورب البيت ولكن لي خصم سوء ليس لي به طاقة فقال الأمير: ومن خصمك هذا فقال له الأعرابي الفقر فالتفت الأمير إلى مرؤوس له وقال: ادفع إليه ألف دينار ثم قال له خذها وإذا عاد إليك فأتنا فإنا منصفوك منه فقال الأعرابي: أطال المولى بقاءك إن معي من جودك ما أدحض به حجة خصمي بقية عمري. انتهى.

يروى: أن قوماً من العرب أتوا شيخاً لهم قد أربى على الثمانين. وأهدف على التسعين فقالوا: إن عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثأر وننفي به العار فقال: الضعف فسخ همتي ونكث إبرام عزيمتي ولكن شاوروا الشجعان من ذوي العزم والجبناء من ذوي الحزم فإن الجبان لا يألوا برأيه ما يقي مهجكم والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ثم أخلصوا من الرأي بنتيجة تبعد عنكم معرفة نقص الجبان وتهور الشجعان فإذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب.

قال أبو العيناء قلت لأعرابي: كيف أنت قال: كما يسرك إن كنت صديقاً وكمايسوؤك إن كنت عدواً.

قال حذيفة بن بدر لرجل: أيسرك أن تغلب شر الناس قال: نعم. قال: لن تغلبه حتى تكون شراً منه.

وقال حكيم: من قل اعتباره قل استظهاره ومن لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره وإن السعيد من وُعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره.

قال ابن المعتز لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط منه. ولا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكتم عليه منك. وينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح للماء الجاري.

قال أحدهم: سمعت أعرابية توصي ابناً لها فقالت: عليك بحفظ السر وإياك والنميمة فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ولا ضغينة إلا أوقدتها.

قال سفيان بن عيينة: سمعت أعرابياً يقول عشية عرفة: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي وإن لم تتقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته.

قيل للشافعي رحمه الله تعالى: مالك تُدْمن إمساك العصا ولست بضعيف فقال: لأذكَرَ أني مسافر من الدنيا إلى الآخرة.

من مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

دع الإسراف مقتصداً. واذكر في اليوم غداً. وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك. أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين أو تطمع وأنت متمرغ في نعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين. وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم.

قال الشاعر:

ولا خير في عيش امرىء لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيب

وإن تُعجِب الدنيا أناساً فإنها ... متاع قليل والزوال قريب

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال: فكررها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: التفكر بالخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه.

قال حكيم لبنيه: يا بني إياكم والجزع عند المصائب فإنه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة للعدو. وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ولها آمنين فإني والله ما سخرت من شيء إلا نزل بي مثله فاحذروها وتوقعوها فإنما

الإنسان في الدنيا غرض تتعاوره السهام فمجاوز له ومقصر عنه وواقع عن يمينه وشماله حتى يصيبه بعضها واعلموا أن لكل شيء جزاء ولكل عمل ثواباً وقد قالوا كما تدين تدان ومن بر يوماً بر به.

قال مسلم الخواص لمحمد بن علي الصوفي أوصني فقال: أوصيك بتقوى الله في أمرك كله وإيثار ما يحب على محبتك وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه طرفك وشوقك إليه قلبك فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك حتى تبلغ لهما ما يطلعانك به وإن ملكتهما كنت الداعي إلى ما أردت فلم يعصيا لك أمراً ولم يردا لك قولاً.

قال الربيع بن خيثم: أقلل الكلام إلا من تسع: تكبير، وتهليل وتسبيح، وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن.

حكم وأمثال

العمر ينفق في الدنيا مجازفة والمال ينفق فيها بالموازين.

الذي يتغير كثيراً، يعاني كثيراً.

بكى عليك من أبكاك، وضحك عليك من أضحكك.

لا يمكنك أن تبيع البقرة وتملك حليبها.

العفاف زينة الفقر.

العناد يورث الكفر.

إذا أردت ضرب كلب تأكد أولاً من وجود العصا.

لا يخلو المرء من ودود يمدح أو عدو يقدح.

كل شيء صعب في بدايته.

فقر الجيب. ولا كثرة العيب.

من تأنى نال ما تمنى.

رب صدفة خير من ألف ميعاد.

كن مع الحق ولا تهاب.

من أعان ظالماً سلط عليه.

استطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سلطت به عليّ.

قيل لسقراط: ما بال تلاميذك يقولون الشعر وأنت لا تقوله فقال: أنا كالمسن يشحذ ولا يقطع.

قال بعض الحكماء: الناس ثلاث طبقات. طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان. وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة. وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين.

خطب سعيد بن سويد بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً فحائط الإسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل وأستغفر الله لي ولكم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال لي النبي ﷺ: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة» فقلت بلى يا رسول الله قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله» متفق عليه. وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني كلمات أقولهن قال: قل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له والله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله ربّ العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم» قال هؤلاء لربي فما لي قال: قل: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» فلما ولى الأعرابي قال النبي ﷺ: «لقد ملأ يديه من الخير» أخرجه مسلم. انتهى.

فصل
في بيان علاج حب الجاه

اعلم من من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورَ الهمّ على مراعاة الخلق مشغوفاً بالتردد إليهم والمرآءاة لهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتاً إلى

مـا يعظم منـزلته عنـدهم وذلك بـذر النفاق وأصـل الفسـاد لأن كـل من طلب المنزلة في قلوب الناس اضطر أن ينافقهم بإظهار ما هـو خال عنـه ويجر ذلـك إلى المـراءاة بالعبـادات واقتحام المحـظورات والتوصـل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبّه الرسول صلى الله علي وآله وسلم حب المال والشرف وإفسادهما للدين بـذئبين ضـاريين أرسـلا في غنم فحب الجـاه إذاً من المهلكـات يجب علاجه وعلاجه مركب من علم وعمل أما الأول فهو أن يعلم أن السبب الـذي لأجله أحب الجاه هو كمال القدرة على أشخاص الناس وقلوبهم وذلـك إذا صفا وسلم يكون في آخره الموت فينبغي أن يتفكر في نفسـه في الأخطار والآفـات الـلاحقة لأصحاب الجاه في الدنيا من تطرق الحسد إليهم وقصـدهم بالإيـذاء فتراهم خائفين على الـدوام من زوال جاههم محتـرزين من تغيير منـزلتهم في القلوب والقلوب أشد تغيراً من القِدر في غليانها فالاشتغال بمراعاة ذلك غموم عاجلة مكدرة لحفظ الجاه فلا يفي مرجو الدنيا بمخوفها فضلاً عما يفـوت في الآخرة فهذا من حيث العلم وأما العلاج من حيث العمل فهو إسقاط الجاه من قلوب الخلق بأفعال توجب ذلك كمـا روي أن بعض الملوك قصد زيـارة رجل زاهد فلما قرب منه استدعى طعاماً وبقلاً ولبناً وجعل يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه.

ولمـا أريد إبـراهيم النخعي على القضاء لبس قميصـاً أحمـر وقعـد في السوق. واعلم أن انقطاع الزاهد عن الناس يوجب جاهاً له عندهم فـإذا خاف من تلك الفتنـة فليخالـطهم على وجـه السـلامـة وليمش في الأسـواق وليشترِ حاجته ويحملها وليقطع طمعه من دنياهم وقد تم مراده.

واعلم أن أكثـر الناس إنمـا هلكوا لخـوف مذمـة الناس وحب مـدحهم فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رضى الناس رجاء المدح وخوفاً من الذم وذلك من المهلكات. انتهى من مختصر منهاج القاصدين.

المواضع التي السنة أفضل فيها من الواجب:

١ ـ إبتداء السلام أفضل من رده مع أن ابتداءه سنة وردّه واجب.

٢ ـ إبراء المعسر سنة وهو أفضل من إنظاره وهو واجب.

٣ ـ الوضوء قبل دخول الوقت سنة وبه يجب.

٤ ـ الختان قبل البلوغ سنة وبه يجب.

ونظمه بعضهم فقال:

الفـرض أفضـل من تـطوع عـابـد	حتى ولـو قـد جـاء منـه بـأكثـر
إلا التــطهــر قبــل وقـت وابـتـدا	ء للســلام كــذاك إبــرا المـعـسـر
وكــذا ختـان المــرء قبــل بلوغــه	تـمم بــه عــقــد الإمــام المـكثـر

فوائد

من القواعد والأصول الشرعية لشيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي:

١ الشـارع لا يأمـر إلا بما مصلحتـه خالصـة أو راجحـة ولا ينهى إلا عمـا مفسدته خالصة أو راجحة.

٢ الوسائل لها أحكام المقاصد فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون وطريق الحرام والمكروه تابعة لها.

٣ المشقة تجلب التيسير.

٤ الشـريعة مبنيـة على أصلين، الإخلاص لله والمتـابعـة لـرسـول الله ﷺ وهـذان الأصلان شـرط لكل عمـل ديني ظاهـر كأقـوال اللسان وأعمـال الجوارح أو باطن كأعمال القلوب.

٥ الأصل في العبادات الحظر فلا يشـرع منها إلا مـا شرعـه الله ورسولـه. والأصل في العادات الإباحة فلا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله.

٦ الأصل بقاء ما كان على ما كان واليقين لا يزول بالشك.

٧ إذا تــزاحمت المصـالــح قُــدِّم الأعلى منهــا. فيقــدم الــواجب على المستحب. والراجح من الأمرين على المرجوح وإذا تزاحمت المفـاسد واضطُر إلى واحد منها قدم الأخف منها.

٨ من عجز عن فعل جميع المأمور به فعل ما يقدر عليه. انتهى.

رفع أحد الملوك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً وقال له: إذا رأيتني قد اشتدّ غضبي فادفعه إليّ. وفي الكتاب أمسك فلستَ بإله إنما أنتَ جَسَد يُوشك أن يأكلَ بعضُه بعضاً ويصيرَ عن قريب للدّود والتراب.

قال أعرابي: الغنيّ من كثرت حسناته والفقير من قل نصيبه منها.

قال حكيم: يخيل إليك أن عدوك من تغضب عليه والحق أن عدوك هو الغضب فأسرع إلى مصافاة من خاصمت تخلص من عاطفة الغضب القاتلة التي ملأت نفسك.

سئل بعض العلماء بم شرف الإنسان أفبتعاطي ألوان الطعام قال: كلا، فالخنزير أكثر أكلاً منه. قيل: أفباللباس والزينة قال: كلا فالطاووس أجمل زينة منه. قيل: أفبغلبة قال: كلا فالأسد أشد قوة منه. قيل: أفبعظم الجثة قال: كلا الفيل أعظم منه. قيل: فبماذا قال: بالعلم والخلق الجميل.

قال حكيم: عَلِّم الجاهل ما علمت. والتمس من علم العالم ما قدرت. ولا تصحب السفيه فتحسب مثله. ولا تطمئن إلى دار أنت فيها اليوم وغداً عنها راحل.

وقال آخر: إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى أهون من الصبر على عذاب الله تعالى. فاصبروا عباد الله على عمل لا غنى لكم عن ثوابه. واصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه.

خمس مهلكات، شهوة عارمة، وعلم لا يقصد به وجه الله أو نفع الناس، ومال يورث الشح والبخل، وفراغ يحمل على ارتكاب المآثم، وعقل يحتال به صاحبه على الناس.

من ذكاء النساء: نظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فرمت نفسها إلى الأرض فقال لها: فداك أبي وأمي وإنى لي بمثلك.

قال حكيم: اترك فضول الكلام توفق للحكمة، واترك فضول النظر توفق للخشوع، واترك فضول الطعام توفق للعبادة.

يروى: أنه شكا أحدهم إلى سهل بن عبدالله لصاً دخل بيته وسرق متاعه فقال: احمد الله على أن لم يدخل قلبك لص الشيطان وسرق التوحيد فماذا تصنع.

قال شاعر:

أخاف على المحسن المتقي ... وأرجو لذي الهفوات المسي
فذلك خوفي على محسن ... فكيف على الظالم المعتدي
على أن ذا الزيغ قد يستفيق ... ويستأنف الزيغ قلبُ التقي

يقال: فروع الشر ستة:

حبّ الدنيا، وحبّ الرياسة، وحبّ الثناء، وحبّ الشبع، وحبّ النوم، وحب الراحة.

إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما من الله به إليك من النعم وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه من التقصير والذنوب.

سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الأجوفان البطن والفم وفيما روي معاذ عنه ﷺ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وقيل لحذيفة لم أطلت سجن لسانك فقال: لأنه غير مأمون الضرر. إذا أطلق. وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد قال الشاعر:

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الأقران

قيل: من أمارة الحكيم التريي في الجواب بعد استيعاب الفهم. وقيل من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيماً.

وقال الشاعر:

إذا حُدّثُوا لم يُخْشَ سوء استماعهم ... وإن حَدّثوا قالوا بحسن بيان

قيل: من لم ينشط لاستماع حديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم إعراضاً فأمسك.

كان أعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت فسأله عن ذلك فقال: أسمع فأعلم وأسكتُ فأسلم.

قال ابن شبرمة لإياس بن معاوية: أتأذن لي في مسألة ألقيها عليك فقال إياس: استربت بك حين استأذنت فإن كنت لا تسوء جليساً ولا تشين مسؤولاً فهاتها.

وقال أبو يعقوب الخطابي لجلسائه إنما اجتمعتم للأدب لا بجوار ولا نسب فوفّوه حقه ولا تثلبوا أحداً فمن ثَلب ثُلب. وإياكم والمراء في الأديان فإنها مفسدة بين الإخوان ونقص عند أهل الزمان. وعليكم بالأصول ولا تكثروا فتملوا واستريحوا إلى ما يوافق من الأدب فإنه غض أبداً غير مملول.

فائدة

قوله تعالى: إخباراً عن بلقيس: **﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾** يدل على تعداد رسلها إلى سليمان وقوله: **﴿ولما جاء سليمان﴾** بإفراد فاعل جاء وقوله تعالى إخباراً عن سليمان أنه قال: **﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود﴾** الآية يدل على أن الرسول واحد. والظاهر في الجواب هو ما ذكره غير واحد من أن الرسل جماعة وعليهم رئيس منهم فالجمع نظراً إلى الكل والإفراد نظراً إلى الرئيس لأن من معه تبع له والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: **﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾** الآية هذه الآية يدل ظاهرها على أن الحشر خاص بهؤلاء الأفواج المكذبة وقوله بعد هذا بقليل: **﴿وكل أتوه داخرين﴾** يدل على أن الحشر عام كما صرحت به الآيات القرآنية عن كثرة. والجواب عن هذا هو ما بينه الآلوسي في تفسيره من أن قوله **﴿وكل أتوه داخرين﴾** يراد به الحشر العام وقوله: **﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾** أي بعد الحشر العام يجمع الله

المكذبين للرسل من كل أمة لأجل التوبيخ المنصوص عليه بقوله: ﴿**أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون**﴾ فالمراد بالفوج من كل أمة الفوج المكذب للرسل يحشر للتوبيخ حشراً خاصاً فلا ينافي حشر الكل لفصل القضاء وهذا الوجه أحسن من تخصيص الفوج بالرؤساء كما ذهب إليه بعضهم. قوله تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾ قد قدمنا أن وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ إن الهدى المنفي عنه ﷺ هو منح التوفيق والهدى المثبت له هو إبانة الطريق انتهى من كتاب إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

يروى أن الرشيد أحضر رجلاً ليوليه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه قال الرشيد: فيك ثلاث خلال. لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به. فَولي فما وجدوا فيه مطعناً.

من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة. قال الشَّرَقيّ بن القَطَامي خرجت من الموصل أريد الرّقة فصحبني فتى من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِزْوَد وَرَكْوة وعصاً ورأيته لا يفارقها مُشاةً كنا أو رُكباناً وهو يقول إن الله جعل جِمَاع أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاوناً بما يقول فتخلّف المُكاري فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حماري ولا شيء في يدي فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويُريح ولا أقدر على البَرَاح حتى يوافيني المكاري فقلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعيا توكّأ على العصا وربما أَحْضَر ووضع طرفاً على الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم زالجٌ حتى انتهينا وقد تفسّختُ من الكَلاَل وإذا فيه فضل كثير فقلت: وهذه أخرى فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حيّة منكرة فسارت إلينا فأسلمتُه إليها وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها فقلت: هذه الثالثة وهي أعظمهن وخرجنا في اليوم الرابع وبنا قَرَمٌ إلى اللحم فاعترضتنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركنا ذكاتها

فقلت: هذه رابعة فأقبلتُ عليه فقلت: لو أن عندنا ناراً ما أخرت أكلها إلى المنزل فأخرج عُويداً من مزْودة ثم حكّه بالعصا فأوْرَتْ إيَراءَ المَرْخ والعفار ثم جمع ما قدر عليه من الغُثَاء والحشيش وأوقد ناراً وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما بغضها إليّ فعلّقها بيده اليسرى ثم ضرب جُنوبَها بالعصا وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى انتشر كل شيء عليها فأكلنا وسكن القرم وطابت النفس فقلت: هذه خامسة ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملآنة رَوثاً وتراباً فلم نجد موضعاً نظلُّ فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نِصَاباً لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: وهذه سادسة ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها في الحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابي فقلت: هذه سابعة. فلما صرنا إلى مَفْرِق الطريقين وأردت مفارقته قال لي: لو عدلتَ معي فبتّ عندي فعدلت معه فأدخلني منزلاً يتصل ببيعة فما زال يحدثني ويُطْرفني الليلَ كلّه فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له: ويحك أما أنت بمسلم قال: بلى قلت: فلِم تضرب بالناقوس قال: لأن أبي نصراني وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ بررتُه بالكفاية. وإذا شيطان مارد وأظرف الناس وأكثرهم أدباً فخبّرته بالذي أحصيتُ من خصال العصا فقال: والله لو حدثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتها.

قال رجل للأحنف وأراد عيبه بم سدتَ قومك قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العَنَزي أخبرني عن مالك بن مِسْمَع فقال له: لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أي شيء غضب فقال عبدالملك هذا السُّؤدد ولم يل شيئاً قط. قيل: لعَرَابة الأوسِيّ بم سُدْتَ قومك فقال: بأربع، أنخدع لهم عن مالي، وأذِلّ لهم في عرضي. ولا أحقر صغيرهم. ولا أحسدُ رفيعَهم.

وقال المقنّع الكنديّ وهو محمد بن عميرة:

ولا أحمِــلُ الحِقْـدَ القــديم عليهِمُ ... وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وليسـوا إلى نصري سـراعـاً وإن هُمُ ... دعـوني إلى نـصـر أتيـتُهُـمُ شَـدّا
إذا أكلوا لحمي وفَـرْتُ لـحـومَهـم ... وإن هدموا مجـدي بَنَيتُ لهم مجدا
يُعَيّـرني بـالـدَّين قـومي وإنمـا ... ديـوني في أشيـاء تكْسِبهم حَمْـدا

وقال آخر:

هَينـُون لَـيِنُـون أيسـارٌ ذوو يَسَـرٍ ... سُـواس مَكْـرُمـة أبنـاءُ أيْسـارِ
لا ينطقون على الفحشـاء إن نطقـوا ... ولا يُـمـارُون إن مـارَوْا بـإكـثـار
مَنْ تلقَ منهم تقـل لاقيتُ سَيّـدهُم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

قـال أبو اليقـظان ولّى الحجاج محمـد بن القاسم بن محمـد بن الحكم الثقفي قتـال الأكراد بفـارس فأبـاد منهم ثم ولّاه السِّند فـافتتح السنـد والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة فقال فيه الشاعر:

إن السمـاحــة والمــروءة والنّــدى ... لمحمـد بن القـاسم بـن محـمـد
قـاد الجيـوشَ لسبـع عَشْـرةَ حجـة ... يـا قـربَ ذلـك سُؤدداً من مـولـد

يروى أن رجلاً قـال لعمر بن الخـطاب رضي الله عنه: إن لي أُمّـاً بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطيـة فهل أديت حقهـا قال: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

يروى عن معاذ رضي الله عنـه قال: تعلمـوا العلم فإن تعلمـه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح. والبحث عنه جهـاد وتعليمه من لا يعلم صـدقة وبذله لأهله قربة. وهـو الأنيس في الوحـدة. والصاحب في الخلوة. والـدليل على الدين. والمصبر على السراء والضراء. والوزير عنـد الأخلاء. والقـريب عند الغرباء. ومنار سبيل الجنة.

سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن الرجل يـطلب الحديث فيكثـر قال: ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب ثم قال: سبيـل العلم مثل سبيل المال فإن المال إذا زاد زادت زكاته.

الكرم هو التبرع بالمال والعطيـة قبل السؤال وأجـود الناس من جـاد من

قلبه وصان وجه السائل عن المذلة.

قيل للحسن: ما عقوبة العالم فقال: موت قلبه قيل: وما موت قلبه فقال: طلب الدنيا بعمل الآخرة.

يروى أن الإسكندر قصد موضعاً فحاربته النساء فكف عنهن فقيل له في ذلك فقال: هذا جيش إذا غلبناه فما لنا به من فخر وإن غلبنا فتلك فضيحة الدهر. ويروى أنه عاتب المهلب الحجاج في تركه اتباع الخوارج لما انهزموا. فكتب إليه أما علمت أن الكلب إذا أجحر عقر.

قيل لرجل تعرض له الأسد فأفلت منه كيف حالك قال: سلمت غير أن الأسد خرىء في سراويلي.

وفي المثل: هو أجبن من صفر أو من صافر قيل:

هو طائر يتعلق برجليه في شجرة خشية أن ينام فيؤخذ وأحذر من عقعق وأشرد من ظليم. قيل لبعضهم: ما النذالة قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

يروى أنه أُتي الحجاج برجل من أصحاب ابن الأشعث فقال له: أسألك أن تقتلني وتخلصني فقال له الحجاج: لِمه فقال: إني أرى كل ليلة في المنام أنك تقتلني وقتلة واحدة خير فضحك وخلى سبيله.

يروى عن بشار بن برد أنه قال: هجوت جريراً فأعرض عني ولو هجاني لكنت أشعر الناس.

نصائح

من كان منطقه في غير ذكر فقد لغا. ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها. ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.

لا تغترن بمال. والغالب بالظلم مغلوب. والحجر المغصوب رهن بخراب الدار. تعلم من العلم ما ينفعك. البشاشة جوهر المعاملة. والصبر قبر العيوب. لا تحمل معدتك ما لا تطيق.

يروى أنه كان رجل فصيح يتقعر في كلامه فيتهدده الوالي بالضرب إن هو لم يقلع عن هذا التقعر في الكلام فكان يقول: إني إذاً أشقى الناس به ضُربت صغيراً لأتعلمه وضربت كبيراً لأتركه.

ويروى أنه مرض زياد فدخل عليه شريح القاضي يعوده فلما خرج سألوه كيف تركت الأمير قال: تركته يأمر وينهى فقال: مسروق بن الأجدع إن شريحاً صاحب تعريض فاسألوه فسألوه فقال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن النياحة.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: مسكين ابن آدم محتوم الأجل مكتوم الأمل مستور العلل يتكلم بلحم وينظر بشحم ويسمع بعظم أسير جوعه صريع شبعه. تؤذيه البقة وتنتنه العرقة وتقتله الشرقة لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال: فقر لا يدرك غناه، وهمّ لا ينقضي مداه وشغل ينفد أولاه. وأمل لا يبلغ منتهاه.

قال بعض الحكماء: زر السجن مرة في العمر لتعرف فضل الله عليك في الحرية. وزر المحكمة مرة في العام لتعرف فضل الله عليك في حسن الأخلاق. وزر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة والمرض.

الأسد: يقال عنه أن لديه شجاعة وجبناً وكرماً. فمن شجاعته الإقدام على الأمور وعدم الإكتراث بالغير. ومن جبنه أنه يفرّ من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار. ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة بسوء خصوصاً إذا كانت حائضاً.

يحكى أن أحد البخلاء اشترى داراً وانتقل إليها فوقف ببابه سائل فقال له البخيل: يفتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له: (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ثم وقف ثالث فقال له: (الله يرزق من يشاء بغير حساب) ثم التفت

البخيل إلى ابنته فقال لها: ما أكثر السُؤال في هذا الحي فقالت: ما دامت الأعطيات على هذا المنوال يا أبي فلا بأس علينا.

قال السري الرفاء يعاتب صديقاً أفشى له سراً:

لسانك السيف لا يخفى له أثر ... وأنت كالصل لا تبقي ولا تذر
يسري لديك كأسرار الزجاجة لا ... يخفى على العين منها الصفووالكدر
فاحذر من الشعر كسراً لا انجبار له ... فللزجاجة كسر ليس ينجبر

وله في مثل ذلك:

أروم منك ثماراً لست أجنيها ... وأرتجي الحال قد حلت أواخيها
أستودع الله خلاً منك أو سعه ... ودّاً ويوسعني غشاً وتمويها
كأن سري في أحشائه لهب ... فما تطيق له طياً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلة ... ضنينة بالذي تخفي نواحيها
فصار من بعد ما استودعت جوهرة ... رقيقة تستشف العين ما فيها

وقال أبو إسحاق الصابي:

صديق لكم يشكو إليكم جفاكم ... وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكر ... وللغيب مأمون وللحبل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه ... مقيم وقد جمت عليه البلابل
أكابرنا عطفاً علينا فإننا ... بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

كان المأمون يوصي بنيه فيقول: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وحدثوا بأحسن ما تحفظون.

نصيحة طبية

لا تأكل من اللحم إلا فتياً، ولا تشرب الدواء إلا من علة. ولا تأكل الفاكهة إلا ناضجة. وأجِد مضغ الطعام. وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام. وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة ولا تأكل حتى تجوع. واحذر حبس البول والغائط والريح.

كان ذو الرياستين يقول: عجبت لاتفاق الأطباء على ثلاث كلمات قال طبيب الروم كل قليلاً ولا تكن عليلاً. وقال طبيب فارس: كل قصداً لا تلق من الكضة جهداً. وقال طبيب الهند: كل قدراً لا تضيق به صدراً وقال بعضهم: صحة الجسم قلة الطعام. وصحة الروح اجتناب الأثم.

مفاخرة بين الصحة والمرض

قالت الصحة: بي ينشط الناس للعمل. فقال المرض: وبي يقصر الناس طول الأمل. قالت الصحة: بي يجتهد العابدون في العبادة. قال المرض: وبي يخلصون النية. قالت الصحة: كل الناس يحبونني. قال المرض: لولاي لما أحبوك هذا الحب.

فائدة

الصمت سلامة من غير عناء. وزينة من غير حُلي. وهيبة من غير سلطان، وحصن من غير سور، وراحة للكاتبين، وغنية عن الاعتذار:

وما ندمت على الصمت مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

فصل
في حقوق الأقارب والرحم

من كتاب مختصر منهاج القاصدين: ورد في الحديث الصحيح من رواية عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» وفي حديث آخر من أفراد البخاري: «ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها» وفي حديث آخر من أفراد مسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ قال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفّهم المُلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» والمعنى أنك منصور عليهم وقد انقطع احتجاجهم عليه بحق القرابة كما ينقطع كلام من سَفّ الملَّ وهو الرماد الحار

والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة في صلة الرحم وفي حقوق الوالدين وفي تأكد حق الأم وأما حقوق الولد فاعلم أنه لما كانت الطباع تميل إلى الولد لم يحتج إلى تأكيد الوصية به إلا أنه قد يغلب هوى الوالد للولد فيترك تعليمه وتأديبه وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾ قال المفسرون معناه علموهم وأدبوهم وينبغي للوالد أن يحسن إسم ابنه ويعق عنه فإذا بلغ سبع سنين أمره بالصلاة وختنه فإذا بلغ زوجه. انتهى.

فصل
في ذكر الله تعالى طرفي النهار

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً**﴾ وقال تعالى: ﴿**واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين**﴾ وقال تعالى: ﴿**وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار**﴾ وقال تعالى: ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾ وقال تعالى: ﴿**فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً**﴾ وقال تعالى: ﴿**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه» أخرجه مسلم.

وخرج أيضاً عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «أصبحت وأصبح الملك لله».

رأى الحسن رضي الله عنه قوماً يتزاحمون على جنازة بعض الصالحين فقال: ما لكم تتهافتون عليه افعلوا فعله تكونوا مثله. وسئل رضي الله عنه عن بر الوالدين فقال: إن تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما في ما أمراك ما لم يكن

معصية والدلالة على ذلك قوله تعـالى: **﴿وإن جاهـداك على أن تشرك بي مـا ليس لـك به علم فـلا تطعهمـا وصاحبهمـا في الدنيـا معروفـاً﴾** قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: إنك من أبرّ الناس بوالدتك ولسنا نراك تأكـل معها قال: إني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقها بذلك.

كان الأحنف مستنداً إلى سارية في المسجد وحده فـأقبل بعض أخـوانه فتنحى له عن مجلس فقال: يا أبا بحـر ما عنـدك من أحد ولا مجلسـك ضيق فلم تنحيت قـال: كرهت أن تـظن أني لم أهش لزيـارتك ومجيئـك فشكـرت ذلك بأقرب ما حضرني من الإكرام.

قال عروة بن الزبير:

يـا أيها المتـمنـي أن يكـون فـتى   مثـل ابن زيد لقـد خلّى لك السبـلا
أعـدد نـظائـر أخـلاق عـددن لـه   هـل سب من أحد أو سُب أو بخـلا

وأنشد أبو العيناء في معناه:

إذا أعـجبـتـك خـلال امـرىء   فكنـه يـكن منـك مـا يعـجبـك
فليس على الجـود والمكـرمـات   إذا جئـتهـا حـاجـب يـحـجبـك

قال العرجي الصوفي إذا صح الود سقطت شروط الأدب.

وقـال الحسن بن وهب اعلم أن المودة لا تتم مـا دامت الحشمة عليهـا مسلطة. وقـال بعضهم: أسقط عن نفسي نصف هم الـدنيـا بعشـرة من لا أحتشمه. قال أعرابي اللهم اكفني بوائق الثقـات والاغترار بـظاهر المـودات. وقـال آخر: اللهم احفـظني من الصديق فقيـل: كيف قـال: لأني متحـرز من العدو. قال بعض العرب: طلبت الراحة فلم أجد أروح لنفسي من تركها ما لا يعنيها وتوحشت في البادية فلم أر أوحش من قرين السوء.

يروى عن الأصمعي قال: غضب الفضـل بن يحيى على جاريـة فبعثت إليّ تسألني أن أسترضيه فسألته فقال: الـذنب ذنبها فقلت: وكيف مـوقعها من قلبـك أيها الأميـر قال: أحسن مـوقع وإنمـا أريد بهـذا الهجر تهـذيبها قلت: فاستعمل فيها وصية العباس بن الأحنف قال: وما هي قلت:

تحمّل عظيم الذنب ممن تحبُّه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى تفارقُ من تهوى وأنفك راغم

مدح أعرابي رجلاً فقال: ذاك من شجر لا يخلف ثمرة ومن ماء لا يخاف كدره. وقال أبو تمام:

فروع لا ترفّ عليك إلا شهدت بها على طيبِ الأرومِ
وفي الشرفِ الحديث دليلُ صدقٍ لمختبرٍ على الشرفِ القديم

وقال الببغاء:

إذا المرء لم يبن افتخاراً لنفسِهِ تضايق عنهُ ما ابتنتْهُ جدودُه
ولا خير في مَن لا يكونُ طريفُه دليلاً على ما شاد قدماً تليدُه

* * *

وقيل لأن يكون الرجل شريف النفس دنيء الأصل أفضل من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل ألا ترى أن رأس الكلب خير من ذنب الأسد.

خطب رجل إلى رجل من بني تميم ابنته فقال: لو كنتَ مثل أبيك زوجتك فقال: لو كنتُ مثل أبي لم أخطب إليك. وقيل لرجل من الأعراب: ما أشبهت أباك فقال: لو أشبه كل رجل أباه كنا كآدم.

فائدة

من كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

قوله تعالى: ﴿**هدى للمتقين**﴾ خصص في هذه الآية هدى هذا الكتاب بالمتقين. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن هداه عام لجميع الناس وهي قوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس**﴾ الآية ووجه الجمع بينهما أن الهدى يستعمل في القرآن استعمالين أحدهما عام والثاني خاص أما الهدى العام فمعناه إبانة طريق الحق وإيضاح المحجة سواء سلكها المبين له أم لا ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وأما ثمود فهديناهم**﴾ أي بينا لهم طريق الحق على لسان نبينا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مع

أنهم لم يسلكوها بدليل قوله عز وجل: **﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾** ومنه أيضاً قوله تعالى: **﴿إنا هديناه السبيل﴾** أي بينا له طريق الخير والشر بدليل قوله: **﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾**.

وأما الهدى الخاص فهو تفضل الله بالتوفيق على العبد ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: **﴿أولئك الذين هدى الله﴾** الآية وقوله: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** فإذا علمت ذلك فاعلم أن الهدى الخاص بالمتقين هو الهدى الخاص وهو التفضل بالتوفيق عليهم والهدى العام للناس هو الهدى العام وهو إبانة الطريق وإيضاح المحجة وبهذا يرتفع الإشكال أيضاً بين قوله تعالى: **﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾** مع قوله: **﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾** لأن الهدى عنه ﷺ هو الهدى الخاص لأن التوفيق بيد الله وحده ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً. والهدى المثبت له هو الهدى العام الذي هو إبانة الطريق وقد بينها ﷺ حتى تركها محجة بيضاء ليلها كنهارها والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قوله تعالى: **﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾** هذه الآية تدل بظاهرها على عدم إيمان الكفار وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن بعض الكفار يؤمن بالله ورسوله كقوله تعالى: **﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾** الآية. وكقوله: **﴿وكذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم﴾** وكقوله: **﴿ومن هؤلاء من يؤمن به﴾** ووجه الجمع ظاهر وهو أن الآية من العام المخصوص لأنها في خصوص الأشقياء الذين سبقت لهم في علم الله الشقاوة المشار إليهم بقوله: **﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾** ويدل لهذا التخصيص قوله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم﴾** الآية وأجاب البعض بأن المعنى لا يؤمنون ما دام الطبع على قلوبهم وأسماعهم والغشاوة على أبصارهم فإن أزال الله عنهم ذلك بفضله آمنوا.

قوله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾** الآية هذه الآية تدل بظاهرها على أنهم مجبورون لأن من ختم على قلبه وجعلت الغشاوة على بصره سلبت منه القدرة على الإيمان وقد جاء في آيات أخر ما يدل على

أن كفرهم واقع بمشيئتهم وإرادتهم كقوله تعالى: ﴿**فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ وكقوله تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة**﴾ وكقوله: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ الآية وكقوله ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم**﴾ الآية وكقوله: ﴿**لبئس ما قدمت لهم أنفسهم**﴾ الآية. والجواب أن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم كل ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاءً وفاقاً كما بينه تعالى بقوله: ﴿**بل طبع الله عليها بكفرهم**﴾ وقوله: ﴿**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم**﴾ وبقوله: ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة**﴾ وقوله: ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**﴾ وقوله: ﴿**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً**﴾ الآية وقوله: ﴿**بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ إلى غير ذلك من الآيات. انتهى.

قال حكيم من كان وفاؤه سجية وطباعه كريمة ورأى المكافأة بالإحسان تقصيراً حتى يتفضل ولم يقصر عن معروف يمكنه وإن لم يُشْكَرْ ويبذل جُهده لمن امتحن ودّه فذلك المكمل.

وقال آخر: أربع يسودن العبد، الأدب، والصدق، وآداء الأمانة، والمروءة.

فائدة

يروى عن نصر بن حاجب قال: سئل سفيان بن عيينة عن الرجل يعتذر إلى أخيه من الشيء الذي قد فعله ويحرف القول فيه ليرضيه أيأثم في ذلك فقال: ألم تسمع قوله عليه السلام: «ليس بكاذب من أصْلَحَ بين الناس فَكَذَب فيه» فإذا أصلح بينه وبين أخيه المسلم كان خيراً من أن يصلح بين الناس بعضهم في بعض وذلك أنه أراد به مرضاة الله وكراهية أذى المؤمن ويندم على ما كان منه ويدفع شره عن نفسه ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزلة عندهم ولا طمعاً في شيء يصيبه منهم فإنه لم يرخص في ذلك ورخص له إذا كره موجدتهم وخاف عداوتهم.

قال الله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وقال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ أي يتشاورون بينهم فيه وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم: إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علّام الغيوب اللهم: إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري. أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال: ثم يسمي حاجته) رواه البخاري.

يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ليس حسن الجوار كف الأذى فقط بل الصبر على الأذى. وقال حكيم: من أجار جاره أعانه الله وأجاره.

يروى أن رجلاً دخل على المهدي يطلب صلة فقال له كم عيالك فقال الرجل: ثمانية فأمر له بثمانية آلاف درهم فأخذها الرجل شاكراً وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال: يا مولاي لقد نسيت واحداً من عيالي فقال له المهدي من هو قال الرجل: أنا فضحك المهدي وأمر له بألف.

ويروى أنّ أعرابياً دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التي أنت بها بإدامة شكرها وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها فأعجب الرشيد من دعائه وحسن تقسيمه. سأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال: أقلهم لفظاً وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة.

ذكر ابن خلكان في ترجمة عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال: لما مات أخوه سليمان وقف على قبره متكئاً على قوسه ونظر إلى قبور أهله وأنشد:

النفس تـرقى بحزن في تـراقيها ودمعـةُ العين تجري من مـآقيها
لـبقعـة مـا رأت عيـني كـقِلّتـهـا ولا ككثـرة أحـبـاب ثـوَوْا فيـهـا

حكى الخطيب يحيى التبريزي أن أبا الحسن علي الفالي الأديب كانت له نسخة بكتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها واشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن الفالي وهي:

أنستُ بهـا عشرين حـولاً وبعتها لقد طال وَجْدي بعدها وحنيني
ومـا كـان ظنّي أنني سـأبيعـهـا ولـو خلّدتني في السجون ديـوني
ولـكن لـضعف وافتـقـار وصِبْيَـة صـغـار عليـهم تـستهـل شؤني
فقلت: ولم أملك سـوابق عبـرة مـقـالـة مكـويّ الـفـؤاد حـزيـن
(وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالـك كـرائم من ربٍّ بـهـنّ ضـنيـنِ)

وهذا الفالي منسوب إلى فاله (بالفاء) وهي بلدة بخورستان قريبة من إيذج.

ومن غرائب الأخبار أن زوجة الحسن بن الفرات أرادت أن تختن ابنها بعد قتل أبيه. فرأت المحسن في منامها فـذكرت لـه تعذر النفقة فقال لها: إن لي عند فلان عشرة آلاف دينار أودعته إياها فانتبهت وأخبرت أهلها فسألوا الرجل فاعترف وحمل المال عن آخره.

من نوادر أبي العيناء:

حضر يوماً مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم فقال الوزير لأبي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم وإنما هذا تصنيف الورّاقين وكذب المؤلفين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير فسكت الوزير وعجب الحاضرون من إقدامه عليه. ووقف عليه رجل من العامة فلما أحسّ به قال: من هذا قال: رجل من بني آدم فقال أبو العيناء مرحباً بك أطال بقاءك ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع. وذكر له أن

المتوكل قال لولا أنه ضرير لنادمناه فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة وقراءة نقوش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة. ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفرية فقال له: ما تقول في دارنا هذه فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك. وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه ثقتي بك تمنعني من استبطائك وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك ولست آمن مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك احترامَ الأجل فإن الآجال آفات الآمال فسح الله في أجلك وبلغك منتهى أملك والسلام انتهى من وفيات الأعيان.

قيل: من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره.

ومن دعاء بعضهم: صرف الله عنكَ آفات التمام.

وكتب الإسكندر إلى أرسطاطاليس اكتب إليّ موعظة تردع وتقنع فكتب إليه: إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف وإذا بلغت نهاية أملك فاذكر الموت.

شاعر:

إذا تم أمر بدا نقصه　　　تَوقّع زوالاً إذا قيل تمّ

دخل أعرابي عُمّر مائة وعشرين سنة على معاوية فقال له: صف لي الدنيا فقال: سنيات بلاء وسنيات رخاء يولد مولود ويهلك هالك ولولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الأرض. وقال الشاعر:

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي　　　بما كان فيها من بلاء ومن خفض

فهونك لا تحفل إساءة عارض　　　ولا فرحة تأتي فكلتاهما تمضي

وقيل: كل قتيل يقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يقتص منه.

قيل لرجل: إن ابنك عشق فقال: عذب قلبه وأبكى عينه وأطال سقمه. وقال بعض الفلاسفة: لم أر حقاً أشبه بباطل من العشق هزله جدّ وجدّه هزل أوله لعب وآخره عطب.

إن الهوان هو الهوى جزم اسمه　　　فإذا لقيتَ هوى لقيتَ هواناً

آخر:

ومـا كيس في النـاس يحمـدُ رأيـه   فيـوجـد إلا وهـو في الحب أحمق

قيـل لرجـل: لم اخترت من جـواريـكأقبحهن فقـال: لأن الهـوى ليس نخاساً فيختار أثمنهن. وقيل لرجل اخترت فلانة مع قبحها فقال لو صح لـذي الهـوى اختيار لاختـار أن لا يعشق وقيل العين إذا أبصـرت الهـوى عميت عن الاختيار.

وروي عن الأصمعي قال: سألني الرشيد عن حقيقـة العشق فقلت: أن يكون البصل منها أطيب من المسك من غيرها.

من مداعبة الأصدقاء:

ذمـمـتـك أولاً حـتـى إذا مـا   بـلوت سـواك عـاد الـذم حمـدا

ولـم أحـمـدك مـن خيـر ولـكـن   رأيـت سـواك شـراً منـك جـدا

فـعـدت إلـيـك مـختاراً ذلـيـلاً   لأنـي لـم أجـد مـن ذاك بـدا

كـمجـهـود تعـاظـم أكـل ميـت   فـلمـا اضـطر عـاد إليـه شـدا

من فتاوى شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

س: ما الذي تكفره الصلاة من الذنوب؟

ج ـ: قـوله ﷺ في حـديث عثمـان الـذي في صحيـح مسلم: «مـا من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبـة فيحسن وضـوءها وخشوعهـا وركوعهـا إلا كانت كفارة لما قبلها من الـذنوب مـا لم يؤت كبيره وذلـك الدهـر كله» فيه أن كمال العبادة بتكميل وسائلها وأفعالها الظاهرة والخشوع الباطن الذي هـو مقام الإحسـان وأن النقص يحصل بـالإخلال بـواحدة من هـذه الثلاث أو اثنتين أو كلها وعلى الصلاة قس جميع العبادات واجتهد في إتقان طرقها ووسائلها وفي تحقيق الخشوع والمراقبة فيها مع الاجتهاد والإتيان بكل قول أو فعل واجب أو مستحب. والله المعين والموفق.

س: هل يجيب المؤذن وهو في الصلاة؟

ج ـ: قال الشيخ تقي الدين يجيب المؤذن وهو في الصـلاة ووجه ذلـك

أن العمومات تؤيده وهذا الذي نختاره.

س: إذا صلى ناسياً وجاهلاً وعلى بدنه أو ثوبه نجاسة فهل يعيد؟

ج -: إذا جهل النجاسة على ثوبه وبدنه أو نسيها فالصحيح لا إعادة عليه لأن النبي ﷺ خلع نعليه لما أخبره جبريل في الصلاة أن بهما قذى وبنى ولم يعد.

الإخلاص له بريق ولمعان وإن عميت عنه آلاف العيون. يروى أن هشام بن عبد الملك شتم رجلاً فقال له الرجل: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الأرض فاستحيا منه هشام وقال: اقتص مني قال الرجل: إذاً أنا سفيه مثلك قال: فخذ مني عوضاً من المال قال: ما كنت لأفعل قال فهبها لله قال: هي لله ثم لك فنكس هشام رأسه واستحيا وقال: والله لا أعود لمثلها أبداً.

يقال: أنه سأل الطفل والده: ما هو يا والدي الشيء الذي يجعل المسكن سعيداً هادئاً قال الأب: شيئان يا ابني أولاً أن يكون الزوج أخرس وثانياً أن تكون الزوجة عمياء.

يقال للطير ثلاثة جفون جفنان كالإنسان وجفن ثالث شفاف يحمي العين من الهواء والضوء القوي ويسمى الغشاء الرامش. وحركة هذا الجفن هي في العين اليمنى من اليمين إلى الداخل وفي العين اليسرى من اليسار إلى الداخل، فسبحان الخلاق العظيم القادر على كل شيء.

من دعاء الأعراب: دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال: اللهم قد أطعناك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ولم نَعْصك في أبغض الأشياء إليك الشرك بك فاغفر اللهم ما بين ذلك.

قال الفرزدق:

تَصرَّم مني وُدّ بكرِ بن وائلٍ ... وما خِلتُ عنّي وُدَّهُم يَتَصرَّمُ
قَوارِضُ تأتيني ويحتقرُونَها ... وقد يملأُ القطرُ الإناء فيفعُمُ

قال شاعر:

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقاً وإن كان الحبيب المقرّبا

يقال الأذلّاء أربعة: النمام، والكذاب، والمدين، والفقير.

قال ابن المقفع لا تَهاوَنَنّ بإرسال الكذبة في الهزل فإنها تُسرع في إبطال الحق. وقال الأحنف: اثنان لا يجتمعان أبداً الكذبُ والمروءة.

قال بعضُهم لأن أزاول أحمقَ أحب إليّ من أن أزاول نِصفَ أحمق يعني الأحمق المتعاقل.

وقرأت في كتابِ للهند من الحمق التماس الرجل الإخوان بغير وفاءٍ. والأجر بالرياء. ومودّةَ النساءِ بالغِلْظة. ونفعَ نفسه بضر غيره. والعلم والفضل بالدّعة والخفض.

دعا بعضُ السلاطين مَجنونين ليضحكَ منهما فأسمعاه فَغضب فدعا بالسيف فقال أحدُهما للآخر كنّا اثنين وقد صرنا ثلاثة. جاء أعرابي إلى المسجد والإمامُ يخطبُ فقال لبعض القوم: ما هذا قال: يدعونَ النّاسَ إلى الطعام قال: فما يقول صاحب المنبر قال: يقول: ما يَرْضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحملوا معهم فتخطى الأعرابي الناس حتى دنا من الوالي فقال: يا هذا إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا.

قال بعض العمال لأعرابي ما أحسبُك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة فقال: أرأيت إن أنبأتُك بذلك تجعل لي عليك مسألة قال: نعم قال الأعرابي:

إن الصَّلاة أربعٌ وأربعُ ثم ثلاثٌ بَعدهُنَّ أربع

ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّعُ

قال: قد صدقتَ فَسَلْ قال: كم فَقَارُ ظهرك قال: لا أدري قال: أفتحكُم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك.

وحكي أن عبدالملك بن مروان أتَوْهُ برجل من الخوارج فأراد قتله

فأُدخل على عبدالملك ابن له صغير وهو يبكي فقال الخارجيّ دعه يا عبدالملك فإن ذلك أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألّا تأبى عليه عينه إذا حَفَزَتْهُ طاعةُ الله فاستدعى عَبْرتها. فأُعجب عبد الملك بقوله: وقال له متعجباً أُما يشغلك ما أنت فيه عن هذا فقال: ما ينبغي أن يشْغَل المؤمن عن قول الحق شيءُ فأمر عبد الملك بحبسه وصَفَحَ عن قتله.

يقال: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أشبه منه بلين العيش مع الجهال. وقيل: آخ الكريم واسترسل إليه وعليك أن تصحب العاقل وإن لم يكن كريماً لتنتفع بعقله. واهرب كل الهرب من اللئيم الأحمق. وقيل إن الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير.

حكم وأمثال

من يئس من شيء استغنى عنه.

للحق صوت فوق كل صوت.

لو كانت الغلبة بالضجيج لكانت الحميرُ أول الغالبين.

حياة الشجاع في موته وموت الجبان في حياته.

السيف إن مرّ على هامة روعها وإن هو لم يقطع.

لا يمنعكم مساوي رجل من ذكر محاسنه.

إصلاح ما في يدك أسلم من طلب ما في أيدي الناس.

إذا كثرت الممتلكات كثر القلق.

الدليل على الحمق إعجاب المرء بنفسه.

من أفضل الزهد إخفاؤه.

ما كل ما يلمع ذهباً.

باكر تسعد.

يهب الله لكل طائر رزقه ولكن لا يلقيه في العش.

خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت.

للذهب ثمن ولا ثمن للحكمة.

من أشد البلاء تآمر اللؤماء على الكرماء.

إن كنت على حق فلا حاجة إلى رفع صوتك.

ربّ عاجل لذة. أعقبت طول حسرة.

من سلّ سيف البغي قتل به.

ثلاثة القليل منها كثير. النار والفقر والمرض.

إذا فاتك العلم فالزم الصمت.

علم بلا عمل كسفينة بلا ملاح.

سفير السوء يفسد ذات البين.

المرأة الجميلة في غنى عن الثياب الجميلة.

المتسول لا يختار.

إذا صدىء الرأي صقلته المشورة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الفوائد) قاعدة جليلة. إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه وإليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾. وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرطاً لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد فقوله: ﴿**إن في ذلك لذكرى**﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا وهذا هو المؤثر وقوله: ﴿**لمن كان له قلب**﴾ فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى: ﴿**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً**﴾ أي حي القلب وقوله: ﴿**أو ألقى السمع**﴾ أي وجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا شرط التأثر بالكلام وقوله: ﴿**وهو شهيد**﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب.

قال ابن قتيبة استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله فإذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب الحي ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر (فإن قيل) إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه فما وجه

دخول أداة (أو) في قوله ﴿**أو ألقى السمع**﴾ والموضع موضع واو الجمع لا موضع أو التي هي لأحد الشيئين قيل هذا سؤال جيد والجواب عنه أن يقال خرج الكلام بأو باعتبار حال المخاطب المدعو فإن من الناس من يكون حي القلب واعيه تام الفطرة فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دله قلبه وعقله على صحة القرآن وأنه الحق وشهد قلبه بما أخبر به القرآن فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة وهذا وصف الذي قيل فيهم﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق**﴾ وقال في حقهم ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دُرّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ فهذا نور الفطرة على نور الوحي وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي.

قال ابن القيم: وقد ذكرنا ما تضمنت هذه الآية من الأسرار والعبر في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها أنها قد كتبت فيه فهو يقرأها عن ظهر قلب. ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب كامل الحياة فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحي الواعي فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكر فيه وتعقل معانيه فيعلم حينئذ أنه الحق. فالأول حال من رأى بعينيه ما دعي إليه وأخبر به. والثاني حال من علم صدق المخبر وتيقنه وقال يكفيني خبره فهو في مقام الإيمان. والأول في مقام الإحسان هذا قد وصل إلى علم اليقين وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام. فعين اليقين نوعان نوع في الدنيا ونوع في الآخرة. فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب كنسبة الشاهد إلى العين. وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار وفي الدنيا بالبصائر فهو عين يقين في المرتبتين انتهى.

قال ابن المقفع وقد بلغه عن رجل شيء يكرهه ينبغي للرجل أن يُكذب سوء الظن بصديقه ليكون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح.

التقى أعرابيان فتعاتبا وإلى جنبيهما شيخ فقال: انعما عيشاً إن العتاب يبعث التجني والتجني ذرء المخاصمة والمخاصمة أخت العداوة فانتبها عما ثمرته العداوة.

الموت: سأل أزدشير بعض الحكماء عن دار بناها وقال: هل ترى فيها عيباً فقال: نعم عيباً لا يمكنك إصلاحه فقال: وما هو قال: لك منها خرجة لا عود بعدها أو دخلة لا خروج بعدها. وكتب أبو العتاهية على سقف بيته:

أتطمعُ أن تخلَّدَ لا أبالك   أمنتَ قوى المنية أن تنالَك
أما والله إن لها رسولاً   بها لو قَد أتاك لما أقَالك
كأني بالترابِ عليكَ يُحثى   وبالباكين يقتسمونَ مالَك
ولستَ مخلفاً في الناس شيئاً   ولا متزوداً إلا فعالَك

وكان الحسن إذا خوف من الموت يقول للشيوخ الزرع إذا بلغ لا بد أن يحصد. ويقول للشبان هل رأيتم زرعاً لم يبلغ أدركته الآفة.

وقيل أذكر حفرة سمكها قصير وساكنها أسير. وقيل من ضاق به أمر فليتذكر الموت فإنه يتسع عليه. وقيل لجعفر بن محمد كيف صار الموت يأخذ على فنون شتى فقال: أحب الله أن لا يؤمن على حال.

وقال معبد الجهني نعم نصيحة القلب ذكر الموت يطرد فضول الأمل ويكف غرب المنى ويهون المصائب ويحول بين القلب وبين الطغيان. وقال أبو نواس:

ألا يا ابنَ الذين فنوا وماتوا   أما والله ما ماتوا لتبقى

* * *

عمارْ:

وما نحنُ إلا رفقةٌ قد ترحّلَتْ   لقصدٍ وأُخرى قد أنيخَتْ ركابُها

* * *

شاعر:

ومن كان ذا بابٍ شديد وحاجبٍ   فعمَّا قليلٍ يهجرُ البابَ حاجبُه

وقيل أمر لا تدري متى يغشاك ألا تستعد له قبل أن يفجأك.

ويروى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها غيره من الملوك فقال: انظروا هل بقي بها أحد من نسل ملوكها فقالوا: رجل يسكن المقابر فأحضره وسأله عن إقامته فقال: أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال: هل تتبعني فاحيي شرفك إن كان لك همة فقال: همتي عظيمة إن أنلتنيها فقال ما هي قال: حياة لا موت معها. وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر معه. وسرور لا مكروه فيه. فقال: ليس عندي هذا فقال: دعني ألتمسه ممن هو عنده فقال: ما رأيت مثله حكيماً. وقال علي بن عبدالعزيز:

إذا قلت لم يبلغْ بي السنُّ مبلغاً وُعظتُ بطفلٍ صار قبلي إلى الترب

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لها قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء. وضيعت العمر وليس له بدل واتبعت النساء وليس لهن وفاء وجفوت الرب وليس منه عوض. ذكر الحسن عن بعضهم لما حضرته المنية قيل له: أوص فقال: أوصيكم على المحافظة بآخر سورة النحل: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخاً فقال: يا شيخ أيسرك أن تموت فقال: لا والله قال: لم وقد بلغت من السن ما أرى قال: ذهب الشباب وشره وبقي الشيب وخيره فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله فأُحب أن تدوم لي هاتان الحالتان. قال أبو بكر العنبري: كنت قاعداً في الجامع فمرّ بي معتوه فأقبل علي وقال:

فهبكَ ملكتَ هذا الناسَ طرّاً ودان لك العبادُ فكان ماذا
ألستَ تصيرُ في لحدٍ ويحوي تراثك عنك هذا ثم هذا

نبذة من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة.

كان يقال لا يزال المرء عالماً ما طلب العِلْم فإذا ظَنَّ أن قد علم فقد جهل.

وكان يقال: أوّلُ العلم الصمتُ والثاني الاستماع والثالث الحفظ

والـرابع العقـل والخامس نشـرُه. ويقـال: إذا جـالست العلمـاءَ فكن على أن تسمـع أحرص منـك على أن تقـول. قـال الحسن: من أحسنَ عبـادةَ الله في شبيبته لقاه الله الحكمة في سِنّه وذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّـا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَـوَى آتَيْنَـاهُ حُكْمـاً وَعِلْمـاً وكَـذَلِـكَ نَجْـزِي المُحْسِنِينَ**﴾ قـال بعض الحكمـاء من الصحـابة تقـول الحكمـة من التمسني فلم يَجِـدْني فليفْعَـل بـأحسن مـا يعلم وليترك أقبح ما يعلم فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يَعْرفني. ويقـال: لا يكون الرجلُ عالماً حتى يكون فيه ثلاث لا يَحْقِرْ مَنْ دونه في العلم. ولا يَحْسُد من فوقه. ولا يأخُذ على علمه ثمناً. وفي حكمـة لقمان أن العـالم الحكيم يدعـو الناس إلى علمه بالصمـت والوَقَار وإن العالم الأَخْـرق يَطْرُد النـاس عن علمه بالهَذر والإكثار. ويقال: إذا جلست إلى عالم فسل تَفَقُّهاً ولا تَسَلْ تَعَنُّتاً.

قال الحسن: مَن استتر عن الطلب بالحياء لَبِس للجهل سرباله فَقَطِّعـوا سَرَابيلَ الحياء فإنّـه من رقّ وجههُ رقّ علمـه. وقال الخليـل منزلـة الجهل بين الحياء والأنفة. وقال عروة بن الزبير لبنيه: تعلموا العلم فإن تكونوا صِغَارَ قـوم فعسى أن تَكُونوا كبار قوم آخرين. فيا سَوْأتا ماذا أقبح من جهـل بشيخ. وكـان يقال عَلِّم علمك من يَجْهل وتَعَلّم ممن يعلم فإنـك إذا فعلت ذلك علمتَ مـا جهلتَ وحفظتَ ما علِمتَ.

قال سفيان: تعـوذوا بالله من فتنـة العابـد الجاهـل وفتنة العـالم الفاجـر وقال: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

كتب رجل إلى أخ له إنك قد أُوتيتَ علماً فلا تُطْفِئَنَّ نورَ علمك بظلمـة الذنوب فَتَبقى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم.

قاعدة

من كتاب الفوائد، لابن القيم رحمه الله تعالى:

لشهـادة أن لا إله إلا الله عنـد الموت تـأثير عـظيم في تكفيـر السيئـات وإحبـاطها لأنهـا شهادة من عبـد موقن بهـا عارف بمضمـونهـا قـد مـاتت منـه الشهوات ولانت نفسه المتمردة وانقادت بعد إبائها وأقبلت بعد إعراضها وذلت

بعد عزها وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته. وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه فوجّه العبد وجهه بكليته إليه وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً واستوى سره وعلانيته فقال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه قد خرجت الدنيا كلها من قلبه وشارف القدوم على ربه وخمدت نيران شهوته وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه وصارت الدنيا وراء ظهره فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله فطهرته من ذنوبه وأدخلته على ربه لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها وفر إلى الله من الناس وأنس به دون سواه لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة وأسبابها ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي والله المستعان.

إلى أن قال: فَرِّغ خاطرك للهم بما أمرت به ولا تشغله بما ضمن لك فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً وإذا سد عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحدة وهو السرة فلما خرج من بطن الأم وانقطعت تلك الطريق فتح له طريقين اثنين وأجرى له فيهما رزقاً أطيب وألذ من الأول لبناً خالصاً سائغاً فإذا تمت مدة الرضاع وانقطع الطريقان بالفطام فتح طرقاً أربعة أكمل منها طعامان وشرابان فالطعامان من الحيوان والنبات والشرابان من المياه والألبان وما يضاف إليهما من المنافع والملاذّ فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة لكنه سبحانه فتح له إن كان سعيداً طرقاً ثمانية وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء فهكذا الرب سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئاً من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له وليس ذلك لغير

المؤمن فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس والعبد لجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذخر له بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئاً وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان علياً ولو أنصف العبد ربه. وأتى له بذلك. لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك فما منعه إلا ليعطيه ولا ابتلاه إلا ليعافيه ولا امتحنه إلا ليصافيه ولا أماته إلا ليحييه ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه فجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً. وأبى الظالمون إلا كفوراً. والله المستعان.

فصل
من كتاب محاضرات الأدباء

خرج جماعة من اللصوص قاصدين دار بعض الصيارفة فاختفوا فلما أرادوا الانصراف قال بعضهم لرئيسهم دعنا نقم على مفارق الطرق لنأخذ من بعض المارة نفقة يومنا فقال: على أن لا تبطشوا بهم فقالوا: وهل يفعل ذلك إلا الجبان فبينما هم كذلك إذ مر شاب ذو هيئة فلما قرب سلم عليهم فرد عليه بعضهم السلام فقام إليه بعضهم فقال رئيسهم دعه فإنه سلم ليسلم وأجابه بعضكم فصار له ذمة بذلك قالوا: فنخلي سبيله قال: أخاف عليه غيركم ليذهب معه ثلاثة يوصلونه إلى منزله ففعلوا فلما بلغ دفع لهم مالاً وقال: لأحوطنكم بمالي وجاهي لما عاملتموني به فلما عادوا بالدراهم قال رئيسهم: هذا أقبح من الأول تأخذون مالاً على قضاء الذمام والوفاء بالعهد لا أبرح أو تردوا إليه المال فقالوا: قد افتضحنا بالصبح فقال: لأن نفتضح بالصبح خير من تضييع الذمام. وقال: ما خنت ولا كذبت منذ تفتيت. انتهى.

وقالوا: اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشي والقاضي الذي يأكل أموال اليتامى.

كتب بعضهم على باب السجن: هذه قبور الأحياء. وتجربة الأصدقاء

وشماتة الأعداء. وكُتب تحته ما يدخل أحدهم السجن إلا إذا قيل لهم فيم حُبستم لقالوا مظلومين.

حكي أن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجون. فقال: اللهم عطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُخفِ عليهم الأخبار فببركته عليه السلام هم أعلم الناس بكل خبر في كل بلد.

وقال البحتري:

وما هذه الأيام إلا مراحل ... فمن منزل رحب إلى منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهبُ الإبريزُ قبلك بالسبك

أما لك في الصدّيق يوسف أسوةٌ ... لمثلك محبوس على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في السجن برهةً ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

* * *

مرّ ملك من ملوك العجم بشيخ يعمل في أرض فقال له: أيها الشيخ هلا أدلجت فيكون من ذلك ما يكفيك فقال: أدلجت ولكن القضاء لم يدلج فقال: اكتم كلامنا هذا حتى تراني ثم انصرف الملك فأحضر وزيره وقال: ما معنى كلام الشيخ قيل له: كذا فأجاب بكذا وقد أنظرتك حولاً فجعل الوزير يسأل الناس ولا يجيبه أحد حتى وقع بالشيخ فسأله فقال له: إن الملك استكتمني الأمر حتى أراه فبذل له عشرة آلاف درهم فقال: إنه قال لي: لم لا تزوجت أيام الشباب فقلت له: قد تزوجت ولكن لم يأتني أولاد فجاء الوزير فأخبر الملك فقال: عليّ بالشيخ فدعاه فلما حضر قال له: ألم أقل لك اكتم أمرنا حتى تراني قال: قد رأيتك عشرة آلاف مرة فعلم أن الوزير دفع إليه عشرة آلاف درهم وأنه رأى اسمه مكتوباً على كل درهم منها وصورته فقال: زه ودفع إليه أربعة آلاف درهم أخرى وقال:

إن بنيّ صبية صيفيون ... أفلح من كان له ربعيون

انتهى.

حكم وأمثال

لا بقاء لاتفاق على نفاق. ولا وفاء لذي مَين واختلاق.

أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه أو اشتغل عن نفسه بالناس.

النفس مائلة إلى أشكالها والطير واقعة على أمثالها.

المحجوج بكل شيء ينطق والغريق بكل حبل يتعلق.

الغضب ينسي الحرمات ويدفن الحسنات ويخلق للبريء جنايات.

معاتبة البريء السليم كمعالجة الصحيح غير السقيم.

الرغبة مفتاح النصب والحسد مطية التعب.

من ترك الاشتغال بعيوب غيره منح الإصلاح لعيوب نفسه.

باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله وحمى الجميل مباح لمن اشتهى فعله.

شر من الساعي من أنصت له وشر من متاع السوء من قبله.

هل يبرأ المريض بين طبيبين وهل يسع الغمد سيفين.

من أراد أن يصطاد قلوب الرجال نثر لها حب الإحسان.

شر البلاد بلاد لا أمير بها.

بإحياء الملاطفة تستمال القلوب العارفة.

حبذا كداً أورث نجحاً وشوكة أجنت ثمراً.

من ترك فضول الكلام منح الحكمة.

من ترك فضول الضحك منح الهيبة.

من ترك فضول الطعام منح لذة العبادة.

ليس على المكارم حجاب ولا يغلق دونها باب.

قراءة كتاب الحبيب ترياق سم الهم.

من ترك فضول النظر منح الخشوع.

من ترك المزاح منح البهاء.

من ترك حب الدنيا منح حب الآخرة.

قـد يبعـد الشيء عن شيء يشـابهـه   إن السمـاء نـظيـر المـاء في اللون

* * *

صــل السعي فيمـا تبتغيــه مثابــراً   لعـل الـذي استبعـدت منه قــريب
وعـاوده أن أكـدى بـك السعي مـرة   فبين السهــام المخـطيـات مصيب

* * *

قــال الـســلامــي إذا شئــت أن   تـبـصــر مـحــرومــاً ومـسـكـيـنــاً
فــذاك مــن لــم تــر فــي كــمـــه   فــي زمـن الــبــطـيـخ سـكـيـنــاً

* * *

حــدث أخـاك إذا عــدمت مـطيــة   إن الـحــديـث مـطيــة لــلراجــل
واصحب ذوي الآداب إنـك لن ترى   زلقـاً لـرجلك مثـل صحبـة جـاهـل

* * *

قال شاعر في الشكر والاستعفاء من كثرة البر:

مهـلاً فمـا بعــد هـذا البــر إمكـان   وليس فـوق الـذي أحسنت إحســان
فـالمـاء إن جـاوز المقـدار مهلكــة   والعـدل إن جاوز المـرسوم عـدوان
إن الأصــابــع خمس وهي كــامـلة   فـإن يـزدن فـذاك الفضـل نقصــان

وقال آخر في عدم قطع العادة:

لا تـنـتــزع عــن عــادة عــوّدتـهــا   أحــداً فــذاك مـن الـفـطام أشــد
واصبــر عليهـا مــا حييت ولا تـزل   عـنهــا فــذاك مـن الجـفــاء يعــد

* * *

تعيــرني وخط المشيــب بعــارضــي   ولولا الحجول البيض لم تحسن الدهم
حنى الشيب ظهري فاستمرت عزيمتي   ولـولا انحناء القـوس ما نفـذ السهـم

وقف طبيب دجال وسط جمع من الناس يعلن عن مقوي من الأعشاب. ثم قال: لقد بعت هذا المقوي أكثر من عشرين سنة ولم أسمع كلمة شكوى

فعلام يدل هذا. فأجابه صوت بين الزحام هذا يدل على أن الموتى لا يتكلمون.

قال أحمد بن علي المظفري في الشيب:

قد كنت أنظر قبل اليوم في كتب ... فيها الحكايات والأشعار والخطب
ودفتر الطب مما لا ألم به ... إذ لم يكن فيه لي من صحتي أرب
فجاءت التسع والخمسون تحوجني ... إلى العلاج فما لي غيره كتب

وقال أبو زهير السجزي القاضي:

نَظَرتْ إلى رأسي فقالت ماله ... قد ضم فوديه قناع أدكن
يا هذه لولا النجوم وحسنها ... لم تألف الليل البهيم الأعين
فتضاحكت عجباً وقالت يا فتى ... نقصان عقلك في قياسك بين
الليل يحسن بالنجوم وإنما ... ليل الشباب بلا نجوم أحسن

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير المعوذتين فيما يعتصم به العبد من الشيطان:

الحرز العاشر: إمساك فضول النظر، والكلام والطعام، ومخالطة الناس فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والاشتغال به والفكرة في الظفر به فمبدأ الفتنة من فضول النظر كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه» أو كما قال ﷺ فالحوادث العظام إنما كلها من فضول النظر فكم نظرة أعقبت حسرات(1).

فائدة

من كتاب الفتاوي لشيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

---

(1) سواء كان المنظور إليه امرأة أو أمرد قال بعض السلف مع المرأة شيطان ومع الأمرد عشرة شياطين.

في تكرار الأجر بتذكر المصيبة روى الإمام أحمد عن الحسين بن علي مرفوعاً: (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهده فيحدث عند ذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها) هذا من منن الله على المؤمنين وفوائد المصائب والحكمة في هذا واضحة فإنه إذا ذكرها جدد صبراً لله وثناءً عليه ورضىً بقدره وتسليماً لأمر الله وتلك عبوديات قلبية وقوليه متجددة كما أن العبد إذا ذكر الله أو قرأ أو صلى أو صام أو عامل الله معاملة ظاهرة أو باطنة جدد الله له ثواباً مهما تكررت إذا اقترن بها شرطها وهو الإخلاص لله وكذلك النعم إذا أنعم الله بها على العبد فشكر الله عليها إثابة على ذلك ثم كلما ذكرها وتحدث بها واعترف لله بها ضاعف الله له الثواب فالمؤمن لا يزال يغنم من ربه ويكسب خيراً كثيراً.

يروى أن رجلًا كان يتطبب أمر أن يكتب على قبره:

تأمل بفضلك يا واقفاً ... ولاحظ مكاناً دُفعنا إليه
تراب الضريح على صفحتي ... كأني لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المنون ... فها أنا قد صرتُ رهناً لديه

قال حكيم للمرء ثلاثة أخلاء خليل يقول: أنا معك حتى تموت وهو المال. الخليل الثاني يقول: أنا معك حتى باب القبر وهو الولد. الخليل الثالث يقول: أنا معك حياً وميتاً وهو العمل.

قال ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار قال الهيثم قال خالد بن عبد الله لحاجبه لا تحجبن عني أحداً إذا أخذت مجلسي فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث عيّ يكره أن يطلع عليه منه أو ريبة أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله. ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال:

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه ... وردّ ذوي الحاجات دون حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربما ... نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت به مسّ من العيّ ظاهر ... ففي إذنه للناس إظهار ما به
فإن لم يكن عيّ اللسان فغالب ... من البخل يحمي ماله من كِلاَبه
فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبة ... يصرّ عليها عند إغلاق بابه

تجارى قوم في مجلس فقال أحدهم: من كان أعور فهو نصف رجل ومن لا يحسن السباحة فهو نصف رجل ومن لا يتزوج فهو نصف رجل وكان معهم رجل اجتمعت فيه هذه كلها فقال: إني أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء.

وقال أعور في نفسه وصاحب له أعور:

ألم ترني وعمروا حين نغدوا   إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يمنى يديه   وفيما بيننا رجل ضرير

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة» فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة قال: «يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطية» خرجه مسلم.

عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلتِ على الحال التي فارقتكِ عليها» فقالت: نعم فقال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه. سبحان الله زنة عرشه. سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله مداد كلماته» أخرجه مسلم.

من كلام شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى في مقدمة مجموع الخطب قال:

المثال الثاني: شرائع الإسلام الكبار بعد الإيمان هي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام.

تأمل هذه الشرائع العظيمة وجليل منافعها وما توجبه من السعي في مرضاة الله والفوز بثوابه العاجل والآجل وتأمل ما في الصلاة من الإخلاص لله والإقبال التام عليه والثناء والدعاء والخضوع وأنها من شجرة الإيمان بمنزلة الملاحظة والسقي للبستان فلولا تكرر الصلاة في اليوم والليلة ليبست شجرة

الإيمان وذوى عوده ولكنها تنمو وتتجدد بعبوديات الصلاة وانظر إلى ما تحتوي عليه الصلاة من الاشتغال بذكر الله الذي هو أكبر من كل شيء وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

فوائد

من الوارد عن النبي ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا». وقال بعضهم اثنان يهون عليهم كل شيء العالم الذي يفكر في العواقب والجاهل الذي لا يدري ما هو فيه. شيئان لا يستطيع الرجل فراقهما ظله وعقله. شيئان ينبغي للعاقل أن يحذرهما تغير الزمان ومعاشرة الأشرار. شيئان يديران الناس القضاء والرجاء. فساد كثير من الأمور من خصلتين إذاعة الأسرار وائتمان أهل الغدر. اثنان يستحقان البعد من لا يؤمن بالمعاد ومن لا يستطيع غض بصره وكف جوارحه عن المحارم.

ثلاث تضر بأربابها الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة. والتفريط في العمل اتكالاً على القدر. وتكلف ما لا يطاق اتكالاً على القوة.

ثلاث من الإيمان. من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم. ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له: ثلاث هن للكافر مثلهن للمسلم من استشارك فانصحه ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه ومن كان بينك وبينه رحم فصلها. ثلاث لا يمن بهن أحد فيسلم .صحبة السلطان وإفشاء السر إلى النساء. وشرب السم للتجربة. ثلاث تزيد في الأنس بين الإخوان الزيارة في الرجال. والحديث على المائدة ومعرفة الأهل والحشم.

أربع خصال: ورد عن النبي ﷺ: «أربع من الشقاء، جمود العين، وقساوة القلب، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا». وقيل: أربع خصال من حسن النظر، الرضا بالزوجة الصالحة، وغض البصر، والإقدام على الأمر بمشاورة. وكظم الغيظ.

أربع خصال يُمتن القلب: الذنب على الذنب وملاحاة الأحمق. وكثرة

مصاقبة النساء، والجلوس مع الموتي قيل: ومن الموتى قال: كل عبد مترف وكل من لا يعلم فهو ميت. أربعة تُجَرىء على الذنوب الحرص والتواني والرغبة في الدنيا. والاستخفاف بالذنوب. أربع القليل منها كثير: الوجع، والنار، والدَّين، والعداوة.

خمس خصال: خمسة متندمون، المفرط إذا فاته العمل. والمنقطع عن إخوانه إذا نابته النوائب. والمستمكن من عدوه ثم يفوته لسوء تدبيره والمفارق للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة. والجريء على الذنوب إذا حضره الموت. خمسة المال أحب إليهم من أنفسهم، المقاتل بالأجرة، وحفار القنى والآبار. والتاجر[1] في البحر. والرّقاء يتعرض للسع الحية للطمع، والمخاطر على شرب السم.

متفرقات

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

* * *

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنين أجنحة الذباب تضير

* * *

كذا عادة الغربان تكره أن ترى ... بياض البزاة الشهب بين سوادها

* * *

لا ترض من رجل حلاوة قوله ... حتى يُصدق ما يقولُ فعاله

* * *

وما إن شبت من كبر ولكن ... لقيت من الحوادث ما أشابا

* * *

لا عذر بعد عذار شاب أكثره ... فالشيب أوعظ إعذار وإنذار

* * *

(١) ذلك قبل اختراع البواخر.

أجـالس معشـراً لا شـكـل فيـهم وأشكـالي قـد اعتنقـوا اللحـودا

* * *

قـد قيـل مـا قيـل إن حقـاً وإن كـذبـاً
فـمـا اعتـذارك مـن قـول إذا قيـلا

* * *

ومـا بي من عيب الفتى غيـر أنـني جعلت العصا رجلاً أقيم بهـا رحلي

* * *

قـد كنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على رجل من الشجر

* * *

إذا زرت أرضـاً بعد طـول اجتنابهـا فقـدت صـديقـاً والبـلاد كمـا هيـا

* * *

وقـد يقـطع العضـو النفيس لغيـره وتـدفـع بـالأمـر الكبيـر الكبـائـر

* * *

إني سئمتُ من الـزمـان لـطول مـا قـد صدَّ عن حُسْنِ الـوفـاء رجـالُـه

* * *

ومن النـوادرِ في زمـانـك أن تـرى خِـلًّا حـمـدتَ ودادَهُ وخِـلاَلَـهُ

* * *

وقـائلة لمـا عـرتـك الـهمـوم وأمـرك مـمـتـثـل فـي الأمـم
فـقـلت دعـيـني عـلى غـصـتـي فـإن الـهمـوم بـقـدر الـهـمـم

* * *

ألا إن دنـيـاك مـثـل الـوديـعـة جميـع أمـانيـك فيهـا خـديعـه
فـلا تغتـرر بـالـذي نلت منهـا فـمـا هـو إلا سـراب بقـيـعـه

* * *

الشيـخ ينجـز وعـداً منـه قـد سبقـا ويلبس الغصن من إفضـالـه الـورقـا

إني غـريق ببحـر المـطل منتـظر حـالاً تكشف عني الموج والغـرقـا

* * *

وأتـرك الـشيء أهـواه فـيعـجبـني أخشى عـواقب مـا فيـه من العـارِ

* * *

دلاً عـلى حيـلة فيـهـا لـنـا فـرجٌ إن الـدليـل على خيـر كمن فعـلا

* * *

إذا مـا خـانـني يـومـاً جـوادي جعلت الأرض لـي فـرسـاً وثيـقـاً

* * *

تخيـر إذا ما كنت في الأمـر مرسـلاً فـمبلـغ آراء الـرجـال رسـولـهـا

* * *

إن الجـديـد إذا مـا زيـد في خلق تبين النـاس أن الـثـوب مـرقـوع

* * *

وتجشُّمُ المـكـروه ليس بـضـائـرٍ مـا خلتـه سببـاً إلى الـمحـبـوب

* * *

ومن راحَ ذا حـرص وجبـنٍ فـإنـه فقيـرٌ أتـاهُ الفقـر من كـل جـانب

* * *

ترى الديك فوق السطح في كل ساعة وتنكـر إن كانَ الحمـار على السطح

* * *

وحـق لمـن قـد صـحّ تـمـييـز عـقـله
إذا مـا رأى الـدنيـارَ أن يتـرك الفلسـا

* * *

وقـد خـرقَ الأشـواقَ شبعـانٌ مـرتـوٍ فقـال رغيفٌ واحـدٌ يشبـعُ الخلقـا

* * *

لا تــقــصــدَنْ كــلَّ دخــانٍ تــرى فــالــنــارُ قــد تــوقــدُ لــلكــي

* * *

ومن يـرومُ نـزولَ البئـر عن غـرضٍ فليس في الشرطِ أن يحصي مراقيها

* * *

خطبة لأحد الوعاظ

أما بعد أيها الناس: اتقوا الله تعالى. يقـول سبحانـه وتعالى: **﴿يـا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليهـا ملآئكـة غـلاظ شداد لا يعصـون الله مـا أمـرهم ويفعلون مـا يؤمـرون﴾** نـداء من الله سبحانه وتعـالى لأهل الإيمـان لأنهم هم الذين يصغـون لندائـه ويمتثلون أمره وينتفعون بكلامه سبحانه وتعالى ولذلك فهو سبحانه وتعالى ينـاديهم ويأمـرهم ويحـذرهم ويخبرهم عن خـطر شديـد. ويأمـرهم بـاتخـاذ الـوقـايـة لأنفسهم ولأهليهم من خـطر أمامهم ومهلكـة في طريقهم لا ينجـو منها إلا من تنبـه لها قبل وصولهـا وأخذ الحيـطة والحذر من الـوقوع فيها هذه المهلكـة نار عـظيمة ليست كـالنار التي تعـرفون تـوقد بـالحطب وتـطفأ بـالمـاء ويمكن مكـافحتهـا والتغلب عليها. أما تلك النار العظيمة فإنهـا نار تـوقد بجثث النـاس وبحجارة الأصنـام أو حجارة الكبـريت ليست كنار الـدنيا من احتـرق بها مـات وفارق الحياة وانقطع إحساسه بـألمها. ولكن تلك النـار يقول الله عنهـا **﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾** إنها نار شديدة عظيمة يقول تعالى: **﴿كلمـا نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾** يا أرحم الـراحمين أعذنـا من النار في ذلك اليوم الـذي يلقى فيه المجـرمين **﴿لا يذوقـون فيها بـرداً ولا شرابـاً. إلا حميماً وغساقاً﴾** وهل تعلمون يا معشر المسلمين من هم الذين يقومون بـإيقاد تلك النار إنهم ملائكة لا يُدْرِكُهم العجز والتعب أو تأخـذهم الشفقة والـرحمة أو ينفـع فيهم الاستعطاف والاسـترحـام أو تميـل بهم المحـابـاة والعـاطفـة أو يتساهلون في تنفيذ الأوامر الصادرة إليهم بالتعذيب إنهم **﴿ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمـرون﴾**. أيها المسلمـون إن مسؤولية المسلم في نفسه وفي أهله مسؤولية عظيمة. إنهـا مسؤولية ثقيلة رهيبـة فالنـار

هناك وهو متعرض لها هو وأهله فعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تَنتظر مَنْ سار في طريقها إنها نار فظيعة مستعرة معروضة في طريقه لا محيد عنها. إنها نار تأكل الحجارة الصلبة الصماء فكيف بجسم ابن آدم ذلك الجسم الهزيل الذي لا يتحمل شوكة ولا لسعة من نار الدنيا فكيف يقوى ويتحمل تلك النار.

أيها المسلمون كيف تقوا أنفسكم وأهليكم من هذه النار. إنّ الله سبحانه بيّن لكم الطريق وفتح لكم باب الرجاء والرحمة والنجاة من هذه النار إن أنتم سلكتم هذا الطريق الذي بيّنه لكن قال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**﴾ هذا هو الطريق توبة من الذنوب والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها وردّ مظالم العباد إليهم وأن تكون هذه التوبة دافعة إلى العمل الصالح وكثرة الخضوع واللجاء إلى الله تعالى أيها المسلمون إننا بنص هذه الآيات مسؤولون عن أنفسنا بأن نلزمها طاعة الله ونبعدها عن معصيته. إننا مسؤولون عن أولادنا وزوجاتنا ومن يسكن في بيوتنا فعلينا أن نلزمهم بطاعة الله سبحانه وتعالى ونجنبهم معصيته وبذلك جاءت السنة الصحيحة عن الرسول ﷺ حيث قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» فيا أيها الآباء تعاونوا على القيام بهذه المسؤولية داخل بيوتكم وخارجها تابعوا أولادكم أينما كانوا مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر علموهم أمور دينهم اعزلوهم عن جلساء السوء وقرناء الفساد طهروا بيوتكم من أدوات الفساد من الڤيديو من الأفلام الفاسدة ومن الأغاني المحرمة وكذلك من الصور الخليعة ومن الكتب المنحرفة جنبوهم الصحف والمجلات الماجنة.

أيها المسلمون كيف ينقذ نفسه من النار من كان تاركاً للصلاة التي هي عمود الدين والتي تفرق بين الكفر والإيمان كيف ينقذ نفسه من النار من هجر المساجد وترك الجمعة والجماعة عجباً منكم أيها المسلمون لا نراكم تجتمعون في المساجد إلا يوم الجمعة أسألكم بالله الذي لا إله إلا هو هل بنيت المساجد

ليوم الجمعة فقط أم أنها بنيت لجميع الصلوات اتقوا الله أيها المسلمون من منكم يضمن أنه يعيش لغد ألا تخافون الله ألا تؤمنون بالجزاء والحساب أم أنكم قد ضمنتم الجنة فأصبحت ملكاً لكم حتى أصبحتم تفرطون بصلاة الجماعة يا سبحان الله أألهتكم الدنيا عن الآخرة لقد شريتم عرض الحياة الدنيا الزائف بالآخرة.

حكم وأمثال

قبل أن تطالب بحقك تأكد من أدائك لواجبك.

لا عتاب بعد الموت.

الهم يقفل العقل ولا يتولد منه رأي.

ما أكثر الأصدقاء وقت الرخاء وما أقلهم وقت الضيق.

الاجتهاد في العمل طريق النجاح.

من سعادة المرء الجار الصالح.

لا خير في لذة تعقب ندماً.

صدقة قليلة تدفع بلاء كثيراً.

المكاسب غير المشروعة لا تثمر أبداً.

الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره.

الطمع مطية سوء من ركبها ذل ومن صحبها ضل.

عدو بلا ضرر خير من صديق بلا منفعة.

سليم الجسم لا يبحث عن طبيب.

قل لي من تعاشر أقل لك من أنت.

صديقي من يطحن قمحه في طاحونتي.

من نظر في العواقب نجا من النوائب.

أذل الحرص أعناق الرجال.

لن يفتقر أحد من زهد.

من ألقى عنه حب المال فقد استراح.

العز مع القلة خير من الكثرة مع الذلة.

الحمد لله الذي لا يخيب من رجاه.

ومن المنقول من كلام ابن الجوزي. الرجل من عمل بالحزم وحذر

الجائزات والأبله الذي يعمل على الظواهر ويثق من لم يجرب فلا ينبغي للعاقل أن يغفل عن تلمح العواقب فمن ذلك أن التكاسل في طلب العلم وإيثار عاجل الراحة يوجب حسرات دائمة لا تفي لذة البطالة بمعشار تلك الحسرة.

ومن ذلك أن الإنسان قد يجهل بعض العلم فيستحي من السؤال والطلب لكبر سنه ولئلا يرى بعين الجهل فيلقى من الفضيحة إن سئل عن ذلك أضعاف ما آثر من الحياء. ومن ذلك الطبع يطالب بالعمل بمقتضى الحالة الحاضرة مثل جواب جاهل وقت الغضب ثم يقع الندم في ثاني الحال على أن لذة الحلم أوفى من الانتقام وربما أثّر ذلك الحقد من الجاهل فتمكن فبالغ في الأذى له. ومن ذلك أن يحب شخصاً فيفشي إليه أسراره ثم تقع بينهما عداوة فيظهر ذلك عليه. ومن ذلك أن ينبسط ذو دولة في دولته فإذا عزل ندم على ما فعل وإنما ينبغي أن يصور العزل ويعمل بمقتضاه. ومن ذلك أن يؤثر لذة مطعم فيشبع فيفوته قيام الليل أو يؤثر لذة النوم فيفوته التهجد أو يأكل أو يجامع بشره فيمرض. ومن ذلك اشتغال العالم بصورة العلم وإنما يراد العمل به والإخلاص في طلبه فيذهب الزمان في حب الصيت وطلب مدح الناس فيقع الخسران إذا حُصّل ما في الصدور. فالطبع يرى اللذة الحاضرة والعقل يتأمل وشرح هذا يطول لكن قد نبهت على أصوله. ولقد جئت يوماً من حرّ شديد فتعجلت راحة البرودة فنزعت ثوبي فأصابني زكام أشرفت منه على الموت ولو صبرت ساعة ربحت ما لقيت فقس كل لذة عاجلة ودع العقل يتلمح عواقبها. وقال أيضاً تفكرت يوماً فرأيت أننا في دار المعاملة والأرباح والفضائل فمثلنا كمثل مزرعة مَنْ أحسن بذرها والقيام عليها واتفقت الأرض زكية والشرب متوفراً كثر الريع ومتى اختل شيء من ذلك أثر يوم الحصاد فالأعمال في الدنيا منها فرض وقد وقع فيه تفريط كثير من الناس ومنها فضيلة وأكثر الناس متكاسل عن طلب الفضائل والناس على ضربين عالم يغلبه هواه فيتوانى عن العمل وجاهل يظن أنه على الصواب وهذا الأغلب على الخلق فالأمير يراعي سلطنته ولا يبالي بمخالفة الشرع أو يرى بجهله جواز ما يفعله والفقيه همته ترتيب الأسئلة ليقهر الخصم والقاصّ همته تزويق الكلام ليعجب السامعين والزاهد مقصوده تزيين ظاهره بالخشوع لِتُقَبّل يده ويُتبرك به والتاجر يمضي عمره في جمع المال كيف

اتفق ففكره مصروف إلى ذلك عن النظر إلى صحة العقود. والمُغرى بالشهوات منهمك على تحصيل غرضه تارة بالمطعم وتارة بالوطء وغير ذلك فإذا ذهب العمر في هذه الأشياء وكان القلب مشغولاً بالفكر في تحصيلها فمتى تتفرغ لإخراج زيف القصد من خالصه ومحاسبة النفس في أفعالها ودفع الكدر عن باطن السر وجمع الزاد للرحيل والبدار إلى تحصيل الفضائل والمعالي فالظاهر قدوم الأكثرين على حسرات إما في التفريط للواجب أو للتأسف على فوات الفضائل فالله الله يا أهل الفهم اقطعوا القواطع عن المهم قبل أن يقع الاستلاب بغتة على شتات القلب وضياع الأمر. انتهى من كتاب الآداب الشرعية.

من الحكم المأثورة عن السلف قولهم. لا يوجد العجول محموداً ولا الغضوب مسروراً. ولا الحرّ حريصاً ولا الكريم حسوداً. ولا الشره غنياً. ولا الملول ذا إخوان. استأذن رجل المأمون في تقبيل يده فقال له: إن قُبلة اليد من المسلم ذِلّة. ومن الذمي خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا بنا أن نخدع.

يروى من حكم الأحنف بن قيس:

إن الكرم منع الحرم.

لا خير في لذة تعقب ندماً.

ربّ هزل قد عاد جداً.

دعوا المزاح فإنه يورث الضغائن.

احتملوا لمن أدلّ عليكم واقبلوا عذر من اعتذر إليكم.

أنصف من نفسك قبل أن يُنْتَصف منك.

واعلم أن كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم.

ما أقرب النقمة من أهل البغي.

لن يهلك من قصد ولن يفتقر من زهد.

خير القول ما صدقه الفعل.

أطع أخاك وإن عصاك وصله وإن جفاك.

من الكرم الوفاء بالذمم.

الدليل على الحمق إعجاب المرء بنفسه.

من جاد بالمال توجهت إليه الآمال.

يروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه نظر إلى رجل يبيع ثوباً فقال له: أتبيع الثوب؟ قال: لا عافك الله قال: لقد علمتم لو تتعلمون قل لا وعافاك الله.

تنبيه: الأيام خمسة، يوم مفقود، ويوم مشهود ويوم مورود، ويوم موعود ويوم ممدود. فالمفقود أمسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه. والمشهود يومك الذي أنت فيه فتزود فيه من الطاعات. والمورود هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا فاجعله نصب عينيك والممدود هو آخرتك وهو يوم لا انقضاء له فاهتم غاية اهتمامك فهو إما نعيم دائم أو عذاب مخلد.

قال بعض الشعراء:

وإني لطلق الوجه للمبتغي القرى	وإن فنـائي للقـرى لـرحيـب
أضـاحك ضيفي عند إنزال رحله	فيخصب عندي والمحلّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى	ولكنمـا وجـه الكـريم خصيب

قالوا: أُتي الحجاج بسفَط قد أُصيب في بعض خزائن كسرى مُقفل فأمر بالقفل فكسر فإذا فيه سفط آخر مُقفل فقال الحجاج: من يشتري منّي هذا السفط بما فيه ولا أدري ما فيه فتزايد فيه أصحابُه حتى بلغ خمسة آلاف دينار فأخذه الحجاج ونظر فيه فقال: ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم ثم أنفذ البيع وعزم على المشتري أن يفتحه ويريه ما فيه ففتحه بين يديه فإذا فيه رُقعة مكتوب فيها من أراد أن تطول لحيتُه فلْيُمشّطهـا من أسفل. وقالوا: كان بالمدينة أعمى يكني أبا عبدالله أتى يوماً يغتسل من عين فدخل بثيابه فقيل له: بللت ثيابك قال تبتلّ عليَّ أحبُّ إليّ من أن تجف على غيري. وفي كتاب للهند أن رجلاً كان له سمن في جرة معلقة على سريره ففكر يوماً وهو مضطجع على الـسرير وبيده عكازة فقال: أبيع الجرة بعشرة دراهم وأشتري بها خمسة أعنز فأولدهن في كل سنة مرتين فيبلغ النتاج في عشر سنين مائتين وأبيعهن فأبتاع بكل عشرة بقرة ثم ينمي المال بيدي فأبتاع العبيد والإماء ويولد لي ولد فآخذ به في الأدب فإن عصاني ضربته بهذه العصا وأشار بالعصا فأصاب الجرة فانكسرت وصبّ السمن على وجهه ورأسه. هكذا ثمرة الأماني.

إذا لم أطق صبراً رجعت إلى الشكوى	وناديت تحت الليل يا سامع النَّجوى
وأمطرت صحن الخد غيثاً من البكا	على كبد حرّى لِتَروي فما تروى

قالت الحكماء العين باب القلب فما كان في القلب ظهر في العين.

وقال محمود الوراق.

إن العيون على القلوب شواهدُ فبغيضها لك بَيّنٌ وحبيبها
وإذا تلاحظت العيون تفاوضت وتحدثت عما تُجِنّ قلوبها
ينطقن والأفواه صامتة فما يخفى عليك بريئها ومريبها

كتب حكيم إلى حكيم إذا أردت معرفة مالك عندي فضع يدك على صدرك فكما تجدني كذلك أجدك.

قال أبو الشمقمق يصف حاله:

برزتُ من المنازل والقباب فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزليَ الفضاء وسقف بيتي سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي عليّ مسلماً من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب يكون من السحاب إلى التراب
ولا انشقّ الثرى عن عود تخت أؤمل أن أشد به ثيابي
ولا خفت الإباقَ على عبيدي ولا خفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوماً قهرماناً محاسبة فأغلط في حسابي
وفي ذا راحة وفراغ بال فداب الدهر ذا أبداً ودابي

قال محمد بن مناذر في فضل الشيب:

لا سلام على الشباب ولا حَيّا الإله الشباب من معهود
قد لبست الجديد من كل شيء فوجدتُ الشباب شر جديد
صاحب ما يزال يدعو إلى الغيّ وما من دعا له برشيد
ولنعم المشيب والوازع الشيب ونعم المفاد للمستفيد

ذكر في العقد الفريد كان في غطفان نصر بن دهمان قاد غطفان وسادها حتى خَرِف وعُمّر تسعين ومائة سنة حتى اسودّ شعره ونبتت أضراسه وعاد شابّاً فلا تعرف في العرب أعجوبة مثله.

وقال بعض المحدثين:

ألست ترى أن الزمان طواني وبدل عقلي كله وبراني
تحيفني عضواً فعضواً فلم يدع سوى اسمي صحيحاً وحده ولساني
ولو كانت الأسماء يدخلها البلى إذاً بلي اسمي لامتداد زماني
وما لي لا أبلى لسبعين حجة وسبع أتت من بعدها سنتان
إذا عَنَّ لي شيء تخيل دونه شبيه ضباب أو شبيه دخانِ

حكم وأمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي

العقل بالتجارب. الغريبُ من لم يكن له حبيب. رُبّ بعيد أقرب من قريب. خير أهلك من كفاك، خير سلاحك ما وقاك. تباعدوا بالديار وتقاربوا في المحبة، أي الرجال المهذب، إنك إن فرجت لاقٍ فرجاً. عين عرفت فذرفت في كل خبرة عبرة. مِنْ مأمنه يؤتى الحذِر. الخمر مفتاح كل شر. ما الإنسان إلا القلب واللسان. القلم أحد اللسانين. لن تعدم الحسناء ذاماً. لن يعدم الغاوي لائماً. صغير الشر يوشك يوماً أن يكبر. يبصر القلب ما يعمى عنه البصر. الحرّ حرّ وإن مسه الضرّ. مَنْ تعظم على الزمان أهانه. مَنْ تعرّض للسلطان أرداه. ومن تطامن له تخطاه. كل عزيز تحت القدرة ذليل. أطلق لكل غلق مفتاحاً. ربيع القلب ما اشتهى. الهوى شديد العمى. الهوى الإله المعبود. الرأي نائم والهوى يقظان. لا سرور كطيب النفس. العمر أقصر من أن يحتمل الهجر. المقادير تريك ما لا يخطر ببالك. أفضل الزاد ما تزودته للمعاد. لا تُبلغ الغايات بالأماني. من تفكر اعتبر. يَدك منك وإن كانت شلّاء. أنفك منك وإن كان أجدع. كثرة الصياح من الفشل. إذا قَدُم الإخاء سمُج الثناء. المحاجزة قبل المناجزة. لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير. السؤال وإن قلّ أكثر من النوال وإن جلّ. لا صبر مع شكوى. عبد غيرك حرّ مثلك. ومن أمثال العرب: الندم على السكوت خير من الندم على الكلام. لا تهرف بما لا تعرف. لا تغز إلا بغلام قد غزا. التجلد خير من التبلّد. الشجاع موقّى. الحليم مطية الجهول.

يروى من كلام المسيح عليه السلام: (إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها. وإلى

آجلها إذ نظروا إلى عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم. وتركوا ما علموا أن سيتركهم. هم أعداء لما سالم الناس وسلم لما عادى الناس لهم خبر وعندهم الخبر العجيب. بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم عُلم الهدى وبه عُلِموا. لا يرون أمـانـاً دون ما يرجون. ولا خوفاً دون ما يحذرون.

وقال ابن المبارك كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء أما بعد فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكراً وصمتك فكراً ونظرك عبراً فإنّ الدّنيا تتقلب وبهجتها تتغيّر فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام. فأجابه أبو الدرداء سلام عليك أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله وأن تأخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك ومن جفائك لمودتك واذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلتين إما في الجنة وإما في النار فإنك لا تدري إلى أيها تصير. وكتب محمد بن النضر إلى أخ له أما بعد: فإنك على منهج وأمامك منزلان لا بدّ لك من نزول أحدهما ولم يأتك أمان فتطمئنّ ولا براءة فتتكل. وقيل في التشوق والزيارة:

كتبَ حكيم إلى حكيم: يا أخي إن أيام العمر أقل من أن تحتمل الهجر والسلام.

آخر: أشكو إلى الله شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الأيام لبعدك وأقول كما قال الشاعر:

غضارة دنيا أظلم العيش بعدها ... وعند غروب الشمس يُعرف فَقدها

آخر: مثلنا حفظك الله في قرب تجاورنا وبُعد تزاورنا كما قيل في أهل القبور:

هم جيرة الأحياء أمـا مزارهم ... فـدانٍ وأمـا الملتقى فـبعيـد

كتب أحدهم كتاباً مع آخر توصية للمكتوب إليه بمن حمل الكتاب فقال: كتابي إليك كتاب معنيّ بمن كُتب له واثق بمن كُتب إليه ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله.

عتاب: لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودتك وكريم إخائك ودوام عهدك لطال عتبي عليك في تواتر كتبي واحتباس جواباتها عني ولكن الثقة بما تقدم عندي تعذرك وتُحسِّن ما يُقبِّحه جفاؤك. والله يديم نعمته لك ولنا.

آخر: قد حميتُ جانب الأمل فيك وقطعتُ أسباب الرجاء منك وقد أسلمني اليأس منك إلى العزاء عنك. فإن ترغب من الآن فصفح لا تثريب معه وإن تماديت فهجر لا وصل بعده.

شكر: زاد معروفك عندي عِظَماً أنه عندك مستور حقير وعند الناس مشهور كبير. نظمه شاعر فقال:

زاد معروفك عندي عِظَماً أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهور كبير

يروى أن عمر بن أبي ربيعة لما تنسك في آخر أيامه نذر لله أن يعتق رقبة بكل بيت يقوله فبينما هو يطوف بالبيت إذ نظر إلى فتى من نمير يلاحظ جاريةً في الطواف فلما رأى ذلك منه مراراً أتاه فقال له يا فتى أما رأيت ما تَصنع فقال له الفتى: يا أبا الخطاب لا تعجل عَليّ فإنّ هذه ابنة عمّي وقد سُميت لي ولست أقدر على صداقها ولا أظفر منها بأكثر مما ترى وأنا فلان بن فلان وهذه فلانة بنت فلان فعرفهما عمر فقال له: اقعد يا ابن أخي عند هذه السارية حتى يأتيَكَ رسولي ثم ركب دابته حتى أتى منزل عمّ الفتى فقرع الباب فخرج إليه الرجل فقال: ما جاء بك يا أبا الخطاب في مثل هذه الساعة قال: حاجةٌ عرضت قِبلك في هذه الساعة قال: هي مَقْضية قال عمر كائنة ما كانت قال: نعم قال: فإني قد زوّجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان قال: فإني قد أجزتُ ذلك فنزل عمر عن دابته ثم أرسل غلاماً إلى داره فأتاه بألف درهم فساقها عن الفتى ثم أرسل إلى الفتى فأتاه فقال لأبي الجارية أقسمتُ عليك إلا ما ابتنى بها هذه الليلة قال له: نعم فلما أدخلت على الفتى انصرف عمر إلى داره مسروراً بما صنع فرمى بنفسه على فراشه وجعل يتململ ووليدة له عند رأسه فقالت له يا سيدي أرقتَ هذه الليلة أرقاً لا أدري ما دهمك فأنشأ يقول:

تقول وليدتي لما رأتني طربتُ وكنتُ قد أقصرت حينا

أراكَ اليوم قد أحدثت شوقاً ... وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنتَ زعمتَ أنك ذو عزاء ... إذا ما شئتَ فارقت القرينا
بعيشك هل رأيت لها رسولاً ... فشاقك أم لقيتَ لها خدينا
فقلت شكا إليّ أخٌ مُحبٌّ ... ببعض زماننا إذ تَعلمينا
فقصّ عليّ ما يلقى بِهِنْد ... يُذكّر بعض ما كنا نسينا
وذو القلب المُصاب وإن تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

ثم ذكر يمينه فاستغفر الله تعالى وأعتق رقبةً لكل بيت.

خطبة من خطب شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

الحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وعلى عفوه ومغفرته وستره المرخي فكم له علينا من بر وتكريم وكم أسدى إلينا من خير عميم وكم هدانا إلى الصراط المستقيم. أما ستر علينا القبيح وأظهر الجميل أما أطعمنا من جوع وكسانا من عري وأدرّ علينا الرزق الجزيل أحمده على ما أولانا وهدانا وأشكره على ما تفضل به علينا وأغنانا وأقنانا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام ومصباح الظلام اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه الكرام وعلى التابعين لهم بإحسان وتابع عليهم كل فضل وإكرام وسلم تسليماً كثيراً. أمّا بعد أيها الناس اتقوا الله تعالى وتخلقوا بكل خلق جميل ونزهوا نفوسكم عن كل خلق رذيل فإن العبد لا يزال يترقى بأخلاقه العالية ويتربى بآدابه السامية حتى يصل إلى أعلى الدرجات ولا يزال يسفل في أخلاقه وينزل في آدابه حتى يهبط إلى أسفل الدركات فخذوا رحمكم الله بما وصاكم به الملك الحق المبين فقد جمع لكم مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ فأمرنا أن نأخذ من أخلاق الناس على اختلاف طبقاتهم ما عفا منها وسهل وتيسر وأن نغض الطرف عما نعذر منها أو شق أو تعسر فنعفوا عمن ظلمنا ونعطي من حرمنا ونغفر لمن أساء إلينا ونقبل اعتذار من اعتذر إلينا وأن نوقر الكبير ونرحم الضعيف والصغير ونحسن المعاملة والصحبة مع النظير وأن لا نكلف الناس فوق ما يطيقون ولا نطالبهم

بمـا يشق عليهم وما منـه يضجرون وينفـرون بل نـأخذ صفـو أخـلاقهم ونـدع كدرها ونثني على خيرها وحسنها ونعرض عن قبيحها وسيئها. وأمـرنا أن نـأمر بالعرف وهـو المعروف شـرعاً وعـرفاً وعقـلاً المستحسن في الفطر قـولاً وفعلاً فنأمر غيرنا بالإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله والقيام بحقـوق الله وحقوق عبـاده وأن نعرض عن مقـابلة الجاهلين بجهلهم ومنـاقشة الحمقى في قـولهم وفعلهم فمن قام بذلك بحسب قدرته واستطاعته فقد نـال الفلاح وفـاز من الله بكرامته قال الله تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾.

وقال رحمه الله تعالى من مختاراته:

الصواب أن الماء نوعان طهور مطهر ونجس منجّس وأن الحد الفـاصل بينهما هو التغير لأحد أوصافه بالنجاسات والأخباث فما تغير لـونه أو ريحـه أو طعمـه بنجاسـة فهو نجس منجّس وسـواء كان التغيـر كثيراً أو قليـلاً في محـل التطهير أو في غيره للون أو للريح أو للطعم وسواء كان ذلك بممازجـة أو بغير ممازجة. انتهى.

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إذا رأى أحدكم الـرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بـالله من الشيطان ثـلاثاً وليتحـول عن جنبه الذي كان عليه.

قال الحسن بن وهب في الرياض:

طـلعت أوائـل لـلربيـع فـبشـرت ... نـور الـريـاض بـجـدة وشبـاب

وغـدا السحـاب مكللاً جـوّ الثرى ... أذيـال أسحم حـالـك الجلبـاب

فتـرى السمـاء إذا أجـدّ ربـابُهـا ... فكـأنمـا التحفت جنـاح غـراب

وتـرى الغصون إذا الـرياح تنـاوحت ... مـلتفـة كـتعـانـق الأحـبـاب

وأنشد البحتري في دمشق:

إذا أردت مـلأت الـعيـن من بـلد ... مـستحسـن وزمـان يُشبـه البلدا

يمسي السحـاب على أجبالهـا فرقـاً ... ويصبـح النبت في صحـرائهـا بـددا

فلستَ تـبصـر إلا واكـفـاً خضـلاً ... أو يـانعـاً خضـراً أو طـائـراً غـردا

كـأنمـا القيظ ولى بـعـد جيئتـه ... أو الـربيـع دنـا من بعـد مـا بعـدا

مما قيل في مراحل العمر:

ابـن عـشـر مـن الـسـنيـن غـلام ... رفـعـت عـن نـظيـره الأقـلام
وابن عشـرين للصبـأ والتصـابي ... لـيس يـثـنيـه عـن هـواه مـلام
وثـلاثـون قـوة وشـبـاب ... وهـيـام ولـوعـة وغـرام
فـإذا زاد بـعـد ذلـك عـشـراً ... فـكـمـال وشـدة وتـمـام
وابـن خمسين مـره عنـه صبـاه ... فـيـراه كـأنـه أحـلام
وابـن ستيـن صيـرتـه الـليـالي ... هـدفـاً لـلمنـون وهـي سـهـام
وابـن سـبـعيـن لا تـسـلني عـنـه ... فـابـن سبعيـن مـا عـليـه كـلام
فـإذا زاد بـعـد ذلـك عـشـراً ... بـلغ الـغـايـةُ الـتـي لا تـرام
وابن تسعين عـاش مـا قـد كفـاه ... واعـتـرتـه وسـاوس وسـقـام
فـإذا زاد بـعـد ذلـك عـشـراً ... فـهـو حي كـمـيـت والـسـلام

وقال أبو العتاهية:

عـريت من الشبـاب وكنت غضـاً ... كمـا يعـرى من الـورق القضيـب
ونحتُ على الشبـاب بـدمـع عيني ... فمـا نفـع البكـاء ولا النحيـب
فيـا ليـت الشبـاب يعـود يـومـاً ... فـأخبـره بمـا فعـل المشيـب

قال بعض الحكماء كن على حذر من الكريم إذا أهنته. ومن العاقل إذا أحـرجته. ومن اللئيم إذا أكـرمته. ومن الأحمق إذا مـازحته. ومن الفـاجـر إذا عاشرته. إنني ذقت الطيبات كلها فلم أجـد أطيب من العافيـة وذقت المرارات كلها فلم أجد أمـر من الحاجـة إلى الناس ونقلت الحـديد والصخـر فلم أجد أثقل من الدّين. اعلم أن الدهر يومان يوم لك ويـوم عليك فـإن كان لـك فلا تبطر وإن كان عليك فاصبر فكلاهما سيخسر.

قـال الحكماء مثـل الدواء في البـدن مثـل الصـابـون في الثـوب ينقيـه ويخلقه.

قـال عبـدالله بن خبيب رضي الله عنـه خـرجنـا في ليلة ممـطرة وظلمـة

شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: «قل» فلم أقل شيئاً ثم قال: «قل» فلم أقل شيئاً ثم قال: «قل» فقلت يا رسول الله ما أقول قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء» خرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيى وبك نموت وإليك النشور وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيى وبك نموت وإليك المصير» قال الترمذي حديث حسن صحيح والله أعلم.

قال شاعر:

هو القدر المحتوم إن جاء مقبلاً ... فلا الغاب محروس ولا الليث واثبُ
ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب
وما الناس إلا خائضو غمرة الردى ... فطاف على ظهر التراب وراسب

وقال أبو العتاهية:

يا عجباً للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها ... فإنما الدنيا لهم معبر
الخير مما ليس يخفى هو ... المعروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده ... الحشر فذاك الموعد الأكبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى ... غدا إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى ... والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان في فخره ... وهو غدا في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره ... في كل ما يقضي وما يقدَر

* * *

نصائح

نور المؤمن قيام الليل.

نوّر قلبك بالصلاة في الظلم.

نيل المنى في الغنى.

نوّر مشيبك لا تُظلمه بالمعصية.

نسيان الموت صدا القلب.

نعيت إلى نفسك حين شاب رأسك.

نار الفرقة حرها شديد.

نضرة الوجه في الصدق.

قال ابن المعتز القلم يخدم الإرادة. ولا يمل الاستزادة. يسكت واقفاً وينطق سائراً وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب يخب بالخبر وينظر بلا بصر.

وقال ابن أبي داود: القلم سفير العقل. ورسول الفكر وترجمان الذهن.

قال حكيم: من ضَرَرِ الكذبِ أن صاحبه يَنْسَى الصورةَ المحسوسةَ الحقيقية وتثبتُ عنده الصورةُ الوهمية الكاذبة فيبني عليها أمرَه فيكون غشه قد بدأ بنفسه.

وقال آخر: ليس القناعة أن تترك كثيرَ الرزق لقليل ما يَتَحصَّل لك منه وهذا بالعجز أشبه منه بالقناعة وإنما القناعةُ إيثارُ القليل مع حرية النفس وترك ركوبها الأخطار واحتمال الذّلة.

وقال آخر: لا تحبّ الفتنة فتضطر إلى البعد عن محبّة الله تعالى.

وقال آخر: إن تعبت في أعمال البرّ فإن التَّعَبَ يزول عنك والبرّ يبقى لك.

وإن تَلَذَّذْتَ بالإثم فإن اللذةَ تزولُ والإثم باق عليك. اذكر يوماً يُهتف بك فيه فلا تَسمعُ وينكسر فيه اللسانُ الحديدُ فلا ينطق. واذكر أنك ذاهب إلى

مكان لا تعرف فيه صديقاً ولا عدوّاً.

ومن قول برسين الحكيم: اعجَلْ إلى الاستماع وَتَرَسَّلْ في الجواب.

من منع نفسه فإنما يجمع لغيره. طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة.

لا تجعل للماء مساغاً إليك فيغمرك. ولا للمرأة دالَّة عليك فتركبك. سوء العيش النُّقْلَةُ مِنْ منزلٍ إلى منزل.

عضَّ رجلٌ سفيه رأسَ ذيوجانس ثم انهزم فعَدَا تلاميذُه في طلبه فأعجزهم فانصرفوا مُغْضَبين فلما سكنوا قال لهم: ما دعاكم إلى طلب الهارب قالوا: لنقتص لك منه قال: أرأيتم لو أن بغلاً رمحني لكنتم رامحيه قالوا: لا قال: ولو أن كلباً عضّني لكنتم عاضّيه قالوا: لا قال: فهذا بمنزلتهما فدعوا أخلاق البهائم والتشبه بفعلها واعمروا الحكمة بالوقار وأطفئوا نارَ الغيظ بالكَظْمِ واغلبوا الإساءة بالإحسان واستبدلوا بطلب الثأر العفو. إن أردتم استكمال الحكمة بالقول والفعل.

وقال أفلاطون: الأشرار يَتَتَبّعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبع الذبابُ المواضع الفاسدةَ من الجسد ويترك الصحيح منه.

وقال موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفل.

ينبغي للملك أن يبتدىء بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعاياه وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلٍّ معوج من قبل تقويم عوده الذي هو ظل له.

وقال آخر: إن حَسَدَكَ أحدٌ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعَى في مكروهك أو تقوّل عليك ما لم تقل فلا تقابله بمثل ما قابلك به فَيَعْذِرَ نفسه في الإساءة وتشرع له طريقاً لما يحبُّه فيك ولكن اجتهد في التَّزَيُّد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فإنك تسؤؤه من غير أن تُوجِّه عليك حجة.

وقال آخر: العدل في الشيء صورةٌ واحدة والجورُ صورٌ كثيرة ولهذا سهل ارتكابُ الجور وصَعُب تحري العدل وهما يشبهان الإصابة في الرّماية

والخطأ فيها فإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعاهد والخطأ لا يحتاج إلى شيء من ذلك.

من وصية عبدالله بن شداد لابنه. يا بنيَّ وإذا آخيت فآخ من يُعدّ لنوائب الزمان وعليك بذوي الألباب الذين ثقفتهم الآداب ووثقتهم الأحساب فإنهم أطيب مختبر وأكرمُ مُحتضر وأعذب مُعْتصر واحذر إخاء كلّ جهول وصحبة كل عَجُول فإنه لا يَغْفِر الزَّلَّة وإن عَرَفَ العلّة سريع غضبه عالٍ لهبُه إن سأل ألحف وإن وعد أخلف يرى ما يُعطيك غرماً وما يأخذ منك غنماً فهو يرضيك ما طمع فيك فإذا يئس من خيرك مال إلى غيرك. وليكن إخوانك وأهل بطانتك أُولي الدّين والعفاف والمروءات والأخلاق الجميلة. وقال آخر: من جعل مُلكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان. وقال حكيم: ما استعين على العزم بمثل مجانبة الهوى.

قال شاعر:

أرى الناس في الدنيا كراع تنكرت ... مراعيه حتى ليس فيهنّ مرتع

فماء بلا مرعى ومرعى بغير ماء ... وحيث ترى ماء ومرعى فمسبع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». أخرجه مسلم.

وعن عبدالله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإيمان قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة. ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة أي نقص وتبعة وحسرة» أخرجه أبو داود.

عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات ثم ليقل اللهم باسْمِك أموت وأحيا باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

يروى أن أحد الأدباء كان فقيراً فقالت له امرأته: يا هذا إنّ الأدب أراه قد سقط نجمه وطاش سهمه فاعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك وادخل مع الناس في غزواتهم عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً فأنشد:

مالي ومالكِ قد كلفتني شططاً	حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمِنْ رجال المنايا خلتني رجلاً	أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التلف
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها	فكيف أمشي إليها بارزَ الكتف
ظننت أن نزال القرن من خلقي أو	أنا قلبي في جَنْبي أبي دلف

فبلغ خبره أبا دلف فوجه إليه ألف دينار وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون واشتهر ذلك عنه فدخل عليه بعضهم وأنشده:

أيا ربّ المنائح والعطايا	ويا طلق المحيا واليدين
لقد خبرت أن عليك ديناً	فزد في رقم دينك واقضِ ديني

فوصله وقضى دينه. انتهى من وفيات الأعيان.

من شعر الشيخ تاج الدين الكندي وقد طعن في السن.

أرى المرء يهوى أن تطول حياته	وفي طولها إرهاق ذل وإزهاق
تمنيت في عصر الشبيبة أنني	أُعمر والأعمار لا شك أرزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني	من العمر ما قد كُنت أهوى واشتاق
يخيل لي فكري إذا كنت خالياً	ركوبي على الأعناق والسير إعناق
ويذكرني مرّ النسيم وَرَوْحه	حفائِر يعلوها من الترب أطباق
وها أنا في إحدى وتسعين حجة	لها فيّ إرعاد مخوف وإبراق
يقولون ترياق لمثلك نافعٌ	ومالي إلا رحمة الله ترياق

يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تغدينا يوماً عند الوليد بن

عقبة وهو أمير على المدينة فأقبل الخادم بصحفة فعثر فوقعت الصحفة من يده فما ردّها إلا ذقن الوليد وانكبّ ما فيها في حجره فبقي الغلام واقفاً ما معه من روحه إلا ما يقيم رِجْلَيه فقام الوليد فدخل فغيّر ثيابه وأقبل علينا تبرق أساريره وأقبل على الخادم فقال: يا بائس ما أرانا إلا روّعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى.

كان سعيد بن عتبة بن حصين إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانباً فقيل له: إنك لتباعد من الإذن جُهدك قال: لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب ثم قال:

وإن مسيري في البلاد ومنزلي ... هو المنزل الأقصى إذا لم أُقرب
ولستُ وإن أدنيت يوماً ببائع ... خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبُّب
وقد عدّه قوم تجارة رابح ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

شاعر:

ما أحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها ... عرّض للإدبار إقبالها
احذر زوال الفضل يا جائراً ... وأعطِ من الدنيا لمن سالها
فإن ذا العرش سريع الجزاء ... يَخلف بالحبة أمثالها

يروى أن بعض ملوك العجم استشار وزيرَيه فقال أحدهما: لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به فإنه أمْوَت للسر وأحزم للرأي وأدعى إلى السلامة وأعفى لبَعْضنا من غائلة بعض فإنّ إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة لأن الواحد رَهن بما أفشى والثاني مطلق عنه ذلك الرهن والثالث عِلاوة فيه فإذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يُظهره رهبة للملك ورغبة إليه وإن كان عند اثنين دخلت على الملك الشُّبهة واتسعت على الرجلين المعاريض فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وإن اتّهمهما اتهم بريئاً بخيانة مجرم وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه.

وقال الشاعر:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته ... وسائلي الناس عن بأسي وعن خُلقي
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُرض ... وأكتُم السرّ فيه ضربةُ العنق

نبذة في ذم الحسد من كتاب عيون الأخبار:

قال ابن المقفع أقل ما لتارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذاباً ليس بمدركٍ به حظاً ولا غائظ به عدواً فإنا لم نَرَ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد طول أسفٍ ومحالفة كآبة وشدة تَحرق ولا يبرح زارياً على نعمة الله ولا يَجِدُ لها مزالاً ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعماً ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه ومُتَسخِّطاً لما لن ينال فوقه فهو مُنَغَّص المعيشة دائم السُّخطة محروم الطلبة لا بما قسم له يقنع ولا على ما لم يُقْسَم له يغلب. والمحسود يتقلب في فضل الله مباشراً للسرور منتفعاً به ممهلاً فيه إلى مدة ولا يقدرُ الناس لها على قطع وانتقاص.

قيل لسفيان بن معاوية: ما أسرع حسد الناس إلى قومك فقال:

إن العرانين تلقاها مُحسَّدة ... ولا ترى لِلئَام الناس حساداً

قيل لبعضهم أيُّ الأعداء لا تُحب أن يعود لك صديقاً قال: من سبب عداوته النعمة. وقال يحيى بن خالد: الحاسد عدوّ مَهين لا يدرك وتره إلا بالتمني وقال بعضهم مَنْ عَابَ سفلة فقد رفعه ومن عاب شريفاً فقد وضع نفسه.

قال أحمد بن يونس عن الفضيل قال: حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك لأن عدوك إذا ذكرت عنده يغتابك وإنما يدفع إليك المسكين حسناته. انتهى من عيون الأخبار.

ويروى عن علي رضي الله عنه. ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد. نفس دائم، وعقل هائم. وحزن لازم. وقال أيضاً لله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

ويروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: رفع البركة عن

خمسة: عن الناكث، والباغي، والحسود، والحقود، والخائن، وقال معاوية رضي الله عنه: كل الناس يمكنني أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي. وقيل لزاذان فروح: أي عدو لا تحب أن يعود صديقاً قال: الحاسد الذي لا يرده إلى مودتي إلا زوال نعمتي. وقال أبو العيناء، إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسداً. وقال منصور الفقيه:

ألا قل لمن بات لي حاسداً　　أتدري على من أسأت الأدب
أسألت على الله في حكمِه　　إذا أنت لم ترض لي ما وهب

وقال المتنبي:

سوى وجع الحساد داو فإنه　　إذا حل في قلب فليس يحول

وقال ببغاء:

ومن البلية أن تداوي حقد من　　نعم الإله عليك من أحقاده

مرّ قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروة فكره ذلك فقال له الربيع: ألا يسرك ما يسر الناس فقال: إن مع الثروة التحاسد والتخاذل. ومع القلة التحاشد والتناصر.

من التواضع: قيل: من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون قدره. وقيل لبزرجمهر: هل تعرف نعمة لا يحسد عليها قال: نعم التواضع. فقيل: هل تعرف بلاء لا يرحم صاحبه قال: نعم الكبر. قيل: أبغض الناس ذو عسر يخطر في رداء كبر. قال الشاعر:

فخر بلا حسبٍ عجبٌ بلا أدبٍ　　كبرٌ بلا درهم هذا مِنَ العجب

من الحياء: سأل يحيى بن خالد رجلاً عن ابنه فقال: تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه. وسيول الجود سائلة من فروج أنامله. ولآلىء العلم متناثرة من ميازيب منطقه.

وقال شاعر:

كـريم يغض الـطرف فـرط حيـائِـه   ويـدنـو وأطـرافُ الـرمـاح دوان

* * *

قيل من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده.

من العداوة: قيل: احذر معاداة الـرجال فـالناس رجـلان عاقـل فاحـذر ختله. وأحمق فـاحذر حمقـه. وقال عبـدالله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم لابنـه اتق معاداة الـرجال فـإنك لا تعـدم مكر حليم. أو مفـاجـأة لئيم. وقيل: الأحقاد مخـوفة وأخـوفها مـا كان في أنفس الكبـار فإنهم يـرون الطلب بالوتر مكرمة. وقال بعضهم في التحذير من العداوة:

سيعلم إسماعيل أن عداوتي له سم أفعى لا يصاب دواؤها.

من وصايا رابعة العدوية: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم وقالت لأبيها: يا أبة لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه فقال لها: أرأيت إن لم أجـد إلا حرامـاً قالت: نصبـر في الدنيـا على الجـوع خيـر من أن نصبـر في الآخرة على النار. وكانت إذا جنّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادت: إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخـلا كل حبيب بحبيبـه وقد خلوت بك أيها المحبـوب فاجعـل خلوتي منك في هـذه الليلة عتقي من النار. ولقي سفيان الثوري رابعة وكانت زرية الحال فقـال لها: يـا أم عمرو أرى حـالاً رثة فلو أتيت جارك فلاناً لغيَّر بعض ما أرى فقالت له: يا سفيان وما تـرى من سوء حالي ألستُ على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الـذي لا فقر معـه والأنس الـذي لا وحشة معـه والله إني لأستحي أن أسـأل الـدنيـا مَنْ يملكهـا فكيف أسـألها من لا يملكهـا فقام سفيـان وهـو يقـول: مـا سمعت مثـل هـذا الكلام.

كـان أبو سليمـان الهاشمي لـه بالبصـرة كل يـوم غلة ثمانين ألف درهم فبعث إلى علمـاء البصرة يستشيـرهم في امرأة يتـزوجها فـأجمعـوا على رابعـة العدوية فكتب إليها أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمـانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليـل حتى أتمها مـائة ألف إن شـاء الله وأنا أخـطبـك

نفسك وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف وأنا مصيّر إليك من بعد أمثالها فأجيبيني فكتبت إليه: أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي فهيء زادك وقدم لمعادك وكن وصيّ نفسك ولا تجعلك وصيتك إلى غيرك وصم دهرك واجعل الموت فطرك فما يسرني إن الله خولني أضعاف ما خولك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام. انتهى من وفيات الأعيان.

فائدة

الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية وشيطانية ونفسانية كالرؤيا فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت والشيطان يجري منه مجرى الدم والعصمة إنما هي للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز وجل وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ومن عداهم يصيب ويخطىء وليس بحجة على الخلق.

فائدة

السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه وتارة على شماله وتارة أمامه وتارة يرجع خلفه فأي سبيل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها رصداً له فإن سلكها في طاعة وجده عليها يثبّطه عنها ويقطعه أو يعوقه ويبطئه. وإن سلكها لمعصية وجده عليها حاملاً له وخادماً ومعيناً وممنياً ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه من هناك. ابن القيم.

قيل للحسن سبقنا القوم على خيل دهم ونحن على حمر معقرة فقال: إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

مَدْح الخمول مع الغنى. قيل لسعد أرضيت أن تكون مشغولاً بأغنامك والناس يتنازعون الملك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحب الغني التقي الخفي. وقال عبدالملك لأعرابي تمنّ فقال العافية والخمول فإني رأيت الشرّ إلى ذي النباهة أسرع. فقال: ليتني كنت سمعت هذه الكلمة قبل الخلافة.

البريد:

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى
وعافية تغدو بها وتروحُ

بطلان الحذر والتدبير مع القضاء والقدر.

انتهى أعرابي إلى أرض فقيل له: إنها مفعاة فبات على ظهر راحلته فتعلقت حية بنسعة كانت في يده فلسعته فقال وهو يجود بنفسه:

لعمركَ ما يدري امرؤٌ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقياً

* * *

قال شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى في الفتاوى:

الميزان بين ما يُخرج من الدين من الكفر والنفاق وما لا يخرج الحمد لله يتضح هذا بذكر أصل كبير دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وهو أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام. قسم خير لا شر فيه. وقسم بالعكس والقسم الثالث ما يجتمع فيه خير وشر وإيمان ونفاق وإيمان وكفر وهذه الأقسام إنما تتم معرفتهم بمعرفة حقيقة الإيمان ومعرفة ما يضاده من كفر ونفاق ومعصية بحسب اتصاف العبد بذلك أما حقيقة الإيمان الصحيح التام فهو الإيمان بجميع ما أمر الله به ورسوله من أصوله الكلية والجزئية والاعتراف بذلك والانقياد ظاهراً وباطناً لطاعة الله ورسوله فمتى كان العبد متحققاً بأصول الإيمان منقاداً بقلبه وبدنه لطاعة الله ورسوله قد قام بجميع ذلك اعتقاداً وانقياداً وطاعة فهو المؤمن حقاً الذي اجتمع فيه الخير كله وتمت له السعادة والفلاح ومتى فقد الأمرين أو كليهما فهو كافر خارج من الدين إما منافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر وإما كافر معلن بكفره ومتى كان معه أصل الدين واعتقاداته المجملة ولكنه يخل بكثير من واجباته ويتجرأ على المحرمات فهذا قد اجتمع فيه خير وشر وأسباب موجبات للثواب وأسباب موجبات للعقاب بحسب ذلك فمن تلك الخصال خصال نص الشارع على أنها من النفاق أو صاحبها مشبه للمنافقين كالكسل عن الصلاة والرياء وإخلاف الوعد والكذب والغدر وعدم الوفاء بالعهد وغير ذلك فهذا من النفاق الأصغر الذي يوجب

العقوبة ويمنع من المثوبة ويخرج العبد من الإيمان الكامل ويدخله في أوصاف المنافقين بحسب ما فيه منها ولكنه لا يخرج العبد من الإيمان وكذلك الكفر والشرك منه أكبر مخرج من الدين كالتكذيب لله ورسوله والشرك في عبادة الله بأن يصرف من العبادات شيئاً لغير الله من المخلوقات ومنه كفر وشرك أصغر كالاقتتال بين المسلمين والنياحة والتبرؤ من النسب والرياء ونحو ذلك مما يطلق الشارع عليه الكفر أو الشرك وهو لا يخرج من الدين فإنه من شعب الكفر والشرك ولهذا يجتمع في العبد خصالُ إيمان وخصال كفر ونفاق وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وهو الواقع وشواهد هذا الأصل الكبير من القرآن والسنة كثيرة جداً والله أعلم. انتهى.

استحباب الطيب. في الحديث عن النبي ﷺ: «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة».

وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل. وقيل: من الظرف والكرم الاستقصاء في التبخر.

وقال الخوارزمي يمدح طيباً:

بخور مثل أنفاس الحبيب ... وطيب قد أخلّ بكل طيب
يظل الذيل يستره ولكن ... تنم عليه أنفاس الجنوب
إذا ما شم أنفٌ حن قلب ... كأن الأنف جاسوس القلوب

وقيل: من نظف ثوبه قل همه.

وكان الزهري يُشم منه رائحة المسك حتى من علاقة سوطه.

ويروى عن عمر رضي الله عنه ائتزروا وارتدوا وانتعلوا وتمعددوا أي افعل فعل معد. وروي اخشوشنوا وتمعددوا فإن النعمة لا تدوم. وقيل: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال. وألغز بعضهم في النعل:

ومخزومة الأذنين ما تشتكيهما ... ومطعونةٍ في الصدر ما فجرت دما

ودخل ابن سكرة الحمام فسرقت نعله فقال:

ولستُ بداخلٍ حمامَ موسى … وإن كان المنَي طيباً وبشراً
تكاثفَتِ اللصوصُ عليّ حتى … دخلتُ محمداً وخرجت بشراً

أي كنت صاحب النعل فلما خرجت صرت بشراً الحافي.

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ أي ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم ألفاظه للحفظ والأداء ومعانيه للفهم والعلم لأنه أحسن الكلام لفظاً وأصدقه معنى وأبينه تفسيراً لكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير وسهله عليه. والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام وأحكام الأمر والنهي وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر والعقائد النافعة والأخبار الصادقة ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً أسهل العلوم وأجلها على الإطلاق.

مما يروى من أخبار الأعراب ما ذكر عن المهدي أنه خرج يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي فقال: يا أعرابي هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه فلما شرب قال: أتدري من أنا قال: لا قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال: بارك الله في موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال: يا أعرابي أتدري من أنا فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال: لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال: رحبت بلادك وطال مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال: يا أعرابي أتدري من أنا قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال: لا ولكنني أمير المؤمنين قال: فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها وقال: إليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليه الأشراف والجنود فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل. انتهى.

فكاهة: يروى أنه جاء رجل إلى أبي ضمضم يستعديه على رجل في

دابة اشتراها منه وظهر بها عيب فقال له أبو ضمضم: وما عيبها قال: في أصل ذنبها مثل الرمانة وفي ظهرها مثل التفاحة وفي عجيزتها مثل الجوزة وفي بطنها مثل الموزة وفي حلقها مثل الأترجة فقال ابن ضمضم: هذه صفة بستان وليست صفة دابة.

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وارحمني فإنك أنت الغفور الرحيم من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة» أخرجه البخاري.

وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء» قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وعن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسي وحين يصبح رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً كان على الله أن يرضيه يوم القيامة» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح والله أعلم.

إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية فاعلم أنك قد ابتليت معه إما بالمواساة فتشاركه في البلية وإما بالخلات فتحمل العار فالتمس المخرج عند أشباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره على مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسي اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك. أعتق الله ربعه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار» قال الترمذي. حديث حسن صحيح.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» قال وكيع: يعني الخسف أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك فقال: ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم» انتهى.

موعظة

الدنيا تغر وتضر وتمر. فادفع غرورها بالزهد فيها وادفع ضررها بالصبر على بلائها ودعها تمر وأنت في حال الطاعة.

البَرّ والبُرّ والبِرّ.

البَر هو الصحراء سهولها وجبالها ورمالها والبُر هو القمح. والحنطة

والبِر. هو الخير والطاعة والصدق وغيرها من الإحسان.

من نتائج المعصية. قلة التوفيق. وفساد الرأي، وخفاء الحق. وفساد القلب وقسوته وخمول الذكر. وإضاعة الوقت. ونفرة الخلق. والوحشة مع الرب. ومنع إجابة الدعاء. ومحق البركة في الرزق والعمر ولباس الذل وضيق الصدر.

قال مالك بن أسماء:

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورةٍ حين أغضبُ
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

* * *

آخر:

يراك ويهوى من يقل خلافه ... وليس بمحبوب حبيب يخالفُ

* * *

آخر:

إن التي عذبتني في محبتها ... كل العذاب فما أبقت وما تركت
عاتبتها فبكت فاستعبرت جزعاً ... عيني فلما رأتني باكياً ضحكت
فعدت أضحك مسروراً بضحكتها ... مني فلما رأتني قد ضحكت بكت
تهوى خلافي كما حثت براكبها ... يوماً قلوص فلما حثها بركت

وقال متطبب لمريض داؤه الهوى:

قال الطبيبُ لأهلي حينَ أبصرني ... هذا فتاكم وحقّ الله مسحورُ
فقلت ويحك قد قاربتَ في صفتي ... وجه الصواب فهلّا قلت مهجورُ
فقال: ما لي بعلم الغيبِ معرفةٌ ... فقلت: إن دليل الحبّ مشهورُ
فيضُ الدموع وأنفاسٌ مصعدةٌ ... وضربة في الحشا والقلبُ مأسورُ

وقال من فارقه النوم من الهجر:

قفا خبراني أيها الرجلان عن النوم إن الهجرَ عنه نهاني
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه صِفا النوم لي إن كنتما تصفانِ
وإني لمشتاقٌ إلى النوم فاعلما ولا عهد لي بالنوم منذ زمانِ

* * *

وقال ابن المعتز في الفراق:

ومتيم جرح الفراق فؤاده فالدمع من أجفانه يتدفق
بهرته ساعة فرقة فكأنما في كل عضو منه قلب يخفق

قال السري الرفاء وكان دعاه أحد أصدقائه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط فأطعمه هريسة وسقاه نبيذ الدبس وماء بئر يعرف بكرخايا.

أرى الشاعر الملحي راح بناصباً نباغضه عمداً ويوسعنا حباً
دعانا ليستوفي الثناء فأظلمت خلائق يستوفي لصاحبها السبا
تيمم كرخايا[1] فجاد قليبها عليه وما شرب القليب لنا شربا
وأحضرنا محبوسة طول ليلها معذبة بالنار مسعرة كربا
تخير من رطب الذؤابة لحمها ومن يابس الحب النقي لها حبا
وساهرها ليلاً يضيق سجنها فلما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحتها الريح راحت كأنها تمسح موتى كشفت عنهم التربا
وداذية تنهى الصباح إذا بدا وتفسد أنفاس النسيم إذا هبا
شراب يغض الطرف عنه وعمره ثلاثة أيام وقد شب لا شبا
يحد بأطراف النهار وما افترى ولا كان خدنا للجناة ولا تربا
فلما تراءت للجميع إزاءنا عجبت لمضروبين ما جنيا ذنبا

فصل
في العقل من كتاب محاضرات الأدباء

قيل العقل الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً. وقيل: النظر في

---

(١) قال في القاموس: وكرخايا شِرْبٌ يفيض الماء من عمود نهر عيسى: (ببغداد).

العواقب. وقيل: العاقل من له رقيب على جميع شهواته. وقيل: من عقل نفسه من المحارم. والحمق قلة الإصابة ووضع الكلام في غير موضعه. وقيل: فقدان ما يحمد من العاقل.

وقال النبي ﷺ: «ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى»[1].

وقيل: الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة. والعقل وزير رشيد وظهير سعيد. من أطاعه أنجاه. ومن عصاه أرداه. وقيل: لو صوّر العقل لأضاء معه الليل ولو صوّر الجهل لأظلم معه النهار.

قيل لبهلول: عدّ لنا المجانين فقال: هذا يطول ولكني أعد العقلاء.

وكتب رجل كتاباً وعرضه على آخر فقال: فيه خطأ كثير فقال الكاتب: علّم على الخطأ لأصلحه فقال: بل أعلّم على الصواب فهو أسهل. وقيل لرجل: ما جماع العقل فقال: ما رأيته مجتمعاً في أحد فأصفه وما لا يوجد كاملاً لا يحد.

قال الجاحظ لا تجالس الحمقى فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح فإن الفساد أشد التحاماً بالطباع.

سئل أعرابي عن رجل أحمق. فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره.

قال عامر بن الظرب: الرأي نائم والهوى يقظان فإذا هوي العبد شيئاً نسي الله ثم تلى قوله تعالى: ﴿**أفرأيت من اتخذ آلهه هواه**﴾ العقل صديق مقطوع. والهوى عدو متبوع.

قال منصور الفقيه: إن المرآة لا تريك خدوش وجهك في صداها.

وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها.

---

(١) قول النبي ﷺ يؤيد أن العاقل من عقل نفسه عن المحارم.

وقيل: للناس في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام آيات أعظمها قوله تعالى: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ وقال بعض الحكماء: إذا اشتبه عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه. فالصواب في مخالفة الهوى. قال الله تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾ وقال النبي ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». وقال ﷺ: «من أراد الله به خيراً فقّهه في الدين وعرفه عيوب نفسه».

وقيل: أجمع كلمة قول الحكيم أفضل العقل معرفة المرء بنفسه.

قيل لحكيم: ما أصعب الأشياء. قال: معرفة الإنسان عيب نفسه والإمساك عن الكلام في ما لا يعنيه.

وقال لقمان: لا تدع النظر في مساوئك كل وقت لأن ترك ذلك نقص من محاسنك. وقيل: كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك.

قال رجل لمسْعَر أتحب أن تهدى إليك عيوبك فقال: أما من ناصح فنعم وأما من شامت فلا.

وقيل: ينبغي للرجل أن يكون مرآة أخيه تريه خيره وشره. قال الشاعر:

أصبحت في هيئة المرآة تخبرنا ... عيوبنا كل ما فينا من الكدر

ماهية الحزم والعزم.

قال عبد الملك لعمر بن عبدالعزيز ما العزيمة في الأمر قال: إصداره إذا ورد بالحزم فقال: وهل بينهما فرق قال: نعم أما سمعت قول الشاعر:

ليست تكون عزيمة ما لم يكن ... معها من الرأي المشيد رافع

قال رجل لأفلاطون: لم تختمت بيمينك. فقال: لأعرف المتكلفين ومن يسأل عما لا يعنيه.

ذم الاقتصار على مجرد التوكل. وترك الأسباب.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أرسل ناقتي وأتوكل فقال: بل أعقلها وتوكل. مرّ الشعبي بإبل قد فشا فيها الجرب فقال لصاحبها: أما

تداوي إبلك. فقال: إن لنا عجوزاً نتكل على دعائها فقال: اجعل مع دعائها شيئاً من القطران.

وقيل: العجز عجزان عجز التقصير وقد أمكن. والجد في طلبه وقد فات أخذه الشاعر فقال:

تتبُّع الأمر بعد الفوت تغرير وتركه مقبلاً عجز وتقصير

وقال الآخر:

أصبحت تنفخ في رمادك بعدما ضيعت حظك من وقود النار

مدح أعرابي قوماً فقال: أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة.

قيل: ما تزاحمت الظنون على أمر مستور إلا كشفته.

سئل حكيم ما اللبيب فقال: الفطن المتغافل.

مدح العجلة بمحلها.

قيل المتأتي في علاج الداء بعد أن عرف الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه. وقال معاوية: ما من شيء يعدل التثبت فقال الأحنف: إلا أن تبادر بالعمل الصالح أجلك وتعجل إخراج ميتك وتُنكح الكفء ابنتك.

وقال الأحنف عجبت لمن طلب أمراً بالمغالبة وهو يقدر عليه بالملاينة. ولمن طلب أمراً بخرق وهو يقدر عليه برفق.

وقيل لبعضهم ما الدهاء فقال: قتل العدو في لطف.

من المشورة:

قال عمر رضي الله عنه الرجال ثلاثة: رجل ذو عقل ورأي فهو يعمل عليه ورجل إذا أحزنه أمر أتى ذا رأي فاستشاره. ورجل حائر بائر لا يأتي رشداً ولا يطيع مرشداً.

وقيل: عليك برأي الشيوخ فقد مرت على وجوههم عيون العبر وتصدعت لأسماعهم آثار الغير. وقيل: رأي الشيخ كالزند قد انثلم. ورأي الشاب كالزند الصحيح الذي يوري بأيسر اقتداح. انتهى من كتاب محاضرات الأدباء.

فائدة

قوله تعالى: ﴿**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾ هذه الآية الكريمة تدل على أن نوحاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عالم بما يصير إليه الأولاد من الفجور والكفر قبل ولادتهم وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله كقوله تعالى: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ وكقول نوح نفسه فيما ذكره الله عنه في سورة هود: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**﴾ الآية.

والجواب عن هذا ظاهر وهو أنه عَلِمَ بوحي من الله أن قومه لا يؤمن منهم أحد إلا من آمن كما بينه بقوله تعالى: ﴿**وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿**وأما من أوتي كتابه وراء ظهره**﴾ الآية. هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يعط كتابه بيمينه أنه يعطاه وراء ظهره وقد جاءت آية يفهم منها أنه يؤتاه بشماله وهي قوله تعالى: ﴿**وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني**﴾ الآية. والجواب ظاهر وهو أنه لا منافاة بين أخذه بشماله وإيتائه وراء ظهره لأن الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه. انتهى من كتاب دفع إيهام الاضطراب.

قاعدة

من كتاب الفوائد لابن القيم رحمه الله:

طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين حبس قلبه في طلبه ومطلوبه. وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته وحبس جوارحه عن المعاصي

والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه ومتى لم يصبر على هذين الحبسين[1] وفر منهما إلى فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند الخروج من الدنيا فكل خارج من الدينا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس وبالله التوفيق.

ودع ابن عون رجلاً فقال: عليك بتقوى الله فإن المتقي ليست عليه وحشة. وقال زيد بن أسلم كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا وقال الثوري لابن أبي ذئب إن اتقيت الله كفاك الناس وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً. وقال سليمان بن داود أوتينا مما أوتي الناس ومما لم يؤتوا وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى.

وفي الزهد للإمام أحمد أثر إلهي: (ما من مخلوق اعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه فإن سألني لم أعطه وإن دعاني لم أجبه. وإن استغفرني لم أغفر له. ومامن مخلوق اعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات والأرض رزقه فإن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته وإن استغفرني غفرت له). الطريق إلى الله خالٍ من أهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات وهو معمور بأهل اليقين والصبر وهم على الطريق كالأعلام ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾.

نبذ من محاضرات الأدباء

قال ربيعة الرقي:

فأنت كذئب السوء إذ قال مرة	لعمروسة والذئب غرثان مرملُ
أأنت التي في كل قول سببتني	فقالت متى ذا قال ذا عام أولُ
فقالت ولدت العامَ بل رمتَ غدرة	فدونك كلني لا هنالك مأكلُ

(١) هكذا بالأصل.

فائدة

يقال: لا تحمدن أمرأ حتى تجربه في معاملة أو سفر. وقيل: السفر ميزان القوم. وقيل: سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق المحمودة والمذمومة. قال العطوي:

أكرم رفيقك حتى ينقضي السفرُ   إن الذي أنت موليه سينتشرُ
ولا تكن كلئام أظهروا ضجراً   إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا

وأراد بعضهم الحج فقال له أحد أصدقائه نصطحب فقال: دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه. وقال هشام لرجل أراد سفراً أخدم أصحابك وإياك أن تكون كلبهم فإن لكل رفقة كلباً ينبح دونهم. فإن خيراً أشركوه وإن شراً تقلده دونهم. وقيل: فلان عبد أصحابه في السفر وسيدهم في الحضر. وقال زياد بن جميل:

مخدّمون ثقالٌ في مجالسهم   وفي الرحال إذا صاحبتهم خدمُ

قال ابن عيينة بالإياب من السفر سالماً:

إذا نحن عدنا آيبين بأنفس   كرام رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسُنا خيرُ الغنيمة إنها   تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

قيل لأعرابي كيف تصبرون على جفاء البادية وضيق العيش فقال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

وقال أبو عمرو بن العلاء: مما يدل على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه. وحبه متقدمي إخوانه. وبكاؤه على ما مضى من زمانه. وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة. وإلى مسقط رأسها تواقة. وقال بعض الأعراب المتوجهين إلى خرسان في زمن عثمان رضي الله عنه.

بلغتُ إلى حلوان[1] والقلبُ نازعٌ ... إلى أهل نجد أين حلوان من نجدِ
لجثجاثُ أرضٍ حين يضربُه النّدى ... أحبُّ وأشهى عندنا من جنى الوردِ

وقالت زينب أم حسنانه الضبية وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر قيل لها أما ترين حسن هذا المكان فأطرقت ساعة وقالت:

أقول لأدنى صاحبي أسره ... وللعين دمع يجدر الكحل ساكبه
لعمري لنهي بالكرا نازح القذى ... بعيد النواحي غير طرق مشاربه
أحبّ إلينا من صهاريج ملِّئت ... للعب ولم تملح إليّ ملاعبه
فيا حبذا نجدٌ وطيب هوائه ... إذا أهضبته بالعشي هواضبه
وريحُ صبا نجدٍ إذا ما تنسمت ... ضحى وسرت جنحَ الظلام خبائبه
فأقسمُ لا أنساه ما دمتُ حيةً ... وما دام ليل عن نهار يعاقبه
ولا زالَ هذا القلب مسقيّ لوعةٍ ... بذكراه حتى يتركَ الماء شاربه

وسمع أبو دلف رجلاً ينشد:

ألقى بكلِّ بلادٍ إن حللتُ بها ... ناساً بناسٍ وإخواناً بإخوان

فقال: هذا ألأم بيت قالته العرب لقلة حنينه إلى آلافه. انتهى من محاضرات الأدباء.

قال بعض العلماء إذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع. وإذا عوفيت فاشكر الله ولا تقطع. وإذا وقف بك أمر فلا تيأس ولا تطمع وفوض أمرك إلى الله فنعم الملجأ ونعم المرجع. فإذا فعلت فقد فزت بخير الدارين أجمع وقال بعض العلماء لابنه: يا بني إياك والجزع على ما فات والطمع فيما لا يرجى فما اشتد خطب إلا وأعقبه فرج ولا انسد باب إلا سوف ينفرج فإن الله عز وجل قد جعل مع العسر يسرين وجعل في الصبر خير الدارين وما زال مع الصبر الظفر والأنس ومع الجزع الكدر واليأس.

---

(١) قال في معجم البلدان وحلوان بليدة بقوهشان نيسابور وهي آخر حدود خرسان مما يلي أصبهان.

موعظة

أيـا للمنـايـا ويحها مـا أجدّهـا كـأنـك يـومـاً قـد تـوردت وردهـا
ويـا للمنـايـا مـالهـا من إقـالـة إذا بلغت من مـدّة الحي حـدهـا
وللمـرء عنـد المـوت كـرب وغصّـة إذا مـرّت السـاعـات قـربن بعـدهـا
سَتُسلمك الساعات في بعض مرهـا إلى سـاعـة لا سـاعـةً لـك بعـدهـا
مـددتَ المنى طولاً وعـرضـاً وإنَّهـا لتَـدعُـوك أن تهـدا وأنْ لا تمـدهـا
ومالت بك الـدنيا إلى اللهـو والصبا ومن مـالت الدنيـا بـه كـان عبـدهـا
ومـا كـل مـا خُـولت إلا وديعـة ولن تـذهب الأيـام حتى تـردهـا
إذا أذْكَـرتـك الـنفسُ دنـيـا دنيـة فلا تنسَ روضـات الجنـان وخُلدهـا
ألست تـرى الدنيـا وتنغيص عيشهـا وإتعـابهـا لـلمكـثـرين وكـدّهـا
هو النفس في الدنيـا إلى أن تغولهـا كمـا غـالت الـدنيـا أبـاهـا وجـدهـا

قصيدة لبعض الصالحين:

يـا فـاطـر الخلق البـديـع وكـافـلاً رزق الجميع سحاب جـودك هاطـل
يـا مسبغ البـر الجزيـل ومسبل السـتـر الجميل عَميم طَـولـك طـائـل
يـا عَـالمَ السـر الخفي ومنجـز الـوعـد الوفي قضـاء حكمك عـادل
عـظُمت صفاتُـك يا عـظيمُ فجل أن يُحصي الثَّناء عليكَ فيهـا قـائـلُ
ربٌّ يُـربـي العـالـمـين ببـره ونـوالُـهُ أبـداً إلـيـهـم واصـل
مُـتـفـضـلٌ أبـداً وأنـت لـجـوده بقبـائـح العصيـان منكَ تقـابـل
تعصيـه وهـو يسـوقُ نحـوكَ دائمـاً مـا لا تكـونُ لبعضـه تستـاهـل
وإذا دجى ليـل الخطوب وأظلمت سُبـل الخلاص وخـاب فيها الآمـلُ
وأيست من وجـه النّجـاة فمـالهـا سببٌ ولا يـدنـو لَـهَـا متـنـاول
يـأتيـك من ألـطافـه الفـرجُ الـذي لم تحتَسِبْـه وأنت عـنـه غـافـل
يـا مـوجـد الأشيـاء من ألقى إلى أبـواب غيـرك فهـو غِـرٌّ جـاهـل
ومن اسْتَـراحَ بغيـر ذكـرك أو رجـا أحـداً سـواكَ فـذاك ظـلٌ زائـل
عـمـلٌ أريـد بـه سـواكَ فـإنـه عمـلٌ وإن زعم المـرائي بـاطـل
أنـا عـبـد سـوء آبـق كـلٌ عـلى مـولاه أوزار الـكـبـائـر حـامـل

قد أثْقلت ظهري الذنوبُ وسودت　　صُحفي العيوبُ وستر عفوك شامل
ها قد أتيتُ وحسنُ ظني شافعي　　ووسائلي ندمٌ ودمعٌ سائل
فاغفِر لعبْدك ما مضى وارزقه تَوْ　　فيقاً لما ترضَى ففضلكَ كامل

قيل لأعرابي: الشمس أحسن أم القمر فقال: القمر أحسن والشمس أجهر قيل: وكيف صار القمر أحسن قال: لأن العيون عليه أجسر.

وقال الموسوي:

يا من بغرتهِ الهلالُ أما ترى　　بدرَ الهلالِ وقد بدا في المشرقِ
كظريفةٍ نَظرتْ إلى عشاقها　　فتنقَبتْ خَجلاً بكُمٍ أزرقِ

قال أبو الحسن الهمداني قصيدة خالية من حرف الواو مدح فيها الصاحب بن عباد:

برق ذكرت به الحبائب　　لما بدا فالدمع ساكب
أمدامعي منهلة　　هاتيك أم غزر السحائب
نثرت لآلىء أدمع　　لم يفترعها كف ثاقب
يا ليلة قد بتها　　بمضاجع فيها عقارب
لما سرت ليلى تخب لنأى بها عنا الركائب
جعلت قسي سهامها　　إن ناضلته عقد حاجب
لم يخط سهم أرسلته إن سهم اللحظ صائب
تسقيك ريقاً سكره　　إن قسته للخمر غالب
كم قد تشكى خصرها　　من ضعفه ثقل الحقائب
كم أخجلت بضفائر　　أبدت لنا ظلم الغياهب
إخجال كف الصاحب القرم المرجي للسحائب
ملك تلألأ من معا　　قد عزه شرف المناصب
نشأت سحائب رفده　　في الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإنني　　نقحتها من كل عائب
ألفيت ما لاقيت من　　إلقائه إحدى المصاعب
حرفاً يعلل كل حر　　ف حل من لفظ المخاطب

هـا ذاك تـرب الـهـاءان ... لـم أبـده فـالنهـج لاحب
لـكـن لـه تـمـثـال قـا ... ف خـطه في السطر كـاتب
إنـي اغـتـرفت خـليجـهـا ... من بحرك العذب المشارب
فـانـعـم بـمـلك دائـبـاً ... مـا حـج بيـت الله راكـب

قال أبو بكر بن شوذبة الفارسي، فيمن يقدم من السفر بغير هدية:

إذا لـم يكـن ممـن يـؤوب هـديـة ... فـلا لـقيـتـه بـالسـعـادة داره
وإن يهـد أقـلامـاً ونقساً وكـاغـداً ... فـلا قـر يـومـاً بـالمقـام قـراره
وإن يـهـد بـرداً أو رداء مـحـبـراً ... فـلا زال عـنـا ظـلـه وجـواره

قال محمد بن واسع إن قوماً يشرفون على قوم يـوم القيامـة فيقولـون قد نجونا بما أخذنا منكم فما لكم في العذاب فيقولون كنا نعلم ولا نعمل.

قيل ليحيى بن معاذ: ما بال أبنـاء الدنيـا يحبون الـزاهدين وهم يغـرون منهم قال: ذلك كالدّباغ يستروح إلى العطار والعطار يفر من ريحه.

وقال الحسن لشيخ في جنازة أترى هذا الميت لو رجـع إلى الدنيـا كان يعمل صالحاً قال: نعم قال: إن لم يكن ذاك فكن أنت ذاك.

قال رجل لأبي الدرداء ما بالنا نكره الموت قال: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب.

حكم وأمثال

لا تبـع هيبة الصمت بـالرخيص من الكلام.

قيمـة الشيء تعـرف عنـد الحـاجـة إليه.

عـدوٌّ واحد كثيـر. مـائـة صـديق لا يكفي.

حسد العدوّ هو عذابه الشخصي.

المحاسبة لا تفسد الصداقة.

عند الأعمى جميع الألوان تتشابه.

من لم يصلح الثوب القديم لا يكون له جديد.

الخيل أعلم بفرسانها.

كل إنسان يحب الشجرة التي تظله.

الصديق الذي صنعته بالهدايا سوف يشتريه غيرك.

إذا شبع المرء لم يجد للخبز طعماً.

خير الناس من عذر.

الجاموس لا يشعر بثقل قرنيه.

الخوف والغيرة لهما أعين كبيرة.

خير لك أن تكون مغفلاً من أن تستغفل غيرك.

الفم المغلق لا يعادي أحداً.

الجود حارس الأعراض.

نعم المال الصالح للرجل الصالح.

اجعل سرك إلى واحد ومشورتك إلى ألف.

يعرف الذهب عند امتحانه ويعرف الرجل في آلامه.

قلب القانع أغنى من البحر.

في بؤس البعض سعادة الآخرين.

من له صديق حقيقي لا يحتاج إلى مرآة.

لا شفيع أنجح من التوبة.

لا تنقش الشوكة بالشوكة لأن ضلعها معها.

لا يكون العمران إلا حيث يعدل السلطان.

كل كلب في حيّه نمر.

من خرج من النهر لم يخش المطر.

عندما يشيخ الثعلب تنتف وبره الغربان.

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قول الله تعالى في سورة الأنعام: **﴿وَهُو الَّذي أنشَأكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدةٍ فَمُستَقَرٌّ وَمُسْتودَع قَدْ فَصّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفْقَهُون﴾** [آية ٩٨]. **﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾** وهو آدم عليه السلام أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي الذي قد ملأ الأرض ولم يزل في زيادة ونمو الذي قد تفاوت في أخلاقه وخلقه وأوصافه تفاوتاً لا يمكن ضبطه ولا يدرك وصفه وجعل الله لهم مستقراً أي منتهى ينتهون إليه وغاية يساقون إليها وهي دار القرار التي لا مستقر وراءها ولا نهاية فوقها فهذه الدار هي التي خلق الخلق لسكناها وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها التي تنشأ عليها وتعمر بها وأودعهم الله في أصلاب

آبـائهم وأرحام أمهـاتهم ثم في دار الدنيـا ثم في البرزخ كـل ذلك على وجـه الوديعة التي لا تستقر ولا تثبت بل يُنتقل منها حتى يوصل إلى الـدار التي هي المستقر وأما هذه الدار فإنها مستودع وممر ﴿**قد فصلنا الآيات لقوم يفقهـون**﴾ عن الله آياته ويفهمون عنه حججه وبيناته. انتهى.

فائدة

عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كـان إذا نـظر في المـرآة قـال: «الحمد لله اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي».

يروى أنه كان يجلس إلى سفيان فتى كثير الفكرة طـويل الإطـراق فأراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه فقال: يا فتى إن من كـان قبلنا مـروا على خيل عتـاق ويقينا على حميـر دَبِرَة قـال يا أبـا عبدالله: إن كنّـا على الطريق فمـا أسـرعَ لحوقنا بالقوم.

سئـل أعرابي أي الأسبـاب أعون على تـذكية العقـل وأيهـا أعـون على صـلاح السِّيرة فقـال: أعونهـا على تذكيـة العقل التعلم وأعـونها على صـلاح السيرة القناعة.

كتب بعض الكتاب كتابـاً وإلى جانبـه رجل يتـطلع فكتب فيه ولـولا أن فلاناً يتطلع علي فيما أكتبه لشرحت كثيراً مما في قلبي فقال الرجل: يا سيدي ما كنت أتطلع عليك فقال: يا بغيض فإذاً من أين علمت ما كتبت فيه.

قال محمد بن بشير:

أمـا لـو أعـي كـل مـا أسـمـعُ	وأحـفظ مـن ذاك مـا أجـمـعُ
ولم أستفـد غيـر مـا قـد جمعت	لـقيـل هـو الـعـالم الـمـصـقـعُ
ولـكـن نـفسـي إلـى كـل شـيء	مـن الـعـلم تـسـمـعـه تـنـزعُ
فـلا أنـا أحـفظ مـا قـد جمعت	ولا أنـا مـن جـمـعـه أشـبـعُ
ومـن يـك فـي دهـره هـكـذا	يـكن دهـره الـقـهـقـرى يـرجـعُ

قال عمر بن عبـدالعزيـز رضي الله عنه لا شيء أضيـع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للوالي ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب

لأن الرعية إذا وثقوا بسهولة الحجاب أحجموا عن الظلم وإذا وثقوا بصعوبته هجموا على الظلم.

قال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان صف لي الناس فقال: خلق الناس أطواراً طائفة للسيادة والولاية. وطائفة للفقه والسنة وطائفة للبأس والنجدة ورجرجة بين ذلك يغلون السعر ويكدرون الماء إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا لم يعرفوا.

مدح ابن الرومي بعض الكتاب بشعر وتردد إليه طالباً جائزته فدفع شعره إلى غلامه وقال: امدح به غيري فلست أرغب فيه فقال:

رددتَ عليّ شعري بعد مطلٍ ... وقد دنّست ملبَسَه الجديدا
وقلت امدح به من شئت غيري ... ومن ذا يقبل المدح الرديدا
وما للحي في أكفانِ ميتٍ ... لبوس بعدما امتلأت صديدا

قال رجل لابن سيرين: رأيتني كأني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح فقال: أنت رجل تكثر الأماني.

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة فقال له: إن شئت أجزناك وإن شئت مدحناك فاستحيا أن يختار الثواب وكره العدول إلى المدح فقال:

ثناءٌ من أميرٍ خيرُ كسب ... لصاحبِ مغنمٍ وأخي ثراء
ولكنَّ الزمانَ أطال دائي ... وما مثلُ الدراهم مِن دواء

دخل أعرابي على تمار بالكوفة فقال:

رأيتك في النوم أطعمتني ... قواصرَ من تمرِك البارحة
فقلتُ لصبياننا أبشروا ... برؤيا رأيتُ لكم صالحة
قواصر تأتيكم بكرةً ... وإلا فتأتيكم رائِحَة
فقل لي: نعم إنها حلوة ... ودع عنك لا إنها مالحة

فأعطاه قوصرة تمر وقال: أحب أن تتركني من هذه الرؤيا فإن رؤيا يوسف صدقت بعد أربعين سنة. قال المازني: وقف علينا أعرابي فقال: رحم الله امرأً يمج أذنه كلامي وقدم معذرة لسوء مقامي فإن الفقر يدعوني إلى

أخبـاركم والحياء يمنعني من سؤالكم فقلت لـه: ممن الفتى فقـال: إن سـوء الاكتساب يمنع من الانتسـاب. دخل رجـل إلى أحد الـوزراء فقال لي: بـك سببـان الجوار وسـوء الحال وذلـك داع إلى الرحمـة فقـال: أمـا الجـوار فبين الحيطان والرحمة من أخلاق الصبيان اخرج عني فما مضى عليه أسبـوع حتى نكب.

قال شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى في الفتاوى:

المسـألـة الـرابعـة: في وجــه كـون الحب في الله والبغض في الله من الإيمان قوله ﷺ: «من أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنـع في الله فقد استكمل الإيمان». وجه ذلـك والله أعلم أن الإيمان الشـرعي تدخـل فيه أعمال القلوب التي أصلها حب الله والإنابة إليه وتكميل ذلك أنه يحب من يحبـه الله وما يحبـه الله من الأشخاص والأعمـال والأزمنة والأمكنـة والأحـوال ويـدخل فيـه أعمال الجـوارح التي فعل وتـرك وتحقيق ذلك أن يكـون كذلـك إعـطاؤه المالي الـذي جرت عـادة أكثر النـاس أن يكـون مبـذولاً في مـرادات النفوس وأهويتها وشهواتها فهذا المستكمل للإيمان قد جعل عطاءه ومنعـه تبعاً لمراد الله ومحبته وإذا كان هذا حاله في البذل والمنع المالي فالبدني من باب أولى وأحرى وحالة هذا هي حالة المخلص لله من كل وجه.

المسألة الخامسة في حكم التوسل: التوسل يطلق على التوسل إلى الله بما جعله وسيلة إليه في مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذين آمنوا اتقوا الله وابْتَغُوا إلَيْه الوسِيْلَة**﴾ وذلك يشمل التقرب إلى الله بالـواجبات والمستحبـات وكذلـك التقرب إليه بترك المحرمات والمكروهات فهذا تـوسل إليـه بعبادتـه التي خلق الخلق لأجلها ومن هذا التوسل إليه في دعاء المسألة بأسمائه وصفاته والتوسل إليه بمنته ونعمه كالتوسل إليه بالإيمان به وبرسله وكتبه وبمنتـه عليه في تـوفيقه لعمـل صالـح أو حصول نعمـة أو دفع نقمـة وبالإيمـان بالـرسول ﷺ ومحبتـه واتّباعه وبالصلاة والسلام عليه فهذه الوسيلة لا يتم الإيمان إلا بها.

النوع الثاني: التوسل إلى الله بذوات المخلوقين وجاههم فهذا الصواب أنـه لا يحل لأنـه لا يُتَقَرّبُ إلى الله إلا بمـا شرع وهـذا ليس بمشـروع وأيضـاً

فذوات المخلوقين وإن كان لهم عند الله مقام وقدر وجاه فهذا ليس لغيرهم وليس التوسل بهم سبباً لشفاعتهم للتوسل عند الله ولم يجعله الله من الأمور المقربة إليه وليس ذلك توسلاً بما من الله به على المتوسل فتعين أنه لا يجوز.

النوع الثالث: ما يسميه المشركون توسلاً وهو التقرب إلى المخلوقين بالدعاء والخوف والرجاء والطمع ونحو ذلك فهذا وإن سموه توسلاً فهو توسل إلى الشيطان لا إلى الرحمٰن وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفر لصاحبه إن لم يتب والله أعلم.

المسألة السادسة: الإيمان بالقدر يتفق مع الأسباب مباشرة الأسباب والاجتهاد في الأعمال النافعة تحقق للعبد تمام الإيمان بالقضاء والقدر فإن الله قدر المقادير بأسبابها وطرقها وتلك الأسباب والطرق هي محل حكمة الله فإن الحكمة وضع الأشياء مواضعها وتنزيل الأمور منازلها اللائقة فقضاء الله وقدره وحكمته متفقات كل واحد منها يمد الآخر ولا يناقضه وقد أشار النبي ﷺ حين سئل وقيل له يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها وأدوية نتداوى بها وتقاةً نتقيها هل ترد من قضاء الله وقدره فقال: هي من قضائه وقدره فهذه الأسباب حسية ومعنوية روحانية وحمية عما يضر وهي في مقدمة الأسباب وأخبر ﷺ أنها من قضاء الله وقدره فمن زعم أنه مؤمن بالقدر وقد ترك الأسباب النافعة الدينية والدنيوية التي عليها نظام القدر فهو غالط فإن المؤمن بالقدر يجري على أحكامه ويعمل على سنته ونظامه ويتبع النافع في أحكامه وإبرامه والله المعين الموفق. وتوضيح ذلك أن أقدار الله كلها تابعة لحمده وحكمته فكما أن أفعاله تعالى كلها محكمة في غاية الإحكام والانتظام ما ترى في خلق الرحمن من خلل ولا نقص ولا فطور ولا اختلال. ولا في شرعه عبث وسفه ومنافاة للحكمة والمصلحة والإحسان فكذلك أفعال المكلفين دينيُّها ودنيويها ظاهرُها وباطنُها كلها تجري على وفق الحكمة والغايات الحميدة وأنه كلما عظم المقصود وكثرت منافعه ومصالحه لم يكن إدراكه إلا بسلوك الطرق المفضية إليه فأعظم المقاصد على الإطلاق نيل رضي الله سبحانه وتعالى والفوز بثوابه والسلامة من عقابه وقد جعل الله له الإيمان وشعبه الظاهرة والباطنة والقيام

بعبودية الله وإخلاص الدين له ولزوم الاستقامة والتقوى جعلها الله طرقاً وأسباباً توصل إليه فما لم يسلك العبد هذا السبيل فمحال أن يصل إلى رضوان ربه وثوابه فاتكال الأحمق على القدر بدون جد واجتهاد قدح في القدر والشرع جميعاً وكذلك المطالب الأخر كنيل العلم وإدراكه هل يمكن بغير جد واجتهاد ومواصلة الأوقات في طلبه وسلوك الطرق المسهلة له فمن قال إن قدر لي أدركت العلم اجتهدت أم لا فهو أحمق كما قال بعضهم:

تَمنّيتَ أن تُمْسي فقيهاً مُناظِراً ... بغَيْرِ عَنَاءٍ والجُنونُ فُنُونُ
ولَيْس اكتسَاب المالِ دُونَ مَشَقّةٍ ... تَلَقَّيتَها فالعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ

وهكذا من ترك الزواج وقال: إن قدر لي أولاد حصلوا تزوجت أو تركته ومن رجا حصول ثمر أو زرع بغير حرث وسقي وعمل متكلاً على القدر فهو أحمق مجنون وهكذا سائر الأشياء دقيقها وجليلها فعلم أن القيام بالأسباب النافعة واعتقاد نفعها داخل بقضاء الله وقدره دون الإخلاد إلى الكسل والسكون مع القدرة على الحركة هو الجنون وإن قول من قال:

جَرَى قَلَمُ القَضَاءِ بِمَا يَكُونُ ... فَسِيَّانِ التَّحَرك والسُّكُونُ
جُنونٌ مِنْكَ أن تَسْعَى لِرِزْقٍ ... وَيرْزَقُ في غِشَاوَتِهِ الجَنينُ

هو الغلط الفاحش وإن هذا القياس الذي قاسه قاسَ القادر على الحركة المأمور بها على العاجز عن الحركة قياس عجيب غريب ولو أن هذا الشاعر قاس من تعذرت عليه الحركة والأسباب من كل وجه على هذا لكان حسناً مطابقاً فإن قيل: قد توضح أن السعي في الأسباب الموصلة إلى مسبباتها مطابق للقضاء والقدر مؤيد له وأنه يتعذر الإيمان الصحيح بالقدر بدون فعل الأسباب فما أحسن طريق يسلكه العبد فالجواب أحسن طريق يسلكه العبد في أموره الدينية الاجتهاد في تفهم كتاب الله وسنة رسوله وتحقيق الإخلاص للمعبود في كل عمل وقول وعقيدة وطريقة وتحقيق متابعة الرسول واجتناب البدع الاعتقادية والبدع العملية فهذه الطريقة الدينية فيها الخير والبركة والقليل منها أعظم ثواباً وأبلغ نجاحاً من الكثير من غيرها وأما الأمور الدنيوية فالعبد مفتقر إلى الكسب لنفسه ولمن عليه مؤنته فعليه بسبب يناسب حاله ويتفق مع

وقته من المكاسب المباحة وخصوصاً المكاسب التي لا تشغل العبد عن أمور دينه ولا تدخله في محظور وليثابر على ذلك السبب ويكون اعتماده على مسبب الأسباب وليكثر من سؤال ربه لييسر أموره وأن يختار له أحسن الأحوال وليكن قنوعاً برزق الله راضياً بما قسم الله لا يحزن على مفقود ولا يتشومن مناقضة الأسباب لمراده فبذلك يحصل رضا ربه وراحة قلبه ويبارك له في القليل وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: كان أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيسقط فيموت فَيُشق بطنه فيوجد فؤاده قد انخلع وهو مَثَل في شدة الصوت قال: وأبو عطية عفيف النصري نادى في الحرب التي كانت بين ثقيف وبين بني نصر لما رأى الخيل بعقوته يا سوء صباحاه أتيتم يا بني يربوع فألقت الحبالى أولادها فقيل في ذلك:

وأسقط أحبال النساء بصوته عفيف لدن نادى بنصر فطربا

قال محمد بن الضحاك عن أبيه قال: كان العباس بن عبدالمطلب يقف على سلع فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال وسلع جبل وسط المدينة. وكان شبيب بن رِبعيّ يتنحنح في داره فيسمع تنحنحه بالكناسة ويصيح براعيه فيسمع نداءه على فرسخ. انتهى.

قال أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل وأمر الصوت عجب منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنه ما يَسُرُّ ويُبهج حتى يرقص ومنه ما يقلق ومنه ما يُبكي ومنه ما يزيل العقل ويورث الغشي وبه ينومون الصبيان وتُسقى الدواب بالصفير وتَصرو آذانها إذا غنى المُكاري وتزيد الإبل في مشيها ونشاطها إذا حدى بها الحادي وتستخرج به الحية من جحرها.

فكاهة

عن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال: كان عندنا بأنطاكية عامل وكان

له كاتب أحمق فغرق في البحر (شلنديتان) من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب بخبرهما. بسم الله الرحمٰن الرحيم، اعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى أن شلنديتين أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما أي تلفوا. قال: فكتب إليه أمير حلب: بسم الله الرحمٰن الرحيم ورد كتابك أي وصل وفهمناه أي قرأناه أدّب كاتبك أي اصفعه واستبدل به أي أعزله فإنه مائق أي أحمق والسلام أي انقضى الكتاب.

كل الناس يحمل على عنقه مزادتين واحدة على مقدمه والأخرى على مؤخره فالتي في المقدم هي أن ينظر سيئات غيره وعثراته والتي في المؤخر هي سيئات نفسه وعثراته.

قال ابن القيم في كتاب الفوائد إذا جن الليل تغالب النوم والسهر فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة والكسل والتواني في كتيبة الغفلة فإذا حمل العزم حمل على الميمنة وانهزمت جنود التفريط فما يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهمان وبردت الغنيمة لأهلها. سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة النجائب في الأول وحاملات الزاد في الأخير.

يا مستفتحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى كيف توسع طريق الخطايا وتشكو ضيق الرزق لو وقفت عند مراد التقوى لم يفتك مراد. المعاصي سدّ في باب الكسب. وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

الدنيا مجاز والآخرة وطن والأوطار إنما تطلب في الأوطان.

وقال في موضع آخر. وما أُتي من أُتي إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء وملاك ذلك الصبر فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس فلا بقاء للجسد.

ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله. خلقت النار لإذابة القلوب القاسية. أبعد القلوب من الله القلب القاسي إذا قسي

القلب قحطت العين. قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جَاوَزَتْ قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة. كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ. من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته. القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها. القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصفاها ـ شغلوا قلوبهم بالدنيا ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد. إذا غذي القلب بالتذكر وسقي بالتفكر ونقي من الدغل رأى العجائب وألهم الحكمة. الإخلاص هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا يعجب به صاحبه فيبطله.

قال الحسن الدقاق يداعب صديقاً له أضافه ثم سأله حاجة:

ودعوتني وأكلتُ عندك لقمةً ... وشربتُ شرب من استتم خروفا
وسألتني في إثر ذلك حاجة ... ذهبت بمالي تالداً وطريفا
فجعلت أفكر فيك باقي ليلتي ... ما كنت تفعل لو أكلت رغيفا

متفرقات

سر في بلاد الله والتمس الغنا ... ودع الجلوس مع العيال مخيما
لا خير في حرّ يجالس حرة ... ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

* * *

الرجل المهذب ابن نفسه ... أغناه فضل نفسه عن قنسه
كم بين من تكرمه لغيره ... وبين من تكرمه لنفسه

* * *

كم والد يحرم أولاده ... وخيره يحظى به الأبعد
كالعين لا تبصر ما حولها ... ولحظها يدرك ما يبعد

* * *

البرد يا فخر العلى آت ... يجر ذيل الظالم العاتي

والعبد لم يأخذ له أهبة يأخذها المشتوّ والشاتي
والحال قد رقت فلا مرفق يجبرها أو راتب يأتي
وأنت لي عون على كل ما تجمع في السرعة أشتاتي

قال من عُيّر بترك عمل السلطان:

ذروني أكن حلس البيت مكرماً قنوعاً بقوت لا يدرّ له ضرعُ
فقر الفتى خلف السلامة كالغنا ولا خير في نفع على عقبه صفعُ

وقيل في يوم شديد البرد:

يوم عبوس كالحٌ وجهه بزمهرير البرد موصوف
كأن فيه ثلجه ساقطاً قطن على الصحراء مندوف

وقال نصر الميكالي:

عجباً للزمان حين بلاني بأناس لهم عقول سخيفه
حسدوني على نزولي خُصًّا[1] بعد سكناي في قصور منيفه
حسد الكلب والغراب إذا ما رأيا الباز واقعاً فوق جيفه

وقال عمرو المطوعي: في عبدالملك الثعالبي:

كلام أبي منصور فيه عذوبة ينوب عن الماء الزلال لمن يظما
فنروى متى نروي بدائع نظمه ونظماً إذا لم نرو يوماً له نظما

وقال يحيى بن يحيى الكاتب:

حدّث أخاك إذا عدمت مطيةً
إن الحديث مطية للراجل
واصحب ذوي الآداب إنك لن ترى
زلقاً لرجلك مثل صحبة جاهل

وقال شاعر من قصيدة:

---

(١) الخصّ: البيت من القصب ونحوه.

كفى حـزنـاً أني أرى البحـر جـانبـا ... وبي ظمـأ عن منهـل الـري جـانبُ
وهــون وجـدي أنني لست واحــداً ... من النـاس حـراً لم تصبـه النـوائب
وإني على مــا بي ليجــذب همـتي ... إلى سـاكني نجد من الشـوق جاذب
رعى الله داراً بــالحمى هـي دارُنـا ... وقــومــاً همُ أحبــابنـا والحبـائب
فكم بـالحمى من مرهف القـد ناعم ... قـد اختلفت للشعـر فيــه المناسب
مـحيــاه لـلورد الـجـنـي مــلابس ... وريــاه للمســك الــذكي مســالب

قال أحمد الصفار جمع أسماء الكواكب السبعة في بيت واحد:

يــا من يقـدر أن الــدهــر ينصــره ... بكــوكب عــاجــز بــالله فــانتصــر
لا تشــركن بــرب العــرش تجـهله ... كــواكبا كلهــا تجــري على قــدر
عــطارد زهـرة والشمس مــع زحـل ... كـالمشتري الفـرد والمريـخ كالقمـر

وقال آخر في عُجة[1]. عملت بين يديه:

مـا أنس لا أنس يـومــاً بــارداً كلبــاً ... وشــر وقت الشتــاء البــارد الكلبُ
إذ لا تـقــربنــا أطــرافنــا خصــرا ... وقــد تمكن من أحشــائنــا السغبُ
جــاء الغـلام بـمـقــلاة فـأفــرشهــا ... جمراً وجمر الطوى في الجوف تلتهب
وجــاء بـالبيض مثــل الـدر يفلقــه ... فيهــا وللدهن صــوت بينهــا لجب
فأخرجت مثل قرص الشمس مشرقة ... كـأنهــا فضــة قــد مسهــا ذهـب

قال صديق يداعب صديقه:

الفلكُ تجــري في الـبحــار وإنـني ... أجـريه منـك على الصفـا والجنـدل
الله يــعــلم مــا أقــاســي دائـبــاً ... من سـوء خلقـك يـا نقيـع الحنـظل

قال كشاجم:

غبط النــاس بــالـكتــابــة قــومــاً ... حــرمـوا حــظهم بحسن الكتــابــة
وإذا أخــطأ الــكــتــابــة حظ ... سقــطت تـاؤهــا فصـارت كـآبــة

قال أبو الحسن السلامي يصف سقوط داره من المطر:

---

(١) العجـة، نوع من الطعام ينضج بالقلي.

قطعتكم برغم المجد شهراً أشد علي من شهر الصيام
وكيف أزوركم والمزن تبكي على داري بأربعة سجام
وكانت منزلاً طلق المحيا فصارت وادياً صعب المرام
وبحراً من عجائبه خلوصي إليكم ظامئاً والبحر طامي
بناتي كالضفادع في ثراها وأهلي في الروازن كالحمام
أنادي كلما ارتفعت سحاب فأبكتنا البوارق بابتسام
حوالينا بذاك ولا علينا كفانا الله شرك من غمام
تهافت ركع الجدران فيها سجوداً للرعود بلا إمام
كأن مصون ما أحرزت فيها على أبواب مشرعة الخيام
فلا باب يرد ولا جدار يرد الطرف عن وجه حرام
وكانت جنة الدنيا فعادت ملاعب جِنة ووكور هام

فصل
من كتاب محاضرات الأدباء

قال المغيرة بن شعبة صاحب المرأة الواحدة إن مرضت مرض وإن حاضت حاض. وصاحب الثنتين بين جمرتين أيتهما أدركته أحرقته. وصاحب الثلاث في رستاق يبيت كل ليلة في قرية. وصاحب الأربع عروس في كل ليلة. وروي أنه قال: أحصنت مائة امرأة. وقيل إن الحسن بن علي رضي الله عنه تزوج خمساً وتسعين امرأة. وقال النبي ﷺ إياكم وخضراء الدمن المرأة الحسنة في المنبت السوء. وقال عثمان بن أبي العاص لأولاده المناكح مغترس فلينظر المرء حيث يضع غرسه فإن عرق السوء يعدي ولو كان بعد حين. وقال خالد بن صفوان: إنما الدنيا متاع وليس من متاعها أفضل من امرأة صالحة. وقال علي رضي الله عنه خير النساء العفيفة في فرجها المغتلمة لزوجها. وقيل لعائشة رضي الله عنها أي النساء أفضل فقالت: التي لا تعرف عيب المقال ولا تهتدي لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها والإبقاء في الصيانة على أهلها. وقيل لرجل أي النساء أشهى قال: التي تخرج من عندها كارهاً وتخرج إليها والهاً. وقال: إياك وكل ذكرة مذكرة شوهاء فوهاء

تبطل الحق بالبكاء لا تأكل من قلة ولا تعذر من علة.

قيل لأعرابي: أي النساء أكرم فقال: التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ولهامع الغلمان غلام. وقال حكيم عليك بتزويج حرمتك إذا جاء كفؤها فليس بعد منعها من الأكفاء إلا تعريضها للأدنياء. وقال الأحنف لأفعى يحترس في جوانب بيتي أحب إليّ من أيم أودعتها كفأها.

قيل لإمرأة ما تكرهين شيب زوجك فقالت: إنه نشأ فينا وإنما تكره المرأة الرجل الشائب إذا كان غريباً ورأته بديهة.

مرضت عجوز فأتاها ابنها بطبيب فرآها الطبيب متزينة بأثواب مصبوغة فعرف ما بها فقال: ما أحوجها إلى زوج فقال الابن: ما أحوج العجائز للأزواج فقالت: ويحك الطبيب أعلم منك على كل حال.

قال رجل لامرأته: ما خلق أحبّ إليّ منك فقالت: ولا أبغض إليّ منك. فقال: الحمد لله الذي أولاني ما أحب وابتلاكِ بما تكرهين. خطب أسدي قبيح الوجه امرأة قبيحة فقيل لها: إنه قبيح وقد تعمم لكِ فقالت: إن كان قد تعمم لنا فإنا قد تبرقعنا له.

تزوج رجل سيء الخلق امرأة فقال: أما إني سيء الخلق فإن كان عندك شيء من الصبر على المكروه وإلا فلست أغركِ من نفسي فقالت: أسوأ خلقاً منك من أحوجك إلى سوء الخلق فتزوجها فما جرى بينهما وحشة للموت. وقال شريح تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها قالت: عرفني خلقك لأعمل على مداراتك فعرفتها فبقيت معها سنة لا أزداد فيها إلا شغفاً فدخلت يوماً فرأيت عندها عجوزاً فقلت: من هذه قالت: أمي فسلمت عليها فدعت لي وقالت: كيف رضاك على صاحبتك فشكرتها فقالت: أسوأ ما تكون المرأة خلقاً إذا حظيت عند الزوج وإذا ولدت فإن رابك منها شيء فعليك بالسوط فقلت: أشهد أنها ابنتك فقد كفيتني الرياضة: انتهى من محاضرات الأدباء.

فائدة

من أضواء البيان تفسير محمد الأمين الشنقيطي قال رحمه الله في تفسير

قوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ واعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً في هذه الآية قائلين: إنها تدل على أنه ينبغي التقشف والإقلال من التمتع بالمآكل والمشارب والملابس ونحو ذلك. وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل في عموم من يقال لهم يوم القيامة: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ الآية والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة في ذلك وأحوال أهل الصفة وما لا قوة من شدة العيش.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله تعالى في معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق لأن الكتاب والسنة الصحيحة دالان عليه والله تعالى يقول: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ الآية. أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله تعالى به في قوله: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم﴾ الآية والقرآن والسنة الصحيحة قد دلا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع مخلصاً فيه لله كالكافر الذي يبر والديه ويصل الرحم ويقري الضيف وينفس عن المكروب ويعين المظلوم يبتغي بذلك وجه الله يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية ونحو ذلك ولا نصيب له في الآخرة. فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ومن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ وقد قيد تعالى هذا الثواب الدنيوي المذكور في الآيات بمشيئته وإرادته في قوله تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم

تكن لـه حسنة يجـزى بهـا» هـذا لفظ مسلم في صحيحـه. وفي لفظ لـه عن رسول الله ﷺ: «إن الكافـر إذا عمل حسنـة أطعم بها طعمـة في الدنيا. وأما المؤمن فـإن الله يدخـر له حسنـاتـه في الآخـرة ويعقبـه رزقـاً في الـدنيـا على طاعته». اهـ.

فهـذا الحديث الثـابت عن النبي ﷺ فيه التصـريح بـأن الكافـر يجازى بحسناته في الدنيا فقط وأن المؤمن يجـازي بحسناتـه في الدنيـا والآخرة معـاً وبمقتضى ذلـك يتعين تعييناً لا محيص عنـه أن الذي أذهب طيبـاته في الـدنيا واستمتـع بها هـو الكافـر لأنه لا يجـزى بحسناتـه إلا في الدنيـا خاصـة. وأما المؤمن الذي يجزى بحسنـاته في الـدنيا والآخـرة معاً فلم يـذهب طيباتـه في الدنيا لأن حسناته مدخرة لـه في الآخرة مـع أن الله تعالى يثيبـه بها في الـدنيا كمـا قـال تعـالى: **﴿ومن يتق الله يجعـل لـه مخـرجـاً ويـرزقـه من حيث لا يحتسب﴾** فجعل المخرج من الضيق لـه ورزقه من حيث لا يحتسب ثـواباً في الدنيا وليس ينقص أجر تقواه في الآخرة والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة وعلى كل حال فـالله جل وعـلا أباح لعبـاده على لسان نبيـه ﷺ الطيبـات في الحياة الدنيا وأجاز لهم التمتع بها ومع ذلك جعلها خـاصة بهم في الآخـرة كما قـال تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الـرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يـوم القيامـة﴾** فدل هـذا النص القرآني أن تمتـع المؤمنين بالـزينة والـطيبات من الـرزق في الحياة الـدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيبـاتهم في حيـاتهم الدنيـا ولا ينافي هـذا أن من كـان يعـاني شـدة الفقـر في الـدنيـا كـأصحاب الصفـة يكون لهم أجـر زائد على ذلـك لأن المؤمنين يؤجرون بمـا يصيبهم في الـدنيا من المصـائب والشدائـد كما هـو معلوم. انتهى من أضواء البيان.

جـاء أحد الشعـراء إلى باب أحـد الولاة فمنعـه الحاجب من الـدخـول فكتب إلى الوالي:

إنـا رأينا حجـابـاً منـك قـد عـرضـا ... فـلا يكن ذلنـا فيـه لـك الغـرضـا

إسمع مقالي ولا تغضب علي فما أبغي بذلك لا مالاً ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ما سواه وكم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأيت العز وانقرضا

موعظة من نصيحة الولد

اعلم يا بني وفقك الله للصواب أنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه فاستحضر عقلك واعمل فكرك واخل بنفسك تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف وأن عليك فرائض أنت مطالب بها وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك وأن أنفاس الحي خُطاء إلى أجله ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل والعذاب على موافقة الهوى وبيل فأين لذة أمس رحلت وأبقت ندماً وأين شهوة النفس كم نكست رأساً وأزلت قدماً وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد. أين لذة هؤلاء وأين تعب أولئك بقي الثواب الجزيل والذكر الجميل للصالحين والمقالة القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين وكأنه ما جاع من جاع ولا شبع من شبع والكسل عن الفضائل بئس الرفيق وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة فانتبه واتعب لنفسك واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم فمتى تعدى الإنسان فالنار النار. ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين ثم الفضائل تتفاوت فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا ومنهم من يراها التشاغل بالتعبد وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل فإذا حصلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه فتلك الغاية المقصودة وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. وليس كل ما يريد مراداً ولا كل طالب واجداً ولكن على العبد الاجتهاد وكل ميسر لما خلق له والله المستعان.

قال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمنياً على ناقة فوقف بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلاً فخفت أن يفوتني الحج فقال اليمني: أتطيب نفسك عما معك وتردفني فقلت: نعم

فنزل وقدم رحله فكاد يضعها على عنقها ثم قال: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسك عنه ففعلت وأردفني فجعلت تعوم بنا عوماً كأنها ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف فقال: إن لي حاجة إليك أن لا تذكرها فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الموسم من صنعاء كل عام.

كانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث: إذا ولد للرجل ذكر قيل له: ليهنك الفارس وإذا نبغ في الحي شاعر قيل ليهنك من يذب عن عرضك وإذا نتج مهراً قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعلم بها من العرب ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان فقالوا فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي.

من فتاوى شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي رحمه الله: سؤال ما حكم الاستماع إلى الراديو؟

الجواب: هذا يختلف باختلاف المسموع منه إن كان محرماً كالغناء وآلات الملاهي فهو حرام لا يحل سماعه ولا تمكين من يقصد فتحه على ذلك وأما سماع ما فيه من الأخبار والأحاديث التي هي غير محرمة فهذا داخل في حكم المباح وخصوصاً سماع ما فيه من المحاضرات العلمية وقراءة القرآن فإنه لا بأس بذلك ولكنه مع ذلك يلهي الإنسان عن كثير من الأمور النافعة وقد يتدرج بالمباح إلى المحرم فعلى العبد التحفظ عن الأمور الضارة. والبلوى قد عمت بذلك نسأل الله العافية.

العزلة

عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» وقيل لسقراط: ألا تشاهد الملوك فقال: وجدت الانفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة. وقيل لآخر: ما تجد في الخلوة قال: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم. وقيل: العزلة توفر العرض وتستر الفاقة وترفع ثقل المكافأة. وقيل: توحد ما أمكنك

فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل. وقال الجنيد: دخلت على السري فقلت: أوصني فقال لا تكن مصاحباً للأشرار. ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

قال حاتم الأصم: الزم بيتك فإذا أردت الصاحب فالله يكفيك وإن أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك وإن أردت أنيساً فالقرآن يؤنسك وذكر الموت يعظك:

تركت الأنس بالإنس	فما في الإنس من أنس
وأقبلت على القرآ	نِ درساً أيما درس
عسى يؤنسني ذاك	إذا استوحشت في رمسي

قال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه فقد صاروا شوكاً لا ورق فيه إن نافرتهم نفروك وإن تركتهم ما تركوك.

وقال شاعر:

ذهبَ الرجالُ المقتدى بفعالهم	والمنكرونَ لكلِ أمرٍ منكر
وبقيت في خلقٍ يُزيّنُ بعضُهم	بعضاً ليدفع معورٌ عن معور

قال رجل لابن عباس: ادع الله أن يغنيني عن الناس فقال: إن حوائج الناس تتصل بعضها ببعض كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحِه ولكن قل: أغنني عن شرار الناس.

قال معاوية للأحنف: صف لي الناس وأوجز فقال: رؤوس رفعها الحظ وكواهل عظمهم التدبير. وأعجاز شهرهم المال. وأذناب أتحفهم الأدب ثم الناس بعدهم بهائم إن جاعوا ساموا وإن شبعوا ناموا. وقال سلمان: الناس أربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضآن فأما الآساد فالملوك. وأما الذئاب فالتجار وأما الثعالب فالقراء المخادعون. وأما الضآن فالمؤمن ينهشه كل من يراه.

وقال بعض العرب: طلبت الراحة فلم أجد أروح لنفسي من تركها ما لا يعنيها وتوحشت في البادية فلم أر أوحش من قرين السوء.

اعتبار مودة صاحبك بما عندك: في الأثر: الأرواح جنود مجندة فما

تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وقال رجل لعبدالله بن جعفر: إن فلاناً يقول: إنه يحبني فبماذا أعلم صدقه قال: امتحن قلبه بقلبك فإن كنت توده فإنه يودك. وشاهد ذلك قول بكر بن النطاح:

وعلى القلوب من القلوب دلائل ... بالود قبل تشاهد الأرواح

* * *

تعال نجدّد دارسَ الوصل بيننا ... كلانا على طولِ البعاد ملومُ

* * *

وإني لزوّار لِمنْ لا يزورني ... إذا لم يكن في ودّه بمريبِ

* * *

يقرّب الشوقُ داراً وهي نازحةٌ ... مَن عالَج الشوقَ لم يستبعدِ الدارا

* * *

يا من شكا عبثاً إلينا شوقَه ... فعل المشوق وليس بالمشتاقِ
لو كنتَ مشتاقاً إليَّ تريدُني ... ما طبتَ نفساً ساعةً بفراقِ
وحفظتني حفظَ الخليل خليلَه ... ووفيتَ لي بالعهدِ والميثاقِ

الشجاعة: من محاضرات الأدباء

كتب زياد إلى ابن عباس صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل فقال: الشجاع من يقاتل من لا يعرفه. والجبان يفر من عرسه. والجواد يعطي من لا يلومه حقه. والبخيل يمنع من نفسه.

قال الشاعر:
يفر جبانُ القوم عن أم نفسه ... ويحمي شجاعُ القومِ من لا يناسبُه

وسئل فيلسوف عن الشجاعة فقال: جبلة نفس أبيه وقال: الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد إذا شدوا. والشجاع الداعي إلى البراز والمجيب داعيه والبطل الحامي لظهورهم إذا انهزموا. وقيل: لا يصدق القتال إلا ثلاثة متدين. وغيران. وممتعض من ذلّ.

قيل: قد جمع الله تعالى في قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾** جميع ما يحتاج إليه في الحرب. استشير أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال: أقلوا الخلاف لأمرائكم واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل.

وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم: شجاعة الديك. وقلب الأسد، وحملة الخنزير. وروغان الثعلب. وصبر الكلب على الجراحة. وحراسة الكركي. وحذر الغراب. وغارة الذئب. وقال قبيصة بن مسعود يوم ذي قار يحذر بكر بن وائل الجزع لا يغني من القدر. والصبر من أبواب الظفر. والمنية ولا الدنية. واستقبال الموت خير من استدباره. والطعن في الثغر أكرم منه في الدبر. وهالك معذور خير من ناج فرور. وقال أبو مسلم لبعض قواده: إذا عرض لك أمر نازعك فيه منازعان أحدهما يبعث على الإقدام والآخر على الإحجام فأقدم فإنه أدرك للثأر وأنفى للعار. وقيل: حازم في الحرب خير من ألف فارس لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين والحازم قد يقتل جيشاً بحزمه وتدبيره. قيل للإسكندر: إن في عسكر دارا ألف مقاتل فقال: إن القصاب الحاذق وإن كان واحداً لا يهوله كثرة الغنم.

سأل عمر بن عبدالعزيز ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير فقال: ما رأيت نفساً أثبت من نفسه مرّ حجر من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع. وعن أمه أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلي فسقطت حية فتطوقت بابنه هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلي فما التفت ولا عجل فلما فرغ قال: ما بالكم.

ولما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أهاب بالناس ليرجعوا فلم يلووا فانتضى سيفه وقاتل قتال مستقتل فقيل له: لا تهلك

نفسك ولك الأمان فتمثل بأيات قالها الحسين رضي الله عنه يوم قتل وهي:

أذلّ الحياةِ وذلُّ الممات ... وكلًّا أراهُ طعاماً وبيلاً
فإن كان لا بد إحداهما ... فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وكان حكيم بن حنبل قطعت رجله يوم الجمل فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه. رواه البخاري ومسلم.

وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ من قال: «سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

قال البوشنجي في التوسط في النفقة:

لقد فكرت في أمري طويلاً ... فما أدري أأبخل أم أجود
أخاف البخل من غيري ومني ... وأعلم أنه عار عتيد
ويعجبني السخاء وأشتهيه ... وذاك لأنه خلق حميد
فأخشى الفقر إن طاوعت جودي ... وعدم المال في الدنيا شديد
فأفضل ما أرى خلق وسيط ... لذات يدي ينقص أو يزيد

وقال القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني: يخاطب صديقاً جفاه:

جفاؤك كل يوم في مزيد ... وما تنفك تشمت بي حسودي
فإن يكن الصدود رضاك فاذهب ... فإني قد وهبتك للصدود
فحسبي منك أن يهواك قلبي ... وحسبك أن أزورك كل عيد

وقال أبو علي المسجي:

تولى ونار الشوق في القلب واقدة ... ونار نشاطي مذ تباعَدَ هَامِدة

نهاري بلا إنس وليلي كأنني ... إلى الصبح ملقى تحت ساعد ساعده

ومنها:

تراعي طوال الليل عيني فراقده ... وعين الذي لا يفقد الإلف راقده

أأيامنا هل أنت عائدة لنا ... كما كنت أم هل في بكائك عائدة

وقال أبو الفتح البستي في الشيب والكبر:

أرى المرء يرجو أن يطول بقاؤه ... ليدرك ما يرجو بطول بقائه

فأية جدوى في البقاء وقد وهت ... قواه وأقوى قلبه من زكائه

إذا ما نبا حس وكلت بصيرة ... فطول بقاء المرء طول شقائه

متفرقات

وإذا الذئاب استنعجت لك مرة ... فحذار منها أن تعود ذئابا

فالذئب أخبث ما يكون إذا بدا ... متلبساً بين النعاج إهابا

* * *

غيره:

لا تحسبني إذا أوليتني نعما ... أني أخو وهن في الشكر أو كسل

فإنني نحل شكر إن جنى ثمراً ... أجناك من قوله أحلى من العسل

* * *

غيره:

والجهل للإنسان عيبٌ فادح ... ولو حوى مالاً ككثبان نَقا

والعلم في حال الغنى والفقر لا ... يزال يَرْقَى بك كل مرتقى

* * *

ما العمر ما طالت به الدهور ... العمر ما تم به السرور

* * *

أروح القلب ببعض الهزل ... تجاهلاً مني بغير جهل

أمزح فيه مزح أهل الفضل ... والمزح أحياناً جلاء العقل

* * *

أفي كل يوم تحت ضِبْني شويعر ... ضِعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل ... وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي[1] فيهم غير أنني ... بغيض إليّ الجاهل المتعاقل

* * *

وكأن فطنته شهاب ثاقب ... وكأن نقد الحدس منه يقين

* * *

ومن خاف أن الهم يملك نفسه ... فأولى به ترك العلا والجسائم

* * *

وقلب شديد لا يلين لخلة ... ولا يتلافاه الرقى والتلطف

* * *

وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا

* * *

روى ورعى لما روى قول قائل ... وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

* * *

ولا تحقرن عدواً رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فإن الحسام يحز الرقاب ... ويعجز عما تنال الإبر

* * *

إذا كان يؤذيك حر المصيف ... وكرب الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن رمان الربيع ... فأخذك للعلم قل لي متى

* * *

يا ليتني منكر من كنت أعرفه ... فلست أخشى إذا من ليس يعرفني

---

(١) طبي بكسر الطاء عادتي أو خلقي.

قال ابن القيم في كتاب الفوائد:

تنبيه: يا أيها الأعزل احذر فراسة المتقي فإنه يرى عورة عملك من وراء ستر «اتقوا فراسة المؤمن» سبحان الله، في النفس كبر إبليس. وحسد قابيل، وعتو عاد. وطغيان ثمود. وجرأة نمرود. واستطالة فرعون. وبغي قارون. وقحة هامان. وهوى بلعام. وحيل أصحاب السبت. وتمرد الوليد. وجهل أبي جهل. وفيها من أخلاق البهائم. حرص الغراب. وشره الكلب. ورعونة الطاووس. ودناءة الجعل. وعقوق الضب. وحقد الجمل. ووثوب الفهد. وصولة الأسد. وفسق الفأرة. وخبث الحية. وعبث القرد. وجمع النملة. ومكر الثعلب. وخفة الفراش. ونوم الضبع: غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند ولا تصلح سلعته لعقد ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم**﴾ فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون. سلم المبيع قبل أن يتلف في يدك فلا يقبله المشتري قد علم المشتري بعيب السلعة قبل أن يشتريها فسلمها ولك الأمان من الرد. قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها والثمن المبذول فيها والمنادي عليها. فإذا كان المشتري عظيماً والثمن خطيراً والمنادي جليلاً كانت السلعة نفيسة.

يا بائعاً نفسه بيع الهوان لو استرجعت ذا البيع قبل الفوت لم نخب

وبائعاً طيب عيش ما له خطر ... بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت والله غبناً فاحشاً ولدَى ... يوم التغابن تلقى غاية الحرب
وواردا صفو عيش كله كدر ... أمامك الورد حقاً ليس بالكذب
وحاطب الليل في الظلماء منتصباً ... لكل داهية تُدني من العطب
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب
ومفنياً نفسه في إثر أقبحهم ... وصفاً للطخ جمال فيه مستلب
وواهباً نفسه من مثل ذا سفهاً ... لو كنت تعرف قدر النفس لم تهب
شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب ... وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ... والفيء في الأفق الشرقي لم يغب
وفاز بالوصل من قد جد وانقشعت ... عن أفقه ظلمات الليل والسحب

كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ورسل بك قد وافتك في الطلب
ما في الديار وقد سارت ركائب من تهواه للصب من شكر ولا أرب
فافرش الخد ذياك التراب وقل ما قاله صاحب الأشواق والحقب
ما ربع مية محفوفاً يطيف به غيلان أشهى له من ربعك الخرب
منازلاً كان يهواها ويألفها أيام كان منال الوصل عن كثب
ولا الخدود ولو أدمين من ضرج أشهى إلى ناظري من ربعك الخرب
وكلما جليت تلك الربوع له يهوِي إليها هوي الماء في الصبب
أحيا له الشوق تذكار العهود بها فلو دعى القلب للسلوان لم يجب
هذا وكم منزل في الأرض يألفه وما له في سواها الدهر من رغب
ما في الخيام أخو وجد يريحك إن بثثته بعض شأن الحب فاغترب
واسر في غمرات الليل مهتدياً بنفحة الطيب لا بالعود والحطب
وعاد كل أخي جبن ومعجزة وحارب النفس لا تلقيك في الحرب
وخذ لنفسك نوراً تستضيء به يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب

انتهى.

يروى عن معاذ رضي الله عنه أنه قال: لا يتحسر أهل الجنة على شيء كتحسرهم على وقت مرّ عليهم ولم يذكروا الله تعالى فيه.

قيل: كان في بني إسرائيل حَبْر فقال في دعائه: يا رب كم أعصيك وأنت لا تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: قل لعبدي كم أعاقبك ولا تدري أسلبك حلاوة مناجاتي. يروى أنه دخل حميد الطويل على أحد الولاة فقال له: عظني فقال حميد: لئن كنت حين عصيت ربك ظننت أنه يراك فقد اجترأت على الله ولئن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت.

قيل لجعفر بن محمد عليهما الرضوان: كيف يأتي الموت من وجوه شتى على أحوال شتى فقال: إن الله تعالى أراد أن لا يؤمن في حال. وقيل: أمر لا تدري متى يغشاك ألا تستعد له قبل أن يفجأك.

وقال ديك الجن:

الناس قد علموا أن لا بقاء لهم لو أنهم عملوا مقدار ما علموا

* * *

آخر:

وإنك لا تدري بأية بلدةٍ تموتُ ولا عن أيّ شقيك تصرع

شاعر يصف يوماً متلون بالصحو والغيم:

ألم تر هذا اليومَ أفنى نهاره سحابٌ وإصحاء وشمس ووابلُ
أشبهه إياك يا من صفاتُه صدود وإعراض ومنع ونائل

* * *

آخر:

أما ترى اليومَ ما أحلى شمائِلَه صحوٌ وغيمٌ وإبراقٌ وإرعادُ
كأنه أنت يا من لا نظير له وعدٌ وخلف وتقريب وإبعاد

وقال بعضهم مطر الربيع كغضب العشاق. أي لا يدوم.

من فتاوى شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

س: ما حكم المسح على الخف المخرق والمنتوق؟

ج: إذا كان في الخف خرق أو فتق يصف البشرة فالصحيح جواز المسح عليه لأنه خف فيدخل في عموم النصوص ولأن خفاف الصحابة الظاهر منها أنها لا تخلو من فتق أو شق.

قيل لعبدالله بن المقفع: أصديقك أحب إليك أم نسيبك فقال: إنما أحب النسيب إذا كان صديقاً. وقال: الأخ نسيب الجسيم والصديق نسيب الروح.

قيل: لا تصاحب إلا رجلاً ترجو نواله أو تخاف يده. أو تستفيد من علمه أو ترجو بركة دعائه. وقال أبو جعفر بن محمد: عليك بصحبة من إن صحبته زانك وإن خدمته صانك وإن نزلت حاجة أمابك أعانك وإن سألته أعطاك. وإن تركته بداك إن رأى حسنة أظهرها أو سيئة سترها وقال بعض من سمع ذلك لابن عيينة: ما أراه إلا أمره أن لا يصحب أحداً فقال: بلى إنه أدرك الناس وهذه الأخلاق فيهم فأوصى بقدر ما عرف.

قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل» وقال إياس: قدمنا بلادكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين قيل له: كيف قال: كان معنا خيار وأشرار فلحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كل شكله.

شاعر:

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره   وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

ومما يؤكد ذلك:

وأن البزاة البيضَ لا تألف القطا

وقيل الشد بالقد أهون من مصاحبة الضد. وقيل: جالس العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء فالعقل يقع على العقل. وقيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أشبه منه بلين العيش مع الجهال.

أخذ جماعة من اللصوص فقال أحدهم: أنا كنت مغنياً لهم فقيل له: غنّ فغنى:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

فقيل له: صدقت وأُمر بقتله.

قال لقمان: الأخوان ثلاثة: مخالب، ومحاسب ومراغب. فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك والمحاسب الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

ودعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بالتأتي لمواقع شهوتي وقال رجل لصديقه: ما رأيك في كذا فقال: أنا من غزية يريد إني تابع لك إشارة إلى قول دريد:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويتُ وإن ترشد غزيةُ أرشد

وقال يموت بن مزروع: سمعت أبي يقول: قرأت خمسين ألف بيت وما وقع لي مثل قوله:

وما أنا بالشيء الذي ليس نافعي ويغضب منه صاحبي بقؤل

وقيل: من عاتب في كل وقت أخاه. فجدير أن يمله ويقلاه. وعلى عكس ذلك قال الشافعي رحمه الله: ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته.

مدح أعرابي صديقاً فقال: مجالسته غنيمة. وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة هو كالمسك إن بعته نفق وإن تركته عبق.

وقال البحتري:

أخ وأب لي ثم أمّ شفيقة تفرق في الأحباب ما هو جامعه
سلوت به عن كل من كان قبله وأذهلني عن كائنٍ هو تابعه

الحث على خدمة الإخوان: من الوارد عن النبي ﷺ قوله: «سيد القوم خادمهم». وقال ابن المعتمر:

إذا أنت رافقت الرجال فكن فتى كأنك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء غضّاً وبارداً على الكبد الحري لكل صديق

حمد الغيرة على الإخوان قال الشاعر:

وكن عالماً أني أغار على أخي وخلّي كما أني أغار على عرسي
ووفّر علي الحظ منك فإنني خصصتك بالحظ الموفر من نفسي

إعواز الصديق الصادق: قال الفضيل لسفيان رحمهما الله تعالى: دلني على صديق أركن إليه إذا غبت وآمن معه إذا حضرت فقال: تلك ضالة لا توجد. وقيل لرجل من أبعد الناس سفراً فقال: من كان سفره في طلب أخ صالح. ويروى أن المأمون سمع أبو العتاهية ينشد:

وإني لمحتاج إلى ظلِّ صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال: خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب.

وقال أبو فراس:

نَعَمْ دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً أجاب إليها عالم وجهول

فيـا حسـرتي مَن لي بخـلّ مـوافق أقـول بـشـجـوي مـرة ويـقـول

قال أعرابي اللهم اكفني بوائق الثقات والاغتـرار بظاهـر المودات وقـال آخـر: اللهم احفظني من الصـديق فقيل كيف قـال: لأني محترز من العـدو. وقيل: قلّ من يؤذيك إلا من تعرف.

ويقال: ينبغي للعاقل أن يكذب سوء الظن بصديقه ليكـون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح. وقال ابن سيرين: إذا بلغك عن صديقك ما تكرهه فالتمس له عذراً فإن لم تجد فقل: لعل له عذراً وأنت تلوم.

ويروى أن معاوية رضي الله تعالى عنه قال لكاتب له: عليك بصاحبـك الأقدم فإنك تجده على مودة واحدة وإن قدم العهد وبعـدت الدار وإيـاك وكل مستحدث فإنـه يجري مـع كل ريـح. وقيل: لا تستبـدلن بأخ لـك قديم أخـاً مستفاداً ما استقام لك.

قال حكيم: من عرف بالوفاء حافظ عليه أهل مودته وتاقت أنفس الكرام إلى نصرته. وقالوا: إذا رأيت من أخيك أمراً تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن دار كلمته واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله.

الأسباب والتوكل من رسالة نفحات الهدي للدكتور حسن هويدي: تلوذ بالأسباب رغبة ورهبة لمشاهدتك تأثيرها فـأنت متوكـل عليها حتى إذا عـدمت الأسباب أمام خطر مداهم اضطرب قلبك وطارت قواك وأيقنت بـالهلاك. ولـو كنت متوكلاً على رب الأسباب موقناً أنها إنما تتحرك بحكمـه وتتصرف بقهـره لما جزعت ذلك الجزع ويئست ذلك اليأس.

نعم إنك قد تتأثر نفسياً أمام غياب الأسباب، ولكن الانفعـال النفسي غير الاعتقـاد اليقيني. فيقين المتوكلين وراء الانفعـال النفسي والتأثـر الحسي وكم من معضلة توارت عند الأسباب وبَلية حارت بعلاجها الألبـاب ذلَّلتْها وفرَّجتهـا قدرة العزيـز الوهـاب وما كـان المثبّت حيالهـا إلا صدق والتـوكل ورؤيـة قدرة القادر قبل رؤية الأسباب وما كان الاضطراب البشري إلا طيفـاً عارضـاً بدَّدتْـه رياح الإيمان وقوة التوكل. اللهم اجعلنا من المتوكلين عليك الـواثقين بما في يديك.

واعلم أنه لا ينافي صدق توكلك أخذك بالأسباب إذا رأيتها عزلاً عديمة التأثير بذاتها فلا يجتمع قلبك عليها ولا يلجأ سرك إليها إنما الذي يقدح في توكلك توهم التأثير لها والتعلق بها وشتان بين متوهم ومتوكل. كما لا ينافي صدقَ توكلك خوفك من الأسباب حين تواجهك حذراً ممن حركها وساقها فخوفك حينئذٍ إنما هو من القهر الإلهي وليس من الأسباب المسخرة ومن كان متحققاً في ذلك كان متحققاً في موعظة قوله تعالى: **﴿فلا تَخافوهُمْ وَخافون إنْ كُنْتُم مُؤمِنين﴾** وهو شاهد على صدق شهود هذا العبد لقدرة الواحدة القهار وتسخيرها للأسباب. وشتان بين من يرى الأسباب ومن يرى مسبب الأسباب. ونقيض ذلك خوفك من الأسباب ذاتها وانصراف نظرك عن مصرّفها ومقلّبها فتقطع ما بينك وبين ربك أجارنا الله وإياك فاعمل يا أخي بالأسباب ولا تعتمد عليها.

واحذر الأسباب ولا تخف منها. ولا تسقطها من الحساب فإن الله سبحانه فطر الكون عليها إلا ما شاء من خرق العوائد وكن قبل الأخذ بها والاستغناء عنها متوكلاً على الله فإن تعطيلها ترك لسنته وإن الاغترار بها إعراض عن قدرته والنجاة في رؤية المسبب قبل الأخذ بالسبب كما يروى عن الصديق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله. والله أعلم.

صدق التوكل

أساس التوكل اليقين بالله وهو يقين بعلم الله المحيط بكل شيء وقدرته على كل شيء ورحمته التي وسعت كل شيء وحكمته التي ما خلا منها شيء وإغاثته لمن توكل عليه في كل شيء فإن أيقنت بذلك كنت من المتوكلين: **﴿وما لَنَا ألا نَتوكّل عَلى الله وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا وَلَنَصْبِرنَّ عَلى مَا آذيْتُمونَا وَعَلى الله فَليتوكّل المُتوكّلونَ﴾ ﴿قُلْ حَسْبي اللّهُ عَلَيْه يَتوكّل المتوَكّلونَ﴾ ﴿وَتوكَّل على الله وَكَفَى باللّهِ وَكيْلاً﴾** فيقينك بعلمه بحالك ينفي اللجاجة من صدرك ويقينك بقدرته على كل شيء ينفي الخوف عن قلبك ويقينك برحمته يؤمنك ويبعث الأنس في نفسك ويقينك بحكمته يمنع اعتراضك عليه فيما لم تنكشف لك حكمته ويقينك بإجابته وإغاثته يرزقك برد التسليم وحلاوة

الاطمئنان رزقنا الله وإياك صدق التوكل عليه وحسن الظن به والاطمئنان إلى حكمه والرجوع في كل الأحوال إليه.

النفس والشهوة

تجنح نفسك إلى الشهوة حيثما ظهرت دون تفريق بين حلال وحرام إذ التفريق ليس من طبيعتها ولا تستطيعه ولكن الله تعالى لم يخلقك شهوة فحسب وإنما خلق لك إلى جانب الميل إلى الشهوة عقلاً وإدراكاً تفرق به بين نافع وضار وحق وباطل وحلال وحرام فلا تستغرب استعار نار الشهوة أمام كل مظهر تهواه وحيال كل منظر تتوق إليه فتلك طبيعة وفطرة فطرك الله عليها ليتم بها معنى التكليف والاختبار وليرى عبده أين يضع تلك الشهوة وفي أي طريق يسير فما عليك إذا استعرت نار شهوتها ومالت إلى ما حرم عليها إلا أن تُمسك بزمامها وتردها عن غيّها كما تمسك بيد ولدك الصغير إذا أراد أن يتردى في المهالك ولا تبالِ باقتناعها ولا تجادل عليه إذ الطفل لا ينتظر منه الاقتناع حين رده عن سبب حتفه ولما كان انفعال النفس تجاه المغريات غير إرادي وكان لهذا الانفعال حين عدم تحصيل الشهوة أثر مُضنٍ للنفس محزن للقلب شاغل عن الطاعة لم يكتف الشارع برد النفس قسراً كلما عرضت لها شهوة محرمة إذ يؤدي ذلك إلى سلسلة من الأحزان ومخاطرة بالنفس تعرضها إلى الهلاك ولكنه شرع الوقاية وسد الذريعة قبل التورط في المنازعة والوقوع في خطر المجادلة فحرم الحوْم حول الحمى خشية الوقوع فيه. انتهى.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فالنفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل فلا بد أن ينتهي إليه ولكن منهم من هو شاق **عليه** ومنهم من هو سهل عليه **وإنه** ليسير على من يسره الله عليه وفي ذلك الجبل أودية وشعوب وعقبات ووهود وشوك وعوسج وعليق وشبرق ولصوص يقتطعون الطريق على السائرين ولا سيما أهل الليل المدلجين فإذا لم يكن معهم عُدد الإيمان ومصابيح اليقين تتّقد بزيت الإخبات وإلا تعلقت بهم تلك الموانع وتشبثت بهم تلك القواطع وحالت

بينهم وبين السير فإن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته والشيطان على قُلّة ذلك الجبل يحذر الناس من صعوده وارتفاعه ويخوفهم منه فيتفق مشقة الصعود وقعود ذلك المخوف على قُلَّته وضعف عزيمة السائر ونيته فيتولد من ذلك الانقطاع والرجوع والمعصوم من عصمه الله تعالى وكلما رقى السائر في ذلك الجبل اشتد به صياح القاطع وتحذيره وتخويفه فإذا قطعه وبلغ قلته انقلبت تلك المخاوف كلهن أماناً وحينئذ يسهل السير وتزول عنه عوارض الطريق ومشقة عقباتها ويرى طريقاً واسعاً آمناً يفضي به إلى المنازل والمناهل وعليه الأعلام وفيه الإقامات قد أعدت لركب الرحمٰن فبين العبد وبين السعادة والفلاح قوة عزيمة وصبر ساعة وشجاعة نفس وثبات قلب والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وقال رحمه الله تعالى: وصابر بالله لا لله حال الفاجر القوي وصابر لله وبالله حال المؤمن القوي. والمؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف فصابر لله وبالله عزيز حميد ومن ليس لله ولا بالله مذموم مخذول ومن هو بالله لا لله قادر مذموم ومن هو لله لا بالله عاجز محمود.

مما ينسب للحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بد أن يأتي قريب ... ولكن الذي يمضي بعيد

مرّ بعض الزهاد بباب ملك فقال: بابٌ جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد.

شجرة طيبة أو خبيثة

السَّنَةُ شجرة. والشهور فروعها. والأيام أغصانها. والساعات أوراقها. والأنفاس ثمرها. فمن كانت أنفاسه في طاعة الله فثمرة شجرته طيبة ومن كانت أنفاسه في معصية الله فثمرته حنظل ويوم الحساب يتبين حلو الثمار من مرها.

في المآزق ينكشف لؤم الطباع. وفي الفتن تنكشف إصالة الرأي. وفي الحكم ينكشف زيف الأخلاق. وفي المال تنكشف دعوى الورع. وفي الجاه ينكشف كرم الأصل. وفي الشدة ينكشف صدق الأخوة.

سئل بعضهم: ما يجب على المؤمن في حق الله تعالى. قال: العبادة له والتعظيم له والشكر لنعمته. قال: فما يجب في حق السلطان قال: الطاعة والنصيحة. قال: فما يجب عليه في حق نفسه. قال: الاجتهاد في العبادة واجتناب الذنوب. قال: فما يجب عليه في حق العامة قال: كف الأذى وحسن المعاشرة.

أشياء غريبة: المسجد غريب بين قوم لا يصلون فيه. والقرآن غريب في جوف الفاسق. والرجل المسلم الصالح غريب عند امرأة رديئة سيئة. والعالم غريب بين قوم لا يستمعون إليه.

خمس من دواء القلب: مجالسة الصالحين. وقراءة القرآن وخلاء البطن. وقيام الليل. والتضرع عند الصباح.

من أدام الاختلاف إلى المساجد أصاب ثمانيَ خصال. : آية محكمة وأخاً مستفاداً. وعلماً. ورحمة منتظرة. وكلمة تدل على هدى. أو تردعه عن ردى. وترك الذنوب حياء أو خشية.

الدراهم أربعة

درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله فذاك خير الدراهم. ودرهم اكتسب بمعصية وأخرج في معصية فذاك شر الدراهم. ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج في أذى مسلم فهو كذلك. ودرهم اكتسب في مباح وأنفق في مباح فذاك لا له ولا عليه.

خير الدنيا والآخرة في خمس خصال

لباس التقوى، والثقة بالله على كل حال، وغنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال.

قال أبو الفتح البستي :

كتـابـك سيـدي جـلى همـومـي ... وجـل بـه اغتبـاطـي وابتـهـاجـي
كـتـاب فـي سـرائـره سـرور ... مـنـاجـيـه مـن الأحـزان نـاجـي
فـكم معنـى لـطيف ضـمـن لـفظ ... هـنـاك تـزاوجـاً أي ازدواج

وله :

مـا إن سـمعـت بنـوار لـه ثـمـر ... في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
حتى أتـاني كتـاب منـك مبتسم ... عن كـل لفظ ومعنى يشبـه الـدررا
فكـان لفـظك مـن لألائـه زهـراً ... وكـان معنـاه فـي أثنـائـه ثـمـرا
تسـابقـا فـأصـابـا القصـد في طلق ... لله من ثمـر قـد سـابق الـزهـرا

* * *

وله :

لا تـحـقـر الـمـرء إن رأيت بـه ... ذمـامـة أو رثـاثـة الـحـلل
فـالنحـل شيء على ضـؤولتـه ... يشتـار منـه الفتى جنى الـعسـل

* * *

وله :

إذا مـا اصـطفـيت أمـرأ فـليكـن ... شـريـف النجـار زكي الـحسـب
فنـذل الـرجـال كنـذل النبـات ... فـلا لـلثـمـار ولا لـلحـطب

* * *

وله :

لا يـسـتـخـفـن الـفـتـى بـعـدوه ... أبـداًوإن كـان الـعـدو ضئـيـلاً
إن الـقـذى يؤذي الـعيـون قـليـله ... ولـربمـا جـرح البعـوض الفيـلا

وقال أبو نصر الروزبازي :

لـي خـمـسـون صـديقـاً ... بـيـن قـاض وشـريـف
وأمـيـر ووزيـر ... وفـقـيـه وظـريـف
فـإذا احـتـجـت إلـيـهـم ... لـم يـفـوا لـي بـرغـيـف

وقال عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني:

الفقر والإفلاس والضر ثلاثة أيسرها مر
أحسن بالفتى على قبحها من جدة ذل لها الحر

* * *

وله:

وإني لأعرف كيف الحقوق وكيف يبر الصديق الصديق
ورحب فؤاد الفتى محنة عليه إذا كان في المال ضيق

وقال علي بن محمد الغزنوي في علة عرضت له فحلف الطبيب أنها سليمة:

حلف الطبيب لأبرن من علتي ومتى يريح من الممات يمين
هون عليك فكل ما هو كائن سيكون إما حان منه الحين
ولئن نجوت مسلماً من هذه إني بأخرى بعدها لرهين

وله في نكبه:

لئن غصبت أيدي المظالم ضيعتي
فلم تغتصب ديني وعلمي وأخلاقي
وإن ثمدت مالي الجوائح فالذي
تكفل بالأرزاق يوسع أرزاقي
فديني موفور وعقلي راجح
ووزري منزور وعلمي لي باقي
وعرضي مصون عن مخاز تظاهرت
على هاضمي والحمد لله خلّاقي
وما أرتجي في آجلي من مثوبة
وذخر جزيل فَهو أنفس أعلاقي
فسبحان من في كل عارض محنة
له منحة يقضي لها الشكر أطواقي

قال محمد بن عبد الواحد القصار: من قصيدة هزيلة:

يا سادة بانوا وقلبي عندهم
مذ غبتم قد غاب عن عيني الكرى
وسوف أسلي عنكم صبابتي
بحمقة يعجب منها من وعى
في طرف نظمتها مقصورة
إذ كنت قصاراً صريعاً للدلا
من صفع الناس ولم يمكنهم
أن يصفعوه بدلاً قد اعتدى
من مضغ الأحجار أدمت فكّه
فالضرس لم تخلق لتليين الحصى
من نام لم يبصر بعيني رأسه
ومن تطأطأ راكعاً قد انحنى
من رامح الخيل كسرن ساقه
ومن حدى في نومه فقد هذى
من صام أسبوعاً تماماً ليله
مع النهار لم يوافقه الخوى
من قطع النخل وظلّ راجياً
ثمارها فذاك مقطوع الرجا

ومن طلى بالحبر صحن وجهه
حكى بما سود ليلاً قد دجا

قال إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني في الزهد:

طيب الحياة لمن خفت مؤونته ... ولم تطب لذوي الأثقال والمؤن
هذا يزجى بيسر عمره طرباً ... وذا يذوب من الأهوال والمحن
فاجتهد لتزهد في الدنيا وزينتها ... إن الحريص على الدنيا لفي حزن
يخوض في غمرات الشغل ليس له ... إلا الحصول على البغضاء والإحن

فارغب إلى الرب في تيسيره سبباً تنجو به من بلايا حادث الزمن
فإنه خير مرغوب إليه ومن يكفي المكاره ذو الآلاء والمنن

يروى أن الحسن والحسين رضي الله عنهما دخلا المسجد فوجدا رجلاً شيخاً يتوضأ فلا يحسن الوضوء ويصلي فلا يحسن الصلاة وأرادا أن يرشداه إلى الطريقة المثلى في الوضوء وفي الصلاة ولكنهما خشيا أن يشعراه بجهله فيتأذى بذلك. واتفقا على رأي فقربا من الرجل وقال كل منهما لأخيه: إنه أكمل منه وضوءاً وأقوم صلاة ثم احتكما إلى الرجل وقام كل منهما فتوضأ وأسبغ الوضوء وصلى فخشع في صلاته واطمأن. فلما رأى الرجل وضوءهما وصلاتهما رجع إلى نفسه وأدرك ما كان يقع فيه من خطأ فقال لهما: أحسنتما في وضوئكما وفي صلاتكما كما أحسنتما في إرشادكما فبارك الله فيكما.

قال الشاعر:

حتى متى والى متى نتوانى وأظن هذا كله نسيانا
والموت يطلبنا حثيثاً مسرعاً إن لم يزرنا بكرة مسَّانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية وكأنما يعني بذاك سوانا
غلب اليقين على التشكك في الردى حتى كأني قد أراه عيانا
يا من يصير غداً إلى دار البلى ويفارق الإخوان والخلانا
إن الأماكن في المعاد عزيزة فاختر لنفسك إن عقلت مكانا

يروى: أن أحد أصحاب أحمد بن حنبل قال له يوماً يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها: فقال: مثل أي شيء قال يقولون:

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

فقال أحمد أعد علي: قال: فأعدت عليه فقام ودخل بيته ورد الباب فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول: إذا ما قال لي ربي.

قال الأصمعي: سألت ابن عون عن الفال فقال: هو أن يكون مريضاً

فيسمع يا سالم. أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك.

قال الحكماء: أربعة حسن. ولكن أربعة منها أحسن الحياء من الرجال حسن. ولكنه من النساء أحسن. والعدل من كل أحد حسن. ولكنه من الولاة أحسن. والتوبة من الشيخ حسن. ولكنها من الشباب أحسن. والجود من الأغنياء حسن. ولكنه من الفقراء أحسن.

عليك بالدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك.

العلم دواء القلوب العليلة. ومشحذ للأذهان الكليلة. ونور في الظلمة. وأنس في الوحشة. وصاحب في الوحدة، وشرف للوضيع. وعز للذليل. من تحلى بغيره فهو معطَّل. ومن تعطّل منه فهو مغفل. يتجدد على الابتذال. ويزكو على الإنفاق.

أيها المؤمن: إن كنت أصبت في الساعات التي مضت فاجتهد للساعات التي تتلو. وإن كنت أخطأت فكفّر وامح ساعة بساعة.

نصيحة: ما رأينا شيئاً فسد فعاد إلى صحة إلا بعد علاج طويل فكيف بدماغ يتوالى عليه فساد السكر كل ليلة وإن عقلاً زين لصاحبه إفساده كل ليلة لعقل فاسد.

يقال: النساء أربع فمنهن معمع لها شيئها أجمع. ومنهن ممنع تضر ولا تنفع. ومنهن مصدع تفرق ولا تجمع. ومنهن غيث وقع في بلد فأمرع.

أسمع رجل ابن هبيرة كلاماً شديداً فأعرض عنه فقال له الرجل: يا هذا إياك أعني فقال له ابن هبيرة وعنك أعرض اهـ.

قال الشعبي رحمه الله: جالسوا العلماء فإنكم إن أحسنتم حمدوكم وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم. وإن أخطأتم لم يعنفوكم وإن جهلتم علموكم. وإن شهدوا لكم نفعوكم.

من رسالة في الفقه لشيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

معاجل المحظور قبل آنه   قد باءَ بالخسران مع حرمانه

هذا معنى قولهم: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه. وهذا عام في أحكام الدنيا والآخرة ويدخل فيها مسائل كثيرة منها إذا قتل مورثه. أو من أوصى له بشيء. أو قتل العبد المدبر سيده. فإنه يحرم الميراث والوصية والعتق.

ومنها المطلّق في مرض موته فإن زوجته ترث منه ولو خرجت من العدّة.

وكذلك في أحكام: فمن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة.

وكما أن المتعجل للمحظور يعاقب بالحرمان فمن ترك شيئاً لله تهواه نفسه عوّضه الله خيراً منه في الدنيا والآخرة. فمن ترك معاصِيَ الله ونفسه تشتهيها عوّضه الله إيماناً في قلبه. وسعة وانشراحاً وبركة في رزقه وصحة في بدنه مع ما لَهُ من ثواب الله الذي لا يُقدر على وصفه والله المستعان.

وقال رحمه الله ص ٤٥.

ولا يتم الحكم حتى تجتمع   كل الشروط والموانع ترتفع

هذا أصل كبير وقاعدة عظيمة يحصل به لمن حقق نفع عظيم وينفتح له باب من أبواب فهم النصوص المطلقة التي طالما كثر فيها الاضطراب والاشتباه. ومعنى هذا الأصل أن الأحكام لا تتم ولا يترتب عليها مقتضاها والحكم المطلق بها حتى تتم شروطها وتنتفي موانعها وأما إذا عدمت الشروط أو وجدت الشروط ولكن قام مانع لم يتم الحكم ولم يترتب عليه مقتضاه لعدم وجود الشرط أو لوجود المانع فافهم هذا الموضع. ولنمثل لهذا الأصل بمثال يستدل به اللبيب على ما وراءه فنقول: إن التوحيد مثمر لكل خير في الدنيا والآخرة ودافع لكل شر فيهما ولكن لا تحصل هذه الأمور إلا باجتماع شروطه وانتفاء موانعه. فأما شروطه فهي على القلب واللسان والجوارح. أمّا الذي على اللسان فهو النطق بالتوحيد وجميع أقوال الخير متممات له.

وأما الذي على القلب فهي إقراره وتصديقه ومحبته للتوحيد وأهله. وبغضه للشرك وأهله ومعرفة القلب لمعناه ويقينه به وأما الذي على الجوارح

فهو انقيادها للعمل بالتوحيد وأعماله الظاهرة والباطنة هذه شروطه.

وأما موانعه ومفسداته فهي ضد هذه الشروط أو ضد بعضها وَجِمَاعُ الموانع أنها إما شرك وإما بدعة وإما معصية فالشرك نوعان: أكبر وأصغر فالشكر الأكبر يمنعه ويبطله بالكلية. والشرك الأصغر والبدعة وسائر المعاصي تُنَقِّصُهُ بحسبها ولا تزيله بالكلية فإذا فهمت هذا فهمت النصوص التي فيها أي من أتى بالتوحيد حصل له كذا واندفع عنه كذا. إنه ليس مجرد القول وكذلك النصوص التي فيها من قال كذا أو عمل كذا إنما المراد به القول التام والعمل التام وهو الذي اجتمعت شروطه وانتفت موانعه.

ومن أعظم شروط الأعمال كلها الإخلاص وكونها على السنة.

وقال رحمه الله تعالى ص ٥٣:

وإن تساوى العملان اجتمعا	وفعل إحداهما فاستمعا

إذا اجتمع عملان من جنس واحد وكانت أفعالهما متفقة اكتفى بأحدهما ودخل فيه الآخر وذلك في مسائل. منها إذا دخل المسجد وصلى الراتبة وتحية المسجد ركعتين نوى بهما جميع السنن أجزأ عنها. وكذلك سنة الوضوء إذا نوى بها الراتبة. وكذلك المعتمر إذا طاف طواف العمرة أجزأه عن طواف القدوم والقارن يكفيه لحجه وعمرته طواف واحد وسعي واحد.

وله رحمه الله تعالى من قصيدة في فضل الذكر:

وكن ذاكراً لله في كل حالة	فليس لذكر الله وقت مقيَّدُ
فذكر إله العرش سِرًّاً ومعلناً	يزيل الشقا والهمَّ عنك ويطردُ
ويجلب للخيرات دنيا وآجلاً	وإن يأتك الوسواس يوماً يشرّدُ
فقد أخبر المختار يوماً لصحبه	بأن كثير الذكر في السبق مفرد
ووصَّى معاذاً يستعين إلهه	على ذكره والشكر بالحسن يعبد
وأوصى لشخص قد أتى لنصيحة	وقد كان في حمل الشرائع يجهد
بأن لا يزال رطباً لسانك هذه	تعين على كل الأمور وتسعدُ
وأخبر أن الذكر غرس لأهله	بجنات عدن والمساكن تمهد

وأخبـر أن الله يـذكـر عـبـدَهُ ومَعْـهُ على كـل الأمـور يسـدد
وأخبـر أن الـذكـر يبقى بجنـة وينقـطع التكـليف حين يخلدوا
ولـو لم يكن في ذكـره غيـر أنـه طـريق إلى حب الإلـه ومـرشـد
وينهى الفتى عن غِيبـة ونميمـة وعن كـل قـول للديـانـة مفسـد
لكـان لنـا حظ عـظيم ورغبـة بـكثـرة ذكـر الله نِعْم المُـوحِّـدُ
ولكننـا من جـهلنـا قـلّ ذكـرنـا كمـا قـل منـا لـلإلـه التعبـد

وذكـر الله نور للذاكـر في قلبه. وفي قـوله وفي قبـره ويـوم حشـره والله المستعان.

الوزير ابن شهيد يصف برغوث

أسود زنجي. وأهلي وحشي. ليس بوان ولا زميل. وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل. أو شونيزة. أو بنتها عزيزة. أو نقطة مداد أو سويداء قلب فؤاد. شربه عب. ومشيه وثب. يكمن نهاره. ويسير ليله. يدارك بطعن مؤلم. ويسحل دم كل كافـر ومسلم. مساور لـلأساورة. ومجـرد له على الجبـابرة. يتكفن بـأرفع الثياب. ويهتك كل حجاب. ولا يحفـل ببواب. يـرد مناهـل العيش العذبـة. ويصل إلى الأحراج الرطبة. لا يمنـع منه أميـر. ولا ينفع فيـه غيرة غيـور وهو أحقر حقير. شره مبثوث، وعهـده منكوث. وكـذلك كـل برغـوث. كفى بهذا نقصاناً للإنسان. وإدلالة على قدرة الرحمٰن.

وقوله في صفة بعوضه:

مـالكة لا حس لهـا سواهـا. تحقرهـا عين من رآها. تمشي إلى الملك بندبها. وتضرب بحبوحة داره بطلبها. تؤذيه بإقبالها. وتعرفه بإراقـة دمه مـالها فَتُعجـز كفه. وَتُـرغم أنفه. وتضـرج خـده. وتفـري لحمـه وجلده. زجـرتهـا تسليمها. ورمحها خـرطومهـا. تذلـل صعبك إن كنت ذا قـوة وعزم. وتسفـك دمك وإن كنت ذا حلفة وعسكر ضخم. تنقض العزائم وهي منقوضة. وتعجز القوى وهي بعوضة. ليرينا الله عجائب قدرته وضعفنا عن أضعف خليقته.

قال الفقيه محمد بن عبدالله بن أبي ريمين:

وذي حـرق زادت بـه زفـراتـه إذا مـا سـطت في قلبـه خـطراتـه
لـه في دجى الإظـلام خلوة مخلص تـذكـره فيهـا الجحيم هـنـاتـه
ويـدفعـه ذكـر الـوعيـد إلى الأسى فتنهـل من لـوعـاتـه عـبـراتـه
إذا مـا تـلا التنـزيـل وانكشفت لـه عـجـائبـه زادت لـه عـزمـاتـه
وإن لحـظت عيـن اليـقيـن معـاده سقت خـوفـه من مـائـه لحـظاتـه
بـنـفـسـي ولـي أنـه بـمـليكـه وفـي ذكـره إصبـاحـه وبيـاتـه

وقال ابن نباتة السعدي:

نـعـلل بـالـدواء إذا مـرضـنـا وهـل يشفي من الـمـوت الـدواء
ونـختـار الـطبيب وهـل طبيب يـؤخـر مـا يـقـدمـه الـقـضـاء
ومـا أنـفـاسـنـا إلا حـسـاب ومـا حـركـاتـنـا إلا فـنـاء

قال محمد بن حاتم المصعبي في ذم الشباب:

لـم أقـل للشبـاب في كـنف الـلـه وفـي ستـره غـداة استـقـلا
زائـر زارنـا مـقـيـم إلـى أن سـود الصحف بـالـذنـوب وولى

وقال محمد بن عبد العزيـز النسفي. في رئيس كان ينـام بالنهـار ويسهر بالليل:

ينـام إذا مـا استيقظ النـاس بـالضحى
فـإن جـن ليـل فـهـو يقـظان حـارس
وذاك كـمـثـل الـكـلب يـسـهـر لـيـله
فـإن لاح صبـح فهـو وسنـان نـاعس

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: **﴿لَا تَحسبنَّ الَّذينَ يَفرحُونَ بِمـا أَتَوا ويُحبّـون أنْ يُحمدوا بِمـا لَمْ يَفْعلوا فَـلا تحسبنَّهم بِمفـازَةٍ من العَـذابِ وَلَهم عَـذابٌ أَليمٌ﴾ ﴿لا تحسبن الـذين يفرحـون بما أتـوا﴾** أي من القبائـح والباطـل القـولي والفعلي

﴿**ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**﴾ أي بالخير الذي لم يفعلوه والحق الذي لم يقولوه فجمعوا بين فعل الشر وقوله والفرح بذلك ومحبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه ﴿**فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**﴾ أي بمحل نجوة منه وسلامة بل قد استحقوه وسيصيرون إليه ولهذا قال: ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم ولم ينقادوا للرسول وزعموا أنهم المحقون في حالهم ومقالهم وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية وفرِح بها ودعا إليها وزعم أنه محق وغيره مبطل كما هو الواقع من أهل البدع ودلّت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثنى عليه بما فعله من الخير واتباع الحق إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة أنه غير مذموم بل هذا من الأمور المطلوبة التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين في الأعمال والأقوال وأنه جازى بها خواص خلقه وسألوها منه كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾ وقال تعالى: ﴿**سلام على نوح في العالمين. إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾ وقد قال عباد الرحمٰن ﴿**واجعلنا للمتقين إماماً**﴾ وهي من نعم الباري على عبده ومننه التي تحتاج إلى الشكر. انتهى.

نبذة من العقد الفريد

قالوا: من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة: من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس. ومن طلب الدِّين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة. ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب.

يغسل الماء كل شيء تقريباً إلا اللسان السيء. أصلح قلبك والبس ما شئت. لا ترمِ حجراً في البئر التي تشرب منها.

وقال الرياحي في خطبته بالمربد يا بني رياح لا تحقروا صغيراً تأخذون عنه فإني أخذت من الثعلب روغانه. ومن القرد حكايته ومن السنور ضرعه. ومن الكلب نصرته. ومن ابن آوى حَذَره. ولقد تعلمت من القمر سير الليل. ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين. وفي كتاب الهند ينبغي للعاقل أن يدع

التماس ما لا سبيل إليه لئلا يعد جاهلاً. وقال أردشير بابك إن للأذان مجة وللقلوب مللاً ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً.

ومن البلاغة قال حسان بن ثابت في عبدالله بن عباس رضي الله عنهم:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلاً
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي إربة في القول جدّاً ولا هزلاً

وقيل لشبيب بن شيبة عند باب الرشيد كيف رأيت الناس قال: رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً. وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية: ما أقربُ شيء قال الأجل. قيل له: فما أبعد شيء قال الأمل. قيل له: فما أوحش شيء قال الميّت. قيل له: فما آنس شيء قال الصاحب المواتي.

مرّ عمرو بن عُبيد بسارق يقطع فقال: سارق السَّريرة يقطعه سارق العلانية. ومرّ خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة فقال: أنبتته الطاعة وحصدته المعصية. ومرّ أعرابيّ برجل صلبه السلطان فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبتهُ ومن فارق الحق فالجذعُ راحلتُه. وقال أبو جعفر لعمرو بن عبيد أعِنّي بأصحابك يا أبا عثمان. قال: ارفع علم الحق يتبعك أهله.

مرّ المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً. فقال: خيراً فقيل له: إنهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً فقال: كلّ واحد ينفق مما عنده.

قال الشاعر: قال الشارح هو معن بن أوس:

وذي رَحم قَلّمت أظفار ضِغنه بِحِلْمي عنه حين ليس له حِلْمُ
إذا سُمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة والإثمُ
فداويتهُ بالحلم والمرء قادرٌ على سهمه ما كان في كفه السهمُ

قيل للأحنف بن قيس من أحلم أنت أم معاوية قال: ما رأيت أجهل منكم إنّ معاوية يقدِر فيحلم. وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس عليه أو أدانيه وقال هشام بن عبدالملك لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ قال: إن شئت أخبرتك بخَلّة وإن شئت بخلتين وإن شئت بثلاث قال: فما

الخَلّة قال: كان أقوى الناس على نفسه قال: فما الخلتان قال: كان مُوَقّ الشر ملقّى الخير قال: فما الثلاث قال: كان لا يجهل ولا يبغي ولا يبخل.

وقالوا: لا يظهر الحلم إلا مع الانتصار كما لا يظهر العفو إلا مع الاقتدار.

شاعر:

إني أرى الحلم محموداً عواقبُه والجهل أفنى من الأقوام أقواما

سئل كسرى أنو شروان ما قدر الحلم فقال: وكيف تَعرف قدر ما لم يرَ كماله أحد. وقال بعضهم الحلم عُدّة على السفيه لأنك لا تقابل سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفاف بفعله إلا أذللتَه.

وللأحنف أو غيره:

ولربّما ضحك الحليم من الأذى وفؤاده من حرّه يتأوه
ولربّما شَكَلَ الحليم لسانه حذر الجواب وإنه لمفوّه

وقال بعضهم: إياك وعزّة الغضب فإنها تصيرك إلى ذل الاعتذار.

وقال شاعر:

سأُلزم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ وإن كثرت منه إليّ الجرائمُ
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثل مقاوم
فأمّا الذي فوقي فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق قائم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته نفسي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا تفضلت إن الفضل للحرّ لازم
وإذ استشارك من تودّ فقل له أطع الحليم إذا الحليم نهاكا
واعلم بأنك لن تسود ولن ترى سبل الرشادِ إذا أطعتَ هواكا

وقال ابنُ الكلبي قدم أوس بن حارثة بن لأم الطائي وحاتم بن عبدالله الطائي على النعمان بن المنذر فقال: لإياس بن قبيصة الطائي أيهما أفضل قال: أبيت اللعن أيها الملك إني منهما ولكن سلهما عن أنفسهما فإنهما

يخبرانك فدخل عليه أوس فقال: أنت أفضل أم حاتم فقال: أبيت اللعن إن أدنى ولد حاتم أفضل مني ولو كنت أنا وولدي ومالي لحاتم لوهبنا في غداة واحدة ثم دخل عليه حاتم فقال له: أنت أفضل أم أوس فقال: أبيت اللعن إن أدنى ولد لأوس أفضل مني فقال النعمان هذا والله السؤدد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الإبل.

وتكلم رجلٌ عند عبدالملك بن مروان بكلام ذهب فيه كلّ مذهب فأعجب عبدالملك ما سمع من كلامه فقال له ابن من أنت قال: أنا ابنُ نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصّلت إليك قال: صدقت.

أخذه الشاعر فقال:

مـاليَ عَقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتمٍ إلى أحد ... فإنني منتمٍ إلى أدبي

وقال ربيعة الرأي المروءة سِتّ خصال ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر فأما التي في السفر فبذل الزاد. وحسن الخُلق. ومداعبة الرفيق وأما التي في الحَضَر. فتلاوة القرآن. ولزوم المساجد. وعفاف الفرج.

قالوا: ليس الفقه بالتفقّه ولا الفصاحة بالتفصّح لأنه لا يزيد مُتزيّد في كلامه إلا لنقص يجده في نفسه ومما اتفقت عليه العرب والعجم قولهم الطبع أملك. وقالوا: إن ملكاً من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرب فكان يصدر عن رأيه ويتعرف اليُمن في مشورته ثم إنه هلَكَ ذلك الملك وقام بعده ولد له معجب بنفسه مُستبدٌّ برأيه فلم يُنزل ذلك الوزير منزلته ولا اغتنم رأيه ومشورته فقيل له إن أباك كان لا يقطع أمراً دونه فقال: كان يغلط فيه وسأمتحنه بنفسي فأرسل إليه فقال له: أيهما أغلب على الرجل الأدبُ أو الطبيعة فقال له الوزير: الطبيعةُ أغلب لأنها أصل والأدب فرع وكل فرع يرجع إلى أصله فدعا المَلك بسفرته فلما وُضعت أقبلت سنانيرُ بأيديها الشَّمع فوقفت حول السفرة فقال للوزير اعتبر خَطَأك وضَعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شَمّاعاً فسكت عنه الوزير وقال: أمهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة فقال ذلك لك. فخرج الوزير فدعا بغلام له فقال: التمس لي فأراً

واربطه في خيط وجئني به فأتاه به الغلام فعقده في سبنية وطرحه في كمه ثم راح من الغد إلى الملك فلما حضرت سُفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها فحلّ الوزير الفأر من سبنيته ثم ألقاه إليها فاستبقت السنانيرُ إليه ورمت الشمع حتى كاد البيتُ يضطرم عليهم ناراً فقال الوزير: كيف رأيت غلبة الطبيعة على الأدب ورجوع الفرع إلى أصله قال: صدقت ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه فإنما مدار كل شيء على طبعه والتكلف مذموم من كل وجه قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿**قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾ وقالوا: من تطبّع بغير طبعه نزعته العادة حتى تردّه إلى طبعه كما أن الماء إذا أسخنته ثم تركته ساعة عاد إلى طبعه من البرودة والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لا تثمر إلا مراً. انتهى من العقد الفريد.

مختصر

نبذة من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**الّذين ينفقون أموالَهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا وَلا أذَى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم وَلا هُم يحزَنون * قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يَتبعها أذَى والله غنيّ حليم * يَا أيُّها الّذين آمنوا لا تُبطلوا صَدقاتِكم بالمنّ والأذَى كالّذي ينفق مالَهُ رِئَاءَ النَّاس ولا يؤمِنُ بالله واليوم الآخر فمثلُه كمثلِ صَفوانٍ عليه تُرابٌ فأصابَه وابلٌ فتركَه صلداً لَا يَقدِرون عَلَى شيء ممّا كَسبوا والله لا يهدّي القومَ الكافِرينَ**﴾ يمدح تبارك وتعالى الّذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منّا على من أعطوه فلا يمنون به على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل.

وقوله تعالى: ﴿**ولا أذى**﴾ أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال: ﴿**لهم أجرهم عند ربهم**﴾ أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه ﴿**ولا خوف عليهم**﴾ أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ أي على ما خلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها

لا يأسفون عليها لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك ثم قال تعالى: ﴿**قول معروف**﴾ أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ﴿**ومغفرة**﴾ أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي ﴿**خير من صدقة يتبعها أذى**﴾ ﴿**والله غني**﴾ عن خلقه ﴿**حليم**﴾ أي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المنّ في الصدقة ففي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المنّان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر» ولهذا قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى**﴾ فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المنّ والأذى فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى ثم قال تعالى: ﴿**كالذي ينفق ماله رئاء الناس**﴾ أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال أنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال: ﴿**ولا يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه فقال: ﴿**فمثله كمثل صفوان**﴾ وهو الصخر الأملس ﴿**عليه تراب فأصابه وابل**﴾ وهو المطر الشديد ﴿**فتركه صلداً**﴾ أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً أي أملس يابساً أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال: ﴿**لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ ﴿**ومثل الّذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتَثْبِيتاً من أنفُسهم كمثلِ جنَّة بربوة أصابَها وابلٌ فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلّ والله بما تعملون بصير**﴾ وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك ﴿**وتثبيتاً من أنفسهم**﴾ أي وهم متحققون ومتثبتون أنّ الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا في معنى قوله عليه السلام في الحديث الصحيح المتفق على صحته «من صام رمضان إيماناً واحتساباً»

الحديث. أي يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبي: ﴿**وتثبيتاً من أنفسهم**﴾ أي تصديقاً ويقيناً. وقوله تعالى: ﴿**كمثل جنة بربوة**﴾ أي كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجري فيه الأنهار وقوله تعالى: ﴿**أصابها وابل**﴾ وهو المطر الشديد كما تقدم فأتت ﴿**أكلها**﴾ أي ثمرتها ﴿**ضعفين**﴾ أي بالنسبة إلى غيرها من الجنان ﴿**فإن لم يصبها وابل فطل**﴾ قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أي هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيّاً ما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال: ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ أي لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء. انتهى

حكم

لا يكمل للإنسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال: يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر. ويحب للمسلمين ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله تعالى. أربعة تؤدي إلى أربعة الصمت إلى السلامة. والبرّ إلى الكرامة. والجود إلى السيادة. والشكر إلى الزيادة. مَن قرّب السفلة واطرح ذوي الأحساب والمروءات استحق الخذلان ، مَنْ طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما. ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما. مَنْ عرف شأنه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته. خير المال ما أخذ من الحلال وصرف في النوال. وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام. من تمام المروءة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الإساءة منك وتستصغرها من غيرك. المنفعة توجب المحبة. والمضرة توجب البغضة. والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الإلفة. والعدل يوجب اجتماع القلوب. والجور يوجب الفرقة. وحسن الخلق يوجب المودة. وسوء الخلق يوجب المباعدة. والكِبر يوجب المقت. والتواضع يوجب الرفعة.

يقال: مختار أربع كلمات من أربعة كتب من التوراة (من قنع شبع)

ومن الإنجيل (من اعتزل نجا) ومن الزبور (من سكت سلم) ومن القرآن ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾.

يروى عن عمر بن يحيى العلوي قال: كنا في طريق مكة فأصاب رجل منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال: ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برىء فسألناه عن حاله فقال: إن العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك إذ أتوني يوماً بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤوسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي: هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي إن أكلت منها متّ فاسترحت فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوماً ثقيلاً ثم استيقظت وقد عرفت عرقاً شديداً واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولاً فأكلت وأقمت عندهم أياماً فلما نشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة.

يروى من غريب ما اتفق لعماد الدولة أنه لما ملك شيراز أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال فطلبه عماد الدولة ليخيط له لأنه هو الذي يخيط للملوك فتوهم الأطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له: إن فلاناً الملك لم يدع عندي سوى اثني عشر صندوقاً ولم أدر ما فيها فأمر بإحضارها فأحضرها.

من الأدعية الواردة عن النبي ﷺ أنه كان يقول آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» أخرجه مسلم.

الأمير محمد الصنعاني أضاف بعض أصحابه لصبوح العنب والغداء فتراخوا عن الوصول فكتب إليهم:

قد قلقنا من تأخركم ... أيها الأخوان لا لسبب
وانتظرنا بالصبوح لكم ... واعترانا منه بعض سغب

عـنـب إن ذقـتـه عـسـل وإذا أبـصـرت قـلت ذهـب
يـدرك الـراؤن نـشـوتـه فـإذا ذا قـوة صـار ضَـرَب
والـغـدا قـد أهـبـوه لـكـم وأتـوا فـيـه بـكـل عـجـب

وله لغز في سوق:

أي شـيء يـحـتـاج كـل إلـيـه وهـو لا يعـرف الخـطا والصـوابـا
اسمـه مفـرد ويـأتـيـك جمعـاً جاء في الـذكـر حين تتلو الكتـابـا
وإذا مـا عـكـسـتـه فـهـو شـيء سكن الأرض والسمـاء والسحـابـا
وبـه حـرف عـلة فـإذا زا ل فـأمـر فـافهم هـديت الصـوابا

وقال: صار عند استعمال الطيب وشم رائحته يصلي من شمه على النبي ﷺ فسُئلت هل ورد بذلك أثر فقلت: لا أعرفه ثم خطر لي هذان البيتان:

يقولون هل عند الطيب يذكر أحمد فهـل عنـدكم من سنـة فيـه تؤثـر
فقلت لهم لا إنمـا الـطيب أحمـد فتـذكره والشيء بـالشيء يـذكـر

* * *

وله عند نزول الثلج سنة ١١٨٠:

ألـبس الله تـعـالـى أرضـنـا حـلة بـيـضـاء مـن خـيـر الـحـلل
فـكـأن الـجـدب قـد مـات وذا كـفـن لـلجـدب إذ لاقـى الأجـل

يروى أنه أحضر إلى الهادي رجل من أصحاب عبدالله بن مالك فوبخه على ذنب فقال: يا أمير المؤمنين إن إقراري يلزمني ذنباً لم أفعله ويلحق بي جرماً لم أقف عليه وإنكاري رداً عليك ومعارضة لك ولكني أقول:

فـإن كنت تبغي بـالعقـاب تشفيـاً فـلا تزهـدن عند التجـاوز في الأجر

فقال: لله درك من معتذر بحق أو باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفى عنه.

يقال: العاقل الذي إذا تأدب أصحابه تأدب معهم وإذا غضبوا فر منهم.

ويقال: صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق.

يروى أن مطرف بن عبدالله كتب إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى أما بعد: فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبرُ على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء.

(لطيفة)

قيل: ماتت للهذلي أمّ ولد فأمر المنصور الربيع أن يعزيه ويقول له: إن أمير المؤمنين موجه إليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصِلَةْ فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة إني أحب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي: أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال: يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتغزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصدود وإنني ... قسماً إليك مع الصدود لأميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمرّ القصيدة على قلبه فإذا فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذي كان وعد به الهذلي فأنجزه له واعتذر إليه.
فيقال: الوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال: الوعد وجه والإنجاز محاسنه والوعد سحابة والإنجاز مطره وقال عمر رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله.

وقال صالح اللخمي:

لئن جمع الآفات فالبخل شرها وشر من البخل المواعيد والمطل

يروى أن بعض حاشية جعفر بن سليمان سرق جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ إلى الجوهريين بصفتها فقالوا: باعها فلان من مدة ثم إن ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يدي جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له: أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت مني هذه الجوهرة فوهبتها لك ثم أمر للجوهري بثمنها وقال للرجل: خذها الآن حلالاً طيباً وبعها بالثمن الذي يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف.

وحكي أن بهرام الملك خرج يوماً للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيداً فتبعه طامعاً في لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي احفظ عليّ فرسي حتى أبول فعمد الراعي إلى العنان وكان ملبساً ذهباً كثيراً فاستغفل بهرام وأخرج سكيناً فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره إليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه إلى الأرض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي: قدم إليّ فرسي فإنه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه إليه فركبه وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه إن أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحداً والله أعلم.

نبذة من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قول الله تعالى: **﴿وَلَا تتمنَّوا ما فضَّل الله به بَعضكم على بعضٍ للرِّجال نَصيب مما اكتَبسوا وللنِّساء نَصيب مما اكتْسبنَ واسْئلوا الله مِنْ فَضله إنَّ الله كانَ بكلِّ شيء عليماً﴾** ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكامل تمنياً مجرداً لأن هذا هو الحسد بعينه تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها ولأنه يقتضي السخط على قدر الله والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب. وإنما المحمود

أمـران أن يسعى العبد على حسب قـدرتـه بمـا ينفعـه من مصـالحـه الـدينيـة والدنيوية ويسأل الله تعالى من فضله فلا يتكل على نفسه ولاعلى غير ربه ولهذا قـال تعـالى : ﴿للرجـال نصيب ممـا اكتسبـوا﴾ أي من أعمـالهم المنتجـة للمطلوب ﴿وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه ﴿واسألوا الله من فضله﴾ أي من جميع مصالحكم في الدين والدنيا فهـذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمـل أو يتكل على نفسـه غير مفتقـر لربه أو يجمع بين الأمرين فإذا هذا مخذول خاسـر وقولـه : ﴿إن الله كان بكـل شيء عليماً﴾ فيعطي من يعلمه أهلاً لذلك ويمنع من يعلمه غير مستحق.

ورد أن عائشة رضي الله عنهـا ذبحت شاة وتصـدقت بها وأفضلت منهـا كتفاً فقال لها النبي ﷺ : «ما عندكِ منها» فقالت: ما بقي منها إلا كتف فقال: «كلها بقي إلا كتفاً».

يحكى أن الحجاج سأل يوماً الغضبان بن القبعثري عن مسـائل يمتحنـه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قـال: أفقههم في الدين وأصـدقهم لليمين وأبـذلهم للمسلمين. وأكرمهم للمهـانين وأطعمهم للمسـاكين. قـال: فمن ألأم النـاس قـال المعـطي على الهـوان. المقتـر على الأخـوان. الكثيـر الألوان. قال: فمن شر الناس قال: أطولهم جفوة. وأدومهم صبوة. وأشـدهم قسوة. قال: فمن أشجـع الناس قـال: أضربهم بـالسيف. وأقراهم للضيف. وأتـركهم للحيف. قـال: فمن أجبن النـاس قـال: المتـأخـر عن الصفـوف. المتقيض عن الـزحوف. المـرتعش عند الـوقوف. المحب ظـلال السقـوف. الكاره لضرب السيـوف. قال: فمن أثقـل الناس. قـال: المتفنن في الملام. الضنين بـالسلام. المهـذار في الكلام. المقبقب[1] على الـطعام. قـال: فمن خير الناس. قال: أكثرهم إحساناً. وأدومهم غفراناً وأوسعهم ميداناً. قال: لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غيـر حسيب قال: أصلح الله الأميـر إن الرجـل الحسيب يدلـك أدبـه وعقله وشمـائله. وعـزة نفسـه وكثـرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بـالأحساب يعـرف

(١) المقبقب المجتمع فوق الطعام كالقبة لا يسمح لأحد أن يشاركه في طعامه.

شمائله. والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة.

فقال الحجاج: لله أبوك فما العاقل والجاهل قال: أصلح الله الأمير العاقل الذي لا يتكلم هذراً. ولا ينظر شزراً. ولا يضمر غدراً. ولا يطلب عذراً. والجاهل هو المهذار في كلامه. المنان في طعامه. الضنين بسلامه. المتطاول على إمامه. الفاحش على غلامه، قال: لله أبوك فما الحازم الكيّس قال: المقبل على شأنه. التارك لما لا يعنيه. قال: فما العاجز قال: المعجب بآرائه. الملتفت إلى ورائه. قال: هل عندك من النساء خبر قال: أصلح الله الأمير إني بشأنهن خبير إن شاء الله تعالى إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع إن عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة. انتهى.

من أجوبة شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى من كتاب سؤال وجواب في أهم المهمات.

السؤال الثالث عشر: ما صفة الإيمان بالأنبياء على وجه التفصيل؟

الجواب: علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين ثبتت نُبوتُهم ورسالتهُم على وجه الإجمال والتفصيل ونعتقد أن الله تعالى اختصهم بوحيه وإرساله وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه وشرعه وأيّدهم بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاؤوا به وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقُهم وأبرُّهُم وأكملُهم أخلاقاً وأعمالاً وأن الله خصّهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد وبرّأهم من كل خُلُقٍ رذيل وأنهم معصومون في كلّ ما يبلغونه عن الله وأنه لا يستقرُّ في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب وأنه يجب الإيمان بهم كلهم وبكل ما أتوا به من الله ومحبّتهم وتوقيرهُم وتعظيمهم ونؤمن أن هذه الأمور واجبة علينا لنبينا محمد ﷺ على أكمل الوجوه وأعلاها وأنّه يجب

معرفته ومعرفة ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً بحسب الاستطاعة والإيمان بذلك والتزامُه والتزامُ طاعته في كل شيء بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه وأنّه خاتمُ النبيين لا نبيَّ بعده قد نسخت شريعتهُ جميع الشرائع وهي باقية إلى قيام الساعة ولا يتمُّ الإيمانُ به حتى يعلم العبدُ أن جميع ما جاء به حق وأنّه يَستحيلُ أن يقومَ دليلٌ عقلي أو حسيّ أو غيرهما على خلاف ما جاء به بل العقلُ الصحيحُ والأمورُ الحسّيةُ الواقعة تشهد للرسول بالصدق والحق. انتهى.

قال أبو العتاهية:

ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

حكم وأمثال

البخيل حارس نعمته وخازن لورثته.

الذي ينكر كل شيء يعترف بكل شيء.

قبل الرمي تملأ الكنائن.

المرء توّاق إلى ما لم ينل.

إذا أمعنت في الغياب عن الأصحاب بادروك بالنسيان.

ما على الأرض أحوج إلى طول سجن من لسان.

أصبر الناس من كان رأيه رادّاً لهواه.

من أخرجه الظن إلى الإنكار أحوجه التعب إلى الاعتذار.

أضيء شمعة بدل أن تلعن الظلام.

الحاجة أم الاختراع.

استزد الله يزدك.

يظن بالمرء ما يظن بقرينه.

لا حلاوة بدون نار.

المال الحرام لا يدوم.

لم يذهب من مالك ما وعظك.

لكل نبات ظل مهما كان صغيراً.

الحجر المتحرك لا ينبت عليه العشب.

شر البلية ما يضحك.

أكثر الناس كـذباً من يكثـر الحديث عن نفسه.

الجمل لا يرى سنامه.

لا نَصِيـر للكسـل ولكن أصـــدقـاؤه كثيرون.

لا تنازل إلا بالتفاهم.

لا تضع بيضك في سلة واحدة.

علم لا ينفع كدواء لا ينجع.

من عـاشـر النــاس بـالمكـر كـافؤه بالغدر.

لا تكن كثيـــر الحــلاوة فتُبلـعُ. ولا كثير المرارة فتبصق.

إذا ذهب الحياء حلّ البلاء.

لا تحكم على السيـد بثنـاء خـادمـه عليه.

من اتكل على زاد غيره طال جوعه.

دعاء الدخول إلى السوق

بسم الله، اللهم إني أسألك من خيـر هذه الســوق وخير مـا فيها وأعـوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فـاجرة أو صفقة خاسرة.

قال بعض الحكماء: إذا رأيت من أخيك عيباً فإن كتمته عنـه فقد خنتـه وإن قلته لغيره فقد اغتبته. وإن واجهته به أوحشته قيل كيف نصنع قال: تكني عنه وتعرّض به وتجعله في جملة الحديث.

قال واعظ: يا ابن آدم! بـع دنياك بـآخرتـك تربحهمـا جميعاً. ولا تبـع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً. وإذا رأيت الناس في خير فنافسهم.

وقال آخر: استـح من الله بقدر قـربه منـك وأطعه بقـدر حاجتـك إليه. وخفه بقدر قدرته عليك. واعص بقدر صبرك على النار.

ويروى أنه دخـل علي بن أبي طالب رضي الله عنـه المقابـر فقال: أمـا المنازل فقد سكنت. وأما الأموال فقد قسمت. وأما الأزواج فقـد نكحت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم. ثم قـال: والذي نفسي بيـده لو أذن لهم في الكلام لأخـبـروا أن خير الزاد التقوى.

قال أحد العارفين: من عرف الله تعالى. صفا له العيش. وطابت له الحياة وهابه كل شيء. وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله تعالى.

حكم وأمثال

من لَانَ عوده كثفت أغصانه.

الكلب الحي خير من الأسد الميت.

إذا كنت في قوم فاحلب في إنائهم.

الحق أولى من الصداقة.

هل يرتجى مطر بغير سحاب.

اتق شر الحليم إذا غضب.

ليس الفخر في أن تقهر قوياً بل في أن تنصف ضعيفاً.

عندما تدخل الرشوة من الباب تهرب العدالة من النافذة.

لا يُحسد إلا ذو نعمة.

المرء مخبوء تحت لسانه.

من يئس من شيء استغنى عنه.

من عادى عياله حرم لذات العيش.

الحق ثقيل مريء. والباطل خفيف وبيء.

إن كنت على حق فلا حاجة إلى رفع صوتك.

لا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم.

الصانع المهمل يلوم أدواته.

الخطأ زاد العجول.

الكذوب يفتضح بذات فمه.

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة.

أفكارك لك ولكن أقوالك عليك.

لا تمدح أحداً بأكثر مما فيه فيكون ما زدته نقصاً لك.

من أدب أولاده. أرغم حساده.

الطمع مطية سوء من ركبها ذل ومن صحبها ضل.

ثوب العارية لا يدفىء. وإن أدفأ لا يدوم.

من عَذُب لسانه كثر أخوانه.

ألد أعداء الإنسان طباخ ماهر.

فوات الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.

كيف أعاودك. وهذا أثر فَأسك.

قال بعضهم:

طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها.

وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أكبر من قرين السوء.

وغالبت الأقران فلم أر قريناً أغلب للرجل من المرأة السوء.

ونظرت إلى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيئاً أذل له ولا أكسر من الفاقة.

يروى أن ملكاً من الملوك ركب في موكب عظيم فخرجت الناس أفواجاً ينظرون إلى هذا الملك في زينته حتى مر برجل يصنع شيئاً موجها فكره إليه غير ملتفت إلى الملك فوقف الملك عليه يتعجب من هيئته وقال له: مستطلعاً أفكاره كل هذه الفئة تنظر إلى الموكب إلا أنت فنهض ذلك الصانع قائلاً يا أيها الملك أيد الله مُلكك إني رأيت الأيام تمر مرّ السحاب وما رأيت أنفع ولا أبقى لابن آدم من عمل ينتفع به في حياته وتنتفع به الناس بعد مماته أو عمل ينفعه بعد مماته فها أنذا أبذل في جميع أعمالي كل جهدي ولا أؤخر عمل يومي إلى غد ولها أشتغل بما لا بقاء له ولا فائدة فيه فاستحسن الملك عقله وأثنى عليه.

قيل لأنوشران. ما الذي لا خير فيه. قال ما ضرّني ولم ينفع غيري. أو ضرّ غيري. أو ضرّ غيري ولم ينفعني. فلا أعلم فيه خيراً.

قال ابن القيم في كتاب الفوائد:

وأما العلم فآفته عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة ففساده من جهة العلم أن يعتقد أن هذا مشروع محبوب لله وليس كذلك أو يعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن مشروعاً فيظن أنه يتقرب إلى الله بهذا العمل وإن لم يعلم أنه مشروع. وأما فساده من جهة القصد فأن لا يقصد به وجه الله والدار الآخرة بل يقصد به الدنيا والخلق وهاتان الآفتان في العلم والعمل لا سبيل إلى السلامة منهما إلا بمعرفة ما جاء به الرسول ﷺ في باب العلم والمعرفة وإرادة

وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والإرادة فمتى خلا من هذه المعرفة وهذه الإرادة فسد علمه وعمله. والإيمان واليقين يورثان صحة المعرفة وصحة الإرادة وهما يورثان الإيمان ويمدانه ومن هنا يتبين انحراف أكثر الناس عن الإيمان لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق فيكون علمه مقتبساً من مشكاة الوحي وإرادته لله والدار الآخرة فهذا أصح الناس علماً وعملاً وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله ومن خلفاء رسوله في أمته.

وقال رحمه الله: قاعدة جليلة قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون**﴾ فتضمنت هذه الآية أموراً أحدها أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول. قال مجاهد ﴿**لما يحييكم**﴾ يعني للحق وقال قتادة هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة. وقال السدي هو الإسلام أحياهم به بعد موتهم بالكفر. وقال ابن إسحاق وعروة بن الزبير واللفظ له ﴿**لما يحييكم**﴾ يعني للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم كل هذه عبارات عن حقيقة واحدة وهي القيام بما جاء به الرسول ظاهراً وباطناً.

قال الشاعر:

لا عار إن عَطِلت يَداي من الغنى ... كم سابق في الخيل غير محجَّل
صان اللئيم وصنت وجهي ماله ... دوني فلم يبذل ولم أتبذَّل

أبكى لِهَمٍّ ضافني متأوِّباً إن الدموع قِرىَ الهموم النُّزَّل
لا تُنكروا شيباً ألمَّ بمفرقي عجلًا كأن سَناه سلة مُنصل
فلقد دفعت إلى الهموم تنوبني منها ثلاثُ شدائد جمعن لي
أسف على ماضي الزمان وحيرةٌ في الحال منه ووحشة المستقبل
ما أن وصَلْتُ إلى زمان آخر إلا بكيت على الزمان الأوّل
لله عهد بالحمى لم أنسه أيام أعصي في الصبابة عذل

طرفاً من ترجمة القاضي منذر بن سعيد البلوطي من كتاب نفح الطيب عن المطمح وَلي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبدالرحمٰن وناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر. ومن جور قبض. ومن حق رفع ومن باطل خفض. وكان مهيباً صليباً صارماً غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لأحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء إلى أن مات الناصر لدين الله ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته استعفى مراراً فما أعفي وتوفى بعد ذلك لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ولا عدّت عليه في حكومته زلة. وكان غزير العلم. كثير الأدب متكلماً بالحق متبيناً بالصدق له كتب مؤلفه في السنة والقرآن والورع. والرد على أهل الأهواء والبدع. وكان خطيباً بليغاً وشاعراً محسناً ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفي سنة ٣٥٥ ومن شعره في الزهد قوله:

كم تصابى وقد علاك المشيبُ وتعامى عمداً وأنت اللبيبُ
كيف تلهو وقد أتاك نذير أن سيأتي الحمامُ منك قريب
يا سفيهاً قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يومٌ عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها لا يداوي إذا أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهيناً ثم تأتيك دعوةٌ فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم فاعمَلَنْ جاهداً له يا أريب
وتذكر يوماً تحاسب فيه إن من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلا للمنايا بها عليك رقيب

وله:

الـمـوتُ حـوضٌ وكـلنـا نـرد ... لم ينـجُ مـمـا يخـافـه أحـدُ
فـلا تـكـن مـغـرمـاً بـرزق غـدٍ ... فلست تـدري بـمـا يجـيء غـد
وخـذ من الـدهـر مـا أتـاك بـه ... ويسلم الـروح منـك والجسـد
والـخيـرُ والـشـر لا تـذعـه فمـا ... في النـاس إلا التشنيـع والحسـد

وله وقد آذاه شخص فخاطبه بالكنية فقيل لـه أيؤذيك وأنت تخـاطبه بـالكنية فقال:

لا تـعـجـبـوا مـن أنـنـي كـنـيـتـه ... مـن بعـد مـا قـد سبنـا وأذانـا
فـالله قـد كـنـى أبـا لـهـب ومـا ... كـنـاه إلا خـزيـة وهـوانـا

انتهى من نفح الطيب.

متفرقات

ابن نباتة:

فتى يتجـافى قلة النـوم جفنـه ... كـأن لـذيـذَ النوم في جفنـه قـذى
أطـرفـك سـاه أم فؤادك عـاشق ... يغـار على عينيـك من سنة الكـرى
ومن سهـرت في المكرمـات جفونُـه ... رعى طـرفه في جـوفها أنجم العلى

قيل سورة النوم والجوع والعطش ساعة فإذا صبرت تجاوزتك.

المهلبي:

طلع الفجـر من كتـابـك عنـدي ... فـمتـى بـاللقـاء يبـدو الصبـاحُ
ذاك إن تـم لـي فـقـد عَـذُبَ ... العيشُ ونيـل المنى وريش الجنـاح

* * *

لـولا كـراهـيـة العتـاب وإنـني ... أخشى القـطيعـة إن ذكـرت عتـابـاً
لـذكـرت من عثـراتكم وذنـوبكم ... مـا لـو يمـرّ على الفـطيم لشـابـا

* * *

كـل لـه غـرض يسعى ليـدركـه ... والحـرّ يجعـل إدراك العلى غـرضـه

* * *

يقـر بعينـي أن أرى من مكـانهـا ذُرا عـقـدات الأبـرق المـتـقـاود
وأن أرد المـاء الـذي شـربت بـه سليمي وقـد ملّ السرى كل واحـد
وألـصق أحـشـائي بـبـرد تـرابـه وإن كـان مخلوطـاً بسم الأسـاود

* * *

زارنـي طيـف الخـيـال فـمـا زادَ أن أغـرى بـي الأرقـا

* * *

وقال أبو الشيص:

إذا لم تكن طـرق الهـوى لي ذليلة تنكبتهـا وانحـزت للجـانب السهـل
وما لي أرضى منه بالجور في الهوى ولـي مثـله ألـف ولـيس لـه مـثـلي

* * *

وقال بعض الزراعين:

زرعت هـواه في كـراب من الهـوى وأسقيتـه مـاء الـدوام على العهـد
وسـرقنتـه بـالـوصـل لم آل جـاهـداً ليحـرزه السـرقين من آفـة الصـد
فلمـا تعـالى النبتُ وأخضـر يـانعـاً جـرى يـرقـانُ البين في سنبـل الـود

وقال حلاج:

حلجتُ قـطنَ فؤادي بالهـوى فغـدا في الصـد تنـدفـه الأحـزان بـالنـد

وقال حجام:

حلقتُ بمـوسى الغـدر نـاصيـة العهـد
وأجـريت مشط الهجـر في لحيـة الـوجـدِ
وقصصت بمقـراض القلى طـرة الهـوى
فجبهـةُ رأسِ الـوصـل مكشـوفـة الجلد

نبـذة من الشجاعـة من كتـاب محـاضـرات الأدبـاء سئـل فيلسـوف عن الشجـاعة فقـال جبلة نفس أبيه وقـال: الرجـال ثلاثـة فـارس وشجـاع وبـطل فالفارس الذي يشد إذا شـدوا. والشجاع الـداعي إلى البراز والمجيب داعيه.

والبطل الحامي لظهورهم إذا انهزموا.

وقيل الأسباب المشجعة قد تكون عن الغضب والهوج والغَيْرة والحمية وقد تكون من قوة النفخ وحب الأحدوثة وربما كان طبعاً كطبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور وتكون للدين لكن لا يبلغ الرجل الدين ما لم يشيعه بعض ما تقدم. وقيل: لا يصدق القتال إلا ثلاثة متدين وغيران وممتعض من ذلّ.

وكتب زياد إلى ابن عباس صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل فقال الشجاع من يقاتل من لا يعرفه. والجبان يفر من عرسه. والجواد يعطي من لا يلومه حقه والبخيل يمنع من نفسه.

وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم. شجاعة الديك وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب. وقال قبيصة بن مسعود يوم ذي قار يحذر بكر بن وائل الجزع لا يغني من القدر والصبر من أبواب الظفر والمنية ولا الدنية واستقبال الموت خير من استدباره والطعن في الثغر أكرم منه في الدبر وهالكٌ معذور خير من ناج فرور.

وقال أبو مسلم لبعض قواده إذا عرض لك أمر نازعك فيه منازعان أحدهما يبعث على الإقدام والآخر على الإحجام فأقدم فإنه أدرك للثأر وأنفى للعار. انتهى.

لغز في بيضة:

وصفراء في بيضاء رقت غلالة	لها وجفا ما فوقها من ثيابها
جماد ولكن بعد عشرين ليلة	ترى نفسها معمورة من خرابها

وفي الزنبور:

وأعجمي لابس لبس العرب	لا يستفيق من غناء إن ركبْ
مبرقع ببرقع من الذهب	يضحي ويمسي بحقاب محتقبْ
وخنجر يسله عند الغضب	كأنه شعلة نار تلتهبْ

وفي المقراض:

وذي جسمين لا يفرق بينهما ناظر
إذا ما بخصوا عينيه أمسى فمه فاغر

وفي صورة الإنسان بالمرآة:

وزائر لست في عشقي ولا شغفي بوجهه حين ألقاه بمحجوج
يظل يلحظني عجباً وألحظه وبيننا سدّ يأجوج ومأجوج

مدح الشيب: تأمل حكيم شيبة فقال: مرحباً بزهرة الحنكة وثمرة الهدى ومقدمة العفة ولباس التقوى. وعُير حكيم بالشيب فقال: الشيب نور يورثه تعاقب الليالي والأيام وحلم يفيده مر الشهور والأعوام ووقار تلبسه مدة العمر ومضي الدهر. وقال دعبل:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه سمة العفيف وحلية المتحرج
ضيف ألمّ بمفرقي فقريته رفض الغواية واقتصاد المنهج

* * *

يا طالباً بعد المشيب غضارة من عيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الأربعين تعدها وصل الدمى هيهات عز المطلب
ومن الشفاه وقد شآك طلابُهُ يَفَعاً تطلبَه وفودك أشيب

حكى أحدهم أنه دخل على العباس النامي قال: فوجدته جالساً ورأسه كالثُّغامة بياضاً وفيه شعرة واحدة سوداء فقلت له: يا سيدي في رأسك شعرة سوداء فقال: نعم هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها ولي فيها شعر فقلت: أنشدنيه فأنشدني:

رأيت في الرأس شعرة بقيت سوداء تهوَى العيونُ رؤيتها
فقلت للبيض إذ تُروّعُها بالله إلّا رحمت غربتها
فقلَّ لبث السوداء في وطن تكون فيه البيضاء ضرتها

الخضاب:

وما خَضَبَ الناس البياض لقبحه وأقبح منه حين يظهرُ ناصلُه

ولكنـه مـات الشبـابُ فسـودت على الـرسم من حزن عليـه منـازلـه

* * *

ابن الرومي:

إذا دام لـلمـرء السـواد وأخـلقت شبيبتـه ظن السـودا خـضـابـا
فكيف يـظن الشيـخ أن خضـابـه يُـظَنُّ سـواداً أو يـخـال شـبـابـا

* * *

قيل لما كبر وضعف القاضي كمال الدين الشهرزوري كان ينشد في كل وقت:

يـا رب لا تـحيـنـي إلـى زمـن أكـون فـيـه كـلًّا عـلى أحـد
خـذ بيـدي قبـل أن أقـول لـمن ألقـاه عنـد الـقيـام خـذ بـيـدي

وقال ابن أبي الصقر:

كـل امرىء إذا تـفـكـرت فـيـه وتـأمـلتـه رأيـت طـريـفـاً
كـنت أمـشي عـلى اثنتيـن قـويـاً فصـرت أمشي على ثـلاث ضعيفـاً

* * *

وقال ابن خلكان:

يـا سـائلي عن حـالتي خـذ شـرحهـا ملخصـاً قـد صـرت بعـد قـوة
تـفض أفـلاذ الحـصى أمـشي عـلى ثـلاثـة أجـود مـا فيهـا العصـا

وقال ابن أبي الصقر وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر فتغامز عليه الحاضرون كيف مات الصغير وبقي هذا الشيخ في هذا السن: فقال:

إذا دخـل الـشيـخ بـين الـشبـاب عـزاء وقـد مـات طفـل صغيـر
رأيـت اعـتـراضـاً عـلى الله إذ تـوفي الصغيـر وعـاش الـكبيـر
فقـل لابن شهـر وقـل لابن ألـف ومـا بـين ذلـك هـذا الـمـصيـر

وقال معروف الرصافي:

لا يـبـلغ الـمـرء مـنـتـهـى أربـه إلا بـعـلـم يـجـد فـي طـلـبـه

فـأوِ إلـى ظـلـه تـعـش رغـداً ... عـيشاً أميناً مـن سـوء منقلبـه
واتـعـب لـه تـسـتـرح بـه أبـداً ... فـراحـة الـمـرء من جنى تـعبـه
ولـذة الـعـلـم مـن تـذوقـهـا ... أضـرب عن شهده وعن ضـربـه
وإن لـلعـلم فـي الـعـلا فـلكـاً ... كـل المعـالي تـدور في قُـطُبـه
فـاسـع إلـيـه بعـزم ذي جـلـد ... مصمم الـرأي غيـر مُضْـطَربـه
وابـذل لـه مـا ملكت مـن نشب ... فـالعلم أبقى لـلمـرء من نشبـه
لا تـتـكـل بـعـده على نـسـب ... فـالعلم يُعْلي النسيب عـن نسبـه
مـا أبعـد الخيـر عن فتى كسـل ... يسـرح في لـهـوه وفي لـعـبـه
كـم رفـع العـلم بيت ذي ضِعَـةٍ ... فقصـر النـاس عن مَـدَى حسبـه
وإن يـسـد جـاهـل فَـسُؤْدده ... بعـد قليـل يـفضي إلى عـطبـه
العـلـم فيض تحيـا الـقلوب بـه ... فامتَح بِسَجْـلِ الحيـاة من قلبـه
كـل فـخـار أسبـابُـه انقـطعت ... إلا فـخـاراً يـكـون مـن سببـه
مـا حسن وجـه الفتى بمـفخـرة ... إن لم يُؤيّـد بـالـحسـن من أدبـه
مـا أقـدرَ الـعـلم إن صيـحـتـه ... يُمعنُ منهـا الخـميسُ فـي هـربـه
مـن تَـخِـذَ الـعـلم عـدة لـوغـى ... أغـنـاه عـن درعـه وعـن يَـلبـه
فـانتـدب العلم للخـطوب فـمـا ... خـاب لعمـري رجـاء منتـدبـه

من فتاوى شيخنا عبدالرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

المسألة الثالثة والعشرون: في منزلة الحياء من الدين وفوائد أخرى.

روى أبـو داود عن عائشـة رضي الله عنها قـالت: قـال النبي ﷺ: «إذا أحـدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه ثم لينصرف» فيه مع ما يـدل عليه صريحه فوائد منها أنه ينبغي للعبد أن يجتنب كل ما يستقبح ويستحيا منه عنـد النـاس من الأقوال والأفعـال ومنها: أنـه إذا احتـاج إلى بيـانـه بقـولـه أو فعله فليستعمل من المعاريض القولية والفعلية ما يضيع به أفهام الناس إلى خـلاف الواقع فإن حدث الإنسان الخارج منه نوعان نوع يستحيا منه كـالريـح ونوع لا حياء فيه عادة كالرعاف ونحوه فأمر ﷺ عند وجود الحدث الذي يستحيا منه أن يمسك الخارج من الصلاة أنفه ليظن الناس فيه الرعاف دون الريح وما ألـطف هـذه الحيلة ولهذا نقـول: إنه يـدل على جواز استعمـال المعـاريض والحيـل

الحسنة التي لا محذور فيها بل فيها مصلحة أو دفع مفسدة ومنها أنه يتعين على من انتقضت طهارته أن لا يمضي في صلاته ولو عزم على قضائها حياء من الناس فإن المضي فيها ولو صورة محرم والمحرم لا يحل للعبد أن يفعله مراعاة للخلق ومنها أن المعاريض الفعلية كهذه القضية تشبه المعاريض القولية وفيها للبيب مندوحة عن الكذب وسلامة من الذم. انتهى.

حكم وأمثال

تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب.

ويل للرأس من اللسان.

الكرم ستار العيوب.

لا تأمن الأحمق وبيده سكين.

لقاء أهل الخير عمارة القلوب.

لا يغرك من الثعبان ملمسه.

اللسان شبح صغير الجرم عظيم الجرم.

الرجاء كنور في كمام. والوفاء كنور في ظلام.

قُل لي من تعاشر أقُل لك من أنت.

الباب المردود يرد الرِّجل المستعجلة.

علم المنافق في قوله وعلم المؤمن في عمله.

لا تستحِ من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه.

أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.

الرحلة حول العالم تبدأ بخطوة واحدة.

الوسام أقدام ذوي الحاجات. والشفاعات مفاتيح الطلبات.

ترك الجواب داعية الارتياب.

قال محمد بن عبد العزيز السوسي يصف حاله:

الحمد لله ليس لي بخت ... ولا ثياب يضمها تخت

سيان بيتي لمن تأمله ... والمهمة الصحصحان والمرت

أمنت في بيت اللصوص فما ... للص فيه فوق ولا تحت

فمنزلي مطبق بلا جرس صفر من الصفر حيثما درت
إبريقي الكوز إن غسلت يدي والطين سعدي وداري الطست
وعاجل الشيب حين صيرني فرزدقي المشيب إذ شبت

يروى أن الرشيد بعث أحد وزرائه إلى دار المجانين ليتفقد أحوالهم فرأى بينهم شاباً حسن الوجه يبدو كأنه صحيح العقل فأحب أن يكلمه فقاطعه المجنون بقوله: أريد أن أسألك سؤالاً فقال الوزير: هات سؤالك فقال الشاب: متى يجد النائم لذة النوم. فقال الوزير: حين يستيقظ فقال الشاب كيف يجد اللذة وقد فارقه سببها. فقال الوزير: بل يجد اللذة قبل النوم فاعترضه الشاب بقوله: وكيف يلتذ بشيء لم يذقه بعد فقال الوزير: بل يجد اللذة حال النوم فرد عليه الشاب يقول: إن النائم لا شعور له فكيف تكون لذة بلا شعور فبهت الوزير ولم يحر جواباً وانصرف وهو يقسم ألا يجادل مجنوناً أبداً.

قال حكيم: الكلمة الطيبة تستطيع أن تنال أكثر مما ترجو وتملك أعز شيء عند إخوانك وهي لا تكلفك جهداً ولا مشقة وتستطيع أن تقولها في أي وقت كان.

يروى أن رجلاً قال لمحمد بن واسع أوصني، فقال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال: وكيف لي بذلك. قال: الزم الزهد في الدنيا.

تحذير: احذر الحقود إذا تسلط. والجاهل إذا قضى. واللئيم إذا حكم. والجائع إذا يئس. والواعظ المتزهد إذا كثر مستمعوه.

قيل لحكيم أي الرجال أفضل؟ قال: الذي إذا حاورته وجدته حكيماً وإذا غضب كان حليماً. وإذا ظفر كان كريماً وإذا استُمنح منح جسيماً وإذا وعد أوفى وإن كان الوعد عظيماً. وإذا شُكي إليه وجد رحيماً.

يذكر أنه دعا أحدهم جماعة للطعام فلما رأى أحد الضيوف بساطة الطعام وقلة الألوان قال له: كان الأجدر أن تزيد اهتمامك بضيوفك فقال الداعي: إن كان ضيوفي عقلاء فعلى المائدة ما يكفيهم وإن لم يكونوا عقلاء فعلى المائدة أكثر مما يستحقون.

من أمثال الصين: إنك لن تستطيع أن تمنع طيور الهم أن تحلق فوق رأسك ولكنك تستطيع أن تمنعها أن تعشش فيه.

قال شاعر:

أليس وعدتني يا قلب أني ... إذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى ... فما لك كلما ذُكِرَتْ تذوب

قال الهزيمي في ضيعته:

كفتني ضيعتي مدح العباد ... وظعناً في البلاد بغير زاد
غدت سكني وخادمتي وظئري ... وفيها أسرتي وبها تلادي
ألا فليعتمد من شاء شيئاً ... فحزني ليس يعدوه اعتمادي
صديق المرء ضيعته وكم من ... صديق في الصداقة مستزاد
يخونك في المودة من تواخي ... ومالك لا يخونك في الوداد
أخوك على المعاش معين صدق ... ومالك للمعاش وللمعاد

وله أيضاً:

تيه المزور على الزوار يمنعهم ... عن الزيارة فامنعهم عن التيه
والناس ما لم يروا حرصاً بصاحبهم ... ورغبة فيهم لم يرغبوا فيه

وقال شاعر في ابنه:

ربيته وهو فرخ لا نهوض له ... ولا شكير ولا ريش يواريه
حتى إذا ارتاش واشتدت قوادمه ... وقد رأى أنه آنت خوافيه
مد الجناحين مداً ثم هزهما ... وطار عني فقلبي فيه ما فيه
وقد تيقنت أني لو بكيت دماً ... لم يرثَ لي فهو فظ القلب قاسيه

وقال في ابنه الثاني:

لو كنت أعلم أني والد ولداً ... يكون لا كان في عيني كالرمد
فلا أسر على طول الحياة به ... جببت نفسي كي أبقى بلا ولد
كم قد تمنيت لو أن المنى نفعت ... ولا مرد لحكم الواحد الصمد
وقلت لو أن قولي كان ينفعني ... يا ليت أني لم أولد ولم ألد

تمنٍ يلذ المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي

* * *

من كان مرعى عزمه وهمومه روضُ الأماني لم يزل مهزولاً

* * *

إذا ما قضيتَ الدينَ بالدين لم يكن
قضاء ولكن كان غرماً على غرم

* * *

كل امرىء مشتغلٌ بنفسِهِ يطلبُ ما يطحنهُ بضرسِهِ

* * *

فتى إن تجده معوزاً من تلاده فليس من الرأي الأصيل بمعوز

* * *

والمرءُ ساعٍ لأمرٍ ليس يدركُهُ والعيشُ شحٌ وإشفاقٌ وتأميلُ

* * *

وإني لأرثي للكريم إذا غدا على حاجةٍ عند اللئيمِ يطالبُه

* * *

لا تصنَعنَّ صنِيعَةً مبتورةً فما اصطنعت إلى الرجالِ فتمم
لا تطعِمَنّهم فتقطعَ عنهمُ أشبِعْ إذا أطعمتَ أو لا تطعم

* * *

ألا لا أرى شيئاً ألذ من الوعدِ ومن أمل فيه وإن كان لا يجدي

* * *

إذا جئت أعطاني وإن أنا لم أجيء
أتاني من جدواه ما كنت أرتجي

ولستُ أحبُّ الرز إن قلَّ طبخه فكَيف أحبّ الرز وهو مسخن

* *

أهازلُ حيث الهزلُ يحسنُ بالفتى وإني إذا جدّ الرجالُ لذو جَدِّ

* * *

يقول الفتى ثمّرت مالي وإنما لوارثه ما ثمر المال كاسبه

يحاسب فيه نفسه بحياته ويتركه نهباً لمن لا يحاسبه

* * *

أفسدتَ بالمنّ ما قدّمتَ من حسنٍ ليس الجواد إذا أسدى بمنّان

* * *

إذا كنت تدعوني لأدعوك مثلَهُ ففعلك منحولٌ إلى فعل تاجرِ

* * *

إذا ما كان بينك في عشيٍ وبين أخ من الأخوان وعدُ

فجدد بالغداة له رسولاً فإن حوادثَ الأيام تغدو

* * *

إذا أنتَ لم تشرك رفيقَك في الذي

يكونُ قليلاً لم تشاركْه في الفضلِ

* * *

وإنّا لنجفو الضيفَ من غير عسرةٍ

مخافة أن يضري بنا فيعودا

* * *

إن الأمور إذا الأحداث دبرها

دون الشيوخ ترى في بعضها خللاً

* * *

فلا تله عن أمر وهَى منه جانب

فيتبعه في الوَهْي لا شَكَّ سائره

إذا طَرَفٌ من حَبْلك انحَلَّ صدرُه

تداعت وشيكاً بانحلالٍ مرائره

* *

حيلة امرأة في التزويج من رجل

كان لرجل ابنة ولها ابن عم مشغوف بها وهو يرجو أن يتزوج بها. فجاء أباها رجل فأرغبه في الصداق فقالت الجارية لأمها: ما أحسب أبي يربي ابن أخيه صغيراً ويقطعه كبيراً فقالت: كان ذلك قدراً مقدوراً فقالت الجارية أنا حبلى من ابن عمي فقالت أمها: ما تقولين ويحك فقالت: أتكذب الحرة على نفسها فأخبرت أباها فزوجها من ابن عمها فلما وقع العقد قالت الجارية: برئت من الإسلام إن رأى وجهي إلى سنة ليعلم أني متقولة فيما ادعيت.

تزوج رجل سيء الخلق امرأة فقال: أما إني سيء الخلق فإن كان عندك شيء من الصبر على المكروه وإلا فلست أغرك من نفسي فقالت: أسوأ خلقاً منك من أحوجك إلى سوء الخلق فتزوجها فما جرى بينهما وحشة للموت.

وقال شريح تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها قالت: عرفني خلقك لأعمل على مداراتك فعرفتها فبقيت معها سنة لا أزداد فيها إلا شغفاً فدخلت يوماً فرأيت عندها عجوزاً فقلت: من هذه قالت: أمي فسلمت عليها فدعت لي وقالت كيف رضاك على صاحبتك فشكرتها فقالت أسوأ ما تكون المرأة خلقاً إذا حظيت عند الزوج وإذا ولدت فإن رابك منها شيء فعليك بالسوط فقلت: أشهد أنها ابنتك فقد كفيتني الرياضة. قال الأصمعي: رأيت رجلاً يطوف بالبيت يحمل شيخاً كبيراً يقول له: أعييتني صغيراً وكبيراً فقلت له: أحسن إليه فطالما أحسن إليك فقال: من تراه لي فقلت: هو أبوك أو جدك فقال: بل هو ابني فقلت: ما صيره إلى ما أراه قال: سوء خلق امرأته.

قيل لامرأة كيف زوجك قال: إذا دخل فهد وإذا خرج أسد.

وسئل رجل عن امرأة فقال: أفنان أثله. وجنى نحله. ومس رمله. وكأني قادم في كل ساعة من غيبه.

وطلق رجل امرأة فلما أرادت الارتحال قال لها: اسمعي وليسمع من

حضر إني والله اعتمدتك رغبة وعاشرتك محبة ولم يوجد مكاني منك زلة ولم يدخلني منك ملة ولكن القضاء كان غالباً. فقالت المرأة جزيت من صحوب خيراً فما استربت خبرك ولا شكوت خيرك ولا تمنيت غيرك وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه ممنع ثم تفرقا.

شكت امرأة زوجها فقالت: هو قليل الغيرة. سريع الطيرة. كثير العتاب شديد الحساب. استرخى ذكره. وأقبل زفره وبخره. وطمحت عيناه. واضطربت رجلاه. يأكل همساً. ويمشي خلساً. ويصبح رجساً. إن جاع جزع. وإن شبع خشع.

تزوج رجل امرأة قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس فقالت: إلى من تكلني قال إلى السابع الشقي.

وقيل رأت عائشة بنت الفرات ثلاثة ألوية كسرت على صدرها فسألت أمها ابن سيرين فقال: يتزوجها ثلاثة من الأشراف يقتلون عنها فتزوجها يزيد بن المهلب ثم عمرو بن يزيد الأسدي فقتلا وتزوجها الحسن بن عثمان الزهري فجرى بينهما يوماً كلام فقالت: والله لتقتلن وأخبرته فطلقها وتزوجها العباس بن عبدالعزيز فقتل. وروي أن أم حبيب بنت قيس العدوية قالت: لا أنكح إلا العدويين المحمدين فنكحت محمد بن عمرو بن العاص ففارقها ثم محمد بن خليفة فقتل ثم محمد بن أبي بكر فقتل ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات ثم محمد بن إياس فتوفيت معه.

يقال: ما وفت امرأة لزوجها إلا قضاعيتان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان فإنها قلعت ثنيتها بعد عثمان مخافة أن يخطبها رجل وامرأة هدبة العذري فإنها لما رأت زوجها يقاد للقتل أنشدها:

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا   أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فعمدت إلى سكين فقطعت أنفها وقالت: كن آمناً من ذلك فقال الآن طاب ورود الموت. وتزوج رجل بابنة عم له يقال لها رباب وتعاهدا على أن لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر فمات الرجل وأكرهت المرأة على التزويج

فلما كان ليلة الزفاف رأت في منامها أن ابن عمها آخذ بعضادتي الباب فأنشد:

حيَّيتُ سكانَ هذا البيتِ كلّهم ... إلا الرباب فإني لا أحيّيها
أمسَتْ عروساً وأمسى منزلي خرباً ... ولم تراعِ حقوقاً كنتُ أرعيها

فانتبهت مذعورة وحلفت أن لا تجمع رأسها ورأس الرجل وسادة.

وكان شيرويه لما قتل أباه كسرى أراد أن يتزوج بشيرين امرأة أبيه فقالت له: على ثلاث شرائط أن تحضر الحكماء فأُخطئهم في معاونتهم إياك على قتل أبيك حتى لا يجرؤوا على مثله فيك. وأن تستحضر لي نساء الكبار لأشتفي بالبكاء عليه. وأن تأذن لي في حضور المكان الذي مات فيه مرة. فقال كل ذلك لكِ: فلما خطأتهم وبكت عليه وحضرت المكان الذي مات فيه. أخرجت فصاً مسموماً فمصته فماتت مكانها وكانت قد عمدت إلى سم فوضعته في بعض الخزائن وكتبت عليه إن من تناول منه وزن دانق أعانه على الجماع، فلما ظفر به تناول منه فمات في مكانه.

ماتت امرأة لرجل وكان عاهدها أن لا يتزوج بعدها فخطب امرأة في جنازتها فعوتب في ذلك فقالَ:

خطبتُ كما لو كنتُ قدمتُ قبلَها
لكانَتْ بلا شكٍّ لأوّلِ خاطبِ
إذا غابَ بعلٌ جاء بعلٌ مكانه
ولا بد من آتٍ وآخرَ ذاهبِ

ومات زوج امرأة فراسلها في ذلك اليوم رجل يخطبها فقالت: هلا سبقت فإني قد قاولت غيرك فقال: إذا مات الثاني فلا تفوتني.

قال أفلاطون: إذا أقبلت الدنيا خدمت الشهواتُ العقولَ وإذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات.

وقال غيره: من عرفَ الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم.

النهي عن الكذب وذمه قال الله تعالى: ﴿**قتل الخراصون**﴾ وقال:

﴿**ويل لكل أفاك أثيم**﴾ وقال: ﴿**إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ وقيل الكذب جماع النفاق. وقيل الكذب والحسد والنفاق أثافي. وقيل: ما عزّ ذو كذب ولو أخذ القمر بيده ولا ذلّ ذو صدق ولو اتفق العالم عليه. وقال سليمان بن سعد لو صحبني رجل وقال: لا تشترط علي إلا شرطاً واحد لقلت لا تكذبني.

قيل: من صفات العاقل أن يحدث بما لا يستطاع تكذيبه وقيل: إياك وحكاية ما يستبعد فيجد عدوك سبيلاً إلى تكذيبك.

قيل: من استحلى الكذب عسر عليه فطام نفسه عنه وقيل لرجل: اترك الكذب فقال: لو تغرغرتَ به وتطعمتَ حلاوته لما صبرتَ عنه وقيل: كل ذنب يرجى تركه إما بتوبة أو إنابة ما خلا الكذب فإن صاحبه يزداد به ولوعاً على الكبر.

مرَّ زاهد ببعض القصور ورأى حجاباً على بابه فسأل عنه فقيل هو لسالم بن فلان رجل كثير المال عريض الجاه وقد مرض فاحتجب عن الناس فقال:

وما سالم من وافد الموت سالماً ... وإن كثرت حجابه وكتائبه
ومن كان ذا باب منيع وحاجب ... فعما قليل يهجر الباب حاجبه

قال الله تعالى: ﴿**فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**﴾ أي ينبغي لكم أيها الأزواج أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن فإن في ذلك خيراً كثيراً من ذلك امتثال أمر الله وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة. ومنها أن إجباره نفسه مع عدم محبته لها فيه مجاهدة النفس والتخلق بالأخلاق الجميلة وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك وربما رزق منها ولداً صالحاً نفع والديه في الدنيا والآخرة وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور فإذا كان لا بد من الفراق وليس للإمساك محل فليس الإمساك بلازم بل متى ﴿**أردتم استبدال زوج مكان زوج**﴾ أي تطليق زوجة وتزوج أخرى أي فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج. انتهى من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن السعدي.

فائدة

قوله تعالى: ﴿**هنالك دعا زكريا ربه قال: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة**﴾ الآية. هذه الآية تدل على أن زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس عنده شك في قدرة الله على أن يزرقه الولد على ما كان منه من كبر السن وقد جاء في آية أخرى ما يوهم خلاف ذلك وهي قوله تعالى: ﴿**قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر**﴾ والجواب عن هذا بأمور الأول ما أخرجه ابن جرير عن عكرمة والسدي من أن زكريا لما نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب: ﴿**إن الله يبشرك بيحيى**﴾ قال له الشيطان ليس هذا نداء الملائكة وإنما هو نداء الشيطان فداخل زكريا الشك في أن النداء من الشيطان فقال عند ذلك الشك الناشيء من وسوسة الشيطان قبل أن يتيقن أنه من الله ﴿**أنى يكون لي غلام**﴾ ولذا طلب الآية من الله على ذلك بقوله: ﴿**رب اجعل لي آية**﴾ الآية. الثاني أن استفهامه استفهام استعلام واستخبار لأنه لا يدري هل الله يأتيه بالولد من زوجه العجوز أو يأمره بأن يتزوج شابة أو يردهما شابين الثالث أنه استفهام استعظام وتعجب من كمال قدرة الله تعالى والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿**وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله**﴾ لا تعارض بينه وبين قوله تعالى: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ والجواب ظاهر وهو أن معنى قوله: ﴿**إن تصبهم حسنة**﴾ أي مطر وخصب وأرزاق وعافية يقولوا هذا أكرمنا الله به ﴿**وإن تصبهم سيئة**﴾ أي جدب وقحط وفقر وأمراض يقولوا: هذه من عندك أي من شؤمك يا محمد وشؤم ما جئت به قل لهم كل ذلك من الله ومعلوم أن الله هو الذي يأتي بالمطر والرزق والعافية كما أنه يأتي بالجدب والقحط والفقر والأمراض والبلايا ونظير هذه الآية قول الله في فرعون وقومه مع موسى: ﴿**وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**﴾ وقوله تعالى في قوم صالح مع صالح: ﴿**قالوا اطيرنا بك وبمن معك**﴾ الآية وقول أصحاب القرية للرسل الذين أرسلوا إليهم: ﴿**قالوا إنا**

تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ الآية. وأما قوله: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾** أي لأنه هو المتفضل بكل نعمه **﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** أي من قبلك ومن قبل عملك أنت إذ لا تصيب الإنسان سيئة إلا بما كسبت يداه كما قال تعالى: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾** انتهى من كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

قال بعض الكبار لرجل عليه جبة خز خلِقه طال صحبتها له أما تمل لبسها فقال: رب مملول لا يستطاع فراقه فأمر له بمال. وقال الإسكندر لرجل رث تكلم بفصاحة: ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك فقال: أما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها فخلع عليه.

نظرت جارية لابن هبيرة وهو أمير العراق وعليه قميص مرقوع فضحكت. فأنشد:

هـزئَتْ أمـامـةُ أن رأتني مملقـاً ... ثـكـلتـكِ أمـكِ أي ذاك يـروعُ
قـد يـدركُ الشـرفَ الفتى ورداؤه ... خَـلَقٌ وجيـبُ قميصـه مـرقـوعُ

* * *

متفرقات

إن كـاتمُـونـا القلى نَمّت عيونُهُم ... والعينُ تَظهر ما في القلب أو تَصِفُ

* * *

طعَامي طعامُ الضَّيف والرَّحل رحلُهُ ... ولم يُلهني عنـه الغـزالُ الـمُقَـنَّـعُ

* * *

فَـاستَبْقِ وُدّكَ للصـديـق ولا تكـن ... قَـتَبـاً يَـعَضُّ بِـغـارب مِـلحـاحـاً

* * *

كُلُوا اليـومَ من رزق الإلـه وأَبْشِـروا ... فـإن على الـرحمن رِزْقَكُـمُ غـدا

* * *

إذا المـرءُ لم يَمـدحْـه حسن فعـالـه ... فمـادحُـه يَهـذي وإن كـان مُفصحـا

* * *

ومـا مَـرَّ يـومٌ أرتَجي فيـه راحـةً ... فَـأخْبُـرهُ إلَّا بَـكَـيتُ عـلى أمسِ

قال أبو حـاتم عن الأصمعي لو قسمتُ في النـاس مائـةَ ألفِ درهم كان أكثرَ للاَئِمَتي مِن لو أخَذْتُها منهم.

وكان يقال لو نُهي الناسُ عن فتّ البَعْر لفتّوه وقالوا ما نُهينا عنـه إلا وفيه شيء.

ويقال: لا يزال الناس بخير ما تباينُوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا.

ويقال: من التوقي تركُ الإفراط في التوقّي.

ومـن لم يـتق الـضَّـحـضـاح زلّـت ... بــه قـدمـاه في البـحـر العـميـقِ

* * *

مـا يـدخـل السجن إنسـانٌ فتسـألَـه ... مـا بـال سجنـك إلا قـال مـظلوم

من الأدعية المأثورة

اللهم اغفـر لي خطيئتي وجهلي وإسـرافي في أمري ومـا أنت أعلم بـه مني.

اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي.

قال ابن القيم في كتابه الفوائد: تنبيه:

من لم ينتفع بعينه لم ينتفـع بأذنـه. للعبد سـتـر بينه وبين الله وسـتـر بينه وبين الناس فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

للعبد رب هو ملاقيه وبيت هـو ساكنـه فينبغي له أن يسترضي ربه قبـل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة فكيف بغم العمر.

محبوب اليوم يعقب المكروه غداً ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً.

أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة.

لو نفع العلم بلا عمل لما ذَمّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب. ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذمّ المنافقين.

دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت فكرة فدافع الفكرة فإن لم تفعل صارت شهوة فحاربها فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة فإن لم تدافعها صارت فعلاً فإن لم تداركه بضده صار عادة فيصعب عليك الانتقال عنها. التقوى ثلاث مراتب إحداها حُمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات. الثانية حميتها عن المكروهات. الثالثة الحمية عن الفضول وما لا يعني. فالأولى تعطي العبد حياته والثانية تفيده صحته وقوته والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته. مَنْ خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره. ومن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات.

إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد: أحدها مشهد التوحيد وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. الثاني مشهد العدل وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه الثالث مشهد الرحمة وأن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وانتقامه ورحمته حشوه الرابع مشهد الحكمة وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاه عبثاً الخامس مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع الوجوه السادس مشهد العبودية وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه.

قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء

الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، تتولـد من المعصية والغفلة عن ذكـر الله كما يتـولد الـزرع عن الماء والإحراق عن النار وأضداد هذه تتولد عن الطاعة. انتهى.

أتى رجل مسترفد باب معن فحجبه فكتب إليه:

إذا كـان الـجـواد لـه حـجـاب　　فمـا فضـل الجـواد على البخيـل

فوقع تحته:

إذا كـان الـكـريـم قـليـل مـال　　ولـم يعـذر تـستـر بـالـحـجـاب

يروى أنه أهدى أحد الأدباء صديقاً له نوعاً من الحلوى قد فسد مـذاقها بسبب قـدمها وبعث معها ببـطاقة كتب فيهـا إني اخترت لهـذه الحلوى السكـر المدائني والزعفران الأصفهاني والعسل المرداني فأجابـه صديقـه والله ما أظن حلواك هـذه صنعت إلا قبل أن تفتـح المدائن وتبنى أصفهـان وقبل أن يـوحي ربك إلى النحل.

حكم وأمثال

لا غنى يعدل صحة البدن. ولا سرور يعدل سعة الصدر.

بين الحجر والحجرِ يدخل الوتد. وبين الشِّراء والبيع يدخل الإثم.

الرزق الواسع لمن لا يتمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر.

البلاء رديف الرخاء والأمن حليف الخوف وبعد العسر اليسر وليس صفو إلا وله كدر.

إذا أحببتَ أن يدوم حُبُّك لأحدٍ فأحسن إليه.

لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرقُ من طبعه سراً وأنت لا تعلم.

موتُ الصالح راحةٌ لنفسه. وموت الطالح راحة للناس.

ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الداء.

لا تأنس بمن استوحش منه أهله بعد أنسهم به.

الناسُ أشباهٌ في الخلق وإنما يتفاضلون في الرخاء والشدّة.

اللسانُ أسدٌ في غابةفإن أهيج افترس وإن تُرك خنس.

افهم كلَّ ما يصدُرُ عنك عند غَلَبة الغضب فإنك تستقبحه عند انصرافه.

إذا أردت أن تعرف طبقتك من الناس فانظر إلى من تُحبّه لغير علّة.

تذكّر من أي شيء كنت وإلى أين أنت صائر.

لا يُعدُّ من الأخيار من يؤذي أحداً بسبب الأمور الزائلة.

كن محباً للناس ولا تسرع الغضب فتسلط عليك عادة الجهال.

لا تؤخّر إنالة المحتاج إلى غدٍ فإنك لا تدري ما يعرض في غد.

لا تحب الفتنة فتضطر إلى البعد عن محبة الله تعالى.

من نزّل نفسه منزلة العاقل أنزله الناس منزلة الجاهل.

محادثتك من لا يعقل بمنزلة من يضع الموائد لأهل القبور.

ما أعجبَ من يطلبُ العفوَ مِمَّن هو فوقَه ويمنعُه من هو تحته.

كفاكَ موبِّخاً على الكذب علمك أنك كذاب.

ليس مع طاعة الله خوف ولا مع عصيانه أمن.

ليس بفاضلٍ مَنْ عمل الفضائلَ وهو لا يعلمُ أنها فضائل.

من تكلّف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

اجعل ما طلبت من الدنيا ولم تظفر به ولم تقدر عليه بمنزلة ما لم يخطر ببالك.

إذا كَشَفَ رجلٌ شديدةً عن حرٍّ لم تَزَل نُصبَ فكره وثابتة في خَلَدِهِ حتى يجزي عنها بأحسن منها.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار: قال عبدالله بن مسعود: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر.

وقال: ذكر أعرابي أميراً فقال: كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خائف.

وقال: وفي كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه: يا بني إن الملك والدين أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر فالدين آسٌّ والملك حارس وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع. يا بني: اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبِشْرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول.

وكان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فإن قالوا: نعم حمد الله تعالى وإن قالوا لا كتب إليه أقبل.

قال عدي بن أرطأة لإياس بن معاوية دلّني على قوم من القراء أُوَلِّهم فقال له القراء ضربان فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنُّك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منها قال: فما أصنع قال: عليك بأهل البيوتات الذي يسْتَحيون لأحسابهم فَوَلِّهم.

قال مسلم بن عمرو: ينبغي لمن خدم السلطان ألا يَغْتَرَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقل ما حملوه ولا يلحف في مسألتهم وقرأت في كتاب للهند. صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخِطار وإنما تشبّه بالجبل الوَعْر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية فالارتقاء إليه شديد والمقام به أشدّ وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف.

وفي آداب ابن المقفع: وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فإنه من يخدم السلطان بحقّه يَحُلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة.

قال رجل من النساك لآخر: إن ابتليت بأن تدخل إلى السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء فعليك بالدعاء.

وقال ابن قتيبة وسائس الناس ومدبر أمورهم يحتاج إلى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والممنوع مما يسأل بتعريفه من أين منع والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ولا يعذرون بالعذر الواضح فكيف بالعذر الملتبس وأخوك من صدقك وارتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك.

قال إبراهيم بن المنذر استشار زياد بن عبيدالله الحارثي عبيدالله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء فأشار عليه به فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه فبعث زياد إلى عبيدالله يستعين به على أبي بكر فقال أبو بكر لعبيدالله أنشدك بالله أترى لي أن ألِيَ القضاء قال: اللهم لا قال زياد: سبحان الله استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته.

قال معاوية: لقد كنت ألقَى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه عليّ ضِغناً فأستشيره فيثور إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعه حلماً حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعينني وأستنجده فيُنجدني.

وفي آداب ابن المقفع: لا يقذفن في روعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك فيقطعك ذاك عن المشاورة فإنك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألِباء أن يقال: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرأي الفرد كالخيط السّحِيل والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاثة مرار[1] لا يكاد ينتقض.

وكان يقال: من أعطي أربعاً لم يُمْنع أربعاً. من أعطي الشكر لم يُمنع

---

(١) المرار الحبل الذي أجيد فتله.

المـزيد. ومن أعـطي التوبـة لم يمنع القبـول. ومن أعطي المشـورة لم يُمنع الصواب. ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة.

قال أعرابي: ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومي قيـل: وكيف ذلك قـال: لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم. وقيل لرجل من بني عَبْس: ما أكثر صوابكم فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأنا ألف حازم.

وفي كتاب للهند: الناس حازمان وعاجز فأحـد الحازمين الـذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه وأحزم منه العارفُ بالأمـر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه. والعاجز في تردّد وتثنّ حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً. انتهى من عيون الأخبار.

حكي أن الرشيد حبس رجلاً ثم سأل عنه بعد زمن فقال للموكل بـه قل له كل يـوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسي مثله والأمـر قريب والحكم لله تعالى.

قال بعض الحكماء: اصنع الخير عند إمكانه يبوء لـك حمده عنـد زواله وأحسن والدولة لك يُحسن لك والدولة عليك واجعل زمان رخائك عدة لـزمان بلائك.

قـال أفلاطـون: خمس يذبن البـدن، قصر ذات اليـد. وفراق الأحبـة، وتجرع المغايظ، ورد النصح. وضحك ذوي الجهل بالعقلاء.

وقـال آخر: احبس لسـانك قبـل أن يطيـل حبسك أو يتلف نفسـك فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب ويسرع إلى الجواب.

ما يقال عند النوم

قـال حذيفـة رضي الله عنه كـان رسـول الله ﷺ إذا أراد أن ينـام قـال: «باسمك اللهم أمـوت وأحيى» وإذا استيقظ من منامـه قال: «الحمـد لله الذي أحيـانا بعـدما أمـاتنا وإليـه النشور» متفق عليـه وعن عائشـة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما

قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما أعلى رأسه ووجهه وما يقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات متفق عليه.
وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» متفق عليه.

وقال علي رضي الله عنه: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الثلاث الأواخر من سورة البقرة: ﴿**لله ما في السموات وما في الأرض**﴾ إلى آخر السورة.

ومن الوارد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قوله: «وإذا اضطجع فليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين» متفق عليه وفي لفظ: «إذا استيقظ أحدكم فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردّ علي روحي وأذن لي بذكره» له تبع بموضع بعده إن شاء الله تعالى.

قيل لحكيم: أي الأمور أعجل عقوبة: فقال: ظلم من لا ناصر له إلا الله ومقابلة النعمة بالتقصير. واستطالة الغني على الفقير. قيل: فمن أظلم الناس لنفسه قال: من تواضع لمن لا يكرمه ومدح من لا يعرفه. قيل: فمن أعظم الناس حلماً قال: من قمع غضبه بالصبر وجاهد هواه بالعزم. قيل: فبم يسلم الإنسان من العيوب قال: إذا جعل الشكر رائده والصبر قائده والعقل أميره والاعتصام بالتقوى ظهيره والمراقبة جليسه وذكر الزوال أنيسه.

كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول عند التعزية: عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم وإليه يعود الجازع. وقال للأشعث بن قيس إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور.

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: لم يعد المرء ما قسم له فأجملوا في الطلب فإن في القناعة سعة وكفاً عن كلفة لا تحل لكم واطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها.

قال سعيد بن المسيب مرّ بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي فقال:

رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ولا يعول في الدين إلا عليه. اللهم إني أحب طاعتك وإن قصرت فيها وأكره معصيتك وأركبتها فتفضل عليّ بالجنة وإن لم أستحقها وخلصني من النار وإن استوجبتها اللهم إني أسألك الإقبال عليك والإصغاء والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمراقبة على إرادتك والمبارزة في خدمتك وحسن الأدب في معاملتك والتسليم والتفويض إليك.

سئل بزرجمهر ما المروءة قال: ترك ما لا يعني قيل: فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل: فما الحلم قال: العفو عند المقدرة قيل: فما الشدة قال: ملك الغضب قيل: فما الخرق قال: حب مغرق وبغض مفرط.

شرف العلم وفضله لابن مشرف:

وما أحسن العلم الذي يورث التُّقى	به يُرتَقَى في المجد أعلى سَمَائِهِ
ومن لم يزدهُ العلم تُقوى لربّه	فلم يؤتَه إلا لأجل شقائه
وما العلم عند العالمين بِحَدِّه	سوى خشية الباري وحسن لقائه
ومن أعظم التقوى النصيحة إنها	من الدّين أضحت مثل أُسِّ بنائه
فلِلّه فانصح بالدُّعاء لدينه	وطاعته مع خوفه ورجائِهِ
فكُنْ تالياً آي الكتاب مداوِياً	بها كلَّ داء فهي أرْجى دوائه
فمنه ينابيعُ العلومِ تَفَجَّرت	وما فاضَ من علم فمِنْ عذبِ مائه
هُدىً وشفاء للقلوبِ ورحمةً	من الله يُشْفَى ذو العمى بشفائه
وكُنْ ناصحاً للمصطفى باتّباعه	ونُصرته مع حُبِّ أهل ولائه
ألا إن هَدْي المصطفى خير مقتفى	وكلُّ صلاح للورى في اقتفائه
فبالسُّنة الغَرَّا تمسَّكْ فإنها	هي الذُّخْر عند الله يوم لِقَائه
ومن يَتَّبِع رايات سُنة أحمد	يكنْ يوم حَشْرِ النّاس تحت لوائه

يروى أن المأمون وكل الفراء يُلَقِن ابنيه النحو فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمه فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً فقدماها وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر فرفع ذلك الخبر إليه فوجه إلى الفراء واستدعاه

فلما دخل عليه قال: من أعـز الناس قـال: ما أعـرف أعز من أميـر المؤمنين قـال: بلى. مَنْ إذا نهض تقاتـل على تقديم نعليـه وليا عهـد المسلمين حتى رضي كل واحد أن يقدم له فرداً قال: يـا أمير المؤمنين لقـد أردت منعهما عن ذلـك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكـرمة سبقـا إليها أو أكسـر نفوسهمـا عن شريعة حـرصا عليهـا. وقد روي عن ابن عبـاس أنّه أمسـك للحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ركـابيهما حين خـرجـا من عنـده فقـال لـه بعض من حضر أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهمـا فقال لـه: اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لأهـل الفضل إلا ذوو الفضـل. فقال لـه المأمـون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتـك لومـاً وعتباً وألـزمتك ذنبـاً وما وضـع ما فعـلاه من شـرفهما بـل رفع من قـدرهما وبيّن عن جـوهـرهمـا ولقـد ظهـرت لي مخيلة الفـراسة بفعلهمـا فليس يكبر الـرجل وإن كـان كبيراً عن ثـلاث عن تـواضعـه لسلطانه ووالده ومعلمه العلم وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ولـك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.

ما يقوله المستيقظ من نومه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحـان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم اغفر لي أو دعا أستجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته: أخرجه البخاري.

الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.

ما يقول من يفزع ويقلق في منامه: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون.

فيما يصنع من رأى رؤيا: قال ﷺ: «الرؤيا الصـالحة من الله فـإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بـه إلا من يحب وإن رأى ما يكـره فلا يحـدث به فليتفـل عن يساره وليتعـوذ بالله من الشيـطان الرجيم من شـر ما رأى فإنـها لن تضره.

قصة

رويَ عن الهيثم بن عدي قال: قال لي المهدي ويحك يا هيثم إن الناس يخبرون عن الأعراب شحاً ولؤماً وكرماً وسماحاً وقد اختلفوا في ذلك فما عندك فقلت: على الخبير سَقَطْتَ خرجت من عند أهلي أريد ديار فرائد لي ومعي ناقة أركبها إذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت فأدركتها ونظرت فإذا خيمة أعرابي فأتيتها فقالت ربة الخباء: من أنت فقلت: ضيف فقالت :وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة ثم قامت إلى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدَتْ فأكلَتْ ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال: من الرجل فقلت: ضيف فقال: مرحباً حياك الله فدخل الخباء وملأ قعباً من لبن ثم أتاني به وقال: اشرب شراباً هنيئاً فقال: ما أراك أكلت شيئاً وما أراها أطعمتك فقلت: لا والله فدخل إليها مغضباً وقال: ويلكِ أكلت وتركت ضيفك فقالت: وما أصنع به أطعمه طعامي وجاراها في الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها فقلت ما صنعت عافاك الله فقال: لا والله ما يبيت ضيفي جائعاً ثم جمع حطباً وأجج ناراً وأقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول: كلي لا أطعمك الله حتى إذا أصبح تركني ومضى فقعدت مغموماً فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه فقال: هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم وممّا حضره وخرجت من عنده فضمني الليل إلى خباء فسلمت فردت صاحبة الخباء السلام وقالت: من الرجل فقلت: ضيف فقالت: مرحباً بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزة روتها بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت: كل واعذر فلم ألبث أن أقبل أعرابي كريه الوجه فسلم فرددت عليه السلام فقال: من الرجل قلت: ضيف قال: وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل إلى أهله فقال: أين طعامي فقالت: أطعمته الضيف فقال: أتطعمين الضيف طعامي فتجاريا الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج إليّ فقال: ما يضحكك قلت: خير فقال: والله لتخبرني فأخبرته بقصة المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله فأقبل علي وقال: إن هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل وتلك التي عنده أختي فبت ليلتي متعجباً وانصرفت.

ويقرب من هذه الحكاية ما روي أن رجلاً من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائباً وكان الرجل مترفاً فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوجت امرأته فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته: ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرته بالقصة فقال الزوج الثاني: أنا والله ذلك المسكين الأول الذي خيبني فحوّل الله نعمته وأهله إليّ لقلة شكره انتهى القصتين من وفيات الأعيان لابن خلكان.

قول الله تعالى: **﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾** يعني فليسلم بعضكم على بعض وقال جابر بن عبدالله: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله طيبة مباركة وقال قتادة: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك وحدثنا أن الملائكة ترد عليه. وقال أنس بن مالك: أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال قال: «يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك. وسلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك، وإذا دخلت ـ يعني بيتك ـ فسلم على أهلك يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك. يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة». انتهى من تفسير ابن كثير.

كتب رجل إلى صديق له قد عرضت لي قِبَلَكَ حاجة فإن نجحت فالفاني منها حظي والباقي حظك وإن تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم لك والسلام.

ذكر ابن خلكان في ترجمة أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني قال: هذه النسبة إلى ثمانين وهي قرية من نواحي جزيرة ابني عمر عند الجبل الجودي وهي أول قرية بنيت بعد الطوفان وسميت بعدد الجماعة الذين خرجوا من السفينة مع نوح عليه السلام فإنهم كانوا ثمانين وبنى كل واحد منهم بيتاً فسميت القرية ثمانين. قال أبو بكر الشبلي جئت يوماً إلى باب الطاق فرأيت والدة تضرب ولدها فقلت لها: لهذا حرمه فقال الصبي: معارضتك بيني وبين

والدتي أشد عليّ من ضربها أرأيت أحداً يضرب ولده إلا من محبته إياه إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة. قال الشبلي فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة.

لغز في مائدة

حاجيت كل فطن نظار ... ما اسم لأنثى من بني النجار

وفي كتاب الله جاء ذكرها ... فقلما يغفل عنها القاري

في خبر المهدي فاطلبها تجد ... إن كنت من مطالعي الأخبار

ما هي إلا العيد عيد رحمة ... ونعمة ساطعة الأنوار

يشركها في الاسم وصف حسن ... من وصف قضب الروضة المعطار

فهاكها كالشمس في وقت الضحى ... قد شق عنها حجب الأستار

نبذة من كتاب نفح الطيب:

قال الشاعر أحمد بن فرج في وصف رمان أُهدي له من النوع السفري:

ولابسة صدفاً أحمراً ... أَتَتْك وقد مُلئت جوهرا

كأنك فاتح حقّ لطيف ... تضمّن مرجانَهُ الأحمرا

حُبُوبا كمثلِ لثاتِ الحبيب ... رُضاباً إذا شئتَ أو منظرا

وللسّفر تُعزى وما سافرت ... فتشكو النّوى أو تقاسي السّرى

بلى فارقَتْ أيكَها ناعما ... رَطِيباً وأغصانَها نُضَّرا

وجاءتك مُعتاضة إذ أتتك ... بأكرم من عودها عُنْصُرا

بعودٍ ترى فيه ماء النّدى ... ويُورِقُ من قبل أن يُثمرا

هدية مَنْ لو غدت نفسه ... هدّيته ظنَّه قصّرا

وحكي أن الأمير عزالدين موسك بعث إلى الشيخ الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه:

قُلْ للأمير مقالة ... من ناصح فطنٍ نبيه

إنّ الفقيه إذا أتى ... أبوابكم لا خير فيه

ومن فوائد القاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى قوله: قال

علماء الحديث: ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نَضْرة لقول النبي ﷺ: «نَضّر الله أمرأً سمع مقالتي فوَعاها فأداها كما سمعها» الحديث. قال: وهذا دعاء منه عليه الصلاة والسلام لحملة علمه ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته. من ترجمة الفقيه أبو بكر بن الوليد الطرطوشي دخل مرة على الأفضل ابن أمير الجيوش فوعظه وقال له: إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك إنّما صار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك بمثل ما صار إليك فاتّق الله فيما خولك من هذه الأمّة فإن الله عز وجل سائلك عن النقير والقطمير والفتيل واعلم أن الله عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها فسخّر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخّر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عزّ من قائل: ﴿**هَذَا عَطَاؤُنا فَامْنُنْ أو أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ فما عد ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال: ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي لِيَبْلُوَني أأشكُر أمْ أكْفُر**﴾ فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم. وقال أبو الحسن علي بن موسى العنسي عندما ورد الديار المصرية:

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى	ما بينها وجهاً لمن أدريه
عَوْدي على بَدْئي ضلّا بينهم	حتى كأني من بقايا التّيه
وَيْحَ الغريب توحشت ألحاظه	في عالم ليسوا له بشبيه
إن عاد لي وطني اعترفت بحقه	إن التغرب ضاع عمري فيه

* * *

انتهى من نفح الطيب

حكم ومواعظ

إن عليك من الله عيناً تراك حيث حللت فانظر على أي حال تكون حين يراك الله. ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت. الفضيحة في الدنيا أهون من الفضيحة على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

عَنَتِ الدنيا لطالبها ... واستراح الزاهدُ الفطنُ
كلُّ مَلْكٍ نال زُخرفها ... حَسْبُه مما حوى كفن
يقتني مالاً ويتركه ... في كلا الحالين مفتتن
أمَلى كوني على ثقة ... من لقاء الله مرتهن
أكره الدنيا وكيف بها ... والذي تسخو به وسن
لم تدم قَبلي على أحد ... فلما ذا الهمُّ والحزن

* * *

غيره:

فدع الصبايا قلب واسل عن الهوى ... ما فيك بعد مشيبك استمتاع
وانظر إلى الدنيا بعين مودّع ... فلقد دنا سَفَرٌ وحان وداع
والحادثاتُ موكَّلاتٌ بالفتى ... والناس بعد الحادثات سماع

يروى أن رجلاً لقي يحيى بن أكثم وهو يومئذ على القضاء فقال: أصلح الله القاضي كم آكل قال: فوق الجوع ودون الشبع. فقال: فكم أضحك قال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك. قال: فكم أبكي قال: لا تملَّ من البكاء من خشية الله تعالى. قال: فكم أخفي عملي قال: ما استطعت. قال: فكم أظهر منه قال: مقدار ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس.

وقال الكاتب يحيى بن خلدون:

هذا الصَّباح وقد لاحت بشائره ... والليلَ ودَّعنَا توديعَ مرتحلِ
لله عشرمن الساعات باهرةٍ ... مضين لا عن قلى منا ولا ملل
كذا تمرُّ ليالي العمر راحلةً ... عنّا ونحن من الآمال في شُغُل
نُمسي ونصبحُ في لهو نُسرُّ به ... جهلاً وذلك يُدْنينا من الأجل
والعمر يمضي ولا ندري فواأسفاً ... عليه إذ مرّ في الآثام والزلل
يا ليت شعري غداً كيف الخلاصُ به ... ولم نقدِّمْ لَه شيئاً من العمل
يا ربّ عَفوك عما قد جَنَتْه يدي ... فليس لي بجزاء الذنب من قِبَلِ

* * *

نبذة نقلاً من كتاب (المصون) لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري.

قال يحيى بن خالد أحسن بيت انتظم وصف الدنيا:

حُتُـوفُهـا رصَـدٌ وعـيشـهـا رنـقٌ   وكـدّهـا نـكـدٌ ومـلكـهـا دُول

قال زياد بن منقذ أخي المرار:

لا حَبَـذا أنتِ يـا صنعـاءُ من بلد   ولا شَعُـوبُ هَـوىً منـا ولا نُـقُمُ
ولا أُحبّ بـلاداً قـد رأيتُ بـهـا   عَـنْسـاً ولا بـلداً حلّت بـه قـدمُ
وحبّـذا حين تُمسي الـريـح بـاردةً   وادي أُشَـيّ وفـتـيـان بـه هُـضُـم
مُخـدّمـون كـرامٌ في مجـالسـهم   وفي الـرِّحـال إذا صـاحبتَهم خدمُ
كـم فيـهم مـن فتـى حلوٍ شـمـائلُه   جَمّ الـرّمـاد إذا مـا أخمدَ البـرمُ
غمـرِ النـدى لا يبيت الحقّ يَثْمُـده   إلاَّ غَـدَا وهو سـامي الـطرف يبتسمُ
إلى المكـارم يبنيـهـا ويَعْـمـرهـا   حتّى ينـالَ أمـوراً دونهـا قُـحَـمُ
يـا رَوقُ إنّي وما حـجّ الحجيـحُ لـه   ومـا أهـلَّ بجنبي نَـخلة الـحُـرمُ
لم ألقَ بعـدهُمُ حيّـاً فـأخبـرهـم   إلاّ يـزيـدُهـم حبّـاً إلـى هُـمُ

وقال عيسى بن أوس العبدي يمدح الجنيد بن عبدالرحمٰن المُرّيّ.

إلى مُستنيـر الـوجـه طـال بسؤددٍ   تَقَـاصَـرَ عنـه الشـاهقُ المتـطاولُ
إذا سُئـل المعـروفَ أشـرقَ وجهُـه   سُـروراً فلم تكبُـر عليـه المسائـلُ
إذا راح فـوج بـالغنى من نـوالـه   أنـاخ بـه فـوج من النـاس نـازل
عفـافُك معـروفٌ وعقلكَ كـامـلٌ   ورأيـك لا وانٍ ولا مـتـواكـلُ
وحـزمـكَ معلومٌ وجَـدُّك صـاعـد   كـذاك جـدودُ النـاس عـال وسـافـلُ
مـدحتُـك بـالحقِّ الـذي أنت أهلُه   ومن مِـدَح الأقـوام حقٌّ وبـاطـلُ

* * *

قال أبو عبيدالله وزير المهدي من فصل لـه نخوةُ الشـرف تناسب نخـوة الغنى والصبر على حقوق الثـروة أشدّ من الصبـر على ألم الحاجـة وذلّ الفقر يسعى على عزة الصبر. وجور الولايـة مانـع من عدل الإنصـاف إلا من ناسَبَ بُعدَ الهمة وكان لسلطانه قوة على شهواته.

ودخل أعرابي بدوي إلى أبي عبيدالله فقـال له: أيهـا الشيخ السيـد إني

والله أتسحب على كرمك وأستوطىء فراش مجدك وأستعين على نعمك بقَدْرك وقد مضَى لي وعدان فاجعل النجح ثالثاً أَقُدْ لك الشك وافِيَ العُرْف شادخ الغُرّة بادي الأوضاح. فقال أبو عبيدالله: ما وعدتك تغريراً ولا أخرتك تقصيراً ولكن الأشغال تقطعني وتأخذ أوفر الحظ مني وأنا أبلغ جهد الكفاية ومنتهى الوسع بأوفر ما يكون وأحمده عاقبة وأقربه أمداً. فقال الأعرابي: يا جلساء الصِّدق قد أحظرني التطوّل فهل من مُعينٍ منجد أو مساعد مُنشِد فقال بعضُ كتابه لأبي عبيدالله والله أصلحك الله ما قصد حتى أمَّلَكْ وما أمَّلَكْ حتى أجال النظر وأمن الخطر وأيقن بالظفر فحقق أمله بتهيئة التعجل فإن الشاعر يقول:

إذا ما اجتلاه المجد عن وعد آمل تبلَّج عن نجح ليستكمل الشكرا
ولم يَثْنِه مطل العدات عن التي يجوز بها الحمد الموفر والأجرا

فأمر أبو عبيدالله بإحضار جائزته فقال الأعرابي للفتى: خذها فأنت سَبَبُها فقال الفتى: شكرك أحبّ إليّ منها فقال أبو عبيدالله للأعرابي: خذها فقد أمرت للكاتب بمثلها فقال الأعرابي: الآن كمّلت النعمة وتمّمت المنة أحسن الله جزاك وأدام نعماك.

عن الزبير بن بكار قال: خرج الفضل بن يحيى يريد سفراً فودّعه أهله مكتئبين لفرقته فقال: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

لما دنا البينُ بينُ الحيّ واقتسموا حبل النوى فهو في أيديهم قطعُ
جادت بأدمعها سلمى وأعجزني قرب الفراق فما أُبقي ولا أدعُ
يا قلب ويحك لا سلمى بذي سلم ولا الزمان الذي قد فات مرتجعُ
أكلما مرّ ركب لا تلائمهم ولا يبالون أن يشتاق من فجعوا
علّقتني بهوى منهم فقد جعلَتْ من الفراق حصاةُ القلب تنصدعُ

قال أكثم بن صيفي: من نال رتبة فتاة عندها فقد أظهر أنه نال فوق ما يستحق.

من كلام يحيى بن خالد البرمكي. (لَا) لكرام أرجى من (نَعَمْ) للئام لأن لا للكرام ربما كانت من غضب وإبّان سآمة يحسن بها العاقبة ونعم للّئام تصدر عن تصنّعٍ وفساد نية وقبح مآل.

قال دعبل:

وداعُك مثل وداع الحياة ... وفقدُك مثل افتقاد الدّيمْ
عليك السَّلام فكم من وفاء ... أُفارقُ منك وكم من كَرَمْ

لمّا اشتدَّ بحصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وجعهُ من طعنة أصابته دعا ولده فقال: الموت أهون ما أجد فأيكم يطيعني فيما آمره به فقالوا: كلّنا مطيع فبدأ بأكبرهم فقال: قم فخذ سيفي فاطعن حيث آمرك به فقال: يا أبتاه هل يقتل المرء أباه فأتى على القوم فكلهم يقول نحوه حتى انتهى إلى عيينة بن حصن فقال: يا أبتاه أليس لك فيما تأمرني راحة ولي بذلك طاعة وهو هواك قال: بلى فقم فخذ سيفي فضعه حيث آمرك ولا تعجل فقام فأخذ السيف فوضعه على قلبه فقال مرني يا أبتاه كيف أصنع فقال: ألق السيف إنما أردت أن أعلم أيكم أمضى لما آمره به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي ثم قال:

ولّوا عيينة من بعدي أموركمُ ... واستيقنوا أنّه بعدي لكم حامي
إمّا هلكتُ فإني قد بنيتُ لكم ... عِزّ الحياة بما قدمت قدامي
حتّى اعتقدت لوَا قومي فقمتُ به ... ثم ارتحلت إلى الجفْنيّ بالشام
لما قضى ما قضى من حقّ زائره ... عجت المطيّ إلى النعمان من عامي
فابنُوا ولا تهدموا فالناس كلّهم ... من بين بان إلى العُليا وهدام
والدّهر آخره شبه لأوّله ... قوم كقوم وأيام كأيام

ثم أصبح فدعا بني بدر فقال: لوائي ورياستي لعيينة.

قال العتبي: قال زياد: إني رأيت خلالاً ثلاثاً نَبَذْتُ إليكم فيهن النصيحة رأيت إعظام ذَوي الشَّرف وإجلال ذوي العلم وتوقير ذَوِي الأسنان والله لا أوتَى بوضيع لم يعرف لشريف شرفه إلا عاقبته له. ولا يأتيني كهلٌ بحدثٍ لم يعرف له فضل سنه على حداثته إلا عاقبته له. ولا يأتيني عالم عاقل بجاهل لم يعرف له فضل علمه على جهله إلا عاقبته له. فإنما الناس بعلمائهم وأعلامهم وذوي أسنانهم. ثم تمثل:

تُهدَى الأمور بأهل الرأي ما صَلَحت فـإن تـولّت فبـالأشـرار تـنـقـادُ
لا يصلُح الناس فوضى لا سراةَ لهم ولا سَـراةَ إذا جُـهـالـهـم سـادوا

جمع قس بن ساعدة ولده فقال: إن المعا تكفيه البقلة وترويه المذقة ومن عيّرك شيئاً ففيه مثله ومن ظلمك وجد من يظلمه ومتى عدلت على نفسك عدل عليك من فوقك وإذا نهيت عن شيء فانْهَ نفسك ولا تجمع ما لا تأكل ولا تأكل ما لا تحتاج إليه وإذا ادخرت فلا يكوننَّ كنزل إلا فِعْلَك وكن عفَّ العَيْلة مشترك الغني تسد قومك ولا تشاورنّ مشغولاً وإن كان حازماً ولا جائعاً وإن كان فهماً ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً ولا تضعَنَّ في عنقك طوقاً لا يمكنك نزعه إلا بشق نفسك وإذا خاصمت فاعدل وإذا قلتَ فاقتصد ولا تستودعنَّ أحداً دِينَك وإن قربت قرابتُه فإنك إذا فعلت ذلك لم تزل وجلاً وكان المستَودَع بالخيار في الوفاء والغدر وكنت له عبداً ما بقيت وإن جنى عليك كنت أولى بذلك وإن وفى كان الممدوح دونك.

قال أبو العيناء رأيت ابن عائشة نصف النهار في يوم شديد الحرّ راكباً على حمار وبين يديه غلامان يعدوان فقلت له: أفي هذا الوقت فقال: نعم:

حقـوق لإخـوان أريـد قضـاءهـا كـأنـي مـا لم أقـضـهـن مـريض

قال محمد بن زكريا كنا عند ابن عائشة فأتاه كتاب ابنه من بغداد يشكو أنه أخفق مما أمل وكان في آخر كتابه. يا أبة:

أنـا فـي الـخـان أُودّي كـلّ يـوم درهـمـيـن
وأرانـي عـن قـلـيـل لابسـاً خُـفّـي حُـنـيـن

فقال ابن عائشة لا يَدَعُ ابني ظرفه

وذُكر عند العباس بن الحسن أحد جلسائه فقال: هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل وإدراك الأمل ونيل الأماني.

قال الأحنف: ثلاثة مجالس لا عيب على الرجل أن يجلسها. انتظار الجنازة، وانتظار إذن السلطان، وطلب العلم، وثلاثة لا عيب على الرجل فيهن: أن يخدم أباه. وضيفه وفرسه.

قال سهل بن هارون لرجل عزاه: إنّه لن تبعد مصيبةٌ أن تحل محلّ نعمة إذا سُلّم لأمر الله فيها. ولن تَبعُد نعمة أن تحل محل مصيبة إذا ضُيّع شكر الله عليها.

أخذ أبو تمام معنى هذا فقال:

حتّى كأنّ عدوّهم من صبرهم ... وجلالهم حَسِبَ المصيبة أنعُما

ووصف سهل بن هارون رجلاً فقال: لم أر أحسن فهماً لجليل ولا أحسن تفهُّماً لدقيق منه.

قال يعقوب بن جعفر: لما دخل الرشيد منبج قال لعبدالملك (بن صالح) أهذا البلد منزلك قال: هو لك ولي بك قال: كيف بناؤك به قال: دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم قال: فكيف صفة مدينتك هذه قال: عذبة الماء طيّبة الهواء. قليلة الأدواء قال: كيف ليلها قال: سحر كله قال: صدقت إنا لطيبة قال: لك طابت وبك كملت وأين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة سمراء وشجرة خضراء فَيافِ فيح بين قيصوم وشيح فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام أحسن من الدر المنظوم.

قال دعبل:

أما آن أن يعتب المذنب ... ويرضى المسيء ولا يغضبُ
وغول اللّجاجة غرّارة ... تجدُّ وتحسبها تلعبُ
أبعد الصَّفاء ومحض الإخاء ... يقيم الجفاء بنا يخطب
وقد كان مشربنا صافياً ... زماناً فقد كدر المشرب
وكنّا نزعنا إلى مذهب ... فسيح فضاق بنا المذهب
ومن ذ المؤاتي له دهرُه ... ومن ذا الذي عاش لا ينكب
فإن كنت تعجب مما ترى ... فما سَترى بعده أعجب
فَعُودُكَ من خُدع مورقٌ ... وواديك من علل مخصب
فإن كنت تحسبني جاهلاً ... فأنت الأحق بما تحسب
فلا تك كالراكب السّبع كي ... يهاب وأنت له أهيب
ستُنشِب نفسك أنشوطةً ... وأعزِزْ عليّ بما تنشب

وتحملها في اتباع الهوى ... على آلة ظهرها أحدب
فأبصر لنفسك كيف النزو ... ل في الأرض عن ظهر ما تركب
ولو كنتُ أملك عنك الدّفا ... ع دفعتُ ولكنّني أُغلب

كان العباس بن الحسن يقول: ما رأيت أصفى من وصل بعد هجران ولا أخلص من مِقَةٍ بعد شنآن ولقد جربت ذلك وقلت:

ولم أر أبقى من وِصالِ مراجع ... إلى الود من بعد القِلى والتقاطع
فإنّ إخاء البدء تعفو رسومُه ... ولا تُخلِق الأيامُ ودَّ المراجع

وسئل العباس عن جليس له فقال لجَلِيسُه لطيب عشرته أُطربُ من الإبل على الحداء ومن الثمل على الغناء. أسرّ العباس إلى أحدهم سراً فلما قام من عنده صاح: يا أبا محمد أوكِ وعاءك وعمّ طريقك. ومن كلام إبراهيم بن العباس إذا كان للمُحسِن من الثواب ما يُقنِعه وللمسيء من العذاب ما يقمعه ازداد المحسنُ من الثواب في الإحسان رغبة وانقاد المسيء للحق رهبة.

انتهى ما اخترنا نقله من كتاب (المصون).

فوائد من تفسير شيخنا عبدالرحمٰن بن سِعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**التّائبون العابدون الحامدون السّائحون الراكعون السّاجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين**﴾ كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنة ونيل الكرامات فقال: هم ﴿**التائبون**﴾ أي الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات ﴿**العابدون**﴾ أي المتصفون بالعبودية لله والاستمرار على طاعته من آداء الواجبات والمستحبات في كل وقت فبذلك يكون العبد من العابدين ﴿**الحامدون**﴾ لله في السراء والضراء واليسر والعسر المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار ﴿**السائحون**﴾ فسرت السياحة بالصيام أو السياحة في طلب العلم وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته والإنابة

إليه على الدوام والصحيح: أن المراد بالسياحة السفر في القربات كالحج والعمرة والجهاد وطلب العلم وصلة الأقارب ونحو ذلك ﴿**الراكعون الساجدون**﴾ أي المكثرون من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود ﴿**الآمرون بالمعروف**﴾ ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام وما لا يدخل الملازمون لها فعلاً وتركاً ﴿**وبشر المؤمنين**﴾ لم يذكر ما يبشرهم به ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة فالبشارة متناولة لكل مؤمن وأمّا مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين وإيمانهم قوة وضعفاً وعملاً بمقتضاه.

فائدة

من قوله رحمه الله تعالى في الفتاوى قوله في حديث الوسوسة: «ذلك صريح الإيمان والحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» وذلك أن ما يقع في القلب من وساوس الشيطان أو إلقائه إذا كان منافياً لما أخبر الله به ورسوله فإن المؤمن لا يستريب في خبر الله ورسوله وما دل عليه من المعاني والعقائد. والشيطان لا بد أن يلقي من الشبهات والشكوك ما يتوصل به إلى حصول مراده ولكن ما مع المؤمن من الإيمان واليقين ينفي ذلك ويكرهه أشد الكراهة فلا يزال يكرهه ويدفعه حتى يستقر الإيمان في القلب صافياً من الأكدار سالماً من الشبهات فهذا صريح الإيمان الذي نفى الشبهات والشكوك والحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة فلم يدرك من المؤمن إلا مجرد وساوس لا قرار لها ولا ثبوت بل نفيها وكراهتها يزداد به المؤمن إيماناً والموقن إيقاناً فالاستعاذة منه من باب دفع الشر والمكروه والصائل والرجوع إلى الإيمان بالله ورسوله والاعتراف بوحدانيته وصفاته من باب الرجوع إلى الأصل الثابت الذي يدفع بذاته وقوته كل شك وشبهة والاستعاذة فيها الاستعانة بالله على دفعه والرجوع إلى الإيمان فيه الرجوع إلى فضله ورحمته وهذا من أعظم الأسباب على الإطلاق في دفع هذه الشبهة التي من أعظم الشبهات بل هذا

يدفع كل شبهة على الحق فمتى تحقق العبد الحق وعلمه علماً لا يستريب فيه علم أن كل ما ناقضه فهو باطل ولا يتم ذلك إلا بالاستعانة بالله وتوفيقه والله المستعان على حصول الخير ودفع الشر. انتهى.

قيل: إن الربيع بن سليمان اجتاز يوماً بمصر فَطُرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئاً فقيل له: ألا تزجرهم فقال: من استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح.

من كتاب وفيات الأعيان قال دعبل: من فضل الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه الناس إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له أحسنت والله فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى. وذكر المحقق لطبعة (دار صادر) أن ياقوت المستعصمي الخطاط المشهور قال وهو ممن يضرب به المثل في حسن الخط ويقال: كان إذا وقف عليه الفقير وسأله كتب له حرفاً واحداً ودفعه إليه فيبيعه بما يريد.

وذكر ابن خلكان في ترجمة ابن البواب الكاتب المشهور قال: لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتَبَ مثله ولا قاربه وإن كان أبو علي ابن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه أيضاً في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة وقيل: إن صاحب الخط المنسوب المشهور ليس أبا علي المذكور وإنما هو أخوه أبو عبدالله الحسن. ولما شاهد أبو عبيد البكري الأندلسي صاحب التصانيف خط ابن مقلة أنشد:

خط ابن مقلة من أرعاه مُقلَتَهُ ... ودّت جوارحه لو أصبحت مُقلاً

انتهى من نفح الطيب.

من شعر الحافظ أبو بكر بن عطية:

أيُّها المطرودُ من باب الرضى ... كم يراكَ الله تلهو مُعرضاً
كم إلى كم أنتَ في جهلِ الصِّبا ... قد مضى عُمر الصِّبا وانقرضا
قم إذا الليلُ دَجَت ظُلمتُهُ ... واستلذَّ الجفنُ أن يغتمضا

فضـعِ الخـدَّ على الأرضِ ونُـحْ　　واقـرع السِّنَّ على مـا قـد مضى

وقوله:

لا تَجْعَلَنْ رمضـان شهـرَ فكـاهـةٍ　　تُلهيـك فيـه من القبيـح فنُـونُـه
واعْلَمْ بـأنـك لا تنـالُ قبـولَـهُ　　حتى تكـون تصـومُـه وتـصـونُـهُ

ومن شعر الحكيم الطبيب عبد المنعم الغساني:

خَبَرتُ بني عصري على البسط والقبض　　وكـاشفتهم كشف الطبـائع بـالنبض
فـأنتـج لي فيهم قيـاسي تخـلِّيـاً　　عن الكلّ إذ هم آفة الوقت والعِرض
ألازمُ كسـر البيت خِـلواً وإن يكـن　　خروجٌ ففرداً ملصقَ الطَّرف بالأرض
أرى الشخص من بُعدٍ فأغضي تغافلاً　　كمشـدوهِ بـال في مهمتـه يَمضي
ويَحْسبني في غـلفـة وفِـراسَتي　　على الفور من لمحي بما قد نوى تقضي
أجـانبُهم سلمـاً لـيسلم جـانبي　　وليس لحقـد في النفـوس ولا بُغض
تخلَّيتُ عن قـومي ولـو كـان مكني　　تخلَّيتُ عن بَعْضي ليسلم لي بعضِي

* * *

وله:

قـالـوا نـراكَ عن الأكـابـر تُعْـرضُ　　وسـواك زوار لـهـم مُـتَـعـرّضُ
قـلتُ الـزيـارة للزمـان إضـاعـةٌ　　وإذا مضى زمـنٌ فـمـا يـتـعـوَّضُ
إن كـان لي يـومـاً إليهم حـاجـةٌ　　فبِقـدر مـا ضمنَ القضـاءُ تُـقَيّض

* * *

وقال محمد بن علي الشامي الأندلسي في سكنى المدينة:

إذا كـنتُ جـاراً لـلنبي وصـحبـه　　ومـكـة بيـتُ الله منّي على قُـرْبِ
فمـا ضـرّني أن فـاتني رَغْـدُ عيشـة　　وَحَسْبي الـذي أُتيتُه نعمـةً حسبي

* * *

وقال أحد المغاربة: متشوقاً إلى وطنه:

أحِنُّ إلى الخضراء في كـل مـوطن　　حَـنيـنَ مَشـوقٍ لـلعنـاق ولـلضـمّ
ومـا ذاكَ إلا أنَّ جسمي رضيعُهـا　　ولا بُـدَّ من شـوقِ الـرضيع إلى الأمّ

وقال محمد بن سعدوي في حبس اللسان:

سَجْنُ اللسان هو السلامة للفتى ... من كل نازلة لها استئصالُ
إنّ اللسان إذا حللتَ عِقاله ... ألقاك في شَنْعاء ليس تُقالُ

* * *

يحكى أن رجلاً من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوماً: يا أبي ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت في مجانبتها سلمت من نقدهم فقال: يا بني إنك غرّ لم تجرب الأمور وإن رضى الناس غاية لا تدرك وأنا أوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا أتبعك ماشياً فبينما هما كذلك إذ قال رجل انظر ما أقل أدب هذا الغلام يركب ويمشي أبوه وانظر ما أشد تخلُّف والده لكونه يتركه لهذا فقال له: انزل أركب أنا وامش أنت خلفي فقال شخص آخر: انظر هذا الشخص ما أقلّه بشفقة ركب وترك ابنه يمشي. فقال له: اركب معي فقال شخص: أشقاهما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان في واحد منهما كفاية. فقال له انزل بنا وقدّما الحمار وليس عليه راكب فقال شخص: لا خفف الله تعالى عنهما انظر كيف تركا الحمار فارغاً وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بني: سمعت كلامهم وعلمت أن أحداً لا يسلم من اعتراض الناس على أي حالة كان. انتهى.

وقال أبو جعفر ابن الذهبي فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء:

أيُّها الفاضلُ الذي قد هداني ... نحوَ من قد حمدتهُ باختبار
شكر الله ما أتيتَ وجازا ... ك ولا زلتَ نجم هَدْي لساري
أيُّ برقٍ أفاد أيَّ غمام ... وصباح أدّى لضوء نهار
وإذا ما النسيمُ كان دليلي ... لم يُحلني إلاَّ على الأزهار

وقال أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلي يتهكم برجل زعم أنه ينال الخلافة:

أميرَ المؤمنين نداءَ شيخ ... أفادك من نصائحه اللطيفَهْ
تحفَّظ أن يكونَ الجذعُ يوماً ... سريراً من أسرتك المنيفة

أفكّـر فيـكَ مـطويّـاً فـأبكـي   وتُضحكني أمـانيـكَ السخيفـة

لما مرض الفقيه الزاهـد إبراهيم الالبيـري دخل عليـه الوزيـر هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال: لـو اتخذت غيـر هذا المسكن لكـان أولى بك فقـال وهو آخر شعر قاله:

قـالـوا ألا تَـسـتَـجيـدُ بـيـتـاً   تـعـجبُ مـن حسنـه الـبـيـوتْ
فـقـلـتُ مـا ذلـكـم صـوابـاً   عُشّ كـثـيـر لِـمَـنْ يـمـوتْ
لـولا شـتـاء ولَـفـحُ قَـيْظ   وخـوفُ لص وحـفظُ قـوتْ
ونـسـوةٌ يَـبْـتَـغِـيـنَ سـتـراً   بـنـيـتُ بـنـيـان عـنـكـبـوتْ

حكي أن الوزير أبا الوليد ابن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنهـا وقف للناس عند مُنصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل: إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحـد. قال الصَّفَـدي وهذا من التـوسع في العبـارة والقدرة على التفنن في أسـاليب الكلام وهـو أمر صعب إلى الغـايـة. انتهى من نفـح الطيب.

فوائد

من كتاب بهجة قلوب الأبرار لشيخنا عبـدالرحمٰن بن سعـدي رحمه الله تعالى:

الحديث الثالث: عن تميم الداري رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «الدين النصيحة الدين النصيحة الـدين النصيحة» قـالوا: لمن يـا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابـه ولرسـوله ولأئمـة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم كـرر النبي ﷺ هذه الكلمة اهتماماً للمقـام وإرشاداً لـلأمّة أن يعلمـوا حق العلم أن الدين كله ظاهره وباطنه منحصر في النصيحة وهي القيام التـام بهذه الحقـوق الخمسة. فالنصيحـة لله الاعتراف بـوحدانيـة الله وتفرده بصفـات الكمال على وجه لا يشاركه فيها مشـارك بوجـه من الوجـوه والقيام بعبـوديته ظـاهراً وبـاطناً والإنـابة إليـه كل وقت بـالعبوديـة والطلب رغبـة ورهبة مـع التوبـة والاستغفار الدائم. لأن العبد لا بـد له من التقصيـر في شيء من واجبات الله أو التجـرؤ

على بعض المحرمات. وبالتوبة الملازمة والاستغفار الدائم ينجبر نقصه ويتم عمله وقوله.

وأما النصيحة لكتاب الله فبحفظه وتدبره وتعلم ألفاظه ومعانيه والاجتهاد في العمل به في نفسه وفي غيره.

وأما النصيحة للرسول فهي الإيمان به ومحبته وتقديمه فيها على النفس والمال والولد واتباعه في أصول الدين وفروعه وتقديم قوله على قول كل أحد والاجتهاد في الاهتداء بهديه والنصر لدينه.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاتهم من الإمام الأعظم إلى الأمراء والقضاة إلى جميع من لهم ولاية عامة أو خاصة فباعتقاد ولايتهم والسمع والطاعة لهم وحث الناس على ذلك وبذل ما يستطيعه من إرشادهم وتنبيههم إلى كل ما ينفعهم وينفع الناس وإلى القيام بواجبهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فبأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويسعى في ذلك بحسب الإمكان فإن من أحب شيئاً سعى له واجتهد في تحقيقه وتكميله. فالنبي ﷺ فسر النصيحة بهذه الأمور الخمسة التي تشمل القيام بحقوق الله وحقوق كتابه وحقوق رسوله وحقوق جميع المسلمين على اختلاف أحوالهم وطبقاتهم فشمل ذلك الدين كله ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط والله أعلم.

الحديث الخامس: عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله: قُل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم فهذا الرجل طلب من النبي ﷺ كلاماً جامعاً للخير نافعاً موصلاً صاحبه إلى الفلاح. فأمره النبي ﷺ بالإيمان بالله الذي يشمل ما يجب اعتقاده من عقائد الإيمان وأصوله وما يتبع ذلك من أعمال القلوب والانقياد والاستسلام لله باطناً وظاهراً ثم الدوام على ذلك والاستقامة عليه إلى الممات وهو نظير قوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾ فرتب على الإيمان والاستقامة السلامة من جميع الشرور وحصول الجنة

وجميع المحاب. وقد دلت نصوص الكتاب والسنة الكثيرة على أن الإيمان يشمل ما في القلوب من العقائد الصحيحة وأعمال القلوب من الرغبة في الخير والرهبة من الشر وإرادة الخير وكراهة الشر ومن أعمال الجوارح ولا يتم ذلك إلا بالثبات عليه.

الحديث السادس: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» متفق عليه وزاد الترمذي والنسائي: «والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وزاد البيهقي: «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» ذكر في هذا الحديث كمال هذه الأسماء الجليلة التي رتب الله ورسوله عليها سعادة الدنيا والآخرة وهي الإسلام والإيمان والهجرة والجهاد وذكر حدودها بكلام جامع شامل وأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. وذلك أن الإسلام الحقيقي هو الاستسلام لله وتكميل عبوديته والقيام بحقوقه وحقوق المسلمين ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شر لسانه وشر يده فإنّ هذا أصل هذا الفرض الذي عليه للمسلمين فمن لم يَسلم المسلمون من لسانه ويده كيف يكون قائماً بالفرض الذي عليه لإخوانه المسلمين فسلامتهم من شره القولي والفعلي عنوان على كمال إسلامه وفسر المؤمن بأنه الذي يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم فإن الإيمان إذا دار في القلب وامتلأ به أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي من أهمها رعاية الأمانات والصدق في المعاملات والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه وأمنوه على دمائهم وأموالهم ووثقوا به لما يعلمون منه من مراعات الأمانات فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان كما قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له».

وفسر ﷺ الهجرة التي هي فرض عين على كل مسلم بأنها هجرة الذنوب والمعاصي وهذا الفرض لا يسقط عن كل مكلف في كل حال من أحواله فإن الله حرّم على عباده انتهاك المحرمات والإقدام على المعاصي. والهجرة الخاصة التي هي الانتقال من بلد الكفر أو البدع إلى بلد الإسلام

والسنة جزء من هذه الهجرة وليست واجبة على كل أحد وإنما تجب بوجود أسبابها المعروفة. وفسر المجاهد بأنه الذي جاهد نفسه على طاعة الله فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات أمّارة بالسوء سريعة التأثر عند المصائب وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله وثباتها عليها ومجاهدتها عن معاصي الله وردعها عنها وجهادها على الصبر عند المصائب وهذه هي الطاعات امتثال المأمور واجتناب المحظور والصبر على المقدور فالمجاهد حقيقة من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها ومن أشرف هذا النوع وأجلّه مجاهدتها على قتال الأعداء ومجاهدتهم بالقول والفعل فإن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الدين فهذا الحديث من قام بما دل عليه فقد قام بالدين كله من سلم المسلمون من لسانه ويده وأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وهجر ما نهى الله عنه وجاهد نفسه على طاعة الله فإنه لم يبق من الخير الديني والدنيوي الظاهري والباطني شيئاً إلا فعله ولا من الشر شيئاً إلا تركه والله الموفق وحده.

من كلام أبو القاسم الإسكافي.

الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من ذكره كلام. ولم يستمنح بأحسن من صنعه مرام. للزمان صروف تحول. وأمور تجول. الأخلاق تنميها الأعراق. والثمار تنزعها الأشجار. الشكر به ذكاء النعمى. والوفاء معه صلاح العقبى. السعيد من تحلى بزينة الطاعة. واقتدح بزند الجماعة. العامة لا تفقه حقائق المذاهب. ولا تعرف عواقب التألب والتجارب. لا يشوقنك غرارة الصبا. ولا يروقنك زخرف المنى. استعذ بالله من نزغات الشيطان. ونزقات الشبان. من خَلاَ لَـهُ الجو باض وصفر. ومن تراخى له الليث نزا وطفر. المخذول يرفع رأساً ناكساً. ويبل فماً يابساً.

ذكر ابن خلكان في ترجمة جعفر بن يحيى البرمكي. قال: ومن أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان بن عبدالرحمٰن الهاشمي قال: دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة بَـرْزَةً في ثياب رَثّة فقالت لي والدتي: أتعرف هذه قلت: لا قالت: هذه أم جعفر

البرمكي فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زماناً ثم قلت: يا أمة ما أعجب ما رأيت فقالت: لقد أتى علي يا بني عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وإني لأعدّ ابني عاقاً لي ولقد أتى علي يا بني هذا العيد وما مُناي إلا جلدا شاتين أفترش أحدهما وألْتَحِفُ الآخر قال: فدفعت إليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحاً بها ولم تزل تختلف إلينا حتى فرق الموت بيننا.

وقيل إن امرأة قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية فقال بشاراً: ما علمتِ أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان فقالت: أما قولك فحسن في السمع فمن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع فكان بشار يقول: ما أفحمني إلا هذه المرأة.

قال ابن دراج القسطلي في وصف وداعة لزوجته وولده الصغير من قصيدة:

ولما تدانت للوداع وقد هفا	بصَبْريَ منها أنّة وزَفيرُ
تُناشدني عهد المودة والهوى	وفي المهد مَبْغُوم النداء صغير
عَيّي بمرجوع الخطاب ولحظه	بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنُوع القلوب ومُهّددت	له أذرعٌ محفوفةٌ ونحور
فكلٍ مفدّاة الترائب مرضع	وكل محيّاة المحاسن ظير
عَصيتُ شفيع النفس فيه وقادني	رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناحُ البين بي وهَفَت بها	جوانحُ من ذُعر الفراق تطير
لئن ودّعت مني غيوراً فإنني	على عزمتي من شجوها لغيور
ولو شاهدتني والهواجر تلتظي	عليّ ورقراقُ السَّراب يمورُ
أُسلّط حر الهاجرات إذا سطا	على حُرّ وجهي والأصيل هجير
وأستنشقُ النكباء وهي لوافحٌ	وأستوطن الرمضاء وهي تغور
وللموتِ في عين الجبان تلوُّن	وللذُّعر في سمع الجريء صَفيرُ
لَبانَ لها أني من البين جازع	وأني على مضّ الخُطوب صَبورُ
أميرٌ على غول التّنائف ماله	إذا رِيع إلا المشرفيَّ وَزير

ولو بصُرت بي والسُّرى جُلُّ عزمتي وجَرْسي لجنّان الفلاة سمير
وأعتسف المومُاة في غسق الدُّجى وللأسْد في غِيل الغياضِ زَئير
وقد حوّمت زهر النُّجوم كأنها كواكبُ في خُضر الحَدائق حُور
ودارتْ نجومُ القطب حتى كأنها كؤوسُ مهاً[1]والى بهن مُدير
وقد خَيّلَتْ طرق المجرة أنها على مفرق الليل البهيم قتير[2]
وثاقبُ عَزمي والظلامُ مُروّعٌ وقد غضَّ أجفانَ النجوم فُتور
لقد أيقَنتْ أن المنى طَوعُ همّتي وأني بعَطف العامريّ جَدير

وذكر ابنه خلكان في ترجمة حاتم الأصم. قال: لما قدم بغداد ذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل وسلم عليه وقال بعد بشاشته به أخبرني يا حاتم فيمَ أتخلص من الناس قال: يا أبا عبدالله في ثلاث خصال: قال: وما هي قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً. قال: وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً. قال: وتحمل مكروههم ولا تُكره واحداً منهم على شيء قال: فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال: يا حاتم إنها لشديدة فقال له حاتم: وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم.

قيل لحاتم: من أين تأكل فقال: ﴿**ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون**﴾ وقال حاتم: لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني بها فقلت: يا سيدي[3] قضيتَ عليّ أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين أنا لك وملكك فبينما أنا أخاطب سيدي والتركي قاعد على صدري آخذ بلحيتي إذ رماه المسلمون بسهم فما أخطأ حلقه فسقط عني فقمت أنا إليه وأخذت السكين من يده وذبحته فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.

---

(١) المها البلور.

(٢) القثير الشيب.

(٣) ينادي الرب سبحانه وتعالى.

وذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسه: ائتني بمحدث من المسجد فأتاه بسبرة بن الجعد فدخل وسلَّم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج: ممن الرجل قال: من بني شيبان قال: ما اسمك قال: سبرة بن الجعد قال: يا سبرة قرأت القرآن قال: قد جمعتُه في صدري فإن عملتُ به فقد حفظته وإن خالفته فقد ضيعته فاتخذه الحجاج سميراً.

فائدة

من مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِين كَفَرُوا منْ بَنِي إسرائيل على لِسَانِ دَاوُد وعِيسَى ابنِ مَريَم ذَلكَ بِمَا عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدون * كانُوا لاَ يَتَنَاهون عَنْ مُنكر فَعَلوهُ لَبِئْسَ مَا كانُوا يَفْعَلون * ترى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتولّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمتْ لَهُم أنفُسُهم أن سَخِطَ الله عَلَيْهِم وفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدون * وَلَوْ كانُوا يُؤْمِنونَ بالله وَالنَّبِيّ وَمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَا اتَّخَذوهُمْ أَوْلِيَاءَ ولكنَّ كَثِيراً مِنْهم فَاسِقُون**﴾ يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه قال ابن عباس: لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالى: ﴿**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوه فقال: ﴿**لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ وقال الإمام أحمد عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوبهم بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ﴿**ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً» وقال أبو داود عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه

لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم﴾** إلى قوله: **﴿فاسقون﴾** ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو تقصرنه على الحق قصراً.

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»[1] وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»[2] وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم وقال ﷺ: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة»[3] وعن النبي ﷺ قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»[4] وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال: «ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه» فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[5] وعن أنس بن مالك قال: قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم» قلنا يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا قال: «الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم

(١) رواه أحمد والترمذي.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه أبو داود.
(٥) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

والعلم في رذالكم» قال زيد: تفسير معنى قول النبي ﷺ والعلم في رذالكم إذا كان العلم في الفساق[1] وقوله تعالى: ﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ قال مجاهد: يعني بذلك المنافقين وقوله: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ يعني بذلك موالاتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم ولهذا قال: ﴿أن سخط الله عليهم﴾ وفسر بذلك ما ذمهم به ثم أخبر عنهم أنهم ﴿في العذاب خالدون﴾ يعني يوم القيامة وقوله تعالى: **﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾** أي لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا من موالاة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه: **﴿ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾** أي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحيه وتنزيله. انتهى.

يروى من دعاء الأعراب:

قال أبو حاتم أملى علينا أعرابي يقال له مرثد دعاء طويل (منه ما يلي) اللهم أعني على الموت وكربته. وعلى القبر وغمته. وعلى الميزان وخفته. وعلى الصراط وزلته. وعلى يوم القيامة وروعته. اغفر لي مغفرة واسعة. لا تغادر ذنباً. ولا تدع كرباً. اغفر لي جميع ما افترضتَ عليّ ولم أؤده إليك. اغفر لي جميع ما تبت إليك منه ثم عدت فيه. يا ربّ تظاهرت علي منك النّعم وتداركت عندك منّي الذنوب فلك الحمد على النّعم التي تظاهرت وأستغفرك للذنوب التي تداركت وأمسيت عن عذابي غنيّاً. وأصبحتُ إلى رحمتك فقيراً. اللهم إني أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل. اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي. اللهم اجعلني من الذين إذا أعطيتهم شكروا. وإذا ابتليتهم صبروا. وإذا ذكّرتهم ذكروا واجعل لي قلباً توّاباً أوّاباً. لا فاجراً ولا مرتاباً. اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا. وإذا أساؤوا استغفروا. اللهم لا تحقق علي العذاب ولا تقطع بي الأسباب. واحفظني في كل ما تحيط به شفقتي. وتأتي من ورائه سبحتي. وتعجز عنه قوّتي أدعوك

(١) رواه ابن ماجه.

دعـاء ضعيف عمله. متظاهـرة ذنوبـه اللهم لا تُخيّبني وأنا أرجـوك ولا تعذبني وأنا أدعوك.

دعاء أبو الـزهراء الأعـرابي لما حضـرته الـوفاة بـالكوفـة بعيداً عن أهله وولده: اللهم إني جان مقترف وهائب معترف لا أدّعي براءة ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي وتجاوزك عني اللهم إنك كتبت عليّ في الدنيـا التعب والنّصب وكان في قضائك وسابق عِلمك قبض رُوحي في غير أهلي وولدي اللهم فبدّل لي التّعب والنّصب رَوحـاً وريحانـاً وجنة نعيم إنـك مُفضل كـريم.

يروى من كلام الجاحظ في مكاتباته.

أما بعد فكفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الأيام عظة وبأخلاق من عـاشرت معرفة وبذكرك المـوت زاجراً. وقـال: أما بعـد فإن احتمـال الصبر على لَـذْع الغضب أهون من إطفائـه بالشتم والقـذع وقال: أمـا بعد فـإن أهل النّـظر في العواقب أولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرىء إلا استغـرقت الدنيـا هِمّتـهُ وَمَن فرّغ لـطلب الآخرة شُغله جعـل الأيام مـطايا عمله والآخـرة مقيـل مـرتحله. وقال: أمـا بعد فـإن الاهتمام بـالدنيـا غير زائـد في الرّزق والأجـل والاستغناء غير ناقص للمقادير وقال: أما بعد فـإنّ أنظر النـاس في العاقبـة من لَطُفَ حتى كفّ حرب عدوه بالصَّفح والتجاوز واستل حقده بـالرفق والتحبب. وقال: أما بعد فما أقبـح الأحدوثـة من مُستمنح حـرمته. وطـالب حاجـة رددتَه ومُثابر حجبَته. ومنبسط إليك قبضتَه. ومُقبل إليك بعنانـه لويتَ عنـه فتثبّت في ذلك. ولا تُطِع كل حَلّاف مهين همّاز مشاء بنميم. وقـال في استنجـاز وعــد: أما بعد فقد رَسفنا في قيود مواعيـدك وطال مُقـامنا في سُجـون مَطلك فـأطلِقنا أبقاك الله من ضِيقها وشديد غمها. بِنَعَمْ منك مثمـرة أو لا مريحة. وقال: أمـا بعد فإن شجرة مواعيدك قد أورقت فليكن ثمـرها سـالماً من جـوائح المـطل. وقال: أما بعد فإنه لا عوض من إخائك ولا خَلف من حسن رأيك وقد انتقمت مني في زلّتي بجفائك فأطلق أسير تشوقي إلى لقائك.

يـروى أن الهيثم بن صالـح قـال لابنـه: يـا بني إذا أقللت من الكـلام أكثرت من الصواب قال: يا أبت فـإن أنا أكثـرت وأكثرت يعني كـلاماً صـواباً

قال: يا بني ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك. وكتب إبراهيم بن المهدي إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فإن ذلك العناء الأكبر وعليك بما سهل من تجنبك الألفاظ السفل.

يروى أن امرأة جاءت إلى عمر رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها: نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعباً فقال يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته إياها عن فراشه فقال له: كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب: عليّ بزوجها فأحضر فقال له: إن هذه المرأة تشكوك قال: أفي أمر طعام أم شراب قال: بل في أمر مباعدتك إياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول:

يا أيها القاضي الحكيم أنشده ... ألهى خليلي عن فراشه مسجده
نهاره وليله لا يرقده ... فلست في أمر النساء أحمده

فأنشأ الزوج يقول:

زهدني في فرشها وفي الحلل ... أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي:

إن لها عليك حقاً لم يزل ... في أربع تصيبها لمن عقل
فعاطها إذاك ودع عنك العلل

ثم قال إن الله تعالى يحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من أيكم أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة. انتهى من المستطرف والله أعلم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت عند النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت

على أن تنفعك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لـك ولو اجتمعت على أن يضـروك بشيء لم يضـروك إلا بشيء قـد كتبـه الله عليـك رفعـت الأقـلام وجفت الصحف.

فوائد

قال الله تعالى مبشـراً للصـادقين ﴿هـذا يوم ينفـع الصادقين صـدقهم﴾ وقـال تعالى: ﴿والصـادقين والصادقـات﴾ فمدحهم وبين لهم الأجـر العـظيم ويروى عن عمر رضي الله عنه قال: عليك بالصـدق وإن قتلك وما أحسن مـا قيل في ذلك:

عـليـك بـالـصـدق ولـو أنـه أحـرقـك الصـدق بنار الـوعيـد
وابـغ رضـا المـولى فـأغبى الـورى من أسخط المـولى وأرضى العبيـد

ويروى أن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ بم يعرف المؤمن قال: «بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه» وقيل: لكل شيء حلية وحلية النطق الصدق وقيل: الصدق عمود الدين وركن الأدب وأصل المروءة فلا تتم هـذه الثلاثـة إلا به. وقـال المهلب بن أبي صفـرة مـا السيف الصـارم في يـد الشجاع بأعز له من الصدق. وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال: الصـلاة فـإن الوقت لا ينتـظرك والرب لا يعـذرك فأمـر بحبسه فـأتاه قـومه وزعمـوا أنه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال: إن أقرّ بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفـا عنه لصـدقه: أما الكذب فقد ذمه الله سبحانه وتعالى وتوعد عليه في عدة مواضع من القرآن وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجـور يهدي إلى النار وتحـروا الصدق فـإن الصدق يهـدي إلى البرّ والبـر يهدي إلى الجنة» ويقال: رأس المـأثم الكذب وعمـود الكذب البهتـان وقيل: أمـران لا ينفكـان من الكذب كثرة المواعيـد وشدة الاعتـذار ونقل عن الحسن في قـولـه تعالى: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ وهي لكل واصف كـذب إلى يوم القيـامة وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله: وقـال الشاعر:

لا يكـذب المـرء إلا من مهـانتـه　　أو فـعله الـسـوء أو مـن قـلة الأدب
لبعض جيفـة كـلب خيـر رائـحـة　　من كـذبة المـرء في جدّ وفي لعب

ويستثنى من الكذب إذا كان لإصلاح ذات البين فيجوز والله أعلم.

فائدة

ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقال رضي الله عنه تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها.

وقيل: لو لم يكن من معرفة النسب إلا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي ألا ترى إلى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ فأبقوا عليه لرهطه.

فائدة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: سبحان الله العظيم وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم. أخرجهما الترمذي.

يروى عن أبي عبدالله النميري أنه قال: كنت يوماً مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فإذا بجارية عربية وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها. لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون: يا جارية من أي العرب أنت قالت: أنا من بني كلاب قال: وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت: والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت: يا فتى من أي الناس أنت فقال أو عندك علم

بالأنساب قالت: نعم قال لها: أنا من مضر الحمراء قالت: من أي مضر قال: من أكرمها نسباً وأعظمها حسباً وخيرها أماً وأباً ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال: أنا من كنانة قالت: فمن أي كنانة قال: من أكرمها مولداً وأشرفها محتداً وأطولها في المكرمات يداً ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت: إذن أنت من قريش قال: أنا من قريش قالت: من أي قريش قال: من أجملها ذكراً وأعظمها فخراً ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت: أنت والله من بني هاشم قال: أنا من بني هاشم قالت: من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الأرض وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال: فعجب المأمون وطرب طرباً عظيماً وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسروراً وهي والدة ولده العباس والله أعلم.

فائدة

عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأل خادماً فلم تجده ووجدت عائشة رضي الله عنها فأخبرتها قال علي: فجاءنا النبي ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فإنه خير لكما من خادم» قال علي: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ قيل له: ولا ليلة صفين قال: ولا ليلة صفين. وقد قيل: أنه من حافظ على التسبيح والتحميد والتكبير عند نومه لم يصبه إعياء فيما يعانيه من عمل ونحوه.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك وألجأت ظهري إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت من ليلتك مت على

الفطرة واجعلهن آخر ما تقول» متفق عليه.

انتهى من الكلم الطيب لابن تيمية.

لغز في دملج:

إلى النساء يلتجي　　وعندهن يوجد
الجسم منه فضة　　والقلب منه جلمد

في القلم:

ثلاثة أحياء يجرون ميت　　والميت يحكي والأحياء سكوت

في سلم:

ما اسم مركب مفيد الوضع　　مستعمل في الوصل لا في القطع
ينصب لكن أكثر استعمال من　　يعني به في الخفض أو في الرفع
هو إذا خففته مغيراً　　تراه شملاً لم يزل ذا صدع
فالاسم إن طلبته تجده في　　خامسة من الطوال السبع
وهو إذا صحفته يعرب عن　　مكسر في غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل　　آثاره محمودة في الشرع
هما جميعاً من بني النجار والأفـ　　ـضل أصل في حنين الجذع
فهاكه قد سطعت أنواره　　لا سيما لكل ذاكي الطبع

في البجع:

ما طائر في قلبه　　يلوح للناس عجب
منقاره في بطنه　　والعين منه في الذنب

من شعر الأمير محمد الصنعاني:

القلب أعلم يا عذول بدائه　　ما غير داء الذنب من أدوائه
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى　　وأحق منك بجفنه وبمائه
فَوَمْن أُحبُّ لأعصينّ عواذلي　　قسماً به في أرضه وسمائه
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى　　إن الملامة فيه من أعدائه
فَوَحقّ من خاف الفؤادُ وعيدَه　　ورجا مثوبته وحسن جزائه

مـا كنتُ ممن يـرتضي حسنَ الثنـا ... بـديـع نـظمي في مـديـح سـوائـه
من ذا الـذي بسط البسيـطة للورى ... فـرشـاً وتـوَّجهـا بسقف سمـائـه
من ذا الـذي جعـل النجـوم ثـواقبـاً ... يهـدي بهـا السـارين في ظلمـائـه
من ذا أتى بـالشمس في أفق السمـا ... تجـري بتـقـديـر على أرجـائـه
أسـواه سـوَّاهـا ضيـاء نـافعـاً ... لا والـذي رفـع السمـا ببنـائـه
من أطلع القمـر المنيـر إذا دجى ... ليـلٌ فشـابـه صبحـه بضيـائـه
من طـوّل الأيـامَ عنـد مصيـفهـا ... وأتت قصـاراً عنـد فصـل شتـائـه
من ذا الـذي خلق الخـلائق كلهـا ... وكـفى الـجميـع ببـرِّهِ وعـطـائـه
وأدرَّ للطفـل الـرضيـع معـاشـه ... مـن أمـه يمتص طيـب غـذائـه
يـا ويـح من يعصي الإلـه وقد رأى ... إحـسـانـه بـنـوالـه ونـدائـه
ورأى مسـاكن من عصى ممن خـلا ... خِلْواً تصيـح البـومُ فـي أرجـائـه
ودع الجبـابـرة الأكـاسـرة الألـى ... وانـظر لمن شـاهـدت في علوائـه
كم شـاهـدت عينـاك من ملك غـدا ... يـختـال بـين جيـوشـه ولـوائـه
مـلأت لـه الـدنيـا كؤوسـاً حلوة ... وسـقتـه مُـرَّ السّـم فـي حـلوائـه
مـا طلق الـدنيـا اختيـاراً إنـمـا ... هـي طـلقـتـه ومـتـعـتـه بـدائـه
جعلت لـه الأكفـان كسـوة عـدّة ... والـلحـد سكـنـاه وبيت بـلائـه
ويـضمـه لا مـشفـقـاً فـي ضمـه ... حتى تكـون حشـاه في أحشـائـه
وهـنـاك يـغـلق لـحـده عـن أهـله ... بـحـجـارة وبـطيـنـة وبـمـائـه
ويـزوره الملكـان قـصـد سؤالـه ... عـن دينـه لا عـن سؤال سـوائـه
فـإذا أجـاب بمـا يـطيب فحبـذا ... مـا بـعـده من رَوْحِـه وجـزائـه
وإذا أجـاب بـلسـتُ أدري أقبـلا ... ضـربـاً لـه في وجهـه وقفـائـه
ويـرى منـازلـه بـقـعـر جـهـنـم ... ويُـقيـم في ضيق لـطول عنـائـه
يـا ربّ ثـبتـنـا بـقـول ثـابـت ... عنـد امتحـان العبـد تحت ثـرائـه
أنـا مـؤمـن بـالله ثـم بـرسْـلِه ... وبكُـتْـبـه وبـبـعـثـه ولـقـائـه
ثم الصـلاة على الـرسـول محمـد ... والآل أهـل البيت أهـل كسـائـه

* * *

عجيبة من كتاب المستطرف. قال: حكي في الإحياء أن شخصاً كان له

بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فمرّ عليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه: يا أبت لا تندبها فإن المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها. (الثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظنّ أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته أنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلمّ شوكه فيقبض على مرّاق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى. ومن لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فمه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلاً حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج. ومن العجيب في قسمته الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع.(القنفذ) وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فإن كان له أفراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به إلى أولاده وهو مولع بأكل الأفاعي فإذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه وإذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول أذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنه كالرجل.(الفأرة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبي ﷺ انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت.

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: **﴿وَقدْ نزّل عَليكم في الكتابِ أن إذا سَمِعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقْعُدوا معهم حتّى يخوضُوا في حديث غيره إنّكم إذا مثلُهم إنّ الله جامع المنافِقين والكافرين في جهنّم جميعاً﴾** أي وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي

﴿**أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها**﴾ أي يستهان بها وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها وهذا هو المقصود بإنزالها وهو الذي خلق الله الخلق لأجله فضد الإيمان الكفر بها وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم. وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على الحق ولا تستلزم إلا صدقاً بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه وتُقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معه﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾أي غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها﴿إنكم إذاً﴾ أي إن قعدتم معهم في الحال المذكور﴿مثلهم﴾لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم والراضي بالمعصية كالفاعل لها.

والحاصل أنّ من حضر مجلساً يُعصى الله فيه فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة أو القيام مع عدمها ﴿**إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً**﴾ كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع المنافقين مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم**﴾ إلى آخر الآيات ثم ذكر تعالى تحقيق مولاة المنافقين للكافرين ومعاداتهم للمؤمنين فقال: ﴿**الَّذين يتربَّصونَ بِكم فإن كانَ لكم فَتْحُ من الله قالُوا ألمْ نكن مَعَكُم وإنْ كان لِلكافرين نصيبٌ قالوا: ألَم نستحوذْ عليكم ونَمنَعكم من المؤمنين فالله يَحْكُم بينكم يوم القِيامَةِ ولن يَجعل الله للكافرين عَلَى المؤمِنين سَبِيلاً**﴾ قوله تعالى: ﴿**الذين يتربصون بكم**﴾ أي ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها وتنتهون إليها من خير أو شر قد أعدوا لكل حالة جواباً بحسب نفاقهم ﴿**فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم**﴾ فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ليسلموا من القدح والطعن عليهم وليشركوهم في الغنيمة والفيء ولينتصروا بهم ﴿**وإن كان للكافرين نصيب**﴾ ولم يقل فتح لأنه لا يحصل لهم فتح يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر

حكمة من الله فإذا كان ذلك **﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾** أي نستولي عليكم **﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾** أي يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع في تنفيرهم وتزهيدهم في القتال ومظاهرة الأعداء عليهم وغير ذلك مما هو معروف منهم **﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾** فيجازي المؤمنين ظاهراً وباطناً بالجنة ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** أي تسلطاً واستيلاءً عليهم بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين ودفع تسليط الكافرين ما هو مشهود بالعيان حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة قد بقوا محترمين لا يتعرضون ولا يكونون مستصغرين عندهم بل لهم العز التام من الله فلله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً. انتهى.

فائدة

من الأحكام التي شرعها الإسلام التأذين في أذن المولود اليمنى والإقامة في الأذن اليسرى حين الولادة حتى يكون أول ما يقرع سمعه كلمات النداء المتضمنة لتوحيد الله وكبريائه وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام.

يروى من فكاهات الأعراب:

قال رجل لأعرابي ما يسرني لو بتُّ ضيفاً لك فقال له الأعرابي: لو بتَّ ضيفاً لي لأصبحتَ أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة.

مرّ أعرابي بقوم من الكتبة في منتزه لهم وهم يأكلون فسلم ثم وضع يده يأكل معهم فقالوا: أعرفت فينا أحداً قال: بلى عرفت هذا وأشار إلى الطعام فقال بعض الكتاب يَصِف أكله لم أر مثل سرطه ومطه قال الثاني: وأكله دجاجة ببطه. قال الثالث: ولفه رُقَاقة بإقطه. قال الرابع: كأن جالينوس تحت إبطه فقالوا للرابع: أما الذي وصفنا من فعله فمعلوم فما يَصْنع جالينوس من

تحت إبطه قال: يلقِمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة يهضم بها طعامه.

وقال أعرابي في امرأة ترجو بعلاً:

قالت سُليمى ليت لي بعلاً بمن يغسل رأسي ويُسليني الحزن
وحاجة ليس لها عندي ثمن مشهورة قضاؤها منه وهن
قالت جواري الحي يا سلمى وإن كان فقيراً معدماً قلت وإن

من صفة الكتّاب: قال بعض المهالبة لولده تَزَيَّوا بِزيِّ الكتَّاب فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السّوقة. وقال إبراهيم بن محمد الكاتب: من كمال آل الكِتابة أن يكون الكاتب نقيّ الملبس نظيف المجلس ظاهر المروءة عَطِر الرائحة دقيق الذّهن صادق الحِسّ حسن البيان رقيق حواشي اللسان حُلو الإشارة مَليحَ الاستعارة. وقال بعض الشعراء:

عليك بكاتب لَبِقٍ رَشيقٍ زكيّ في شمائله حرارَة
تناجيه بطرفك من بعيد فيفهم رجع لحظك بالإشارة

فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال وانتظمت فيه هذه الخصال فهو الكاتب البليغ والأديب النَّحرير وإن قصَّرت به آلة من هذه الآلات وقعدت به أداةٌ من هذه الأدوات فهو منقوص الجمال منكسف الحِس مبخوس النصيب.

ومن صفات الكاتب: لا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره وأفضل الكتّاب ما كان في أول كتابه دليل على حاجته كما أنّ أفضل الأبيات ما دلّ أوّل البيت على قافيته فلا تُطيلن صدر كتابك إطالة تخرجه عن حده ولا تقصّر به دون حده فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك. وقيل للشعبي: أي شيء تعرف به عقل الرجل قال: إذا كتب فأجاد. بلغني أن صديقاً لكلثوم العتابي أتاه يوماً فقال له: اصنع لي رسالة فاستعد مدة ثم علق القلم فقال له صاحبه: ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك فقال له العتابي: إني لما تناولت القلم تداعت عليّ المعاني من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجتني لك أحسنها.

وقال سهل بن هارون الكتابة أوّل زينة الدنيا التي إليها يتناهَى الفضل وعندها تقف الرغبة. وقال أيضاً: القلم لسان الضمير إذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره. وقالوا: حسن الخط يناضل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكن له درك البغية. وقال آخر: الخط الرديء زمانة الأديب. قال بعض الكتاب عطّروا دفاتر آدابكم بجيّد الحبر فإن الأدب غواني والحبر غوالي. ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له:

لا تجزعنّ من المداد فإنه ... عِطر الرجال وحلية الكتاب

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جيّد:

ما رقعة جاءتك مثنية ... كأنها خدّ على خَدّ
نشر سواد في بياض كما ... ذُرّ فتيت المسك في الورد
ساهمة الأسطر مصروفة ... عن جهة الهزل إلى الجد
يا كاتباً أسلمني عتبه ... إليك حسبي منك ما عندي

قال ابن القيم في بدائع الفوائد: وأكثر المعاصي إنما توكدها من فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات.

في صحبة السلطان:

قالوا: علِّم السلطان وكأنك تتعلم منه وأشر عليه وكأنك تستشيره وإذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فإياك والدخول بينه وبين بطانته فإنك لا تدري متى يتغير منك فيكونوا عوناً عليك وإياك أن تعادي من إذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الأمثال القديمة احذروا زمارة المخدة.

يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: إذا هِبْتَ أمراً فقع فيه فإن شراً

توقيه أعظم مما تخاف منه. وقال رضي الله عنه: الغـوغاء إذا اجتمعـوا ضروا وإذا افترقوا نفعوا فقيل: قد علمنا مضـرة اجتماعهم فمـا منفعة افتـراقهم قال: يرجع أهل المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البنّاء إلى بنائه والنساج إلى مسجـه والخباز إلى مخبـزه. وقال بعض السلف لا تسبـوا الغوغـاء فإنهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الأحنف: ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا.

قال أبو العتاهية:

لأمـر مـا خلقت فمـا الغـرور ... لأمـر مـا تحـث بـك الشهـور
ألست تـرى الخـطوب لهـا رواح ... عليـك بصـرفهـا لـهـا بكـور
أتـدري مـا ينـوبـك في الليـالي ... ومـركبك الجمـوح هـو العثـور
كـأنـك لا تـرى في كـل وجـه ... رحـى الـجِـدثـان دائـرة تـدور
ألا تـأتي القبـور صبـاح يـوم ... فتسمـع مـا تُـخبـرك القبـور
فـإن سكـونهـا خـرس تُنـاجي ... كـأن بـطون غـايتهـا ظـهـور
فيـا لـك رقـدة من غـب كـأس ... لـشـاربهـا بِـلىً ولـه نـشـور
لعمـرك مـا ينـال الفضـل إلا ... تقي القـلب مُحتسب صبـور
أُخـيَّ أمـا تـرى دنيـاك داراً ... تمـوج بـأهلهـا ولـهـا بحـور
فـلا تنس الـوقـار إذا استـخفّـ م ... الحجى حدث يطيش له الوقور
وربَّ محـرك لـك في سكـون ... كـأن لسـانـه السبـع العقـور
لبغي النـاس بينـهم دبيـب ... تضـايق عـن وسـاوسـه الصـدور
أعـيـذك أن تـسـر بـعيش دار ... قـليـلاً مـا يـدوم لـهـا سـرور
بـدار مـا تـزال لـسـاكنيهـا ... تُهتّـك، عن فضـائحهـا الستـور
ألا إن اليـقـيـن عـليـه نـور ... وإن الـشـك لـيس عـليـه نـور
وأن الله لا يـبـقـى سـواه ... وإن تـك مـذنبـاً فهـو الغفـور
وكـم عـاينـت من ملك عـزيـز ... تخلى الأهـل عنـه وهم حضـور
وكم عاينـت مستـلبـاً عـزيـزاً ... تـكشـف عـن حـلائـله الخـدور
ودميت الخـدود عليـه لطمـاً ... وعـصبـت المعـاصـم والنحـور
ألـم تـر إنمـا الـدنيـا حـطام ... وأن جـميـع مـا فيـهـا غـرور

تابع ما تقدم ذكره من الأدعية الواردة عند النوم.

عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) ثلاث مرات أخرجه أبي داود وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك وألجأت ظهري إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول» متفق عليه.

ما يقوله المستيقظ من نومه:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» أخرجه البخاري.

وورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أحيا وأموت» وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» رواه البخاري.

فائدة

من كتاب روح الدين الإسلامي جعل القرآن فئات من الناس أحق بالإحسان من غيرهم وأولهم الوالدان لما لهم من الفضل العظيم على الإنسان ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى الإحسان إليهما فقد حدد كيفية معاملتهما بما يكشف لنا أروع مثل من السمو الخلقي قال الله تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا**

تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ أول ما يطالعنا من هذا النص القرآني أن الله قرن الإحسان لهما بعبادته ثم فصل ما يجب من الإحسان إليهما وخصوصاً عندما يصل الوالدان أو أحدهما إلى حال الضعف أو العجز في آخر العمر وأمر بأن يتبع معهما أموراً خمسة هي غاية ما يصدر عن الإنسان من المعاملة الحسنة.

أولاً: ألا يتأفف من شيء يراه من أحدهما أو منهما.

ثانياً: أن لا ينغص عليهما بكلام يزجرهما به.

ثالثاً: أن يقول لهما قولاً حسناً طيباً مقروناً بالاحترام والتعظيم.

رابعاً: أن يتواضع لهما تواضعاً مقروناً بالرحمة وقد مثل كيفية هذا التواضع بحال الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه لتربيته فإنه يخفض له جناحه بحنو.

خامساً: أن يدعو الله أن يرحمهما برحمته الباقية والدعاء يدل على إخلاص وعرفان بالجميل للمدعو له.

قيل لعمر بن الأهتم من أشجع الناس قال: من ردَّ جهله حلمُه. وقال سفيان: ما تقلد امرؤ قلادة أحسن من حلم فهو محمود عاجله وآجله.

وقال شاعر:

لن يدرك المجد أقوام ذوو كرم ... حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
وَيُشْتَموا فترى الألوان مسفرة ... لا خوفَ ذلٍّ ولكن فضل أحلام

دفع أردشير بن بابك ثلاثة كتب إلى رجل يقوم على رأسه وقال له إذا رأيتني قد غضبت فادفع إليّ الأول فإن لم أندم فالثاني ثم الثالث وكان في الأول أمسك فلست بإله وإنما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضه بعضاً. وفي الثاني: ارحم عباد الله يرحمك الله. وفي الثالث: احمل عباد الله على حقه.

بايع رجل آخر على أن يُغضب الأحنف. فجاءه فخطب إليه أمه فقال: لسنا نردك انتقاصاً بحسبك ولا قلة رغبة في مصاهرتك ولكنها امرأة قد علا سنها. وأنت تحتاج إلى امرأة ودود ولود تأخذ من خلقك وتستمد من أدبك. ارجع إلى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني.

قيل: من غضب قائماً فقعد سكن غضبه وإن كان قاعداً فاضطجع سكن. والعجم تقول من غضب فليستلق. قال أبو بكر بن عبدالله اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم. وقيل: اذكر قدرة الله إذا غضبت قال الله تعالى: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**[1] فقيل الطيف من الشيطان حر الغضب.

أمر محمد بن سليمان برجلٍ أن يُطرح من القصر كان قد غضب عليه فقال الرجل: اتق الله فقال: خلوا سبيله فإني كرهت أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾**.

روي أن إبليس لعنه الله قال: مهما أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب لأنه ينقاد لي فيما أبتغيه ويعمل ما أريده وأبتغيه.

وقيل: من فاته الدين والمروءة فرأس ماله الغضب.

---

(١) قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية. أي: أي وقت وفي أي حال **﴿ينزغك من الشيطان نزغ﴾** أي تحس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير أو حث على الشر وإيعاز به **﴿فاستعذ بالله﴾** أي التجىء واعتصم بالله واحتم بحماه **﴿إنه سميع﴾** لما تقول **﴿عليم﴾** بنيتك وضعفك وقوة التجائك له فسيحميك من فتنته ويقيك من وسوسته كما قال تعالى **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** إلى آخر السورة ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان الذي لا يزال مرابطاً ينتظر غرته وغفلته ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين وأن المتقي إذا أحس بذنب ومسه طائف من الشيطان فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب تذكر من أي باب أُتِيَ ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه وتذكر ما أوجب الله عليه. وما عليه من لوازم الإيمان فأبصر واستغفر الله تعالى واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة فرد شيطانه خاسئاً حسيراً قد أفسد عليه كل ما أدركه منه. وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم فإنهم إذا وقعوا في الذنوب لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبا بعد ذنب ولا يقصرون عن ذلك فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء لأنها طمعت فيهم حين رأتهم سلسي القياد لها وهم لا يقصرون عن فعل الشر.

قال حكيم: إياك وعزة الغضب فإنها تصير بك إلى ذلك الاعتذار.

قيل أسرع الناس رضاً أسرعهم غضباً. كالحطب أسرعه خموداً أسرعه وقوداً. وكان بعض الناس يقول: أعوذ بك من غضب من لا يكاد يغضب وأعوذ بك من غضب امرأة قادرة. وذي قوة قاهرة.

وقال محمود الوراق:

دار الصديقَ إذا استشاط تغضُّباً ... فالغيض يُخرجُ كامنَ الأحقادِ
ولربما كانَ التغضُّب باحثاً ... لمثالبِ الآباء والأجدادِ

وقال شاعر:

لا تُرجعن إلى السفيه خطابه ... إلا جوابَ تحية حياكها
فمتى تحركُه تحرك جيفةً ... تزداد نتناً ما أردت حراكها

قال المهلب إذا سمع أحدكم العوراء فليطأطىء لها تتخطاه.

وقيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي. لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة. ولذة التشفي يتبعها غم الندامة.

وقيل للإسكندر: أي شيء أنت به أسر مما ملكت قال: مكافأة من أحسن إليّ بأكثر من إحسانه وعفوي عمن أساء بعدْ قدرتي عليه.

وظفر ببعض الملوك فقال له: ما أصنع بك قال: ما يجمل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا فخلى سبيله ورده إلى مملكته.

وقال بعض الملوك: إنما نملك الأجساد دون النيات ونحكم بالعدل لا بالهوى ونفحص عن الأعمال لا عن السرائر. وقيل: لا تعتد بما لم تسمعه أذناك فإن السيد إذا حضر هيب. وإذا غاب اغتيب.

وقال البحتري:

إذا عدوك لم يظهر عداوَتَه ... فما يضرك أن عاداك إسرارا

قال كلثوم بن عمرو لصديق له أنكر ذنباً إما أن تقر بذنبك فيكون إقرارك

حجة لنا في العفو وإلا فطب نفساً بالانتصار منك. فإن الشاعر يقول:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان

وقال الشعبي لابن بسرة وقد كلمه في قوم حبسهم: إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم وإن حبستهم بحق فالعفو يسعهم. فأمر بإطلاقهم.

قال هاشمي للمأمون: من حصل له مثل دالتي. ولبس ثوب حرمتي. ومتّ بمثل قرابتي. وأسلف مثل مودتي. أقيل له أعظم من عثرتي. وغفر له فوق زلتي. فقال: صدقت وعفا عنه.

أتي معن بن زائد بأسرى فأمر بضرب أعناقهم فقام غلام منهم فقال: أنشدك الله أيها الأمير أن لا تقتلنا ونحن عطاش فقال: اسقوهم فلما شربوا قال: ناشدتك الله إن قتلت ضيفانك قال: أحسنت فخلى سبيلهم.

أتي مخرق بنساء فطلبن أن يعفو عنهن فأبى فقالت امرأة منهن: أطال الله سهادك وأخمد رمادك فما قتلت إلا نساء أعلاهن ندي وأسفلهن دماء. ما أدركت من قتلنا ثأراً. ولا محوت عن نفسك به عاراً فأمر بتخلية سبيلهن.

وقف رجل على الحجاج فقال: أصلح الله الأمير جنى جان في الحي فأُخذتُ بجريرته وأسقط عطائي فقال الحجاج أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد يعدي الصحاح مبارك الجَربِ
ولرُبَّ مأخوذٍ بذنبِ صديقِهِ ونجا المقارف صاحب الذنبِ

فقال: أعز الله الأمير كتاب الله أولى ما أتبع قال الله تعالى: ﴿**معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده**﴾ فقال الحجاج صدقت يا غلام اسمه وأثبت رسمه وسن عطائه.

حكي عن أعرابي أخذ جرو ذئب فربّاه بلبن شاة عنده وقال: إذا ربيته مع الشاة يأنس بها فيذب عنها ويكون أشد من الكلب ولا يعرف طبع أجناسه فلما قوي وثب على شاته فافترسها فقال الأعرابي:

أكلتَ شُوَيهتي ونشأتَ فينا فما أدراكَ أن أباك ذيب

فائدة

قوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء**﴾ هذه الآية تدل بظاهرها على أن الشهداء أحياء غير أموات وقد قال في آية أخرى لمن هو أفضل من كل الشهداء ﷺ ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ والجواب عن هذا أن الشهداء يموتون الموتة الدنيوية فتورث أموالهم وتنكح نساؤهم بإجماع المسلمين وهذه الموتة هي التي يخبر الله نبيه أنه يموتها ﷺ وقد ثبت في الصحيح عن صاحبه الصديق رضي الله عنه أنه قال لما توفي ﷺ: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات واستدل على ذلك بالقرآن ورجع إليه جميع أصحاب النبي ﷺ وأما الحياة التي أثبتها الله للشهداء في القرآن وحياته ﷺ التي ثبت في الحديث أنه يرد بها السلام على من سلم عليه فكلتاهما حياة برزخية ليست معقولة لأهل الدنيا. أما في الشهداء فقد نص تعالى على ذلك بقوله: ﴿**ولكن لا تشعرون**﴾ وقد فسرها النبي ﷺ بأنهم تجعل أرواحهم في حواصل طيور خضر ترتع في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فهم يتنعمون بذلك. وأما ما ثبت عنه ﷺ من أنه لا يسلم عليه أحد إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وأن الله وكل ملائكة يبلغونه سلام أمته فإن تلك الحياة أيضاً لا يَعقل حقيقتها أهل الدنيا لأنها ثابتة له ﷺ مع أن روحه الكريمة في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى فوق أرواح الشهداء فتعلق هذه الروح الطاهرة التي هي في أعلى عليين بهذا البدن الشريف الذي لا تأكله الأرض يعلم الله حقيقته ولا يعلمها الخلق. كما قال في جنس ذلك: ﴿**ولكن لا تشعرون**﴾ ولو كانت كالحياة التي يعرفها أهل الدنيا لما قال الصديق رضي الله عنه أنه ﷺ مات ولما جاز دفنه ولا نصب خليفة غيره ولا قتل عثمان ولا اختلف أصحابه ولا جرى على عائشة ما جرى ولسألوه عن الأحكام التي اختلفوا فيها بعده كالعول وميراث الجد والأخوة ونحو ذلك.

وإذا صرح القرآن بأن الشهداء أحياء في قوله تعالى: ﴿**بل أحياء**﴾ وصرح بأن هذه الحياة لا يعرف حقيقتها أهل الدنيا بقوله ﴿**ولكن لا تشعرون**﴾ وكان النبي ﷺ أثبت حياته في القبر بحيث يسمع السلام ويرده وأصحابه الذين دفنوه ﷺ لا تشعر حواسهم بتلك الحياة عرفنا أنها حياة لا يعقلها أهل الدنيا أيضاً. ومما يقرب هذا للذهن حياة النائم فإنه يخالف الحي في جميع التصرفات مع أنه يدرك الرؤيا ويعقل المعاني والله تعالى أعلم. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح ما نصه. ومعلوم بالضرورة أن جسده ﷺ في الأرض طري مطرا وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب. انتهى من كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

قال أبو الحسن المدائني كان لبيد بن ربيعة لا يمر به يوم إلا أراق فيه دماً وكان يفعل ذلك إذا هبت الرياح وربما ذبح العناق إذا أضاف فصعد الوليد بن عقبة المنبر وقد هبت الرياح فقال: أعِينوا أبا عقيل على مروءته وبعث إليه بمائة ناقة فلما جاءته قال: لابنته أجيبيه عني وكان لبيد قد ترك قول الشعر فقالت ابنته:

إذا هَبَّتْ رِيَاحُ أبي عَقِيلٍ	دَعَونَا عِنْد هَبَّتِها الوَلِيدَا
طَويلَ البَاعِ أبيض عبْشَميّاً	أعانَ عَلى مروءتِهِ لبِيدَا
بأمْثالِ الهضَابِ كأنَّ رَكباً	عليْهَا منْ بَني حام قُعُودَا
أبَا وهبٍ جَزَاكَ الله خيراً	نَحرنَاهَا وأطْعَمْنَا الثَّرِيدَا
فَعُدْ إنَّ الكريمَ لَهُ مَعَادُ	وظَنّي بِابنِ أروى أن تَعُودَا

فقال لها أبوها لبيد: أحسنت لولا أنَّكِ سألتِ فقالت: إن الملوك لا يُسْتَحَى من مَسْئَلَتِهِم قال: وأنت في هذا أشعر.

من شعر الأمير أسامة بن منقذ قوله:

قالوا نهته الأربعونَ عن الصّبى	وأخو المشيب يَحُورُ ثمّت يَهتدي

كَمْ حارَ في ليلِ الشبابِ فدلَّه صبْحُ المشيب على الطريق الأقصد
وإذا عددتُ سِنّي ثم نَقَصْتُها زَمَنَ الهُمُوم فتلك ساعةُ مَوْلدي

* * *

قال النمر بن تولب:

لعمري لقد أنكرتُ نفسي ورابني خلائق منها لم تكن من شمائلي
مطاوعتي من كنت لست أطيعه وإني أرى بثي عن اللهو شاغلي
وبدل رأسي الشيب بعد سواده فأصبحت ذا شغل وأقصر باطلي
وأصبحت قد أعرضن عني وسؤنني وأخلفنني عهد الخليل المماطل
ألا إن شيب الرأس ليس بآفة تضيرك إلا في النساء الجواهل

* * *

من أخبار الحمقى والمغفلين قال أحد القصاص: يا معشر الناس إن الشيطان إذا سُمي على الطعام والشراب لم يقربه فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسموا فيأكل معكم ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشاً قال الجاحظ: مررت بمعلم صبيان وهو جالس وحده وليس عنده صبيانه فقلت له: ما فعل صبيانك قال: ذهبوا يتصافعون فقلت: أذهب وأنظر إليهم فقال: إن كان ولا بد فغط رأسك لئلا يحسبوك أنا فيصفعوك حتى تعمى. قال: ورأيت معلماً قد جاءه غلامان قد تعلق كل واحد منهما بالآخر فقال: يا معلم هذا عض أذني فقال: ما عضضتها وإنما عض أذن نفسه فقال: سبحان الله جمل حتى يعض أذن نفسه.

دخلت عجوز على قوم تعزيهم بميت فرأت في الدار عليلاً فرجعت وقالت: أنا والله يشق عليّ المشي وأحسن الله عزاكم في هذا العليل أيضاً.

قال عمرو بن العاص: ثلاثة لا أملّهم جليسي ما فهم عني وثوبي ما سترني ودابتي ما جملت رجلي.

قال مُطرف لا تُطعم طعامك من لا يشتهيه (يريد لا تُقبل بحديثك على

من لا يُقبل عليك بوجهه) وقال سعيد بن سلم إذا لم تكن المحدِّث أو المحدَّث فانهض. ونحوه قول ابن مسعود: حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم.

قال زياد مولى عيّاش بن أبي ربيعة دخلت على عمر بن عبدالعزيز فلما رآني رحل عن مجلسه وقال: إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذ عليه شرف المجلس.

قال سليمان بن عبدالملك: قد ركبنا الفارة ولبسنا اللين وأكلنا الطيب حتى أجمنا ما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس أضع عني مؤنة التحفظ فيما بيني وبينه.

قال معاوية لعمرو بن العاص: ما بقي من لذة الدنيا تلذّه قال: محادثة أهل العلم وخبر صالح يأتيني من ضيعتي.

قال أبو مسهر ما حدثت رجلاً قط إلا حدثني إصغاؤه أفهم أم ضيع. قال أحدهم: إذا علم الثقيلُ أنه ثقيل فليس بثقيل.

من المزاح:

قال الشعبيّ لخياط مرّ به عندنا حبٌّ مكسور تَخيطُه فقال الخياط: إن كان عندك خيوط من ريح. مرّ بالشعبي حَمّالٌ على ظهره دنٌّ خلّ فلما رآه وضعَ الدنَّ وقال: ما كان اسمُ امرأةِ إبليس فقال الشعبي: ذاك نكاحُ ما شهدناه.

وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدُهما بما يدّعي الآخر عليه وهو لا يعلم فقضى عليه شريح فقال الرجل: أتقضي عليّ بغير بينة فقال: قد شهد عندي ثقة قال: ومن هو قال: ابن أخت خالتك.

كان يقال: السِّبابُ مزاح النوكى. وقال الشاعر:

أخو الجِدّ إن جاددتَ أرضاكَ جِدُّه　　　وذو الباطل إن شئت ألهاك باطلُهْ

وقال أكثم: المزاحة تذهب المهابة.

وقالت الحكماء: فضلُ الأدب في غيرِ دين مَهْلُكةٌ. وفضلُ الرأي إذا لم يُستعْمَل في رضوان الله ومنفعة الناس قائدٌ إلى الذنوب. والحفظ الزاكي الواعي لغير العلم النافع مُضِرٌ بالعمل الصالح. والعقلُ غيرُ المودِّع عن الذنوب خازن الشيطان.

قيل لحكيم: متى يكون الأدب شراً من عدمه قال: إذا كَبُر الأدبُ ونقص العقل.

قال أبو المعتمر السُّلمي الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط فالفقراءُ موتَى إلا مَنْ أغناه الله بعز القناعة والأغنياءُ سُكَارَى إلا من عصمه الله بتوقُّعِ الغِيَر وأكثر الخير مع أكثر الأوساط.

قال أبو الدرداء حُسْنُ التقدير في المعيشة أفضلُ من نصف الكسب ولَقَطَ حبّاً منثوراً وقال: إن فقه الرجل رفقه في معيشته.

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا الله إنه أجودُ وأمجدُ وإنه لو شاء أن يُوسّع على الناس كلّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لفعل فلا تُجْهِدُوا أنفسكم في التوسعة فتهلكوا هُزلاً وكان يقال: لا تَصُنْ كثيراً عن حقٍّ ولا تُنْفِقْ قليلاً في باطل.

بلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داراً له لدينٍ ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال: ما قمتُ إذاً بحرمة ظل داره إن باعها مُعدماً وبتّ واجداً فحمل إليه ثمنَ الدار وقال: لا تبع.

وقال عمرو بن الأهتم:

ذريني فإن الشح يا أم هيثم ... لصالح أخلاق الرجال سَروقُ
ذَريني وحِطّي في هَوايَ فإنني ... على الحسب العالي الرفيع شفيقُ
ومُستمنحٍ بعد الهُدُوء دعوتُه ... وقد كان من سَارِي الشتاء طُرُوقُ

فقلت لـه أهلاً وسهلاً ومرحباً | فهذا مَبيتٌ صالح وصديق
أضفتُ فلم أُفحش عليه ولم أقُل | لأحْرِمَهُ إن الفِنَاءَ مَضِيقُ
لَعَمرِكَ ما ضاقت بلادٌ بأهلها | ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

وأنشدنا الرياشي:

لا تَصْحبنَّ امرأً على حَسَبٍ | إنّي رأيتُ الأحساب قد دُخلتْ
مَالَكَ من أن يُقال أن لَهُ | أباً كريماً في أمة سلفتْ
بل أصْحَبَتْه على طبائعه | فكلّ نفس تَجري كما طبعت

قال أبو جعفر الشطرنجي مولى المهدي في سوداء:

أشْبَهكِ المسكُ وأشْبَهتِهِ | قائمةً في لونِهِ قَاعِدَة
لا شَكَّ إذ لونُكُما واحد | أنكما من طينةٍ واحِدة

انتهى من عيون الأخبار.

قيل للمأمون: ما ألذ الأشياء. قال التنزه في عقول الناس يعني قراءة أقوالهم.

قال الأحنف بن قيس رأس الأدب المنطق ولا خير بقول إلا بفعل ولا في مال إلا بجود. ولا بصديق إلا بوفاء ولا في فقه إلا بورع ولا في صدق إلا بنية.

يقال: الرجال ثلاثة، عاقل وفاجر وأحمق. فالعاقل اصحبه والفاجر انصحه. والأحمق اعتزله.

ويقال: أربعة يسود بها المرء: الأدب، والعلم، والعفة، والأمانة. كتب مطرف بن عبدالله إلى عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله أما بعد فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمعُ من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحَه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء.

قال الرافعي: لا تتم فائدة الانتقال من مكان إلى آخر إلا إذا انتقلت

النفس من شعور إلى شعور. فإذا سافرت والهمّ معك فأنت مقيم لم تبرح.

دخل أبو العيناء على أبي الصقر الوزير فقال له: ما أخرك عنا قال: سرق حماري قال: وكيف سرق قال أبو العيناء: لم أكن مع اللص فأخبرك قال أبو الصفر: فلم لم تأتنا على غيره قال: قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذلة المكاري ومنة العواري.

الجراد هذه الحشرة في خلقها عشرة من الجبابرة. وجه فرس. وعينا فيل. وعنق ثور. وقرنا إيل. وصدر أسد. وبطن عقرب. وجناحا نسر. وفخذا جمل. ورجلا نعامة. وذنب حية. فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال شاعر:

وعودت نفسي الضيق حتى ألفته
وأخرجني حسن العزاء إلى الصبر
ووسع قلبي للأذى الأنس بالأذى
وقد كنت أحياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجياً
لسرعة لطف الله من حيث لا أدري

الحياء

الحياء حلة جمال وحلية كمال يُحتَرم في عيون الناس صاحبه ويزداد قدره وإذا رأى ما يكره غَضّ بَصَره عنه وكلما رأى خيراً قبله وتلقاه وإن أبصر شراً تحاماه. يمتنع عن البغي والعدوان ويحذر الفسوق والعصيان يخاطب الناس كأنه منهم في خجل ويتجنب محارم الله عز وجل فمن لبس ثوب الحياء استوجب من الخلق الثناء ومالت إليه القلوب ونال كل أمر محبوب ومن قل حياؤه قلت أحباؤه.

قال الأصمعي سمعت بعض الوعاظ يقول: محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان وإقبالها إدبار وآخر حياتها الموت فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً

لا يبلغه ولو تنظرون الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

قيل للربيع بن هيثم ما نراك تعيب أحداً فقال: لست عن نفسي راضياً حتى أتفرغ لذم الناس وأنشد:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها　　　لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

مثل تركي: يقول عندما تتحطم العَرَبَة يتطوع كثيرون ليدلوا على الطريق التي كان ينبغي سلوكها.

يروى أن أبا ذر رضي الله عنه قام عند الكعبة فقال: لو أن أحدكم أراد سفراً لاتخذ فيه من الزاد ما يصلحه أفلا تتزودون في سفر يوم القيامة ما يصلحكم فقام إليه رجل فقال: أرشدنا فقال: صم يوماً شديد الحرّ للنشور. وحُجَّ حجة لعظائم الأمور. وصلِّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبْور. وكلمة خير تقولها. وكلمة شر تسكت عنها. وصدقة منك على المسكين. لعلك تنجو يا مسكين من يوم عسير. اجعل الدنيا كلمتين كلمة في طلب حلالك. وكلمة للآخرة. والثالثة تضر ولا تنفع لا تُردها.

يروى أنه سجل في السويد والنرويج مائة حالة أصيب أصحابها بطفح وردي مرض جلدي في الوجه بعد أيام من استعمال الڤيديو إضافة إلى أضراره العامة في الجو بسبب الذبذبة العالية التي يحدثها وقبل ذلك تدميره للأخلاق والقيم.

دعا أعرابي فقال: اللهم إن كان رزقي نائياً فقربه. وإن كان قريباً فيسره. أو ميسراً فعجله أو قليلاً فكثره أو كثيراً فبارك لي فيه.

وقف سائل بقوم فقال: إني جائع فقالوا له: كذبت فقال: جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم.

نزل أحدهم ضيفاً على بخيل ظل يقدم لضيفه حليباً فقط في كل وجبة وبعد ثلاثة أيام على هذه الحال ضجر الضيف فقال لمضيفه: ناشدتك الله أن تحجب عني الحليب فقد بلغت الفطام.

العنقاء

ذكر ابن خلكان في ترجمة أبو البقاء العكبري قال: وحكى الشيخ أبو البقاء المذكور في كتاب شرح المقامات عند ذكر العنقاء أن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له (رمخ) صاعد في السماء قدر ميل وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخلق طويلة العنق لها وجه إنسان وفيه من كل حيوان شَبَه من أحسن الطير وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل فتلتقط طيره فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت (عنقاء مغرباً) لإبعادها بما تذهب به ثم ذهبت بجارية فشكا أهل الرس إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت والله أعلم.

قلت: هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس كان في زمن الفترة بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام ثم رأيت في تاريخ أحمد بن عبدالله بن أحمد الفرغاني: نزيل مصر أن العزيز نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان ما لم يوجد عند غيره فمن ذلك العنقاء وهو طائر جاءه من صعيد مصر في طول البلشوم[1] وأعظم جسماً منه له غَبَب ولحية وعلى رأسه وقاية وفيه عدة ألوان ومَشَابه من طيور كثيرة والله أعلم. ثم وجدت في أواخر كتاب (ربيع الأبرار) تأليف أبي القاسم الزمخشري في باب الطير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق في زمن موسى عليه السلام طائرة اسمها العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجهها كوجه الإنسان وأعطاها من كل شيء حسنٍ قسطاً وخلق لها ذكراً مثلها وأوحى إليه أني خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس وآنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فَضّلتُ به بني إسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز فلم تزل تأكل الوحش وتختطف الصبيان إلى أن نُبيء خالد بن سنان العبسي بين عيسى ومحمد

(١) قال المحقق: وقال الدميري البلشون هو مالك الحزين فلعله بالميم لغة.

عليهما السلام فشكوها إليه فدعا الله تعالى فقطع نسلها وانقرضت والله أعلم. هذا ما ذكره ابن خلكان بلفظه.

فكاهة: يروى أن أحد القضاة حضر مجلس ابن ذا النون فَقُدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضي فتهافت جماعة من خواصّه عليها يقصدون التندير فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال ذو النون: يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال: وأنا أيضاً آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب قال التجيبي:

من لم يكن مقصده مدحة ... فقد أتى بحبوحة العافية
محبة المدحة رقّ بلا ... عتق وذلّ يا له داهية
من لا يبالي الناس مدحاً ولا ... ذماً أصاب العيشة الراضية

إنجاز الوعد ومطله. قال المثقب:

لا تقولَنَّ إذا لما لم ترد ... أن تتم الوعد في شيء نعم
فإذا قلتَ نعم فاصبرْ لها ... بنجاحِ الوعدِ أنّ الخلفَ ذم
إنّ لا بعدَ نعم فاحشةٌ ... فبِلا فابدأ إذا خِفْتَ النّدم

* * *

العتابي:

لحسن اعتذار المرء أوقى لعرضه ... من الذم من توكيد وعدٍ يماطله

وعد أبو الصقر، أبا العيناء بشيء فتقاضاه فقال: غداً فقال له: إن الدهر كله غد فهل وعد يخلو من المعاريض فقال رجل حاضر: قد استعمل المعاريض قوم صالحون حدثنا فلان عن فلان. فقال أبو العيناء: من هذا الذي يحدث في حرماننا بالأسانيد.

ووعد رجل أبا العيناء دابة فأخرها فكتب إليه إن كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض فقد مضى خبرها مع منسأة سليمان عليه السلام وإن كانت دابة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج وإن كانت من دواب الدنيا

فقد جاز عُمْر وعدك عمر الدواب فهيء لي غيرها وإن كانت دابة تدفعها إلي في الآخرة فإن الله تعالى يقول: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

وقال جحظة البرمكي:

إذا كانت صِلاتُكمُ رقاعاً ... تخطّط بالأنامِلِ والأكفِ
ولم تكن الرقاعُ تجرّ نفعاً ... فها خطِّي خذوه بألف ألف

قيل لبعضهم كيف حالك مع فلان فقال: لا أحصل منه إلا على دق الصدر والجبهة فقيل: كيف قال: إذا سألته دق صدره ويقول: أفعل وإذا عاودته وتقاضيته دق جبهته ويقول لا قوة إلا بالله نسيت:

قال الصّولي كاتبتُ أبا حنيفة رحمه الله فأغفلت التاريخ فكتب إليّ وصل كتابك مُبهَم الأوان مظلم البيان فأدى خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد منه فإذا كتبت أعزك الله فلتكن كتبك موسومة بالتاريخ لأعرف أدنى آثارك وأقرب أخبارك.

قيل لعديّ بن حاتم رحمه الله: أي شيء أوضع للرجال قال: كثرة الكلام وإضاعة السر والثقة بكل أحد.

وكان زياد يقول لأصحابه: اشفعوا لمن ورائكم فليس كل من أراد السلطان وصل إليه ولا كل من وصل استطاع أن يكلمه.

وقال أبو تمام:

وإذا امرؤٌ أسدى إليّ صنيعةً ... من جاهِهِ فكأنها من ماله

* * *

آخر:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين فأشفعا

* * *

مدح أعرابي رجلاً فقال: تهب لي من مالك وتستوهب لي بجاهك فأنت قليب مرة ورشاء مرة.

وقال جحظة:

وما ليَ حقٌّ واجبٌ غيرَ أنني إليكم بكم في حاجتي أتوسل

وقال رجل لجعفر بن يحيى أمتّ إليك بذمام الأمل وحسن الظن وأدل بقرابة العلم. فقال: ما ذكرت موجب حقاً وعاقد فرضاً ورحم العلم أمس قرابة وألطف ظؤرة.

وقال ابن أبي خالد لا تعدنّ نفسك شجاعاً حتى تكون جواداً فإنك إن لم تقو على أن تقاتل نفسك على البخل لا تقدر على عدوك بالقتل.

وقيل: السخي شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه.

قال بعض الأعراب: قدم علينا الحكم بن المخزومي ولا مال لنا فأغنانا عن آخرنا فقلت له: كيف فقال: علّمنا مكارم الأخلاق فعاد أغنياؤنا على فقرائنا فصرنا كلنا أجواداً. قيل: أكرم الناس معطي من لا يرجوه ولا يعفوه.

وقال معن بن زائدة: طلبني المنصور فهربت منه متنكراً فلقيني أسود فتعلق بي وقال: أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت: اتق الله فإني غريب فقال: دعني من هذا فقلت: إنك إن أتيته بي لا تنتفع منه بكثير نفع فدونك هذه الجواهر فقيمتها ألوف دنانير فقال: دعني من ذا أنت موصوف بالجود هل أعطيت مالك كله أو نصفه أو ثلثه فقلت: لا فقال: أنا مشاهرتي كل شهر عشرون درهماً وما لي على ظهر الأرض ما قيمته مائة درهم وها أنا قد وهبت لك هذه الجواهر ووهبتك لنفسك لتعلم أن لله عباداً أسخى منك ففارقته وأنا بعد في طلبه.

وقال عمرو بن الإطنابة:

كريمٌ رأى الإقلال عاراً فلم يزل أخا طلبٍ للمال حتى تموّلا

فلما أفاد المال عادَ بفضلِه على كل مَنْ يرجو جداهُ مؤمّلا

جحظة:

جاء الشتاءُ وما عندي له ورقٌ فيما عددتُ ولا عندي له خِلعُ

كانت فبدّدها جودٌ ولعتُ به وللمساكينِ أيضاً بالندى ولعُ

وقيل: السخي حر لأنه يملك ماله. والبخيل لا يستحق اسم الحرية لأنه يملكه ماله. وقيل: أعجب ما في البخيل أنه يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء.

وقال بشر بن مروان: لو أن أهل البخل لم ينلهم من بخلهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عجيباً.

أتى بعض الشعراء رجلاً فسأله فما زاده على التنحنح والتحوقل فقال:

فلا حولَ إلا بالإلهِ وقوةً إذا قلتَها دلّت على طرقِ البخلِ
وإني لأرجو أن أفوز بأجرها كما قلتها بعد التنحنح من أجلي

قال الجاحظ قلت لبعض الأغنياء البخلاء أرضيت أن يقال لك إنك بخيل قال: لا أعدمني الله هذا الاسم لأنه لا يقال بخيل إلا لذي مال.

قال شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى في الفتاوى: الدين النصيحة النصيحة لله هي القيام بعبوديته الظاهرة والباطنة بإخلاص كامل وتكميل تام لأجزاء العبودية ظاهراً وباطناً وفعل لما يقدر عليها منها وعزم جازم على فعل ما لا قدرة له عليه لو قدر.

والنصيحة لكتاب الله هي الجدُّ في تعرف ألفاظه ومعانيه بحسب ما تصل إليه القدرة والاجتهاد في العمل به والدعوة إلى ذلك.

والنصيحة للرسول هي كمال الإيمان به ومحبته وطاعته واتباعه وتقديم قوله وهديه وسيرته على كل قول وهدي وسيرة ونصر ما جاء به.

ونصيحة أئمة المسلمين وهم سلاطينهم وحكامهم وولاتهم بالاعتراف بإمامتهم والتدين بالسمع والطاعة لهم ونصيحتهم وإعانتهم على الخير الذي قاموا به قولاً وعملاً.

ونصيحة عموم المسلمين: أن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويعلّم جاهلهم وينصح من يراهُ مخلاً بواجب أو متجرئاً على محرم وإرشاد الناس على اختلاف طبقاتهم إلى ما فيه صلاح لهم

في أمر دينهم وأمر دنياهم والدعوة إلى ذلك كله ومجانبة غشهم في الأقوال والأفعال والمعاملات وأداء الحقوق لمن له حق على الإنسان.

وقال رحمه الله تعالى في تقديم الأعلى من المصالح: عن قبيصة بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ يكون عليكم أمراء من بعدي يُؤخّرُون الصلاة فهي لكم وهي عليهم فصلوا معهم ما صلوا إلى القبلة رواه أبو داود. يؤخذ من هذا الحديث فائدتان عظيمتان إحداهما أنه إذا تزاحمت المصالح قدم الأعلى منها وأن العمل المفضول قد يقترن به ما يصيره أفضل من غيره فإنه أمر بالصلاة مع هؤلاء الأمراء مراعاة لمصلحة الاتفاق والائتلاف وعدم الاختلاف وأن تؤخر الصلاة معهم مع أن الأفضل عدم تأخيرها. الفائدة الثانية: أن من كان حريصاً على تكميل العبادات بأوقاتها وحدودها وتكميلاتها ولكنه تابع لغيره في عبادته وذلك الغير يأتي بها على وجه ناقص أن الحريص على التكميل الذي لا يتمكن منه لهذا السبب أنه يكمل له الأجر بنيته ولا ملام عليه بسبب اتباعه لغيره وعدم استقلاله. ويدخل في هذا التابع لغيره في صلاة الجماعة وفي أمور السفر وفي المناسك والجهاد وغيرها وكثيراً ما يبتلى العبد بتقييده عن الكمال بعمل غيره ولكن ليكن منك على بال إنما الأعمال بالنيّات. الحديث.

وقال رحمه الله تعالى: في تكرار الأجر بتذكر المصيبة.

روى الإمام أحمد عن الحسين بن علي مرفوعاً: ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهده فيحدث عند ذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها. هذا من منن الله على المؤمنين وفوائد المصائب والحكمة في هذا واضحة فإنه إذا ذكرها جدد صبر الله وثناءه عليه ورضي بقدره وتسليماً لأمر الله وتلك عبوديات قلبية وقولية متجددة كما أن العبد إذا ذكر الله أو قرأ أو صلى أو صام أو عامل الله معاملة ظاهرة أو باطنة جدّد الله له ثواباً مهما تكررت إذا اقترن بها شرطها وهو الإخلاص لله وكذلك النعم إذا أنعم الله بها على العبد فشكر الله عليها أثابه على ذلك ثم كلما ذكرها وتحدث بها واعترف لله بها ضاعف الله له الثواب فالمؤمن لا يزال يغنم من ربه ويكسب خيراً كثيراً.

وقال رحمه الله تعالى: الوقت لك أو عليك. الوقت إما لك ربح ومغنم وإلا عليك وزر ومأثم وإما خسارة وتفويت للمنافع وهذه الثلاثة الأقسام لا بد للإنسان من واحد منها فمن كان وقته في طاعة الله من صلاة وصيام وقراءة وذكر وجهاد وحج وعلم وقيام بحق الله أو بحقوق الخلق فهو له مغنم وربح وسيحمد غبَّه بعد حين وسيغتبط بما قدمت يداه ولا بد لمن كان على هذا الوصف من الراحات واستعمال ما يعين على العبادة من استعمال الطيبات وهذه الوسائل ينسحب عليها حكم الوقت وتكون عبادات مع النية الصالحة ومن كان وقته في الشر وعمل المعاصي والإصرار على ما يسخط الله تعالى من جميع أجناس المعاصي المتعلقة بحق الله أو حق خلقه فهو يسعى إلى دار الشقاء وعاقبته أوخم العواقب وسيجد غِبّ أعماله إذا انقطعت الأسباب فإن تمتع في الدنيا قليلاً أعقبه ذلك حزناً طويلاً ومن كان وقته في الغفلات والاشتغال بما لا يعين من اللذات والمباحات فقد خسر وقته الذي هو أنفس من كل نفيس وخسر خسراناً مبيناً وفاتته المتاجر والأرباح فسبحان من فاوت بين عباده هذا التفاوت ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وللآخِرةُ أكْبَرُ دَرَجَاتٍ وأكْبَرُ تَفْضِيْلاً**﴾ انتهى.

كان ممن حرم الخمر في الجاهلية العباس بن مرداس فقيل له: لم تركت الشراب قال: أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: دع من الجدال ما يفتن القلب وينبت الضغينة ويجفي القلب ويرق الورع في المنطق والفعل.

من أخبار الحمقى والمغفلين: ذكر أبو الحسين بن برهان عاد رجل مريضاً فقال له: ما علتك قال: وجع الركبتين فقال: والله لقد قال جرير بيتاً ذهب مني صدره وبقي عجزه وهو قوله: وليس لداء الركبتين طبيب. فقال المريض: لا بشرك الله بالخير ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه.

متفرقات

تأمل فلا تستطيع ردَّ مقالةٍ　　　إذا القولُ في زلّاتِه فارق الفما

* * *

وحاطب ليل في القريض زجرتُه — وقلت له قول الفصيح المجامل
إذا أنت لم تقدر على درّ لجة — فدعه ولا تعرض الحصباء ساحل

* * *

وفي الشعر ما تهوى النفوس استماعَه — وفي الشعر ما قد ضَمَّه حبلُ حاطب

* * *

لو كنت تقبل نصحي غير متهم — ملأت سمعك من وعظ وإنذار

* * *

وقد يستغش المرء من لا يغشه — ويأمن بالغيب أمرأ غير ناصح

* * *

لقد أباحك غشاً في معاملة — من كنت منه بغير الصدق تنتفع

* * *

ولا أليِنُ لغير الحقِّ أسألُهُ — حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

* * *

فلست بمأخوذ بلغو تقوله — إذا لم تعمد عاقدات العزائم

* * *

إن كان إقراري بما لم أجنه — يرضيك عني قلت إني ظالم

* * *

وعندي إغضاء وعفو عن الذي — يزلّ إذا ما لم يكن ذاك عن عمد

* * *

أحين كثرت حسادي وساءهم — جميل فعلك بي أشمتّ حسادي
فإن تكن هفوةٌ أو زلةٌ سلفت — فأنت أولى بتقويمي وإرشادي

* * *

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه — بصالح أيامي وحسن بلائيا

* * *

فـداويتـه بـالحلم والمـرء قـادر ... على سهمه ما دام في يـده السهم

* * *

وكم مـذنب لمـا أتى بـاعـتـذاره ... جنى عـذره ذنباً من الـذنب أعـظمـا

* * *

ومن قيـد الألفاظَ عنـد نـزاعـها ... بقيـد النّهى أغنته عن طلب العـذر

* * *

تـعـالـوا نصـطلح وتكـون منـا ... مـعـاودة بـلا عـد الـذنـوب

فـإن أحـبـبـتـم قـلتـم وقـلنـا ... فـإن الـقـلبَ أشـفـى لـلقـلوب

* * *

مـا نقص الكـامـل من كمـالـه ... مـا جـرّ مـن نفـع إلى عيـالـه

* * *

تعدو الذئـابُ على مَنْ لا كِلابَ لـهُ ... وتتقي مَـرْبَضَ المستنفـر الحـامي

* * *

إذا كـان ذو لـون حؤل من الهـوى ... مـوجهـة في كـل صوب ركـائبُـه

فخـل لـه وجـه الفـراق ولا تكن ... مـطيـة رحّـال كـثيـرٍ مـذاهـبُـه

* * *

إلى فـارغٍ من كـلّ شغـلٍ يشينهُ ... فـإن يشتغل بـالمجدِ طـاب اشتغالُـه

* * *

مـا كنت في غـايـة إلا سبقت ولا ... طـال المدى بـك إلا زدت إحسـانـا

* * *

أناسٌ هم المشطُ استواءً لدى الوغـا ... إذا اختلفَ الناسُ اختلافَ المشاجب

* * *

نسبٌ كـان عليه من شمس الضحى ... نـوراً ومن فلق الـصبـاح عـمـودا

* * *

إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماهم بتشتيت الهوى والتخاذل

* * *

لكل امرء حالان بؤسٌ ونعمةٌ وأعطفُهم في النائبات أقاربُه

* * *

وإذا الصديقُ أدام شكري للتي لم آتها إلا على التقديرِ
أيقنتُ أن العتب باطنُ أمره فسكتُّ محتشماً على التقصيرِ

* * *

إذا ما المدحُ صارَ بلا ثوابٍ من الممدوحِ كان هو الهجاء

* * *

لأشكرنَّك معروفاً همَمت به إن اهتمامكَ بالمعروف معروفُ
ولا أذمك إن لم يمضه قدرٌ فالشيءُ بالقدرِ المحتوم مصروفُ

* * *

سقى الله أياماً لنا ولياليا مضين فلا يُرجى لهن رجوع
إذ العيش صاف والأحبة جيرة جميع وإذ كل الزمان ربيع

* * *

فدعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائري أطنينُ أجنحةِ الذبابِ يضيرُ

* * *

معاداةُ الرجالِ على الليالي أطيقُ ولا معاداة النساء

* * *

قال الشنفرى في امرأة عفيفة:

لقد أعجبتني لا سقوط قناعتها إذا ما مشَتْ ولا بذات تلفُّتِ
كأن لها في الأرض نسياً تقصُّه على إمِها أو إن تكلّمك تنكتِ

* * *

ومـــا بـيَ من عـيب الـفتى غـيــرَ أنـني
جعلتُ العـــصــا رجــلاً أقيمُ بهـــا رجلي

* * *

قــد قيـلَ مـــا قيـلَ إن حقــاً وإن كـذبــاً
فـمـــا اعـتــذارُك مـــن قـــولٍ إذا قـيــلا

* * *

لا عـــذرَ بـــعـــدَ عـــذارٍ شـــابَ أكـــثــرُه
فـــالـــشـــيـــبُ أوعظُ إعـــذارٍ وإنــذارِ

* * *

يـــا خـــاضبَ الشيبِ والأيـــامُ تـــظهـــرهُ
هـــذا شبـــابٌ لـعـــمـــر الله مـصـــبـــوغُ

* * *

ألا إنـــمـــا الـــدنـيـــا مـطيـــة بـلـغـة
عـــلا راكبـوهـــا فـــوق أعـــوج أحــدبـــا
شمـوس متى أعـطتك طـوعـــاً زمـامهـــا
فـكن لـــلأذى من عسـفـهـــا متـــرقبـــا

* * *

رأيت أخـــا الـدنيـــا وإن كـان خـــافضــاً
أخـــا سفـــر يُسعى بـــه وهـــو لا يـــدري

* * *

ومـــا الخَيْـرُ في طُـــول الحَيـاةِ إذا امْـــرؤٌ
مضى ثُمّ لم تُـــذكَـــرْ بـخَيْـــرٍ عَـــوَاقبُـــهْ

قـال سقراط الحكيم: العقـول مواهب والآداب مكـاسب. وقال العـالم طبيب الـدّين. والمال داء الـدّين فإذا رأيتَ الـطبيبَ يجرُّ الــداء إلى نفسـه فكيف يـداوي غيره. وقـال: من لم يعرف الخيـرَ من الشرّ فـألْحِقْهُ بـالبهائم.

وقـال: الدنيـا غنيمةُ الأكيـاس وحسرةُ الحمقى. وقـال: لا خير في الحيـاةَ إلا لأحد رجلين ناطقٍ عالم أو صموت واعٍ. وقال: إنما يُعرف الخطأ بسوء عاقبته فلست تَتَّقيه حتى تعرفه ولا تعرفُه حتى تُخطي فلذلـك كان بين الإنسـان وبين الصـواب خطأ كثيـراً وقال: من يُجـرّب يزدد علمـاً ومن يوقن يـزدد يقينـاً ومن يَستيقن يعمل جاهداً ومن يحرص على العمـل يزدد قـوة ومن يَتردَّدْ يـزدد شكّاً ومن يكسل يزدد فتـرة. وقال: الـذنوب الفـاضحة تَـذْهَبُ بالحجج الـواضحة. وقال: لا يكون الحليم حليماً[1] حتى يَغْلِب جميع شهوات الجسد.

وقال بطليموس: العاقـل من عقل لسـانه إلا عن ذكـر الله والجاهـل من جهـل قدر نفسـه. وقـال: متـواضـعُ العلمـاء أكثـرهم علمـاً كمـا أن المكـان المنخفض أكثر البقاع ماء.

سمع أعرابيٌّ نحوياً وهـو يقول في دعـاءالاسـتسقاء: اللهم اسقنـا غَيْثاً مغيثاً مريئاً مريعاً مُجلْجلاً مُسْحنفِراً هرجاً سحّاً سفـوحاً طبقـاً غَدَقاً مُتْعَنجراً فقـال الأعـرابيّ يـا خليفـةَ نـوح هـذا الـطوفـان وربّ الكعبـة دعني آوي إلى جَبَـل يعصمني من الماء.

متفرقات شعرية

ترى الرِّجل قد تسعى إلى من تحبـه وما الرِّجل إلا حيث يسعى بها القلب

* * *

صـبٌّ يحـث مـطايـاه تـذكـركم وليس ينسـاكم إن حـلّ أو سـارا

* * *

ابن الرومي:

أهوى الهوى كل ذي لب فلست ترى إلا صحيحـاً لـه أفعـال مـجنـون

* * *

ولـو أنني أعـطيت من دهري المنى ومـا كـل من يعـطى المنى بمسـدد

---

(١) في نسخة الحكيم حكيماً.

لقلت لأيام مضين ألا ارجعي وقلت لأيام أتين ألا ابعدي

* * *

ألا ليتَ عيشاً أولاً كرّ راجعاً وإلا فعيشٌ آخرُ مثل أوّلِ

* * *

سقى الرائحُ الغادي بلاداً رفضتها ولم تكُ إلا أن نبت بي لترفضا
وهل هي إلا موطنٌ لي محببٌ إليّ أعادتهُ الخطوبُ مبغضا

* * *

من لي بعهد وصال كنت أحسبه لا ينقضي وشبابٍ كان يصبيني
لم يبق من حسنه إلا تذكره أو الأماني تدنيه وتقصيني

* * *

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

قال مسكوية الخازن: من قصيدة في عميد الملك:

ما الدهر إلا كيوم واحد غده كأمس يومك والماضي كمرتقب
فإن تمنيت عيش الدهر أجمعه وإن تعاين ما ولى من الحقب
فانظر إلى سير القوم الذين مضوا والحظ كتائبهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم في الفضل مختلفاً وإن تقاربت الأحوال في النسب
هذا كتاج على رأس تعظمه وذاك كالبوم فوق المنزل الخرب
والناس في العين أشباه وبينهم ما بين عامر بيت الله والخرب
في العود ما يقرن المسك الذكي به طيباً وفيه لقى ملقى مع الحطب
لا تطلبوا المال من حول ومن حيل فربما جاء مطلوب بلا طلب
يأتي الفتى رزقه المقسوم عن سبب باد يراه وقد يأتي بلا سبب
واستخصموا الفلك الدوار يلقكم بحجتي رغبٍ إن شاء أو رهب
أراه يسكن عني وهو يركض بي ركض الفوارس بالتقريب والخبب
كالنار تأكل ما تحي به لهما وليس تفرق بين النبع والغرب
أصبحت أجرد والأحداث تجردني دأب الجراد إذا استولى على العشب
وصرت ديناً على الدنيا لآخرتي رسل المنايا تقاضاها وتمطل بي

قاسيت أحوال هذا الدهر مرتكباً أهوالها وصريعاً غير مرتكب
ومن تعود عض السيف هامته هانت على إليتيه عضة القبب

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الفوائد:

فائدة

في المسند وصحيح أبي حاتم من حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله همه وغمّه وأبدله مكانه فرحاً» قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهن قال: «بل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».

فتضمن هذا الحديث العظيم أموراً من المعرفة والتوحيد والعبودية منها أن الداعي به صدّر سؤاله بقوله إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك وهذا يتناول من فوقه من آبائه وأمهاته إلى أبويه آدم وحواء وفي ذلك تملق له واستخذاء بين يديه. واعترافه بأنه مملوكه وآباؤه مماليكه وأن العبد ليس له غير باب سيده وفضله وإحسانه وأن سيده إن أهمله وتخلى عنه هلك ولم يؤوه أحد ولم يعطف عليه بل يضيع أعظم ضيعة. وتحت هذا الاعتراف أني لا غنى بي عنك طرفة عين وليس لي من أعوذ به وألوذ به غير سيدي الذي أنا عبده وفي ضمن ذلك الاعتراف بأنه مربوب مدبَّر مأمور منهي إنما يتصرف بحكم العبودية لا بحكم الاختيار لنفسه فليس هذا شأن العبد بل شأن الملوك والأحرار وأما العبيد فتصرفهم على محض العبودية فهؤلاء عبيد الطاعة المضافون إليه سبحانه في قوله: ﴿**إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾ وقوله: ﴿**وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً**﴾ ومن عداهم عبيد القهر والربوبية فإضافتهم إليه كإضافة سائر البيوت إلى ملكه وإضافة أولئك كإضافة البيت الحرام إليه وإضافة ناقته إليه وداره التي هي الجنة إليه وإضافة عبودية

رسوله إليه بقوله: ﴿**وأنه لما قام عبد الله يدعوه**﴾ وفي التحقيق بمعنى قوله: (إني عبدك) التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة وامتثال أمر سيده واجتناب نهيه ودوام الافتقار إليه واللجأ إليه والاستعانة به والتوكل عليه وعياذ العبد به ولياذه به وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفاً ورجاء وفيه أيضاً إني عبد من جميع الوجوه صغيراً وكبيراً حياً وميتاً مطيعاًوعاصياً معافى ومبتلى بالروح والقلب واللسان والجوارح وفيه أيضاً أن مالي ونفسي ملك لك فإن العبد وما يملك لسيده وفيه أيضاً أنك أنت الذي مننت عليّ بكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله من أنعامك على عبدك وفيه أيضاً أني لا أتصرف فيما خولتني من مالي ونفسي إلا بأمرك كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده وإني لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فإن صح له شهود ذلك فقد قال: إني عبدك حقيقة ثم قال: ناصيتي بيدك أي أنت المتصرف فيّ تصرفني كيف تشاء لست أنا المتصرف في نفسي وكيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه بيد ربه وسيده وناصيته بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه ليس إلى العبد منه شيء بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له تحت تصرفه وقهره بل الأمر فوق ذلك.

ومتى شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك ولم يرجهم ولم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين المتصرف فيهم سواهم والمدبر لهم غيرهم فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم ولم يعلق أمله ورجاءه بهم فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته. ولهذا قال هود لقومه: ﴿**إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**﴾وقوله: «ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك» تضمن هذا الكلام أمرين أحدهما قضاء حكمه في عبده. والثاني يتضمن حمده وعدله وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهذا معنى قول نبيه هود: ﴿**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها**﴾ ثم قال: ﴿**إن ربي على صراط مستقيم**﴾ أي مع كونه مالكاً قاهراً متصرفاً في عباده نواصيهم بيده

فهو على صراط مستقيم وهو العدل الذي يتصرف فيهم فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه فخبره كله صدق وقضاؤه كله عدل وأمره كله مصلحة والذي نهى عنه كله مفسده وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته. انتهى.

من طرائف أشعب: قال لبعض إخوانه لو صرت إليّ العشية نتفرج قال: أخاف أن يجيء ثقيل قلت: ليس معنا ثالث فامض معي فلما صلينا الظهر ودعوت بالطعام فإذا بداق يدق الباب قال: ترى أن قد صرنا إلى ما نكره قلت له: إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منهن لم آذن له قال: هات قلت: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب فقال: التسع لك قل له يدخل. ومنها أنه سأله صديق هدية وقال: أذكرك بها فقال أشعب: أذكر أنك سألتني ومنعتك.

نوادر من كتاب محاضرات الأدباء: كان أعمى يقول: ارحموا ذا الزمانتين. فقيل: ما هما قال: العمى وقبح الصوت أما سمعتم:

فبي عيبان إن عدا فخير منهما الموت
فقير ما له قدر وأعمى ما له صوت

وقيل لرجل قد ذهب بصره قد سلب حسن وجهك قال: لكني منعت النظر إلى ما يلهي وعوضت الفكرة فيما يجدي. فحكى ذلك لبعض البلغاء فقال: العفاء على التعزي إلا بمثل هذا الكلام. وقال الجنيد: حضرت أبا علي الأشناني وكان ضريراً فقرأ قارىء **﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾** فقال: سقط عني نصف العمل. وقال المتوكل يوماً لجلسائه: لولا ذهاب بصر أبو العيناء لجعلته نديمي فقال أبو العيناء لما بلغه ذلك: إن كان يريدني لقراءة نقش الخواتم وقراءة الأهلة لم أصلح فضحك واتخذه نديماً. قال المأمون لليزيدي: لم نرك مذ أيام فقال: حصل في سمعي ثقل فأنا أتعبك الآن إفهاماً واستفهاماً فقال: الآن طبت أن تكون معنا ما شئنا أسمعناكه وما احتشمنا فيه أسررناه عنك فأنت غائب شاهد. أُتي بعض الولاة بأحدب

جنى جناية فقال: لأضربنك ضرباً يقيم ظهرك. فقال: إنك إذاً لعظيم البركة. انتهى.

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**خُذِ العَفْوَ وَأمُرْ بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم بل يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم ولا يتكبر على الصغير لصغره ولا ناقص العقل لنقصه ولا الفقير لفقره بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم (وأمر بالعرف) أي بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم. أو حثاً على خير من صلة رحم. أو برّ والدين أو إصلاح بين الناس. أو نصيحة نافعة. أو رأي مصيب. أو معاونة على برّ وتقوى. أو زجر عن قبيح. أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية. ولما كان لا بد من أذية الجاهل أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله. فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه ومن حرمك لا تحرمه ومن قطعك فصِلْهُ ومن ظلمك فاعدل فيه. انتهى.

نبذة من العقد الفريد

قال هشام بن حسان: أقبل رجل إلى محمد بن سيرين فقال: ما تقول في رؤيا رأيتها قال: وما رأيت قال: كنت أرى أن لي غنماً فكنت أُعطى بها ثمانية دراهم فأبيتُ من البيع ففتحت عينيَّ فلم أر شيئاً فأغلقتها ومددت يدي وقلت: هاتوا أربعة فلم أعط شيئاً فقال له ابن سيرين: لعلّ القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال: يمكن الذي ذكرت.

قيل لبختى المدينة: ما الجرح الذي لا يندمل قالت حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده. قيل لها: فما الذل قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له قيل لها: فما الشرف قالت: اتخاذ المنن في رقاب الرجال.

النفوس

النفس الملكية قيل لضرار بن عمرو ما السرور قال: إقامة الحجة وإيضاح الشبهة. وقيل لآخر: ما السرور قال: إحياء السنة وإماتة البدعة. وقيل لآخر: ما السرور قال: إدراك الحقيقة واستنباط الدقيقة. وقال الحجاج بن يوسف لخُريم الناعم ما النعمة قال: الأمن فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال له زدني قال: فالصحة فإن رأيت المريض لا ينتفع بعيش. قال له: زدني قال له: الغِنى فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال له: زدني قال: فالشباب فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال له: زدني قال: ما أجد مزيداً.

وقيل لأعرابي: ما السرور قال: الأمن والعافية.

(النفس الغضبية) قيل لأمير ما السرور قال: لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير. وقيل لآخر: ما السرور قال: توقيع جائز وأمر نافذ. وقيل لآخر: ما السرور قال: رفع الأولياء ووضع الأعداء وطول البقاء مع الصحة والنماء. وقيل لآخر: ما السرور قال: من طال عمره ورأى في عدوه ما يسره. وقيل لآخر: ما السرور قال ركوب الهمالجة[1] وقتل الجبابرة وقيل له: ما اللذة قال: إقبال الزمان وعز السلطان.

(النفس البهيمية) قيل لأحدهم ما السرور قال بيضاء رعبوبة بالطيب مشبوبة باللحم مكروبة. وقيل لآخر ما السرور فقال: مطعم هنيّ ومشرب رويّ وملبس دفي ومركب وطيّ. وقيل لآخر: ما السرور قال: دار قوراء وجارية حوراء وفرس مرتبط بالفناء وقيل لأعرابي ما السرور: قال لبس البالي

(١) الهمالجة الدابة الحسنة السير في سرعة وبخترة.

في الصيف والجديد في الشتاء وقيل لآخر: ما النعيم قال: الماء الحار في الشتاء والبارد في الصيف.

حكم وأمثال

في موت الذيب حياة الغنم.

عندما يقع الذئب في الفخ تعض الكلاب إليته.

لا تُرمى الحجارة إلا على الشجرة المثمرة.

من الصنعة يعرف الصانع.

نحب العدالة في منزل الآخرين.

اليسير في بيتك خير من الكثير عند غيرك.

نشاط المتكلم بقدر إقبال السامع.

المصيبة العامّة يسهل تحملها.

تَمتحن النار الذهب ويمتحن الذهب أخلاقنا.

إن تُحسد أفضل من أن يشفق عليك.

لا تعد فراخك قبل أن يفقس بيضها.

قطرة من الحكم خير من بحر من الثروة.

ديك المحظوظ يبيض.

ليس لنا إلا الجميل الذي نصنعه.

من يعرف يتكلم يعرف متى يتكلم.

المصيبة في عدم قدرتنا على تحمل المصيبة.

الابتداء هو نصف كل عمل.

أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.

الصدقة لم تفقر أحداً.

من يطمع بكل شيء يخسر كل شيء.

خير القول ما وافق الحال.

أكرم حديث أخيك بإنصاتك وصنه من وصمة التفاتك.

الأمل حلم الإنسان المستيقظ.

جذور التربية مريرة ولكن ثمارها حلوة.

النصيحة كالدواء كلما ازدادت مرارتها كانت أفضل.

الطريق التي تؤدي إلى الجحيم سهلة المجرى.

بالعمل نُخرج النار من الحجارة.

عندما يتوقف المطر ننسى المظلة.

إذا كنت مناطحاً فناطح بذوات القرون.

الخيل أعرف بفرسانها.

إياك أن تضرب بلسانك عنقك.

شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه.

آفة المروءة خلف الوعد.

عند النطاح يُغلب الكبش الأجم.

الناس إخوان وشتى في الشيم.

لكل قادم دهشة.

يروى أن ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال: سحابة ثم تنقشع وكان يقول: أربع من كنوز الجنة. كتمان المصيبة، وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة، وكتمان الوجع. كان يقال: من عرف حق أخيه دام له إخاؤه. ومن تكبر على الناس ورجا أن يكون له صديق فقد غرّ نفسه وليس للجوج تدبير ولا لسيء الخلق عيش. ومن بسط بالخير لسانه انبسطت في القلوب محبته. والمنة تفسد الصنيعة.

قال الجاحظ: كان أحدهم يعجبه الرؤوس ويصفها ويسميها العرس لما فيها من الألوان الطيّبة ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد وفيه العينان وطعمهما مفرد والشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها مفرد على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأرطب من الزبد وأدسم من السلاء وفي الرأس اللسان وطعمه مفرد والخيشوم والغضروف ولحم الخدين وكل شيء من هذه طعمه مفرد.

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تأكل الرأس قال: نعم أبخَص عينيه وأفك لحييه وأسحي خديه وأرمي بالدماغ إلى من هو أحق به مني.

وقف أعرابي على بخيل وهو يأكل فقال الأعرابي أدخل قال: وراءك أوسع لك قال الرمضاء أحرقت رجلي قال: بل عليها يبردان قال: أتأذن لي أن آكل معك قال: سيأتيك ما قُدر لك قال: تالله ما رأيت رجلاً ألأم منك قال: بلى قد رأيت إلا أنك نسيت ثم أقبل البخيل يأكل حتى إذا لم يبق في الطبق إلا تُميرات يسيرة نبذها له فوقعت تمرة منها فأخذها الأعرابي ومسحها بكسائه

فقال البخيل: يا هذا إن الذي تمسحها بـه أقذر من الـذي تمسحها منـه قال: كرهت أن أدعها للشيـطان قال: لا ولا لجبـريل وميكـائيل مـا كنت تدعهـا. . قالت الحكماء: لذة الطعام والشراب ساعة ولذة الثوب يوم ولذة المـرأة شهر. انتهى.

نبذة من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاس من يُعجبُك قولُه في الحياةِ الدُّنيا ويُشهـد الله على مـا في قَلبه وهـو ألدُّ الخصـام * وإذا تَولّىٰ سَعىٰ في الأرض لِيُفسـد فيها ويُهلك الحـرثَ والنَّسل والله لا يُحب الفسـاد * وإذا قيل لَـه اتّق الله أخـذَتْـهُ العزّة بالإثم فَحسبُه جهنّم وَلِبئس المهادُ﴾ ﴿ومن الناس من يعجبك قـوله في الحياة الدنيا﴾** أي إذا تكلم راق كلامـه للسامـع وإذا نطق ظننتـه يتكلم بكلام نافع ويؤكد ما يقول بأنـه **﴿يشهد الله على مـا في قلبه﴾** بـأن يخبر أنّ الله يعلم أن ما في قلبه موافق لما نطق به وهو كاذب في ذلك لأنه يخالف قوله فعله فلو كان صادقاً لتوافق القول والفعل كحال المؤمن غير المنافق ولهذا قـال: **﴿وهو ألد الخصام﴾** أي إذا خاصمته وجدت فيه من اللدود والصعوبة والتعصب ومـا يتـرتب على ذلك مـا هو من مقـابح الصفـات ليس كـأخـلاق المؤمنين الـذين جعلوا السهـولة مـركبهم والانقيـاد للحق وظيفتهم والسماحـة سجيتهم **﴿وإذا تـولى﴾** هذا الـذي يعجبك قـوله إذا حضـر عنـدك **﴿سعى في الأرض ليفسـد فيها﴾** أي يجتهد على أعمال المعاصي التي هي إفساد في الأرض **﴿ويهلك﴾** بسبب ذلك **﴿الحرث والنسل﴾** فالزرع والثمار والمـواشي تتلف وتنقص وتقل بركتها بسبب العمل في المعاصي **﴿والله لا يحب الفسـاد﴾** فإذا كـان لا يحب الفساد فهو يبغض العبد المفسد في الأرض غاية البغض وإن قال بلسانـه قولاً حسناً.

ففي هذه الآية دليـل على أن الأقوال التي تصـدر من الأشخاص ليست دليـلاً على صدق ولا كـذب ولا بر ولا فجـور حتى يـوجـد العمـل المصـدق والمزكي لها وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود والمحق والمبطل من الناس ببـر أعمالهم والنظر لقـرائن أحوالهم وأن لا يغتـر بتمويههم وتـزكيتهم أنفسهم. ثم ذكـر أن هذا المفسـد في الأرض بمعاصي الله إذا أُمـر بتقـوى الله تكبـر وأنف

﴿وأخذته العزة بالإثم﴾ فيجمع بين العمل بالمعاصي والتكبر على الناصحين ﴿فحسبه جهنم﴾ التي هي دار العاصين والمتكبرين ﴿ولبئس المهاد﴾ أي المستقر والمسكن عذاب دائم وهم لا ينقطع ويأس مستمر لا يخفف عنهم العذاب ولا يرجون الثواب جزاء لجنايتهم ومقابلة لأعمالهم فعياذاً بالله من أحوالهم. انتهى.

حكم

حكم الثقة بالله أزكى أمل.

لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك.

خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه.

آفة القوة استضعاف الخصم.

الحزم أسد الآراء. والغفلة أضر الأعداء.

من رجع في هبته بالغ في خسته.

من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه.

من لزم الرقاد عدم المراد.

من سره الفساد ساءه المعاد.

أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه.

عِظ المسيء بحسن أفعالك.

إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن.

ما عز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم أخوانه.

خير النوال ما وصل قبل السؤال.

من كبرت همته كثرت قيمته.

شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظوم.

من فعل ما شاء لقي ما ساء.

من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه.

مما قيل في الضيافة:

من الوارد عن النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره» ويروى عن الحسن أنه قال: كنا نسمع أن إحدى مواجب الرحمة إطعام الأخ المسلم الجائع. ويقال: المائدة مرزوقة أي من كان

مضيافاً فأوسع الله عليه وقالوا: أول من سنّ القرى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. وأول من ثرد الثريد. وهشمه هاشم. وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الإسلام عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما. وهو أوّل من وضع موائده على الطريق. وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الأخلاق والتأدب مع الأضياف فقال: كانت الأسفار تحوجني إلى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته تركته. وينبغي للمُضيف أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبشاشة الوجه فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القرى وقد ضمن بعضهم هذا الكلام بأبيات فقال:

إذا المرء وافى منزلاً منك قاصداً ... قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسماً في وجهه متهللاً ... وقل مرحباً أهلاً ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى ... عجولاً ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم ... تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب: تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة. ولله در القائل:

الله يعلم أنه ما سرني ... شيء كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني ... ضيفاً لهم والضيف رب المنزل

أخذه من قول بعضهم:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وقال سيف الدولة ابن حمدان:

منزلنا رحب لمن زاره ... نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له ... إلّا الذي حرمه الخالق

ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو حاله. بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به فينبغي للمضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما

أمكن ولا يغضب على أحـد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بمـا يكـرهـون ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكـداً ولا ينهر أحـداً ولا يوبخـه بحضرتهم بـل يدخـل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكي عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه إلى بستانه وكـان له ولـد فكان الـولد في أول النهـار يخدم القـوم ويأنسون به ففي آخر النهار صعد إلى السطح فسقط فمات لـوقته فحلف أبـوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكي إلى أن تصبح فلما كان الليـل سأله أضيافه عن ولده فقال: هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخـروج قال لهم: إن رأيتم أن تصلوا على ولـدي فـإنـه بـالأمس سقط من على السـطح فمـات لساعته فقالوا له: لـم لا أخبرتنا حين سألناك فقال: ما ينبغي لعـاقل أن ينغص على أضيـافـه في التـذاذهم ولا يكـدر عليهم في عيشهم فتعجبـوا من صبـره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وانصرفوا.

وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلـك قلة ما في يده بل يحضر إليهم ما وجد. وانتظار الغائب ممـا يثقل على الضيف لا سيما إذا كان بعـد تقديم الـطعام. فقـد قيل: ثـلاثة تضني سـراج لا يضيء. ورسـول بطيء. ومـائدة ينتـظر لهـا من يجيء. ومن إكـرام الضيف أن يشيـع المضيف الضيف إلى بـاب الـدار. وأمـا آداب الضيف فينبغي أن يـوافـق المضيف ولا يعـاكسه وينبغي أن لا يسـأل صـاحـب المنـزل عن شيء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لا يخالفه إذا أجلسه في مكان أكرمه به وإذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فـلا يمنعه منهـا فقد نقـل في بعض المجاميع أن بعض الكـرماء كـان عربيـداً على أضيافـه سيء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الأذكياء فقال: الذي يظهر لي من هـذا الرجـل أنه كـريم الأخلاق ومـا أظن سوء أخـلاقه إلا لسـوء أدب الأضياف ولا بـد أن أتطفـل عليـه لأرى حقيقة أمره قال: فقصدته وسلمت عليه فقال: هل لك أن تكون ضيفي قلت: نعم فسار بين يدي إلى أن جاء إلى باب داره فـأذن لي فدخلت فـأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسنداً فاستندت إليه فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قـدم طستاً وإبـريقاً وأراد أن يسكب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج من بين يدي بعد

أن قدم نعلي فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت: يا سيدي أنشدك الله إلا فرجت عني كربة قال: وما هي فأخبرته الخبر فقال: والله ما يحوجني لذلك إلا سوء أدبهم يصل الضيف إلى داري فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم إليه الطعام فلا أتحفه بشيء مستظرف إلا ردّه علي ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق ما تفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الإنسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم:

لا ينبغي للضيف أن يعترض   إن كان ذا حزم وطبع لطيف
فالأمر للإنسان في بيته   إن شاء أن ينصف أو يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الأكل المفرط. ومنها أن يأخذ معه ولده الصغير. ومنها قبح المواكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف وهو الذي يستحكم جوعه قبل تقديم الطعام فلا تراه إلا متطلعاً لناحية الباب يظن أن كل ما دخل هو الطعام. ومنها الرّشاف وهو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلغ حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك ومنها النّفاض وهو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض أصابعه في الطعام ومنها القسّام وهو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام. ومنها المرنخ وهو الذي يرنخ اللقمة في المرق فلا يبلع الأولى حتى تلين الثانية ومنها المرشش وهو الذي يفسخ الدجاجة بغير خبرة فيرش على مواكليه ومنها المنشف وهو الذي ينشف يديه بالخبز ونحوه ثم يأكلها. ومنها الصبّاغ وهو الذي ينقل الطعام من زبدية إلى أخرى ليبرده. ومنها النفّاخ وهو الذي ينفخ في الطعام. ومنها المهندس وهو الذي يقول: لمن يضع الطعام ضع هذا هنا وهذا هنا حتى يأتي قدامه ما يحب. ومن الأضياف من لا يلذ له حديث إلا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفاً والإبريق في يده والناس ينتظرونه. ومنهم من يدخل الدار فيبتدي بالهندسة أولاً فيقول: كان ينبغي أن يكون باب المجلس من هاهنا والإيوان كان ينبغي أن يكون هاهنا. هذا طرفاً مما ذكر في كتب الأدب. وأحببنا الاختصار.

حديث شريف. من بهجة قلوب الأبرار:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أنزلوا الناس منازلهم» رواه أبو داود.

يا له من حديث حكيم فيه الحث لأمته على مراعاة الحكمة فإن الحكمة وضع الأشياء مواضعها وتنزيلها منازلها والله تعالى حكيم في خلقه وتقديره وحكيم في شرعه وأمره ونهيه وقد أمر عباده بالحكمة ومراعاتها في كل شيء وأوامر النبي ﷺ وإرشاداته كلها تدور على الحكمة. فمنها هذا الحديث الجامع إذ أمر أن تنزل الناس منازلهم وذلك في جميع المعاملات وجميع المخاطبات والتعلم والتعليم فمن ذلك أن الناس قسمان: قسم لهم حق خاص كالوالدين والأولاد والأقارب. والجيران والأصحاب والعلماء والمحسنين بحسب إحسانهم العام والخاص فهذا القسم تنزيلهم منازلهم القيام بحقوقهم المعروفة شرعاً وعرفاً من البر والصلة والإحسان والتوقير والوفاء والمواساة وجميع ما لهم من الحقوق فهؤلاء يميزون عن غيرهم بهذه الحقوق الخاصة.

وقسم ليس لهم مزية اختصاص بحق خاص وإنما لهم حق الإسلام وحق الإنسانية فهؤلاء حقهم المشترك أن تمنع عنهم الأذى والضرر بقول أو فعل وأن تحب للمسلمين ما تحب لنفسك من الخير وتكره لهم ما تكره لها من الشر بل يجب منع الأذى عن جميع نوع الإنسان وإيصال ما تقدر عليه لهم من الإحسان ومما يدخل في هذا أن يعاشر الخلق بحسب منازلهم فالكبير له التوقير والاحترام والصغير يعامله بالرحمة والرقة المناسبة لحاله والنظير يعامله بما يحب أن يعامله به. وللأم حق خاص بها وللزوجة حق آخر ويعامل من يُدِل عليه ويثق به ويتوسع معه ما لا يعامل به من لا يثق به ولا يدل عليه ويتكلم مع الملوك وأرباب الرئاسات بالكلام اللين المناسب لمراتبهم.

ولهذا قال تعالى لموسى وهارون ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً لَيّناً لعله يتذكر أو يخشى**﴾ ويعامل العلماء بالتوقير والإجلال والتعلم والتواضع لهم وإظهار الافتقار والحاجة إلى علمهم النافع وكثرة الدعاء لهم خصوصاً وقت تعليمهم وفتواهم الخاصة والعامة. ومن ذلك أمر الصغار بالخير

ونهيهم عن الشر بالرفق والترغيب وبذل ما يناسب من الدنيا لتنشيطهم وتوجيههم إلى الخير واجتناب العنف القولي والفعلي.

ولهذا قال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر» وكذلك سلك رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم من العطاء الدنيوي الكثير ما يحصل به التأليف ويترتب عليه من المصالح ولم يفعل ذلك مع من هو معروف بالإيمان الصادق تنزيلاً للناس منازلهم وكذلك مخاطبة الزوجة والأولاد الصغار بالخطاب اللائق بهم الذي فيه بسطهم وإخال السرور عليهم وكذلك من تنزيل الناس منازلهم أن تجعل الوظائف الدينية والدنيوية والممتزجة منهما للأكفاء المتميّزين الذين يَفْضُلون غيرهم في ولاية تلك الوظيفة فمعلوم أن ولاية الملك أن الواجب فيها خصوصاً وفي غيرها عموماً مشاورة أهل الحل والعقد في تولية من يصلح لها ممن جمع بين القوة والشجاعة والحلم ومعرفة السياسة الداخلية والخارجية ومن له القوة الكافية لتنفيذ العدل وإيصال الحقوق إلى أهلها وردع الظلمة والمجرمين وغير ذلك مما يدخل في الولاية وكذلك ولاية القضاء يختار لها الأعلم بالشرع وبالواقع الأفضل في دينه وعقله وصفاته الحميدة وكذلك ولاية الإمامة في المساجد في الجمعة والجماعة يختار لها الأعلم بأحكام العبادات الأتقى ثم الأمثل فالأمثل وكذلك ولاية قيادة الجيوش يختار لها أهل القوة والشجاعة والرأي والنصح والمعرفة لفنون الحرب وأدواتها وما يتبع ذلك مما تتوقف عليه هذه الوظيفة المهمة التي هي من أهم الوظائف وأخطرها إلى غير ذلك من الولايات الكبار والصغار فإنها داخلة في قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ وهذه الولايات من أعظم الأمانات فيتعين أن تؤدى إلى أهلها. وأن يوظف فيها أهل الكفاءة بها وكل وظيفة لها أكفاء مختصون وهو داخل في هذا الحديث الشريف. وكذلك يدخل في ذلك معاملة العصاة والمجرمين فمن رتب الشارع على جرمه عقوبة من حدّ ونحوه تعين ما عينه الشارع لأنه هو عين المصلحة العامة الشاملة ومن لم يعين له عقوبة عزر بحسب حاله ومقامه فمنهم من يكفيه التوبيخ والكلام المناسب لفعلته ومنهم من لا يردعه إلا العقوبة البليغة وكذلك في الصدقة والهدية ليس عطية الطواف الذي يدور

على الناس فتكفيه التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان كعطية الفقير المتعفف الذي أصابته العَيْلة بعد الغنى وفي الأثر (ارحموا عزيز قوم ذلّ) وكذلك يميّز من له آثار وسوابق وغناء ونفع للمسلمين على من ليس كذلك فهذه الأمور وما أشبهها داخلة في هذا الكلام الجامع الذي تواطأ عليه الشرع والعقل وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن. انتهى.

يروى أن عمر بن حيان الضرير لما قدم الحُجاج ولم يهدوا إليه شيئاً أنشد:

كأن الحجيج الآن لم يقربوا مني ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلاً
أتونا فما جادوا بعود أراكة ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلاً

يروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل المسجد وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك علي بغلتي فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج علي وفي يده درهمان ليكافىء بهما الرجل على إمساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاماً فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر. ولا يزداد على ما قدر له. يروى أن معروف الكرخي صلى خلف إمام فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف من أين تأكل قال: اصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك قال: ولِمَ قال: لأن من شك في رزقه شك في خالقه. وقال أبو حازم ما لم يكتب لي لو ركبت الريح ما أدركته. وقال أبو العتاهية:

لقد لعبت وجد الموت في طلبي وإن في الموت لي شغلاً عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

ومن المشورة: يروى أن النبي ﷺ قال: «من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل» وقال أعرابي: لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: خاطر من استغنى برأيه. ويقال: كان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وإنما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر

به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب إصابة الرأي لأن من طباع المشتركين في الأمر التنافس والطعن من بعضهم في بعض وربما سبق أحدهم بالرأي الصواب فحسدوه وعارضوه وفي اجتماعهم أيضاً للمشورة تعريض السر للإذاعة فإذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للإبهام فإن عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وإن عفا عنهم ألحق الجاني بمن لا ذنب له. وقيل: إذا أشار عليك صاحبك برأي ولم تحمدعاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوماً وعتاباً بأن تقول: أنت فعلت وأنت أمرتني ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة. ويروى أن أحد القضاة لما أراد أن يزوج ابنته استشار جاراً له مجوسياً فقال: سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال: لا بد أن تشير عليّ قال: إن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسك محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي. ويقال: إذا استخار الإنسان ربه واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله تعالى في أمره ما يحب. وقال بعضهم: خمير الرأي خير من فطيره. وقيل: سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم. جاهل، وعدو، وحسود، ومراءٍ، وجبان، وبخيل، وذو هوى. فإن الجاهل يضل. والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب. والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره. وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته. وروي عن ابن عيينة أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد شاور فيه الرجال وكيف، يحتاج إلى مشاورة المخلوقين والخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وإن كان عالماً. ويروى أن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له ما يكره وقال بعضهم: إن جرعة النصيحة مُرة لا يقبلها إلا أولو العزم.

فائدة

ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور. التذكير، والوعظ، والحث،

والـزجر، والاعتبـار، والتقريـر. وتقريب المـراد للعقل، وتصـويره في صـورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس. وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم. وعلى الثواب والعقاب. وعلى تفخيم الأمر أو تحقيـره. وعلى تحقيق أمر وإبـطال أمر. والله أعلم انتهى من بدائع الفوائد لابن القيم.

وقال رحمه الله: لما توفي العباس أحجم الناس عن تعزية ولـده عبدالله رضي الله عنهما إجلالاً له وتعظيماً حتى قدم رجل من البادية فأنشده:

إصبـر نكن بـك صـابـرين وإنمـا صبـر الـرعيـة عنـد صبـر الـرأس
خيـر من العبـاس صـبـرك بعـده والله خـيـر مـنـك لـلعـبـاس

قال: فسري عنه وأقبل الناس على تعزيته.

فائدة

أفضـل الأصحاب من حض الصـاحب على المكارم ونهـاه عن ارتكاب المآثم وحسّن لصاحبه أن يجازي الإحسان بضعفه والإسـاءة بصفحه. أمـا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيمـا أتيح من الظفر.

فائدة

إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها أمّ الندامة لأن صاحبها يقول قبـل أن يعلم. ويجيب قبل أن يفهم. ويعزم قبل أن يفكر. ويقـطع قبل أن يُقـدر. ويحمد قبل أن يجرب. ويذم قبل أن يخبر. ولن يصحب هذه الصفة أحـد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة.

فائدة

ثبت في الصحيح من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

وعن عمرو بن عبسة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» قال الترمذي حديث حسن صحيح.

من العقد الفريد

كتب الحجاج إلى أيوب بن القرية أن اخطب لعبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مواتية لبعلها فكتب إليه: قد أصبتها لولا عِظم ثدييها فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفىء الضجيع وتروي الرضيع.

ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة فقال: ما هذه الجماعة قالوا: على امرأة تدل على النساء[1] فأتاها فقال لها: ابغني امرأة قالت: صفها لي قال: أريد بكراً كثيب أو ثيباً كبكر حلوة من قريب فخمة من بعيد كانت في نعمة فأصابتها فاقة فمعها أدب النعمة وذلّ الحاجة فإذا اجتمعنا كنّا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا أهل آخرة قالت: قد أصبتها قال: وأين هي قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها.

فائدة

من كلام الحكماء: ما جوهد الهوى بمثل الرأي. ولا استنبط الرأي بمثل المشورة. ولا حفظت النعم بمثل المواساة. ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. وما استنجحت الأمور بمثل الصبر. وقال نهشل:

ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبراً جميلاً وإنما ... تفرج أبواب الكريهة بالصبر

ولله در القائل:

الدهر أدبني والصبر رباني ... والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتي من الأيام تجربة ... حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

(١) أي من طريق الزواج.

وقال محمود الوراق:

إنـي رأيت الـصبـر خيـر مـعـوّل ... فـي الـنـائـبـات لمـن أراد معـولا
ورأيت أسبـاب القنـاعـة أكـدت ... بعـرى الغنى فجعلتهـا لي معقـلا
فـإذا نبـا بـي مـنـزل جـاوزتـه ... وجـعلت مـنـه غـيـره لـي مـنـزلا
وإذا غـلا شـيء علـيّ تـركـتـه ... فيكـون أخـرص مـا يكـون إذا غـلا

وقال آخر:

ومـا مسني عسـر ففـوّضت أمـره ... إلـى المـلك الجبـار إلا تـيـسـرا

غيره:

إذا ابـتليـت فـثـق بـالله وارض بـه ... إن الـذي يكشف البـلوى هـو الله
اليـأس يقـطع أحيـانـاً بصـاحبـه ... لا تـيـأسـنّ فـإن الـصـانـع الله
إذا قضى الله فـاستسـلم لقـدرتـه ... فمـا تـرى حيلة فيـمـا قضـى الله

فائدة

من فتاوى شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى:

س: ما أنواع السنن المتطوع بها.

ج: اعلم أنه قد تقـرر في الشريعـة أن الفرائض أكمـل من النوافـل في ذاتهـا وفضلها وكثـرة ثوابهـا وهذا أمـر معلوم من الشرع ولكن لتعلم أن السنن التي إذا تركها العبـد لا إثم عليه نـوعان: نـوع مستقل بنفسـه كنوافـل الصلاة ونوافل الصيام والصدقة والحج وغيرها. ونوع تابع للفرائض غير مستقل بنفسه فهذا النوع الأخيـر ينبغي للعبد أن يعتني بـه اعتناءً عـظيماً كمـا يعتني بأصـل الـواجبات لأنـه يكمل الفـريضة ويثـاب عليه ثـواب الفرض لأن الفـرض اسم للفـريضة التي فعلهـا العبد على وجـه أتى فيها بفعـل واجباتهـا وسننهـا فسنن صلاة الفريضة مثلاً القولية والفعلية ينسحب عليها حكم الفرائض في أحكامها إذا فعلت وفي أجرها وثوابها وكذلك سنن صوم الفرض والزكاة والحـج وسائـر الفـرائض فلهذا على العبـد أن يجتهـد غـايـة الاجتهـاد في تكميـل مـا يتعلق بالفرض من مكملاته وسننه لتتم له مقاصد تلك العبادة كلها من زيـادة الإيمان

وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات وزيادة الخيرات وذلك داخل في المسابقة في الخيرات وداخل في الإحسان في عبادة الخالق قال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ فتحسين الفرائض هو الإتيان فيها بكل واجب ومسنون ظاهري وباطني قولي أو فعلي والله المعين الموفق لذلك.

س: إذا صلى ركعتي الفجر في بيته ثم أتى المسجد قبل الإقامة فهل تشرع له التحية؟

ج: أما على المشهور من المذهب فلا يجوز لأن النهي يتعلق بطلوع الفجر ولا يجوز فيه ذوات الأسباب. وأما الصحيح وهو رواية عن أحمد فإنه يجوز ذلك لأمرين أحدهما أن الصحيح جواز ذوات الأسباب في أوقات النهي المحققة.

ثانيهما: أن الصحيح من أقوال أهل العلم أن النهي يتعلق بصلاة الفجر لأن الأحاديث الصحيحة التي في الصحيحين صريحة بذلك من ذلك حديث أبي سعيد لا صلاة بعد صلاة الفجر واللفظ الآخر (لا صلاة بعد صلاتين صلاة الفجر وصلاة العصر) والأحاديث التي فيها لا صلاة بعد طلوع الفجر أحاديث ضعيفة ومن أهل العلم من قال إنها موضوعة وعلى كل حال فإنها لا تقاوم الأحاديث الصحيحة ولكن كان من هدي النبي ﷺ أن يصلي ركعتين بعد طلوع الفجر فإذا لم يكن سبب فينبغي الاقتصار على ركعتي الفجر فإن كان سبب كتحية مسجد وصلاة وتر ونحوه فالأولى فعل ذلك ولو بعد طلوع الفجر والله أعلم.

من المنقول عن الحكماء قولهم: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شراً حبب إليه المال وبسط منه الآمال. وشغله بدنياه، ووكله إلى هواه، فركب الفساد، وظلم العباد.

يروى من دعاء الأعراب:

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول في صلاته الحمد لله حمداً لا

يبلى جديده ولا يحصى عديده ولا تُبلغ حُدوده اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره واجعل القبر خير بيت نَعمره واجعل ما بعده خيراً لنا منه. اللهم إنّ عينيّ قد اغرورقتا دموعاً من خشيتك فاغفر الزلّة وعُد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك. وقال الأصمعي وقف أعرابي في بعض المواسم فقال: اللهم إنّ لك عليّ حقوقاً فتصدق بها عليّ وللناس قبلي تَبِعاتٍ فتحملها عنّي وقد وجب لكل ضيف قرى وأنا ضيفك الليلة فاجعل قراي فيها الجنة.

قال: ورأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول: سائلك عبدٌ ببابك ذهبت أيامه وبقيت آثامه وانقطعت شهوته وبقيت تَبِعته فارض عنه وإن لم ترض عنه فاعف عنه فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غيرُ راضٍ. قال زيد بن عمر: سمعت طاووساً يقول: تبعتُ أعرابياً حتى أتى الملتزمَ فتعلق بأستار الكعبة فقال: بك أعوذ وإليك ألوذ فاجعل لي في اللهف إلى جودك والرّضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين وغنى عما في أيدي المستأثرين اللهم عُد بفرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة قال طاووس: ثم اختفى في الناس فألفيته بعرفات قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حَجِّي ونصبي وتعبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته فلا أعلم مصيبةً أعظمَ ممن ورد حوضك وانصرف محروماً من سعة رحمتك. قال الأصمعي ودّعتْ أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت: كان الله صاحبك في أمرك وخليفتك في أهلك ووليَّ نُجْح طلبتك امض مصاحباً مكلوءاً ألا أشمت الله بك عدواً ولا أرى محبيك فيك سوءاً. قال: ومات ابنٌ لأعرابي فقال: اللهم إني وهبت له ما قصّر فيه من بري فهب لي ما قصّر فيه من طاعتك فإنك أجود وأكرم.

قيل لأعرابية أصيبت بابنها ما أحسن عزاءك قالت: إن فقدي إياه أمّنني كل فقد سواه وإن مصيبتي به هوّنت علي المصائب بعده ثم انشأت تقول:

من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذر
كنتَ السواد لمقلتي	فعليك يبكي الناظِر
ليت المنازل والديا	ر حفائر ومقابر

خرج أعرابيّ هارباً من الطاعون فبينا هو سائر إذ لدغته أفعى فمات فقال فيه أبوه:

طاف يبغي نَجْوةً ... من هلاك مهلك
والمنايا رصدٌ ... للفتى حيث سلك
كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

سمع عديّ بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول: يا قوم تصدقوا على شيخ مُعيل وعابر سبيل شهد له ظاهره وسمع شكواه خالقه بدنه مطلوب وثوبه مسلوب فقال له من أنت قال: رجل من بني سعد أسعى في دية لزمتني قال: فكم هي قال: مائة بعير قال: دونكها في بطن الوادي. سأل أعرابي رجلاً فأعطاه فقال: جعل الله للمعروف إليك سبيلاً وللخير عليك دليلاً ولا جعل حظ السائل منك عذرة صادقة. وقال أعرابي: لا تسأل من يفرّ من أن تسأله ولكن سَل من أمرك أن تسأله وهو الله تعالى.

قال الأصمعي: سأل أعرابي فلم يعط شيئاً فرفع يديه إلى السماء وقال:

يا رب أنت ثقتي وذخري ... لصبية مثل صغار الذر
جاءهم البرد وهم بشرّ ... بغير لحف وبغير أزر
كأنهم خنافس في جحر ... تراهم بعد صلاة العصر
وكلهم ملتصق بصدري ... فاسمع دعائي وتولّ أجري

سأل أعرابي ومعه ابنتان له فلم يعط شيئاً فأنشأ يقول:

أيا ابنتي صابراً أباكما ... إنكما بعين من يراكما
الله مولاي وهو مولاكما ... فأخلصا لله من نجواكما
تضرعا لا تذخرا بكاكما ... لعله يرحم من أواكما

فصل
في فضائل الصلاة

من كتاب مختصر منهاج القاصدين ص ٢٨ وأما الصلاة فإنها عماد

الدين وغرة الطاعات وقد ورد في فضائل الصلاة أخبار كثيرة مشهورة ومن أحسن آدابها الخشوع وقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله) وله في حديث أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه» وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط وصلى يوماً في الحجر فجاء حجر قذافة[1] فذهب ببعض ثوبه فما انفتل. وقال ميمون بن مهران ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاة قط ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا فإذا قام إلى الصلاة تكلموا وضحكوا. وكان علي بن الحسن رضي الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم. واعلم أن للصلاة أركاناً وواجبات وسنناً وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان. وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم ولم يكن القلب حاضراً لم يحصل المقصود فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها قال الله تعالى: ﴿**لَنْ يَنال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**﴾ والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة فلا بد من حضور القلب في الصلاة ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها. والمعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة. المعنى الأول حضور القلب كما ذكرنا ومعناه أن يفرغ القلب

---

(١) القذافة المنجنيق.

من غير ما هو ملابس له وسبب ذلك الهمة فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة فاعلم أن سببه ضعف الإيمان فاجتهد في تقويته.

والمعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب لأنه ربما كان القلب حاضراً مع اللفظ دون المعنى فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها والمواد إما ظاهرة وهي ما يشغل السمع والبصر وإما باطنة وهي أشد كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد ولم يغنه غض البصر لأن ما وقع في القلب كاف في الاشتغال به وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة بقطع ما يشغل السمع والبصر وهو القرب من القبلة والنظر إليموضع سجوده والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة وأن لا يترك عنده مايشغل حسه فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى في أنبجانية لها أعلام نزعها وقال: «إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي» وإن كان من المواد الباطنة فطريق علاجه أن يرد النفس قهراً إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة بأن يقضي أشغاله ويجتهد في تفريغ قلبه ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع فإن لم تسكن الأفكار بذلك فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق واعلم أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها فقيل له: هذا شيء لا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار والذباب إلى الأقذار فذهب العمر النفيس في دفع ما لا يندفع وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا. قيل لعامر بن عبد قيس

رحمه الله هل تحدثك نفسك بشيء من أمور الدنيا في الصلاة فقال: لأن تختلف الأسنة فيّ أحب إليّ من أن أجد هذا. واعلم أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب وزواله بالكلية عزيز فليقع الاجتهاد في الممكن منه والله الموفق المعين. المعنى الثالث التعظيم لله والهيبة وذلك يتولد من شيئين معرفة جلال الله تعالى وعظمته. ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة فيتولد من المعرفتين الاستكانة والخشوع ومن ذلك الرجاء فإنه زائد على الخوف فكم من معظم ملكاً يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره. والمصلي ينبغي أن يكون راجياً بصلاته الثواب كما يخاف من تقصيره العقاب وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة ولينظر ماذا يجيب وبأي بدن يحضر وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق وليس لها عنه ساتر وأنها يكفرها الندم والحياء والخوف. وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه. إذا كبرت أيها المصلي فلا يكذبن قلبُك لسانك لأنه إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى فإذا استعذت فاعلم أن الاستعاذة هي لجاء إلى الله سبحانه فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغواً وتفهّم معنى ما تتلو وأحضر التفهم بقلبك عند قولك **﴿الحمد لله ربِّ العالمين﴾** واستحضر لطفه عند قولك **﴿الرحمن الرحيم﴾** وعظمته عند قولك **﴿مالك يوم الدين﴾** وكذلك في جميع ما تتلو. وقد روينا عن زرارة بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قرأ في صلاته **﴿فإذا نُقر في الناقور﴾** فخرّ ميتاً وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف. واستشعر في ركوعك التواضع. وفي سجودك زيادة الذل لأنك وضعت النفس موضعها ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق. واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب

لجلاء القلب من الصدإ وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود وتطلع على أسراره وما يعقلها إلا العالمون فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده.

نبذة من العقد الفريد

حضر أعرابيّ طعام عبد الأعلى فلما وقف الخباز بين يديه ووصف ما عنده قال أصلحك الله أتأمر غلامك يسقيني ماء فقد شبعت من وصف هذا الخباز. وقال الأحنف بن قيس جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام فإني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لبطنه وفرجه.

وقال الجاحظ كان أبو عثمان الثوري يُجلس ابنه معه (على الأكل) ويقول: إياك يا بني ونهم الصبيان. وأخلاق النوائح. ونهش الأعراب. وكل مما يليك. واعلم أنه إذا كان في الطعام لقمة كريمة أو مضغة شهية أو شيء مستطرف فإنما ذلك للشيخ المعظم أو للصبي المدلل ولست بواحد منهما. أي بُنيّ عوّد نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة ولا تنهش نهش السباع ولا تخضم خضم البراذي ولا تُدمن الأكل إدمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال فإن الله تعالى جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة واحذر صرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء: إذا كنت نهماً فعدّ نفسك من الزمن واعلم أن الشِّبع داعية البشم والبشم داعية السقم وأنّ السقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة أي بنيّ لله در الحارث بن كلدة إذ زعم أن الدواء هو اللازم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرن من عيش الملائكة أي بنيّ لم قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الصوم وجاء» إلا لأنه جعله حجازاً دون الشهوات فافهم تأديب الله عز وجل وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام. أي بنيّ قد بلغتُ تسعين عاماً ما نقص لي سنّ ولا انتشر لي عصب ولا عرفت دنين أنف ولا سيلان عين ولا سلس بول. ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد فإن كنت تحب الحياة الهنيئة فهذه سبيلها.

الحديث السادس عشر من كتاب بهجة قلوب الأبرار لشيخنا عبد

الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضارَّ ضار الله به ومن شاقَّ شاق الله عليه» رواه الترمذي وابن ماجه هذا الحديث دلّ على أصلين من أصول الشريعة أحدهما أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر وهذا من حكمة الله التي يحمد عليها فكما أن من عمل ما يحبه الله أحبه الله ومن عمل ما يبغضه أبغضه الله ومن يسر على مسلم يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في حاجة العبد ما كان العبد في حاجة أخيه كذلك من ضارّ مسلماً ضره الله ومن مكر به مكر الله به ومن شق عليه شق الله عليه إلى غير ذلك من الأمثلة الداخلة في هذا الأصل.

الأصل الثاني: منع الضرر والمضارة وأنه لا ضرر ولا ضرار وهذا يشمل أنواع الضرر كله. والضرر يرجع إلى أحد أمرين إما تفويت مصلحة أو حصول مضرة بوجه من الوجوه فالضرر غير المستحق لا يحل إيصاله وعمله مع الناس بل يجب على الإنسان أن يمنع ضرره وأذاه عنهم من جميع الوجوه فيدخل في ذلك التدليس والغش في المعاملات وكتم العيوب فيها والمكر والخداع والنجش وتلقي الركبان وبيع المسلم على بيع أخيه والشراء من شرائه ومثله الإجارات وجميع المعاملات. والخطبة على خطبة أخيه وخطبة الوظائف التي فيها أهل لها قائم بها فكل هذا من المضارة المنهي عنها. وكل معاملة من هذا النوع فإن الله لا يبارك فيها لأنه من ضار مسلماً ضاره الله ومن ضاره الله ترحل عنه الخير وتوجه إليه الشر وذلك بما كسبت يداه. ويدخل في ذلك مضارة الشريك لشريكه والجار لجاره بقول أو فعل حتى أنه لا يحل له أن يحدث بملكه ما يضر بجاره فضلاً عن مباشرة الإضرار به. ويدخل بذلك مضارة الغريم لغريمه وسعيه في المعاملات التي تضر بغريمه حتى أنه لا يحل له أن يتصدق ويترك ما وجب عليه من الدين إلا بإذن غريمه أو يُرهن موجوداته أحد غرمائه دون الباقين أو يقف أو يعتق ما يضر بغريمه أو ينفق أكثر من اللازم بغير إذنه. وكذلك الضرار في الوصايا كما قال تعالى: ﴿**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار**﴾ بأن يخص أحد ورثته بأكثر مما له أو ينقص الوارث أو

يوصي لغير وارثه بقصد الإضرار بالورثة وكذلك لا يحل إضرار الزوج بزوجته من وجوه كثيرة إما أن يعضلها ظلماً لتفتدي منه أو يراجعها لقصد الإضرار أو يميل إلى إحدى زوجتيه ميلاً يضر بالأخرى ويجعلها كالمعلقة. ومن ذلك الحيف في الأحكام والشهادات والقسمة وغيرها على أحد الشخصين لنفع الآخر فكل هذا داخل في المضارة وفاعله مستحق للعقوبة وأن يضار الله به.
وأشد من ذلك الوقيعة في الناس عند الولاة والأمراء ليغريهم بعقوبته أو أخذ ماله أو منعه من حق هو له فإن من عمل هذا العمل فإنه باغ فليتوقع العقوبة العاجلة والآجلة. ومن هذا نهى النبي ﷺ أن يرد مُمرض على مُصحٍّ لما في ذلك من الضرر. وكذلك نهى الجذْمَى ونحوهم عن مخالطة الناس وهذا وغيره داخل في قوله تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾** ونهى ﷺ عن ترويع المسلم ولو على وجه المزح. ومن هذا السخرية بالخلق والاستهزاء بهم والوقيعة في أعراضهم والتحريش بينهم فكله داخل في المضارة والمشاقة الموجب للعقوبة. وكما يدل الحديث بمنطوقه أن من ضارّ وشاقّ ضره الله وشق عليه فإن مفهومه يدل على أن من أزال الضرر والمشقة عن المسلم فإن الله يجلب له الخير ويدفع عنه الضرر والمشاق جزاء وفاقاً سواء كان متعلقاً بنفسه أو بغيره. انتهى.

يروى أن جارية ذات ظرف وجمال مرت برجل من بني سعد وكان شجاعاً فارساً فلما رآها قال: طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ثم إنه أتبعها رسولاً يسألها ألها زوج ويذكره لها فقالت للرسول: ما حرفته فأبلغه الرسول قولها فقال: ارجع إليها فقل لها:

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي ... مقارعة الأبطال في كل شارق
إذا عرضت لي الخيل يوماً رأيتني ... أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي
وأصبر نفسي حين لا حرّ صابر ... على ألم البيض الرقاق البوارق

فأنشدها الرسول ما قال فقالت له ارجع إليه وقل له: أنت أسد فاطلب لنفسك لبوة فلست من نسائك وأنشدت هذه الأبيات:

ألا إنما أبغي جواداً بماله ... كريماً محياه قليل الصدائق

فتى همه مذ كان خَود كريمة يعانقها بالليل فوق النمارق

يروى أن رجلاً جاء إلى معاوية رضي الله تعالى عنه فقال له: سألتك بالرحم التي بيني وبينك إلا ما قضيت حاجتي فقال له معاوية: أمن قريش أنت قال: لا قال: فأي رحم بيني وبينك قال: رحم آدم عليه السلام قال: رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها ثم قضى حاجته. وروي أن الأشعث بن قيس أرسل إلى عدي بن حاتم يستعير منه قدوراً كانت لأبيه حاتم فملأها مالاً وبعث بها إليه وقال: إنا لا نعيدها فارغة. وقال بعضهم: قصد رجل إلى صديق له فدقّ عليه الباب فخرج إليه وسأله عن حاجته فقال: علي دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج إليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكياً فقالت له زوجته: هلا تعللت حيث شقت عليك الإجابة فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى أن يسألني.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح دار السعادة:

فصل

ومتابعة هدي الله التي رتب عليها هذه الأمور هي تصديق خبره من غير اعتراض شبهه تقدح في تصديقه وامتثال أمره من غير اعتراض شهوة تمنع امتثاله وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان وهما تصديق الخبر وطاعة الأمر ويتبعهما أمران آخران وهما نفي شبهات الباطل الواردة عليه المانعة من كمال التصديق وأن لا يخمش بها وجه تصديقه ودفع شهوات الغي الواردة عليه المانعة من كمال الامتثال فهنا أربعة أمور أحدها تصديق الخبر الثاني بذل الاجتهاد في رد الشبهات التي توحيها شياطين الجن والإنس في معارضته الثالث طاعة الأمر والرابع مجاهدة النفس في دفع الشهوات التي تحول بين العبد وبين كمال الطاعة وهذان الأمران أعني الشبهات والشهوات أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعاده كما أن الأصلين الأولين وهما تصديق الخبر وطاعة الأمر أصل سعادته وفلاحه في معاشه ومعاده وذلك أن العبد له قوتان قوة الإدراك والنظر وما يتبعها من العلم والمعرفة والكلام وقوة الإرادة والحب وما يتبعه من النية والعزم والعمل فالشبهة تؤثر فساداً في القوة العلمية النظرية

ما لم يداوها بدفعها. والشهوة تؤثر فساداً في القوة الإرادية العملية ما لم يداوها بإخراجها قال الله تعالى في حق نبيه يذكر ما منَّ به عليه من نزاهته وطهارته مما يلحق غيره من ذلك ﴿**والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى**﴾ فما ضل دليل على كمال علمه ومعرفته وأنه على الحق المبين وما غوى دليل على كمال رشده وأنه أبر العالمين فهو الكامل في علمه وفي عمله وقد وصف ﷺ بذلك خلفاءه من بعده وأمر باتباعهم على سنتهم فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» رواه الترمذي وغيره فالراشد ضد الغاوي والمهدي ضد الضال وقد قال تعالى: ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشدّ منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون**﴾ فذكر تعالى الأصلين وهما داء الأولين والآخرين أحدهما الاستمتاع بالخلاق وهو النصيب من الدنيا والاستمتاع به متضمن لنيل الشهوات المانعة من متابعة الأمر بخلاف المؤمن فإنه وإن نال من الدنيا وشهواتها فإنه لا يستمتع بنصيبه كله ولا يذهب طيباته في حياته الدنيا بل ينال منها ما ينال منها ليتقوى به على التزود لمعاده. والثاني الخوض بالشبهات الباطلة وهو قوله: ﴿**وخضتم كالذي خاضوا**﴾ وهذا شأن النفوس الباطلة التي لم تخلق للآخرة لا تزال ساعية في نيل شهواتها فإذا نالتها فإنما هي في خوض بالباطل الذي لا يجدي عليها إلا الضرر العاجل والآجل ومن تمام حكمة الله تعالى أن يبتلي هذه النفوس بالشقاء والتعب في تحصيل مراداتها وشهواتها فلا تتفرغ للخوض بالباطل إلا قليلاً ولو تفرغت هذه النفوس الباطولية لكانت أئمة تدعو إلى النار وهذا حال من تفرغ منها كما هو مشاهد بالعيان وسواء كان المعنى وخضتم كالحزب الذين خاضوا أو كالفريق الذي خاضوا فإن الذي يكون للواحد والجمع ونظيره قوله تعالى: ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين**﴾ لكن لا يجري على جمع تصحيح فلا يجيء المسلمون الذين جاؤوا وإنما يجيء غالباً في اسم الجمع كالحزب والفريق أو حيث لا يذكر

الموصوف وإن كان جمعاً كقول الشاعر:

وإن الذي جاءت تقيح دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

أو حيث يراد الجنس دون الواحد والعدد كقوله تعالى: ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾ ثم قال: ﴿**أولئك هم المتقون**﴾ ونظيره الآية التي نحن فيها وهي قوله: ﴿**وخضتم كالذي خاضوا**﴾ أو كان المعنى على القول الآخر وخضتم خوضاً كالخوض الذي خاضوا فيكون صفة لمصدر محذوف كقولك اضرب كالذي ضرب وأحسن كالذي أحسن ونظائره وعلى هذا فيكون العائد منصوباً محذوفاً وحذفه في مثل ذلك قياس مطرد على القولين فقد ذمهم سبحانه على الخوض بالباطل واتباع الشهوات وأخبر أن من كانت هذه حالته فقد حبط عمله في الدنيا والآخرة وهو من الخاسرين ونظير هذا قول أهل النار لأهل الجنة وقد سألوهم كيف دخلوها: ﴿**قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين**﴾ فذكروا الأصلين الخوض بالباطل وما يتبعه من التكذيب بيوم الدين وإيثار الشهوات وما يستلزمه من ترك الصلوات وإطعام ذوي الحاجات فهذان الأصلان هما ما هما والله ولي التوفيق.

فصل

والقلب السليم الذي ينجو من عذاب الله هو القلب الذي قد سلم من هذا وهذا فهو القلب الذي قد سلّم لربه وسلم لأمره ولم تبق فيه منازعة لأمره ولا معارضة لخبره فهو سليم مما سوى الله وأمره لا يريد إلا الله، ولا يفعل إلا ما أمره الله. فالله وحده غايته وأمره وشرعه وسيلته وطريقته لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره لكن لا تمر عليه إلا وهي مجتازة تعلم أنه لا قرار لها فيه ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك وسليم من البدع وسليم من الغي وسليم من الباطل وكل الأقوال التي قيلت في تفسيره فذلك يتضمنها وحقيقته أنه القلب الذي قد سلم لعبودية ربه حياء وخوفاً وطمعاً ورجاء ففني بحبه عن حب ما سواه وبخوفه عن خوف ما سواه وبرجائه عن رجاء ما سواه وسلم لأمره ولرسوله تصديقاً وطاعة كما تقدم واستسلم لقضائه وقدره فلم يتهمه ولم ينازعه

ولم يتسخط لأقداره فأسلم لربه انقياداً وخضوعاً وذلاً وعبودية وسلم جميع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه ومواجيده ظاهراً وباطناً من مشكاة رسوله وعرض ما جاء من سواها عليها فما وافقها قبله وما خالفها رده وما لم يتبين له فيه موافقة ولا مخالفة وقف أمره وأرجأه إلى أن يتبين له. وسالم أولياءه وحزبه المفلحين الذابين عن دينه وسنة نبيه القائمين بها وعادى أعداءه المخالفين لكتابه وسنة نبيه الخارجين عنهما الداعين إلى خلافهما انتهى.

ونقلنا من المستطرف ما يلي:

قصة عجيبة: يروى عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: كنت بواسط فرأيت رجلاً كأنه قد نبش من قبر فقلت: ما دهاك يا هذا فقال: اكتم علي أمري حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت في أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالأمس أُخرِجَتْ جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدّث بعض أعوان السجن أن غداً تضرب عنقي فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت: إلهي اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم إذ أتاني آت فقال لي: قم فصلِّ ركعتين وقل: يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ وأنت عالم بخفيات الأمور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علواً كبيراً يا مغيث أغثني وفكّ أسري واكشف ضرّي فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف عليّ منه كلمة واحدة فما تمّ القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت إلى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجاً وجعل لي من ذلك الضيق مخرجاً ثم ودعني وانصرف يقصد الحجاز.

سمع حكيمٌ رجلاً يقول لآخر لا أراك الله مكروهاً فقال: كأنك دعوت عليه بالموت فإن صاحب الدنيا لا بدّ له أن يرى مكروهاً. وتقول العرب ويل أهون من ويلين. وقال ابن عيينة: الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور

فهو ربح. وقال العتبي: إذا تناهى الغمّ انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروباً بالسياط ولا مقدماً لضرب العنق يبكي.

قيل تزوج مغنّ بنائحه فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فإن كان فرح دَعَوني وإن كان حزن دَعَوكِ. انتهى من المستطرف.

وذكر نبذة من خرافات العرب في الجاهلية: (ذكر أوابدهم): الرتم شجر معروف كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصناً منها فإذا عاد من سفره ووجده قد انحلّ قال: قد خانتني امرأتي وإن وجده على حالته قال: لم تخني. (الرتيمة) ناقة كانت العرب إذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها. (التعمية والتفقئة) كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً قلع عين الفحل يقولون إن ذلك يدفع عنها العين فإذا زادت عن الألف فقؤوا عينه الأخرى (العرّ) داء يصيب الإبل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرىء داء العرّ.

ضرب الثور عن البقر كانت البقر إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجنّ يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب (الهامة) كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قُتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني إلى أن يؤخذ بثاره.

ومن الفراسة قال: فقد قال الله تعالى: ﴿**إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين**﴾ وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»وقال علي رضي الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه. وحكى أبو سعيد الخراز أنه كان في الحرم فقير ليس عليه إلا ما يستر عورته فأنفت نفسي منه فتفرَّس ذلك مني فقرأ: ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسم فاحذروه**﴾ فندمت واستغفرت الله في قلبي فتفرّس ذلك أيضاً فقرأ: ﴿**هو الذي يقبل التوبة عن عباده**﴾ وحكي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلاً فقال أحدهما إنه نجار وقال الآخر إنه

حداد فسألاه عن صنعته فقال: كنت حدّاداً وأنا الآن نجار. وحكي أن شخصاً من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسألة فقال له اجلس فإني أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل إلى القسطنطينية فدخل في دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئاً على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت: السلام عليك يا فلان فسلم عليّ وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك: هل القرآن باق على حاله أم لا فقال لي: لا أذكر منه إلا آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿**ربما يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾ قال: فبكيت عليه وتركته وانصرفت. وقالوا: إذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشيء ما عند الله خير وأبقى فاعلم أن في جواره وليمة ولم يدع إليها وإذا رأيت قوماً يخرجون من عند قاضٍ وهم يقولون ما شهدنا إلا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل. وإذا قيل للمتزوّج صبيحة البناء على أهله كيف ما قدمت عليه فقال: الصلاح خير من كل شيء فاعلم أنه لم يوفق وإذا رأيت رجلاً خارجاً من عند الوالي وهو يقول: يد الله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع انتهى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الفوائد:

فائدة جليلة

جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق تدعو الناس إلى محبته.

فائدة جليلة

بين العبد وبين الله والجنة قنطرة تقطع بخطوتين خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق فيسقط نفسه ويلغيها فيما بينه وبين الناس. ويسقط الناس ويلغيهم فيما بينه وبين الله فلا يلتفت إلا لمن دلّه على الله وعلى الطريق الموصلة إليه. صاح بالصحابة واعظ (اقترب للناس حسابهم) فجزعت للخوف قلوبهم وجرت من الحذر العيون (فسالت أودية بقدرها) تزيّنت الدنيا لعلي فقال: أنت طالق ثلاثاً لا رجعة لي فيك وكانت تكفيه واحدة للسّنة لكنه جمع الثلاث

لئلا يتصور للهوى جواز المراجعة ودينه الصحيح وطبعه السليم يأنفان المحلل كيف وهو أحد رواة حديث (لعن الله المحلل).

فائدة جليلة

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه وفرغ قلبه لمحبته ولسانه لذكره وجوارحه لطاعته. وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى: **﴿ومن يعش[1] عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾** قال سفيان بن عيينة لا تأتون بِمَثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن فقال له قائل: فأين في القرآن اعط أخاك تمرة فإن لم يقبل فأعطه جمرة فقال في قوله: **﴿ومن يعش[2] عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً﴾** الآية.

قاعدة

الإيمان له ظاهر وباطن وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته فلا ينفع ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية. ولا يجزي باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك فتخلف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان ونقصه دليل نقصه وقوته دليل قوته فالإيمان قلب الإسلام ولبه واليقين قلب الإيمان ولبه وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول. الآية.

مما قيل في النوم والسهر: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن

---

(١) عشا عنه أعرض.

(٢) أي يعرض ويصد.

تضيء بالليل عين الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى والله أعلم.

الحديث السابع عشر من كتاب بهجة قلوب الأبرار عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» رواه الإمام أحمد والترمذي. هذا حديث عظيم جمع فيه رسول الله ﷺ بين حق الله وحقوق العباد فحق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته فيتقوا سخطه وعذابه باجتناب المنهيات وأداء الواجبات وهذه الوصية هي وصية الله للأولين والآخرين ووصية كل رسول لقومه أن يقول: ﴿**اعبدوا الله واتقوه**﴾ وقد ذكر الله تعالى خصال التقوى في قوله تعالى: ﴿**ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ [البقرة: ١٧٨] وفي قوله: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم ذكر خصال التقوى فقال: ﴿**الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ [آل عمران: ١٣٤] فوصف المتقين بالإيمان بأصوله وعقائده وأعماله الظاهرة والباطنة وبأداء العبادات البدنية والعبادات المالية والصبر في البأساء والضراء وحين البأس وبالعفو عن الناس واحتمال أذاهم والإحسان إليهم وبمبادرتهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بالاستغفار والتوبة فأمر ﷺ ووصى بملازمة التقوى حيثما كان العبد في كل وقت وكل مكان وكل حالة من أحواله لأنه مضطر إلى التقوى غاية الاضطرار لا يستغني عنها في كل حالة من أحواله. ثم لما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق التقوى وواجباتها أمر ﷺ بما يدفع ذلك ويمحوه وهو أن يتبع الحسنة السيئة والحسنة اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله تعالى وأعظم الحسنات الدافعة للسيئات التوبة والنصوح والاستغفار والإنابة إلى الله بذكره وحبه وخوفه ورجائه والطمع فيه وفي فضله كل وقت ومن ذلك الكفارات

المالية والبدنية التي حددها الشارع ومن الحسنات التي تدفع السيئات العفو عن الناس والإحسان إلى الخلق من الآدميين وغيرهم وتفريج الكربات والتيسير على المعسرين وإزالة الضرر والمشقة عن جميع العالمين قال تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ [هود: ١١٤] وقال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر» وكم في النصوص من ترتيب المغفرة على كثير من الطاعات. ومما يكفر الله به الخطايا المصائب فإنه لا يصيب المؤمن همّ ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها خطاياه وهي إما فوات محبوب أو حصول مكروه بدني أو قلبي أو مالي داخلي أو خارجي لكن المصائب بغير فعل العبد فلهذا أمره بما هو من فعله وهو أن يتبع الحسنة السيئة ثم ذكر حق الله وهو الوصية بالتقوى الجامعة لعقائد الدين وأعماله الباطنة والظاهرة قال: «وخالق الناس بخُلق حسن» وأول الخُلق الحسن أن تكف عنهم أذاك من كل وجه وتعفو عن مساوئهم وأذيتهم لك ثم تعاملهم بالإحسان القولي والإحسان الفعلي وأخص ما يكون بالخُلق الحسن سعة الحلم على الناس والصبر عليهم وعدم الضجر منهم وبشاشة الوجه ولطف الكلام والقول الجميل المؤنس للجليس المدخل عليه السرور المزيل لوحشته ومشقة حشمته وقد يحسن المزح أحياناً إذا كان فيه مصلحة لكن لا ينبغي الإكثار منه وإنما المزح في الكلام كالملح في الطعام إن عدم أو زاد على الحد فهو مذموم. ومن الخُلق الحسن أن تعامل كل أحد بما يليق به ويناسب حاله من صغير وكبير وعاقل وأحمق وعالم وجاهل. فمن اتقى الله وحقق تقواه وخالق الناس على اختلاف طبقاتهم بالخلق الحسن فقد حاز الخير كله لأنه قام بحق الله وحقوق العباد ولأنه كان من المحسنين في عبادة الله المحسنين إلى عباد الله. انتهى.

قال الأحنف بن قيس: ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزأة. الخُلُقُ السجيح والكف عن القبيح. ألا أخبركم بأدواء الداء. الخُلُقُ الدنيء واللسان البذيء.

قال الأصمعي: كان من دعاء أبي المحبب: اللهم اجعل خير عملي ما

قارب أجلي قال: وكان يقول في دعائه: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع.

يروى أنه اجتمع قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب. قال: هي أكثر من أن تحصى وقد وجدت خصلة إذا استعملها الإنسان سترت عيوبه قال: وما هي قال: حفظ اللسان.

يروى عن الحجاج أنه كان يقول: إن امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر في معاده لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة. يروى أنه كان قاصّ يكثر التحديث عن بني إسرائيل فيظن به الكذب فقال له رجل: ما كان اسم بقرة بني إسرائيل قال: حنتمة فقال له رجل: في أي الكتب وجدت هذا قال: في كتاب عمرو بن العاص.

قال شاعر يسمى أبي رباط يشكر ابنه:

رأيت رباطاً حين تمّ شبابه	وولى شبابي ليس في بره عتبُ
إذا كان أولاد الرجال حرارة	فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب من أنيق وجانب	شديد على الأعداء مركبه صعب
وتأخذه عند المكارم هزة	كما اهتزّ تحت البارح الغصن الرطب

للراحة حدّ فمتى زادت عليه صارت توانياً وكسلاً وإضاعة للوقت ومتى نقصت عنه صارت ضارة بالقوى موهنة لها وربما صار صاحبها كالمنبتّ الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

يقال: الشباب الصحة، والسلطان الغنى، والمروءة الصبر على الرجال.

قال السفاريني رحمه الله تعالى في شرح منظومة الآداب:

لا تلتزم عادة واحدة بل كن مع الدهر حيث كان فإذا وسع الله عليك فلا بأس أن تظهر أثر نعمته عليك من غير كبر ولا عجب ولا خيلاء وإذا تقلص العيش فألزم نفسك الصبر والرضا بالقضاء وكن مطمئن القلب منشرح

الصدر تكن من خير عباد الله ولا بد في ذلك كله أن يكون اللبس لله فإن كان جميلاً يكون إظهاراً للنعمة وأن يُرى عليه أثرها ولا يكون سبب لبسه أنه غار من غيره بأن رأى على غيره لباساً جميلاً فغار منه ففعل مثله ولا يكون اللبس للشهرة ولا شك أن ثوب الشهرة تارة يكون غالياً له قيمة كثيرة وتارة يكون نازلاً قليل الثمن له منظر غير حسن وهما الشهرتان وقد نهينا عنهما ولا وجه للمنافسة في الدنيا إذا كنت على بصيرة من أنها لا تعدل جناح بعوضة.

(فائدتان)

الأولى تقدم أن السلف الصالح كانوا لا يردون موجوداً ولا يتكلفون مفقوداً بل كانت حالتهم التسليم للعليم الحكيم فإذا قدم إليهم الطيب لم يمتنعوا من تناوله وإذا حصل لهم الخشن لم يأنفوا من أكله وكذا اللباس وكل شؤونهم كانت منطبقة على هذا الشأن وهذا المراد بقول الناظم رحمه الله ولا تتعود لعادة يحصل لك إذا فقدتها بعض ألم أو ضرر فإن الطبيعة سرّاقة فمن ألف التنعم صعب عليه فراقه فينبغي للعاقل أن يكون تارة هكذا وتارة هكذا وهذا شأن العبد مع سيده إن منحه شكر وإن منعه صبر.

الثانية: المعتبر من الإنسان المعنى والصفات ولا الملابس والذات وقد روى البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس» وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر في السكينة والوقار» قلت: وقد أكثر الشعراء من أصحاب الرقائق والبلغاء وأصحاب الحكم والدقائق من هذا المعنى فمنه قول ابن الوردي في لاميته:

خذ بنصل السيف واترك غمده	واعتبر فضل الفتى دون الحلل
لا يضر الفضل إقلال كما	لا يضر الشمس إطباق المقل

ومثله قول بعضهم:

وما ضرّ نصل السيف أخلاق غمده	إذا كان عضباً حين يضرب باترا

وأنشد ابن دريد لبعض الأعراب:

يغـايـظونـا بقمصـان لهم جـدد كـأننا لا نـرى في السـوق قمصـانـا
ليس القميص وإن جـددت رقعتـه بجـاعـل رجـلاً إلا كمـا كـانـا

وعن مسلم بن يسار قال: إذا لبست ثوباً فظننت أنك فيه أفضل مما في غيره فبئس الثوب هو لك. وقال منصور بن عمار: من تعرى من لبـاس التقوى لم يستتـر بشيء من لباس الـدنيـا. وعلى كـل حـال الآدمي خلق من التـراب والتراب من الأرض وهي تارة تعرى وأخرى تكتسي. والمقصود أن الإنسان لا يغتر باللباس فإن الذات أشرف منه ولا يغتر بالأجسام فإن وراء هذا الجسم مـا هو أشرف منه وأرقى منزلة وأعظم شأناً.

يـا خـادم الجسم لا تعبـأ بخـدمتـه فـأنت بـالـروح لا بـالجسم إنســان

انتهى باختصار من شرح المنظومة.

يـروى عن علي بن أبي طـالب رضي الله عنـه أنـه قـال: لا تكثـر على أخيك الحوائج فإن العِجْل إذا أفرط في مص ثدي أمه نطحته.

يروى أن عبدالله بن جدعان كـان في ابتداء أمـره صعلوكاً وكـان شريـراً يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربـاً على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقاً فدخل فيه فوجد في صـرة شيئاً كهيئة الثعبان فدنا منه وقال: لعله يثب عليّ فيقتلني وأستريح قال: فدنا منه فوجده مصنـوعاً من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتاً فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعنـد رؤوسهم لوح مكتـوب فيه تـاريخهم وإذا بهم رجال من جـرهم وفي وسط البيت كوم من اليـاقوت الأحمـر والزمـرد والـذهب والفضـة واللؤلؤ فأخذ منه قدر مـا يحمل وعلم الشق وذهب إلى قـومه فـأغناهم ورجـع فلم يدر مكان الشق. قال رسول الله ﷺ: «لقد كنت أستظل بجفتة عبدالله بن جدعان من الهجير» قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيئاً قال: «لا لأنه لم يقل ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين» والله أعلم.

يروى أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ما يصنع الله بهـذه فابتـلاه الله تعالى

بقرحة عجز الأطباء فيها فبينما هو ذات يوم وإذا بطرقي يقول من به وجع كذا إلى أن قال من به قرحة فخرج إليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال: ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال: ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيئاً سدى وأن في أخس المخلوقات أهمّ الأدوية فسبحان القادر على كل شيء.

غريبة: يروى عن ذي النون المصري قال: بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطىء البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطىء البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون: فأتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة فوجدت تحتها غلاماً نائماً من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون: فتعجبت وأنشدت:

يا راقداً والجليل يحفظه ... من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ... يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال: فلما سمع ذلك قال أشهدك عليّ أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرّينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحاً وساح إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه.

فائدة

من فتاوى شيخنا:

س: هل يجوز للمسبوق أن يقوم لقضاء ما فاته قبل أن يكمل الإمام التسليم؟

ج: لا يحل له ذلك وعليه أن يمكث حتى ينتهي الإمام من التسليمة

الثانية فإن قام قبل انتهاء سلامه ولم يرجع انقلبت صلاته نفلاً وعليه إعادتها لأن المأموم فرض عليه أن يبقى مع إمامه حتى تتم صلاة الإمام.

فائدة في فضل السلام

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» متفق عليه. وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تحابوا أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام» أخرجه مسلم.

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» أخرجه مسلم وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا بسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهل منزله» أخرجه أبو داود.

وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفيما يقول حين يخرج قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يخرج من منزله بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى يقال له حينئذ كفيت ووقيت وهديت ويتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي» أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته رفع طرفه إلى السماء فقال: «بسم الله توكلت على الله اللهم

إني أعـوذ بك أن أضـل أو أُضـل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهـل أو يجهل علي» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه قال الترمذي حـديث صحيح .

فائدة

في حسن المعاتبة قال شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى :

يعجبني ما وقع لبعض أهل العلم وهو أنه كتب له إنسان من أهل العلم والدين ينتقده انتقاداً حاراً في بعض المسائل ويزعم أنه مخطىء فيها حتى أنـه قدح في قصده ونيته وادعى أنه يدين الله ببغضه بنـاء على ما تـوهم من خطئـه فأجاب المكتوب له

يـا أخي إنك إذا تـركت ما يجب عليـك من المودة الـدينية وسلكت مـا يحـرم عليك من اتهـام أخيك بـالقصد السيء على فـرض أنه أخـطأ وتجنبت الدعوة إلى الله بـالحكمة في مثـل هذه الأمـور فإني أخبـرك قبل الشـروع في جـوابي لك عمـا انتقدتني عليـه بأني لا أتـرك ما يجب عليّ من الإقـامة على مودتك والاستمرار على محبتك المبنية على ما أعرفه من دينك انتصاراً لنفسي بل أزيد على ذلك بإقامة العذر لك في قدحك في أخيك بأن الدافع لك على ذلك قصد حسن لكن لم يصحبه علم يصححه ولا معرفة تبين مـرتبته ولا ورع صحيح يوقف العبد عند حده الذي أوجبه الشارع عليه فلحسن قصدك عفوت لك عما كان منك لي من الاتهام بالقصد السيء فهب أن الصواب معـك يقيناً فهل خطأ الإنسان عنوانٌ على سـوء قصده فلو كـان الأمر كـذلك لـوجب رمي جميع علماء الأمة بالقصود السيئة فهـل سلم أحد من الخـطأ وهل هـذا الذي تجـرأت عليه إلا مخـالف لمـا أجمـع عليـه المسلمـون من أنـه لا يحـل رمي المسلم بـالقصد السيء إذا أخـطأ والله تعالى قـد عفـا عن خـطأ المؤمنين في الأقوال والأفعال وجميع الأحوال ثم نقـول: هب أنه جـاز للإنسـان القدح في إرادة من دلت القرائن والعلامات على قصده السيء أفيحل القدح فيمن عندك من الأدلة الكثيرة على حسن قصده وبعده عن إرادة السوء ما لا يسـوغ لك أن

تتوهم فيه شيئاً بما رميته به وإنّ الله أمر المؤمنين أن يظنوا بإخوانهم خيراً إذا قيل فيهم خلاف ما يقتضيه الإيمان.

فقال تعالى: **﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾** واعلم أن هذه المقدمة ليس الغرض منها مقابلتك بما قلت، فإني كما أشرت لك قد عفوت عن حقي إن كان لي حق ولكن الغرض النصيحة وبيان موقع هذا الاتهام من العقل والدين والمروءة الإنسانية ثم إنه بعد هذا أخذ يتكلم عن الجواب عن انتقاده بما لا محل لذكره هنا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين:

فصل

صِدق التأهب للقاء الله من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته فإن من استعد للقاء الله انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها وخمدت من نفسه نيران الشهوات وأخبت قلبه إلى الله وعكفت همته على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته واستحدثت همة أخرى وعلوماً أخر وولد ولادة أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أن كان في بطن أمه فيولد قلبه ولادة حقيقية كما ولد جسمه حقيقة وكما كان بطن أمه حجاباً لجسمه عن هذه الدار فهكذا نفسه وهواه حجاب لقلبه عن الدار الآخرة فخروج قلبه عن نفسه بارزاً إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أمه بارزاً إلى هذه الدار وهذا معنى ما يذكر عن المسيح عليه السلام أنه قال: «يا بني إسرائيل إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين» ولما كان أكثر الناس لم يولدوا هذه الولادة الثانية ولا تصوروها فضلاً عن أن يصدقوا بها فيقول القائل: كيف يولد الرجل الكبير أو كيف يولد القلب لم يكن لهم إليها همة ولا عزيمة إذ كيف يعزم على الشيء من لا يعرفه ولا يصدقه، ولكن إذا كشف حجاب الغفلة عن القلب صدق بذلك وعلم أنه لم يولد قلبه بعد.

والمقصود أن صدق التأهب للقاء الله تعالى هو مفتاح جميع الأعمال

الصالحة والأحوال الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله تعالى ومنازل السائرين إليه من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله والمفتاح بيد الفتاح العليم لا إله غيره ولا ربّ سواه. انتهى.

ينسب للمتنبي هذين البيتين:

أبعين مفتقر إليك نظرتني ... فأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم أنا الملوم لأنني ... أنزلت آمالي بغير الخالق

وقال الطغرائي:

لا تحقرن الرأي وهو الموافق ... حكم الصواب وإن بدا من ناقص

فالدّرّ وهو أجل شيء يقتنى ... ما حط رتبته هوان الغائص

وقال ابن طباطبا في طول الليل:

كأن نجوم الليل سارت نهارها ... فوافت عشاء وهي أنضاء أسفار

وقد خيّمت كي يستريح ركابها ... فلا فلك جارٍ ولا كوكب ساري

فكاهة: [illegible] رأى تبراً [illegible] الشام عليه مكتوب: لا يغترن أحد بالدنيا فإني ابن مَنْ كان يطلق الريح إذا شاء [illegible] إذا شاء. [illegible] لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام، إنما هو ابن حدّاد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها [illegible] والله أعلم.

نبذة عن حماد الراوية قال ابن خلكان في ترجمته: وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً وقد حضر مجلسه بِمَ استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً ومحدثاً إلا ميزت القديم من المحدث فقال له: فكم مقدار ما تحفظ من الشعر فقال: كثير ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء

الإسلامفقال: سأمتحنك في هذا وأمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم. انتهى.

القاضي شريح كان من كتاب التابعين وأدرك الجاهلية واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ولم يقض بين اثنين حتى مات وكان أعلم الناس بالقضاء ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة قال ابن عبد البر وكان شاعراً محسناً وهو أحد السادات الطُّلس وهم أربعة عبدالله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم والقاضي شريح المذكور. والأطلس الذي لا شعر في وجهه وحدث محمد بن سعد عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه إن بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمت وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم فقص قصته عليه فقال: انطلق فخاصمهم فانطلق إليهم فتخاصموا إليه فقضى على ابنه فقال له لما رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك فقال: والله يا بني لأنت أحب إليّ من ملء الأرض مثلهم ولكن الله أعزّ عليّ منك خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم. انتهى من وفيات الأعيان.

قال ظافر الحداد. تحذيراً عن النظر المحرم:

لو كان بالصبر الجميل ملاذة ... ماسح وابل دمعه ورذاذه
ما زال جيش الحب يغزو قلبه ... حتى وهى وتقطعت أفلاذه
لم يبق فيه مع الغرام بقية ... إلا رسيس يحتويه جذاذه
من كان يرغب في السلامة فليكن ... أبداً من الحدق المراض عياذه
لا تخدعنك بالفتور فإنه ... نظر يضر بقلبك استلذاذه

ذكر ابن خلكان عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان لنا جار صحان رافضي وكان له بغلان سمَّى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه ذات

ليلة أحد البغلين فقتله فأُخبر جدي أبو حنيفة بـه فقال: انـظروا فإني أخـال أن البغل الذي سماه عمر هو الذي رمحه فنظروا. فكان كما قال.

نبذ

يقــولـون هــذي أم عمـرو قــريبـة   دنت بــك أرض نحــوهــا وسمــاء
ألا إنـمــا قــرب الـحـبيـب وبعــده   إذا هــو لـم يــوصــل إليــه ســواء

* * *

وقــالـوا بــع حبيبــك وابــغ عنــه   حـبـيـبــاً آخــر تـحـيــا سـعــيــدا
إذا كــان القــديم هــو المصــافـي   وخــان فكيـف أئتمن الـجـديــدا

* * *

إذا أنت لم تـوقن بمـا صنــع الهـوى   بـأهـل الهـوى فـافقـد حبيباً وجـرب

* * *

يــا لـيــل طــل أو لا تــطـل   لا بــد لــي أن أســهــرك
لــو بــات عـنــدي قـمــري   مــا بــتّ أرعــى قــمــرك

قيـل لأعرابي: ألا تخضب شعـرك فقال: لمـا ذاك فقيل: لتصبـو إليك النساء فقال: أما نساؤنا فما يردن بنا بديلاً وأما غيرهن فما نلتمس صبوتهن.

يروى أن عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليـد قال لمعـاوية رضي الله عنـه: إني لأراك تقدم أحياناً حتى أقول أشجع الناس وأراك تحجم أحياناً حتى أقـول أجبن الناس. قال: إني أقـدم ما كـان الإقدام غُنمـاً وأحجم ما كـان الإحجام حزماً فأنا كما قال القائل:

شجــاع إذا مــا أمكنتـني فــرصــة   وإن لم يكن لي فــرصــة فـجبــان

يروى عـن أحد الحكماء أنه قال: يجب على الرجـل أن يكون سخيـاً ولا يبلغ التبذير وأن يكون حافـظاً ولا يبلغ البخل وأن يكـون شجاعـاً ولا يبلغ التضييع وأن يكون محتـرساً ولا يبلغ الجبن وأن يكـون ماضيـاً ولا يبلغ القحة وأن يكـون قوّالاً ولا يبلغ الهـذر وأن يكون صمـوتـاً ولا يبلغ العي وأن يكـون

حليماً ولا يبلغ الذل وأن يكون آنفاً ولا يبلغ الزهو وأن يكون حيياً ولا يبلغ العجز.

قال شاعر:

حتى متى وإلى متى تتوانى — وأظن هذا كله نسيانا
والموت يطلبنا حثيثاً مسرعاً — إن لم يزرنا بكرة مسّانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية — وكأنما يُعنى بذاك سوانا
يا من يصير غداً إلى دار البلى — ويفارق الأخوان والخلانا
إن الأماكن في المعاد عزيزة — فاختر لنفسك إن عقلت مكانا

حكم وأمثال

لا تعهد إلى الذئب رعاية الغنم.

تؤخذ الطيور بقوائمها وتؤخذ الرجال بألسنتها.

يجلد السرج كي يفكر الحمار.

احذر المياه العميقة والكلب الذي لا ينبح.

الخبز المأكول ينسى بسرعة.

ترك الفضول من حزم العقول.

سل المجرب ولا تنس الطبيب.

طعامك ماجاني ودخانك أعماني.

أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.

النصح بين الملا تقريع.

صديق الوالد عم الولد.

دقيقة صبر تمنحك سنوات سلام.

الابن مصباح البيت المظلم.

يد تغسل الأخرى والاثنتان تغسلان الوجه.

كل يعتقد بومته صقراً.

ليس البيت الاسمنت والأثاث البيت امرأة.

إذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش.

جارك مرآك إن لم ينظر وجهك نظر قفاك.

إجلس حيث يؤخذ بيدك وتُبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتُجر.

حيثما سقط لقط.

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً.

أمثال منظومة

إذا أراد كـريـم نـفـع صـاحـبـه   فليس يخـفى عـلـيـه كيف يـنـفعـه

* * *

إذا مـا أتيت الأمـر من غيـر بـابـه   ضللت وإن تقصـد إلى الباب تهتـد

* * *

بـالملح نصلح مـا نخشى تغـيـره   فكيف بـالملح إن حلت بـه الغيـر

* * *

حيـاك من لم تكن تـرجـو تحيتـه   لـولا الـدراهم مـا حيـاك إنسـان

* * *

إذا مـا أراد الله إهـلاك نـمـلة   سمت بجناحيها إلى الجـو تصعـد

* * *

إذا محـاسني الـلاتي أتيت بـهـا   عـدّت ذنـوباً فقـل لي كيف أعتـذر

* * *

ألم تـر أن المـرء تـدوي يمينـه   فيقـطعهـا عمـداً ليسلم سـائـره

* * *

ستـذكـرني إذا جـربـت غيـري   وتـعـلـم أنـنـي نـعـم الـصـديق

* * *

شكـرتك قبـل الخيـر إن كنت واثقـاً   بـأني بعـد الخيـر لا شـك شـاكـر

* * *

مـن لـم يـعـدنـا إذا مـرضـنـا   إن مـات لـم نـشـهـد الـجـنـازة

* * *

من النـاس من يغشى الأباعـد نفعـه   ويشقى بـه حتى الممـات أقـاربـه

* * *

نُسـود أعـلاهـا وتـأبى أصـولهـا   ولـيس إلى رد الـشـبـاب سـبـيـل

* * *

هنـاكم الله بـالـدنيـا ومتعكـم بمـا نحب لكـم منهـا ونـرضـاه

* * *

ومـا المـرء إلا كـالهـلال وضـوؤه يـوافـي تمـام الـشهـر ثـم يغيب

* * *

وقـد تسلب الأيـام حـالات أهلهـا وتعـدوا على أسد الـرجال الثعالب

* * *

ومن يكن مثـلي ذا عيـال ومـقتـراً من الـزاد يـطرح نفسـه أي مـطرح

* * *

وأحْسِن فـإن الـمـرء لا بـد ميت وإنـك مجـزي بمـا كنت ساعيـاً

* * *

ولا تـريـن الـنـاس إلا تـجـمـلاً وإن كنت صفر الكف والبطن طـاوياً

* * *

فـكنت كمـن هـو غـريق بـلجـة تمسـك بـالـمـوج الـذي يتـقلب

* * *

فـكـن جـلداً ولا تـك ذا لـجـاج فمـا يغنيـك إن فـات الـفـوات

* * *

مـا كنت أعلم والضـمـائـر تصـدق أن المسـامـع كـالنـواظـر تعشق

* * *

ولـو رمت ألـوي عن هـواك أعنتي لقـاد زمـامي نحـو حبـك قـائـد

* * *

فـلا تحسبوا أن الغـريب الذي نـأى ولـكـن مـن تـأون عـنـه غـريـب

* * *

شكر أعرابي رجلاً أولاه جميلاً فقال له: لا ابتـلاك الله ببلاء يعجـز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك.

يروى أن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان أسرّ إليه معاوية سراً فأتى أباه عنبسة فقال: إن معاوية أسرّ إليّ سراً فأحدثك به قال: لا قال: ولم قال: لأن الرجل إذا كتم سره كان الأمر إليه وإذا أذاعه فالأمر عليه ولا تجعلن نفسك مملوكاً بعد أن كنت حُراً قال: أفيدخل هذا بين الأب وابنه قال: لا يا بني ولكن أكره أن تذلل لسانك بإفشاء السر قال: فأتى معاوية فذكر ذلك له فقال: أعتقك أخي من رق الخطأ.

دخل رجل على سليمان بن عبدالملك فقال له: اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان قال: وما يوم الأذان قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**﴾ فبكى سليمان وأزال ظلامته.

دعاء: اللهم إني أعوذ بك من الكمد. ومن الانطواء على الحسد. ومن صاحب لا يقيل عثرة. ولا يقبل معذرة. ومن صديق يمدح في المحيا، ويغمز في القفا ومن جار مؤذٍ وولد عاق.

فائدة

من مختصرتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُم لَهُ مُنكِرُون * ولَمّا جَهّزهُم بِجِهَازِهم قَالَ ائتوني بأخٍ لَكُم مِنْ أبِيْكُم ألاَ تَرون أنّي أوفِي الكَيْل وَأنَا خَيرُ المُنزلِينَ * فَإنْ لَمْ تَأتُوني بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْربُونِ * قَالُوا سَنُراودُ عَنْه أباهُ وَإنَّا لَفاعلون *وَقَالَ لفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتهم في رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرفُونَهَا إذَا انْقَلَبُوا إلَى أهْلِهِمْ لَعَلَّهَمْ يَرجِعُونَ**﴾ ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السنين المخصبة ثم تلتها السبع السنين المجدبة وعم القحط بلاد مصر بكمالها ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وورد عليه الناس من سائر الأقاليم يمتارون لأنفسهم وعيالهم

فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة وكان عليه السلام لا يُشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يتكفأ الناس بما في أيديهم مدة السبع السنين وكان رحمة من الله على أهل مصر والغرض أنه كان في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه فأخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعاماً وركبوا عشرة نفر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام وكان أحب ولده إليه بعد يوسف فلما دخلوا على يوسف وهو جالس في أبهته ورياسته وسيادته عرفهم حين نظر إليهم **﴿وهم له منكرون﴾** أي لا يعرفونه لأنهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه فلهذا لم يعرفوه وأما هو فعرفهم فذكر السدي وغيره أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي فقالوا: أيها العزيز قدمنا للميرة قال: فلعلكم عيون قالوا: معاذ الله قال: فمن أين أنتم قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله قال: وله أولاد غيركم قالوا: نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إلى أبيه وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه. فأمر بإنزالهم وإكرامهم **﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾** أي أوفى لهم كيلهم وحمل لهم أحمالهم قال: ائتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم **﴿ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾** يرغبهم في الرجوع إليه ثم رهبهم فقال: **﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾** أي إن لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي ميرة **﴿ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾** أي سنحرص على مجيئه إليك بكل ممكن ولا نبقي مجهوداً لتعلم صدقنا فيما قلناه **﴿وقال لفتيانه﴾** أي غلمانه **﴿اجعلوا بضاعتهم﴾** أي التي قدموا بها ليمتاروا عوضاً عنها **﴿في رحالهم﴾** أي في أمتعتهم من حيث لا يشعرون **﴿لعلهم يرجعون﴾** بها قيل خشي أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها وقيل أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجاً وتورعاً لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم.

يروى أن المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميراً يحدثه فقال: يا أمير

المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة: لا أجيب خطبة ابنك حتى تجعلي في صداق ابنتي مائة ضيعة خَرِبة فقالت بومة الموصل: لا أقدر عليها لكن إن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال: فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية.
قال بعضهم يتشوق:

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت ... لحبكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت ... رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم ... بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحاً من دموعي بقطرة ... فقد صرت سمحاً بعدكم بدماها
يراني بساماً خليلي يظن بي ... سروراً وأحشاي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرا ... رة يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياماً بطيب حديثكم ... تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت إيها بعدها لمسامر ... من الناس إلا قال قلبي آها

* * *

قال بعض العرب لولده يا بنيّ لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوباً إليه وطالب كان مطلوباً ما لديه وكن كما قال القائل:

وعد من الرحمٰن فضلاً ونعمة ... عليك إذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغباً ... فإنك لا تدري متى أنت راغب

ومما ذكر من المكارم ما يروى أن رجلاً زوّر ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع في أن يزن له الألف دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال

للوكيل: أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال: لا قال: جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيراً في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له: طب نفساً وامض إلى سبيلك آمناً على نفسك فقبل الرجل يده وقال له: سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الإنسان أن يتأسى بهذه الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة. ويقتفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلماً وأحسنهم خلقاً وأكرمهم خلقاً وأكثر تجاوزاً وصفحاً وأبرهم للمفتري عليه نجحاً ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. نقلنا هذه القصة من المستطرف.

حكم وأمثال

عصفور مهزول على مائدتك خير من كركي على مائدة غيرك.

لا تأكل خبزك على مائدة غيرك.

ليس كل من سوّد بيته فهو حداد.

ولا كل من دمعت عينه فهو طباخ.

ذهب الحمار يطلب قرنين فرجع بلا أذنين.

الأخبار الحسنة تمشي والأخبار السيئة تجري.

عدم وجود الملعقة أهون من عدم المرق.

يلقط الأفاعي بيد غيره.

يعتقد السارق أن كل الناس لصوص.

يبحث الفقير عن المأكل والغني عن الشهية.

ما ضاع أبداً من سار على درب مستقيم.

ليس ثمة ملعقة لا تصدم حافة القدر.

صاحب الأخيار تأمن الأشرار.

إن لم يجيء معك فاذهب معه.

أنا أجره إلى المحراب وهو يجرني إلى الخراب.

حيث تقطع يخرج الدم.

بإزاء لطف الكلام يخدع الكرام.

طريق الأقرع على أصحاب الطواقي.

كل ما في القدر تخرجه المغرفة.	السواقي الصغيرة تصنع الجداول الكبيرة.
عين واحدة تكفي البائع وللشاري اثنتان.	للأب المقتر ابن مبذر.
عنز تعطي حليباً أفضل من بقرة عقيمة.	ضرب رؤوسنا بالحائط لا يجلب سوى الورم.
تكمن الصعوبة في الخطوة الأولى.	حبّ الشرير أخطر من بغضه.

ذكر ابن خلكان في ترجمة ربيعة الرأي ما يلي: (قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف حدثني مشائخ أهل المدينة أنّ فرّوخاً أبا عبدالرحمٰن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حمل في بطن أمه وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلي فقال فروخ: يا عدو الله أنت دخلت على حرمي فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فرّوخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع أمرأتي وكثر الضجيج فلما أبصروا بمالك سكتوا فقال مالك: أيها الشيخ لك سَعَة في غير هذه الدار فقال الشيخ: هي داري وأنا فرّوخ فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعاً وبكيا فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني فقالت: نعم قال: أخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار قالت: قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهلبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدَقَ الناسُ به فقالت المرأة لزوجها فروخ اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له قليلاً فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه دنية طويلة فشك أبوه فيه فقال: من هذا الرجل فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن فقال: فقد رفع الله ابني ورجع

إلى منزله وقال لوالـدته: لقـد رأيت ولدك على حـالة مـا رأيت أحداً من أهـل العلم والفقـه عليها فقـالت أمه: فـأيما أحب إليـك ثلاثـون ألف دينار أو هـذا الذي هو فيه فقال: لا والله بل هذا فقالت: فإني أنفقت المال كله عليه قـال: فوالله ما ضيعته. وقال معاذ بن معاذ سمعت سـوار بن عبدالله يقـول: ما رأيت أحـداً أعلم من ربيعة الـرأي قلت ولا الحسن وابن سيـرين قـال: ولا الحسن وابن سيرين. وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يـديه لصـديق أو غيره من ربيعه الرأي رحمه الله تعالى. انتهى من وفيات الأعيان.

فصل من كتاب الروح

لابن القيم رحمه الله تعالى:

والفرق بين الاحتراز وسوء الظن أن المحترز بمنزلة رجل قد خرج بماله ومركوبه مسافراً فهو يحترز بجهده من كل قاطع للطريق وكل مكـان يتوقـع منه الشر وكذلك يكون مع التأهب والاستعـداد وأخذ الأسبـاب التي بها ينجـو من المكـروه فالمحتـرز كالمتسلح المتـدرع الذي قـد تأهب للقـاء عدوه وأعـد له عدته فهمه في تهيئة أسباب النجاة ومحاربة عدوه قد أشغلته عن سوء الـظن به وكلما ساء به الظن أخذ في أنواع العدة والتأهب.

وأما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بـالناس حتى يـطفح على لسـانه وجـوارحـه فهم معـه أبـداً في الهمـز واللمـز والـطعن والعيب والبغض يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه فالأول يخالطهم ويحتـرز منهم والثـاني يتجنبهم ويلحقـه أذاهم الأول داخـل فيهم بـالنصيحـة والإحسان مع الاحتراز والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض انتهى.

يروى عن بعضهم قال: حضـر مجلس كافـور الإخشيدي فـدخل رجـل ودعـا له وقـال في دعائـه أدام الله أيامِ مـولانا بكسـر الميم من أيـام فتحـدث جمـاعة من الحـاضرين في ذلـك وعابـوه عليه فقـام كاتب كـافور أبـو إسحاق الأخباري وأنشد مرتجلاً:

لا غَـرْوَ أن لحن الـداعي لسيـدنـا ... أو غَصَّ من دَهَشٍ بـالـريق أو بَهَـر

فتلك هيبتـه حـالت جـلالـتهـا — بين الأديب وبين القـول بـالحصـر
فـإن يكن خَفَضَ الأيـام من غـلطٍ — في موضع النَّصْبِ لا عن قلة النـظر
فقـد تفـاءلتُ في هـذا لسيـدنـا — والفـألُ مـأثـورةٌ عن سيـد البشـر
أنّ أيـامـه خـفض بـلا نَـصـبٍ — وأنّ أوقـاتـه صـفـو بـلا كـدر

* * *

ذكر ابن خلكان في ترجمة أبو بكر الأنباري قال: وقال أبو علي القـالي كان أبو بكر ابن الأنباري يحفظ فيما ذكر ثلثمـائة ألف بيت شـاهد في القـرآن الكريم وقيل له: قد أكثر الناس من محفوظاتك فكم تحفظ فقال: أحفظ ثلاثة عشرة صندوقاً وقيل: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقـرآن بأسـانيدهـا. وذكر في ترجمة ابن دريد قوله: وكـان من تقدم من العلمـاء يقول: ابن دريـد أعلم الشعراء وأشعر العلماء فمن أول شعر قال قوله:

ثـوب الشبـاب عليّ اليـوم بهجته — وسـوف تنـزعـه عني يـدُ الكبـرِ
أنا ابن عشرين مـا زادت ولا نقصت — إن ابن عشـرين من شيب على خطر

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمِنْ أيته أن تَقُومَ السَّمآء والأرضُ بأمْـرِهِ ثُمَّ إذَا دَعَـاكُمْ دَعْـوةً مِنَ الأرْضِ إذا أنْتُم تَخْـرجُـونَ * وَلَـهُ مَنْ فِي السَّمـواتِ والأرضِ كُلٌّ لَهُ قَنِتون * وهُو الَّذِي يَبْدؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُو أهْوَنُ عَلْيهِ وَلَهُ المَثـلُ الأعْلَى فِي السَّمَواتِ والأرْضِ وَهُـوَ العَزِيـزُ الْحَكِيْمُ**﴾ أي ومن آيـاتـه العـظمية أن قـامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتـا بأمـره فلم تتزلـزلا ولم تسقط السماء على الأرض فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا يقدر بهـا على أنه إذا دعـا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخـرجون ﴿**لخلق السمـوات والأرض أكبـر من خلق النـاس**﴾ ﴿**ولـه من في السمـوات والأرض**﴾ الكل خلقه ومماليكه والمتصرف فيهم من غير منازع ولا معاون ولا معارض وكلهم قانتون لجلالـه خاضعـون لكمالـه ﴿**وهو الـذي يبدأ الخلق ثم**

يعيده وهو﴾ أي إعادة الخلق بعد موتهم **﴿أهون عليه﴾** من ابتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول فإذا كان قادراً على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي هي أهون أولى وأولى. ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به يعتبر المعتبرون ويتذكر المؤمنون ويستبصر المهتدون ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير فقال: **﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾** وهو كل صفة كمال والكمال من تلك الصفة والمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين والذكر الجليل والعبادة منهم. فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه. ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى فيقولون كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى **﴿وهو العزيز﴾** أي له العزة الكاملة والحكمة الواسعة فبعزته أوجد المخلوقات وأظهر المأمورات وبحكمته أتقن ما صنعه وأحسن فيها ما شرعه.

فوائد

في تلاوة القرآن ملخصاً مما ذكره النووي رحمه الله في كتاب الأذكار ينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وغيره.

ينبغي للقارىء أن يكون شأنه الخشوع والتدبّر والخضوع فهذا هو المقصود المطلوب وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظم ليله يتدبرها عند القراءة وصعق جماعة منهم ومات جماعات منهم ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فإن البكاء عند القراءة صفة للعارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى: **﴿ويخرّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكونَ وَيَزِيدُهُم خُشُوعاً﴾** وقال الخواص رحمه الله دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر. وخلاء البطن. وقيام الليل. والتضرع عند السحر. ومجالسة الصالحين.

فصل

قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة من حفظه هكذا قاله أصحابنا وهو مشهور عن السلف رضي الله عنهم وهذا ليس على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل وإن استويا فمن المصحف أفضل وهذا مراد السلف.

فصل

جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الإسرار قال العلماء: والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذي غيره من مُصَلٍّ أو نائم أو غيرهما ودليل فضيلة الجهر أن العمل فيه أكبر ولأنه يتعدى نفعه إلى غيره ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ولأنه يطرد النوم ويزيد في النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل.

فصل

ويستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حدّ القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام.

فصل

ويستحب للقارىء إذا ابتدأ من وسط السورة أن يبتديء من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض وكذلك إذا وقف على المرتبط وعند انتهاء الكلام ولا يتقيد في الابتداء ولا في الوقف بالأجزاء والأحزاب والأعشار فإن كثيراً منها في وسط الكلام المرتبط ولا يغتر الإنسان بكثرة الفاعلين لهذا الذي نهينا عنه ممن لا يراعي هذه الآداب وامتثل ما قاله الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها. ولا تغتر بكثرة السالكين الهالكين.

ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة بكمالها أفضل من قراءة قدرها من سورة طويلة لأنه قد يخفى الارتباط على كثير من الناس أو أكثرهم في بعض الأحوال والمواطن.

فصل

اعلم أن قراءة القرآن آكد الأذكار كما قدمنا فينبغي المداومة عليها فلا يخلي عنها يوماً وليلة ويحصل له أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة وقد روينا في كتاب ابن السني عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ في يوم وليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة. ومن قرأ خمسمائة كتب له قنطار من الأجر» وفي رواية «من قرأ أربعين آية» بدل خمسين والله أعلم.

يروى أن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات مات له جارية وقد خلفت له ابن ثمان سنين وكان يبكي عليها فيتألم بسببه فرثاها بقوله:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بُعَيْد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً في الفراش تجيبه ... بلابلُ قلب دائم الخفقان
فهبني أطلت الصبر عنها لأنني ... جليد فمن للصبر بابن ثمان
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جسمه ... ولا يأتسي بالناس في الحدثان

قصة لمعن بن زائدة أيام اختفائه عن المنصور. ذكروا عن مروان بن أبي حفصة الشاعر قال: أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن قال: إن المنصور جدّ في طلبي وجعل لمن يحملني إليه مالاً قال فاضطررت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس حتى لوّحت وجهي ولبست جبة صوف وركبت جملاً وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم بها قال: فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني أسود متقلد بسيف حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي فقلت له: ما بك فقال: أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت: ومن أنا حتى أُطلب فقال: أنت

معن بن زائدة فقلت له: يا هذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن فقال دع هذا فوالله إني لأعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له: هذا جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سبباً في سفك دمي قال: هاته فأخرجته إليه فنظر فيه ساعة وقال: صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك فقلت: قل قال: إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط قلت: لا قال فنصفه قلت: لا قال: فثلثه قلت: لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت: أظن أني قد فعلت هذا قال: ما ذاك بعظيم أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهماً وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفاً فقلت: يا هذا قد فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فإني غنيّ عنه فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقالي هذا والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمناً أبداً ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الأرض ابتلعته.

ولم يزل معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور وكان معن متوارياً بالقرب منهم فخرج متنكراً معتماً ملثماً وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالاً أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له: من أنت ويحك فكشف لثامه فقال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور وأكرمه وكساه وزينه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك في بعض الأيام فلما نظر إليه قال: هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله:

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال: كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة:

مـا زلتَ يـوم الهـاشميـة معلنـاً بـالسيف دون خليفـة الـرحمٰـن
فـمنعت حـوزتـه وكـنـت وقـاءه مـن وقـع كـل مـهـنّـد وسـنـان

فقال أحسنت يا معن. وقال له يـوماً: يـا معن ما أكثر وقوع النـاس في قومك فقال: يا أمير المؤمنين:

إن الـعـرانيـن تلقـاهـا مـحسـدة ولا تـرى للئـام النـاس حسـاداً

انتهى من وفيات الأعيان.

ومن كتاب المستطرف ما يلي:

لطيفة

قيل: إن خطافاً وقف على قبة سليمـان عليه السـلام وتكلم مع خـطافه وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها: تتمنعين مني ولو شئت قلبت هـذه القبة قال: فسمع سليمان فدعاه وقال: ما حملك على ما قلت فقال: يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم.

وقال في المستطرف (سمندل) حيوان يـوجد بـأرض الصين ومن عجيب أمره أن يبيض في النار ويفرخ فيها ويؤخـذ وبره فينسـج ويجعل منـه المناشف وهذه المناشف إذا اتسخت جعلت في النار فتأكل النار وسخهـا ولا تحرقهـا. وقال في المستطرف (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفأر وعنده الحيل قيل: إنـه عدا خلف فـأر فصعد منـه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفأر فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه أنـه يحب الذهب فيسـرقه ويلد عليـه. قيل: إن رجـلاً صاد فـرخاً من أولاده وحبسـه تحت طاسـة فجـاء أبـوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر وما زال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فـأراد ابن عرس أن يـأخذ مـا برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شيء فأفلته له.

قصـة عجيبة: يـروى أن أبا نصـر بـن مروان أكـل مـع بعض مقـدمي الأكـراد فأتى على سمـاطه بحجلتين مشـويتين فلمـا رآهمـا ضحـك الكـردي

فقال: مم تضحك قال: كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فمرّ بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع إليّ فلم أُقِله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يميناً وشمالاً فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال: اشهدا لي أنه قاتلي ظلماً فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر: والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه. والله أعلم.

الحديث الخامس والسبعون من كتاب بهجة قلوب الأبرار: عن مصعب ابن سعد أن النبي ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» رواه البخاري فهذا الحديث فيه أنه لا ينبغي للأقوياء القادرين أن يستهينوا بالضعفاء العاجزين لا في أمور الجهاد والنصرة ولا في أمور الرزق وعجزهم عن الكسب. بين الرسول ﷺ أنه قد يحدث النصر على الأعداء وبسط الرزق بأسباب الضعفاء بتوجههم ودعائهم واستنصارهم واسترزاقهم وذلك أن الأسباب التي تحصل بها المقاصد نوعان نوع يشاهد بالحس وهو القوة بالشجاعة القولية والفعلية وبحصول الغنى والقدرة على الكسب وهذا النوع هو الذي يغلب على قلوب أكثر الخلق ويعلقون به حصول النصر والرزق حتى وصلت الحال بكثير من أهل الجاهلية أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر ووصلت بغيرهم إلى أن يتضجروا بعوائلهم الذين عُدم كسبهم وفقدت قوتهم وهذا كله قصر نظر وضعف إيمان وقلة ثقة بوعد الله وكفايته ونظر للأمور على غير حقيقتها. النوع الثاني: أسباب معنوية وهي قوة التوكل على الله في حصول المطالب الدينية والدنيوية وكمال الثقة به وقوة التوجه إليه والطلب منه وهذه الأمور تقوى جداً من الضعفاء العاجزين الذين ألجأتهم الضرورة إلى أن يعلموا حق العلم أن كفايتهم ورزقهم ونصرهم من عند الله وأنهم في غاية العجز فانكسرت قلوبهم وتوجهت إلى الله فأنزل لهم من نصره ورزقه من دفع المكاره وجلب المنافع ما لا يدركه القادرون ويسر للقادرين بسببهم من الرزق ما لم يكن لهم في حساب فإن الله جعل لكل أحد رزقاً مقدراً وقد جعل أرزاق هؤلاء العاجزين على يد القادرين وأعان القادرين على ذلك وخصوصاً من قويت ثقتهم بالله واطمأنت نفوسهم لثوابه فإن الله يفتح لهؤلاء من أسباب

النصر والرزق ما لم يكن لهم ببال ولا دار لهم في خيال فكم من إنسان كان رزقه مقتراً فلما كثرت عائلته والمتعلقون به وسع الله له الرزق من جهات وأسباب شرعية قدرية إلهية. ومن جهة وعد الله الذي لا يخلف ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**﴾ ومن جهة دعاء الملائكة كل صباح يوم «اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً» ومن جهة أن أرزاق هؤلاء الضعفاء توجّهت إلى من قام بهم وكانت على يده ومن جهة أن يد المعطي هي العليا من جميع الوجوه ومن جهة أن المعونة من الله تأتي على قدر المؤنة وأن البركة تشارك كل ما كان لوجهه ومراداً به ثوابه ولهذا نقول: ومن جهة إخلاص العبد لله وتقربه إليه بقلبه ولسانه ويده كلما أنفق توجه إلى الله وتقرب إليه وما كان له فهو مبارك ومن جهة قوة التوكل وثقة المنفق وطمعه في فضل الله وبره والطمع والرجاء من أكبر الأسباب لحصول المطلوب ومن جهة دعاء المستضعفين المنفَقْ عليهم فإنهم يدعون الله إن قاموا وقعدوا وفي كل أحوالهم لمن قام بكفايتهم والدعاء سبب قوي ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ وكل هذا مجرب مشاهد فتباً للمحرومين وما أجل ربح الموفقين والله أعلم.

الحديث الثاني والثمانون عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» متفق عليه يدل هذا الحديث بمنطوقه على أن من لا يرحم الناس لا يرحمه الله وبمفهومه على أن من يرحم الناس يرحمه الله كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» فرحمة العبد للخلق من أكبر الأسباب التي تنال بها رحمة الله التي من آثارها خيرات الدنيا وخيرات الآخرة وفقدها من أكبر القواطع والموانع لرحمة الله والعبد في غاية الضرورة والافتقار إلى رحمة الله لا يستغني عنها طرفة عين وكل وما هو فيه من النعم واندفاع النقم من رحمة الله فمتى أراد أن يستبقيها ويستزيد منها فليعمل جميع الأسباب التي تنال بها رحمته وتجتمع كلها في قوله تعالى: ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ وهم المحسنون في عبادة الله المحسنون إلى عباد الله والإحسان إلى الخلق أثر من آثار رحمة العبد بهم

والرحمة التي يتصف بها العبد نوعان النوع الأول رحمة غـريزيـة قد جبـل الله بعض العبـاد عليها وجعـل في قلوبهم الرأفـة والـرحمـة والحنـان على الخلق ففعلوا بمقتضى هـذه الـرحمـة جميـع مـا يقـدرون عليـه من نفعهم بحسب استطاعتهم فهم محمودون مثابون على ما قاموا به ومعـذورون على ما عجـزوا عنه وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم. والنوع الثـاني رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة تجعـل قلبه على هـذا الوصف فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجل مكـارم الأخلاق وأكملهـا فيجاهـد نفسه على الاتصاف به ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب وما في فـوته من حـرمان الثـواب فيرغب في فضـل ربه ويسعى بـالسبب الذي ينـال به ذلـك ويعلـم أن الجزاء من جنس العمل ويعلم أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية قـد عقدهـا الله وربطها بين المؤمنين وأمرهم أن يكونوا إخواناً متحابين وأن ينبـذوا كل مـا ينافي ذلك من البغضـاء والعداوات والتـدابر فـلا يزال العبـد يتعرف الأسبـاب التي يدرك بها هذا الوصف الجليـل ويجتهد في التحقق بـه حتى يمتلىء قلبه من الـرحمة والحنـان على الخلق ويـا حبـذا هـذا الخُلق الفـاضـل والـوصف الجليل الكامل. وهذه الـرحمة التي في القلوب تـظهر آثـارها على الجـوارح واللسان في السعي في إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس وإزالة الأضـرار والمكاره عنهم وعلامة الرحمة الموجودة في قلب العبد أن يكون محباً لوصول الخير لكافة الخلق عمومـاً وللمؤمنين خصوصـاً. كارهـاً حصول الشـر والضرر عليهم فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته. ومن أصيب حبيبه بمـوت أو غيره من المصائب فإن كان حـزنه عليـه لرحمـة فهو محمـود ولا ينافي الصبـر والرضى لأنه ﷺ لما بكى لموت ولد ابنته قال له سعد: ما هـذا يا رسـول الله فأتبع ذلك بعبرة أخـرى قال: «هـذه رحمة يجعلهـا الله في قلوب عباده وإنمـا يـرحم الله من عباده الـرحماء» وقـال عند مـوت ابنه إبـراهيم: «القلب يحـزن والعين تدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنـا لفراقـك يا إبـراهيم لمحزونـون» وكذلك رحمة الأطفال الصغار والرقة عليهم وإدخال السرور عليهم من الرحمة وأما عدم المبالاة بهم وعدم الرقة عليهم فمن الجفاء والغلظة والقسوة كما قال بعض جُفـاة الأعراب حين رأى النبي ﷺ وأصحـابـه يقبلون أولادهم الصغـار

فقال ذلك الأعـرابي إن لي عشرة من الـولد مـا قبّلت واحداً منهم فقـال النبي ﷺ: «أو أملك لـك شيئاً أن نـزع الله من قلبك الـرحمة» ومن الـرحمة رحمـة المرأة البغي حين سقت الكلب الذي كاد يأكل الثرى من العطش فغفر الله لها بسبب تلك الرحمة. وضدها تعذيب المرأة التي ربطت الهرة لا هي أطعمتهـا وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت. ومن ذلك مـا هو مشاهد مجرب أن من أحسن إلى بهائمه بالإطعام والسقي والملاحـظة النافعـة أنّ الله يبارك له فيها ومن أساء إليها عوقب في الدنيا قبل الآخرة وقال تعـالى: **﴿من أجل ذلك كتبنـا على بني إسرائيـل أنه من قتـل نفساً بغيـر نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنمـا أحيا النـاس جميعاً﴾** وذلـك لما في قلب الأول من القسـوة والغلظة والشر ومـا في قلب الآخـر من الرحمة والرقة والرأفة إذ هو بصدد إحياء كل من له قدرة على إحيائه من الناس كما أن في قلب الأول من القسوة مستعد لقتل النفوس كلها. فنسأل الله تعالى أن يجعـل في قلوبنا رحمـة توجب لنـا سلوك كل بـاب من أبـواب رحمـة الله ونحنو بها على جميع خلق الله وأن يجعلها موصلة لنا إلى رحمتـه وكرامتـه إنه جواد كريم.

نبذة

من حفظ السـر ذكرنـا في غير هـذا الموضـع جملة وعثـرنـا على هـذه وغالب ظني عدم ذكرها سابقاً. قـال بعضهم: وحفظ الأموال أيسـر من كتمان الأسرار لأن أحرْاز الأموال منيعة بالأبواب والأقال وأحْراز الأسرار بارزة يـذيعها لسان ناطق ويشيعهـا كلام سـابق وحمل الأسـرار أثقل من حمـل الأموال فـإن الرجل يستقـل بالحمـل الثقيل فيحمله ويمشي بـه ولا يستطيـع كتم السر وإن الرجل يكون سره في قلبـه فيلحقه من القلب والكـرب ما لا يلحقـه من حمل الأثقال فإذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وهذا حال الغالب من الناس وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطوته.

وقيل: كتمان الأسرار يدل على جـواهر الـرجال. وقـال صالـح بن عبد القدوس: لا تودع سرك إلى طالبه فالطالب للسر مذيع. وقيل لأعرابي: ما بلغ

من حفظك للسر قال: أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه. وقال حكيم: قلوب الأحرار قبور الأسرار.

قيل: تفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية: أنا الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح.

وقال الشاعر:

أشبهك المسك وأشبهته ... قائمة في لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحدة

قال حكيم لابنه إياك أن تلبس ما يديم الملأ نظره إليك به واعلم أن الوشي لا يلبسه إلا الأحمق أو ملك وعليك بالبياض. وقال أفلاطون: الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور وإذا قرب اللون الأحمر إلى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية وإذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها. قال الأصمعي: رأيت أعرابياً فاستنشدته فأنشدني أبياتاً وروى أخباراً فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال:

أأخي إن الحادثا ... ت عركنني عرك الأديم
لا تنكرن أن قد رأيت ... أخاك في طمري عديم
إن كان أثوابي رثا ... ث فإنهن على كريم

من أخبار كتاب المستطرف قال: وقيل: كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب: إن أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الإنس والجن لحداثة سنة. وقال النخعي كان يقال إذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت.

وقال شاعر في الشيب:

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها
سترته عنك يا سمعي ويا بصري

فقهقهت ثم قالت من تعجبها
تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وقال آخر:

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت: صدقت وما أنكرت ذاك بذا المسك للشم والكافور والكفن

فائدة

من مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: **﴿قُلْ لعبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرًّاً وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأتي يَوْمَ لَا بَيْعٌ فِيْهِ وَلَا خِلَالٌ﴾** يقول تعالى: آمراً عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب والمراد بإقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها وأمر تعالى بالإنفاق مما رزق في السر أي في الخفية والعلانية وهي الجهر وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم: **﴿من قبل أن يأتي يوم﴾** وهو يوم القيامة **﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾** أي ولا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه كما قال تعالى: **﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا﴾** وقوله: **﴿ولا خلال﴾** قال ابن جرير يقول: ليس هناك مخالة خليل فيصبح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفته بل هناك العدل والقسط يخبر تعالى أنه لا ينفع أحداً بيع ولا فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً لو وجده ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافراً قال الله تعالى: **﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾** وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾**.

يروى أنه قيل لابن السماك أي الأخوان أحق ببقاء المودة قال: الوافر

دينه الوافي عقله الـذي لا يملُّك على القرب ولا ينسـاك على البعد إن دنـوت منه داناك وإن بعدت عنه راعاك وإن استعنته عضـدك وإن احتجت إليه رفـدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.

وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك قال: الذي يسد خلتي ويغفر زلتي ويقيل عثرتي. وقيل: من لا يؤاخي إلّا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه. ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر:

ومن لم يغمض عينـه عن صـديقـه وعن بعض مـا فيه يمت وهـو عاتب

* * *

وقال آخر:

إذا كنت في كـل الأمـور معـاتبـاً صـديقـك لم تلق الـذي لا تعـاتبـه
وإن أنت لم تشرب مراراً على الأذى ظمئت وأي النـاس تصفـو مشـاربـه

نبـذ من الجود والكـرم نقلناهـا من المستطرف قـال بعض السلف: منع الموجود سوء ظن بالمعبود. وجد مكتوباً على حجر انتهز الفرص عند إمكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسـك توفيـر لخزانـة غيـرك. وكان مـورق العجلي يتلطف في إدخال السـرور والرفق على إخـوانـه فيضع عند أحدهم البدرة ويقـول له أمسكهـا حتى أعود إليـك ثم يرسـل يقول له: أنت منها في حـل. ولما دخـل المنكدر على عـائشة رضي الله عنهـا قال لها: يا أم المؤمنين أصابتني فاقة فقالت: ما عندي شيء فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك فلما خرج من عنـدها جـاءتها عشـرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فـأرسلت بها إليـه في أثره فـأخذهـا ودخل بهـا السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد. وأبـو بكر. وعمـرو. بنو المنكـدر. وسـأل معـاويـة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم عن الكرم فقال: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكـرم وجهه من كـانت له

إليّ حاجة فليرفعها إليّ في كتاب لأصون وجهه عن المسألة. ونزل بأبي البحتري وهب بن وهب القرشي ضيفاً فسارع عبيده إلى إنزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا: نحن إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعينه على الرحيل. انتهى من المستطرف والله أعلم.

قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول لأخ له اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ومثل لك الأحوال المخوفة عليك وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفاء رجائك وشكرك إزاء النعمة عليك. وأن الغاش لك والحاطب عليك من مَدَّ لك في الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم تابعاً لمرضاتك منقاداً لهواك. وقال الأصمعي أيضاً سمعت رجلاً يقول: الحسد ماحق الحسنات والزهو جالب لمقت الله ومقت الصالحين والعجب صارف عن الأزياد من العلم داع إلى التخبط بالجهل والبخل أذم الأخلاق وأجلبها لسوء الأحدوثة.

الحديث التاسع والثمانون من كتاب بهجة قلوب الأبرار.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» رواه مسلم هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها وهو يتضمن سؤال خير الدين وخير الدنيا فإن (الهدى) هو العلم النافع و(التقى) العمل الصالح وترك ما نهى الله ورسوله عنه وبذلك يصلح الدين فإن الدين علوم نافعة ومعارف صادقة فهي الهدى وقيام بطاعة الله ورسوله فهو التقى (والعفاف والغنى) يتضمن العفاف عن الخلق وعدم تعليق القلب بهم والغنى بالله وبرزقه والقناعة بما فيه وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا والراحة القلبية وهي الحياة الطيبة فمن رزق الهدى والتقى والعفاف والغنى نال السعادتين وحصل له كل مطلوب ونجا من كل مرهوب والله أعلم.

الحديث الرابع والتسعون: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «كل واشرب والبس وتصدق من غير سرف ولا مخيلة»

رواه أحمد وأبو داود وعلقه البخاري. هذا الحديث مشتمل على استعمال المال في الأمور النافعة في الدين والدنيا وتجنب الأمور الضارة وذلك أن الله تعالى جعل المال قواماً للعباد به تقوم أحوالهم الخاصة والعامة الدينية والدنيوية وقد أرشد الله ورسوله فيه استخراجاً واستعمالاً وتدبيراً وتصريفاً إلى أحسن الطرق وأنفعها وأحسنها عاقبة حالاً ومآلاً. أرشد فيه إلى السعي في تحصيله بالأسباب المباحة والنافعة وأن يكون الطلب جميلاً لا كسل معه ولا فتور ولا انهماك في تحصيله انهماكاً يخل بحالة الإنسان وأن يتجنب من المكاسب المحرمة والرديئة ثم إذا تحصل سعى الإنسان في حفظه واستعماله بالمعروف بالأكل والشرب واللباس والأمور المحتاج إليها هو ومن يتصل به من زوجة وأولاد وغيرهم من غير تقتير ولا تبذير وكذلك إذا أخرجه للغير فيخرجه في الطرق التي تنفعه ويبقى له ثوابها وخيرها كالصدقة على المحتاج من الأقارب والجيران ونحوهم وكالإهداء والدعوات التي جرى العرف بها. وكل ذلك معلق بعدم الإسراف وقصد الفخر والخيلاء كما قيده في هذا الحديث وكما في قوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ فهذا هو العدل في تدبير المال أن يكون قواماً بين رتبتي البخل والتبذير وبذلك تقوم الأمور وتتم وما سوى هذا فإثم وضرر ونقص في العقل والحال والله أعلم.

متفرقات

إذا ما الجرح رمّ على فساد   تبين فيه تفريط الطبيب

* * *

إن السلاح جميع الناس تحمله   وليس كل ذوات المخلب السبع

* * *

إذا الله لم يحرسك مما تخافه   فلا السيف قطاع ولا الرمح ضارب

* * *

إن عادت العقرب عدنا لها   وكانت النعل لها حاضرة

* * *

لا تـجـزعـنّ رويـداً إنـهـا دول　　دنـيـا تنـقـل من قـوم إلـى قـوم

* * *

وذمـوا لنـا الـدنيـا وهم يـرضعـونهـا　　أفـاويق حتى مـا يـدر لهـا نعـل

* * *

من أخمـل النفس أحياهـا وروحها　　ولم يبت طـاويـاً منهـا على ضجـر

إن الـريـاح إذا اشتـدت عـواصفهـا　　فليس ترمي سوى العالي من الشجر

* * *

وقـد غمـزوا مـع العيـدان عـودي　　ليختبـروا الصحيـح من المـريب

فـلان الـخـروع الـخـوار مـنـا　　وبـان تـكـرم الـنـبـع الـصـليـب

* * *

الـنـار آخـر ديـنـار نـطقـت بـه　　والهم آخـر هـذا الـدرهم الجـاري

والمـرء مـا دام مشغـوفـاً بحبهمـا　　معـذب القـلب بيـن الهـم والنـار

* * *

ومـا يـلبث الأقـوام أن يـتفـرقـوا　　إذا لم يؤلف روح شكـل إلى شكـل

ابن لي وكن مثلي أو ابتـغ صـاحبـاً　　كمثلك إني أبتغي صـاحبـاً مثـلي

* * *

إذا أذن الـلّـه فـي حـاجـة　　أتـاك الـنـجـاح بـهـا يـركض

فـإن مـنـع الله مـن كـونـهـا　　فـلا بـد مـن عـارض يـعـرض

* * *

أحـن لأيـام الـوصـال وطيـبهـا　　ويـوهنني أن التـأسف لا يجـدي

وإني على شـرط المـودة والإخـا　　وإن كـانت الأجسـاد منـا على بعـد

* * *

ألـم تـر أني يـوم جـوّ سـويقـة　　بكيت فنـادتـني هنيـدة مـا بيـا

فـقلت لـهـا إن البـكـاء لـراحـة　　بـه يشتفي من ظن أن لا تـلاقيـا

* * *

عفافك غي إنما عفة الفتى | إذا عف عن لذاته وهو قادر

* * *

تراه من الذكاء نحيف جسم | عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي | فليس يضيره الجسم النحيل

* * *

قيل لبعض الأمراء ما بلغ بك هذه المنزلة قال: عفوي عند قدرتي وبذل الإنصاف ولو من نفسي وإبقائي في الحب والبغض مكاناً لموضع الاستبدال.

قال عبدالله بن جعفر كمال المرء في خلال ثلاث: معاشرة أهل الرأي والفطنة ومداراة الناس بالمعاشرة الجميلة والاقتصاد من بخل وإسراف. قال الأصمعي سمعت أعرابياً من بني مرة يعظ ابناً له وقد أفسد ماله فيما لا ينفع فقال: لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك والساعات تعد عليك والأنفاس تعد منك أحب أمريك إليك أردهما بالمضرة عليك. أوصي رجل آخر وأراد سفراً فقال آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى ويعصمك من الردى ألجم هواك عن الفواحش وأطلقه في المكارم فإنك تبر بذلك سلفك وتشيد شرفك.

لغز في عثمان

حروفه معدودة خمسة | إذا مضى حرف تبقى ثمانية

شخص جامع أهله ثلاثاً بعد صلاة العصر فلما غربت الشمس اغتسل وبعد ذلك صلى بالجماعة المغرب فألغز بذلك:

نكحت لأهلي في نهاري ثلاثة | ولم أغتسل في ذلك اليوم سرمدا
وكنت صحيح الجسم والماء حاضر | وصليت جهراً بالجماعة مسجدا
وإني على دين النبي محمد | فهل جائز ما قد فعلت تعمدا

قال عمار بن عقيل يمدح خالد بن يزيد بن مزيد:

أرى الناس طراً حامدين لخالد | وما كلهم أفضت إليه صنائعه

ولم يترك الأقوام أن يمدحوا الفتى … إذا كرمت أخلاقه وطبائعه
فتى أمعنت ضراؤه في عدوه … وخصت وعمَّت في الصديق منافعه

الخصال المطلوبة بالرجل إذا خطب نظمها أحدهم بقوله:

إن الكفاءة ستة قد قررت … ينبئك عنها بيت شعر مفرد
نسب ودين عفة حرية … فقدُ العيوب وفي اليسار تردد

وقال الآخر:

قالوا الكفاءة ستة فأجبتهم … قد كان ذلك في الزمان الأقدم
أما بنوا هذا الزمان فإنهم … لا يعرفون سوى يسار الدرهم

* * *

مختصر
فائدة من تفسير ابن كثير

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِيْنَ إنْ يَكُن غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فاللَّهُ أولىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعوا الهَوىٰ أنْ تَعْدِلُوا وإنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا فإنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلونَ خَبِيْراً﴾** يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا **﴿قوّامين بالقسط﴾** أي بالعدل فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين متساعدين متناصرين فيه وقوله تعالى: **﴿شهداء لله﴾** كما قال: **﴿وأقيموا الشهادة لله﴾** أي أدوها ابتغاء وجه الله فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقاً خالية من التحريف والتبديل والكتمان ولهذا قال: **﴿ولو على أنفسكم﴾** أي اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه وقوله تعالى: **﴿أو الوالدين والأقربين﴾** أي وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد الحق وإن عاد ضررها عليهم فإن الحق حاكم على كل أحد وقوله: **﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾** أي لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقره الله يتولاهما بل هو أولى بهما

منك وأعلم بما فيه صلاحهما وقوله تعالى: ﴿**فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**﴾ أي فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم بل الزموا العدل على أي حال كان كما قال تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ ومن هذا قول عبدالله بن رواحة لما بعثه النبي ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض وقوله تعالى: ﴿**وإن تلووا أو تعرضوا**﴾ قال مجاهد: تلووا أي تحرفوا الشهادة وتغيروها واللّي هو التحريف وتعمد الكذب قال تعالى: ﴿**وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب**﴾ الآية. والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى: ﴿**ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**﴾ وقال النبي ﷺ: «خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها» ولهذا توعدهم الله بقوله: ﴿**فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ أي وسيجازيكم بذلك.

يروى أنه رفع إلى أبي الخطاب الكوذاني أحد أئمة الحنابلة رقعة فيها:

قل لأبي الخطاب نجم الهدى ... وقدوة العالم في عصره
لا زلت في فتواك مستأمناً ... من خدع الشيطان أو مكره
ماذا ترى في رشا أغيد ... حاز اللمى والدر في ثغره
لم يحك بدر التم في حسنه ... حتى حكى الزنبور في خصره
فهل يجيز الشرع تقبيله ... لمستهام خاف من وزره
أم هل على المشتاق في ضمه ... من غير إدناءٍ إلى صدره
إثم إذا لم يكن مضمراً ... غير الذي قدم من ذكره

فأجاب الكلوذاني:

يا أيها الشيخ الأديب الذي ... قد فاق أهل العصر في شعره
تسأل عن تقبيل بدر الدجى ... وعطف زنديك على نحره
هل ورد الشرع بتحليله ... لمستهام خاف من وزره

من قارف الفتنة ثم ادعى العصمة قد نافق في أمره

هل فتنة المرء سوى الضم والتقبيل للحب على ثغره
وهل دواعي ذلك المشتهى إلا عناق البدر في خدره
وبذله ذاك لمشتاقه يسري على هاروت في سحره
ولا يجيز الشرع أسباب ما يورط المسلم في حظره
فانج ودع عنك صداع الهوى عساك أن تسلم من شره
هذا جواب الكلوذاني قد جاء يرجي الله في أجره

* * *

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في الجواب الكافي أنه ورد على الشيخ أبي الخطاب الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته رحمه الله تعالى سؤال نصه:

قل للإمام أبي الخطاب مسألة جاءت إليك وما يرجى سواك لها
ماذا على رجل رام الصلاة فمذ لاحت لناظره ذات الجمال لها

فأجابه تحت سؤاله:

قل للأديب الذي وافى بمسألة سرت فؤادي لما أن أضحت لها
إن التي فتنته عن عبادته خريدة ذات حسن فانثنى ولها
إن تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى من عصى ولها

حكم وأمثال

لا قيمة للدرّة في صدفتها.

السِّلم الخداع يؤذي أكثر من الحرب المعلنة.

زوج ابنك متى شئت وزوج ابنتك ساعة تستطيع.

لقاء الإخوان نزهة القلوب.

الفتاة الجميلة تحمل مهرها على جبينها.

ابحث عن الأم قبل البنت.

الدمعة في العين جرح في القلب.

لو غسلت الثوم بماء الورد لما زالت رائحته.

الحق كالزيت يطفو دائماً فوق.

رجل بدون مال يشبه سفينة بدون شراع.

لصيد الأرنب البري أحمل السلاح الذي يقضي على الأسد.

معرفة الغير علم ومعرفة النفس ذكاء.

الانتقاد سهل أما الفن فصعب.

الاتفاق السيء يجلب النقاش الطويل.

الحديث التاسع والتسعون من بهجة قلوب الأبرار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي.

هذا الحديث يقتضي خبراً وإرشاداً أما الخبر فإنه ﷺ أخبر أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه ويكثر الشر وأسبابه وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل وهذا القليل في حالة شدة ومشقة عظيمة كحالة القابض على الجمر من قوة المعارضين وكثرة الفتن المضلة فتن الشبهات والشكوك والإلحاد وفتن الشهوات وانصراف الخلق إلى الدنيا وانهماكهم فيها ظاهراً وباطناً وضعف الإيمان وشدة التفرد لقلة المعين والمساعد. ولكن المتمسك بدينه القائم بدفع هذه المعارضات والعوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين وأهل الإيمان المتين من أفضل الخلق وأرفعهم عند الله درجة وأعظمهم عنده قدراً.

وأما الإرشاد فإنه إرشاد لأمته أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة وأن يعرفوا أنه لا بد منها وأن من اقتحم هذه العقبات وصبر على دينه وإيمانه مع هذه المعارضات فإن له عند الله أعلى الدرجات وسيعينه مولاه على ما يحبه ويرضاه فإن المعونة على قدر المؤنة وما أشبه زماننا هذا بهذا الوصف الذي ذكره ﷺ فإنه ما بقي من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه. إيمان ضعيف وقلوب متفرقة وحكومات متشتتة وعداوات وبغضاء باعدت بين المسلمين وأعداء ظاهرون وباطنون يعملون سراً وعلناً للقضاء على الدين وإلحاد وماديات جرفت بخبيث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان

ودعايات إلى فساد الأخلاق والقضاء على بقية الرمق. ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم وأكبر همّهم ولها يرضون ويغضبون ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا وتدمير الدين واحتقاره والاستهزاء بأهله وبكل ما ينسب إليه وفخر وفخفخة واستكبار بالمدنيات المبنية على الإلحاد التي آثارها وشررها وشرورها قد شاهده العباد فمع هذه الشرور المتراكمة والأمواج المتلاطمة والمزعجات الملمة والفتن الحاضرة والمستقبلة المدلهمة مع هذه الأمور وغيرها تجد مصداق هذا الحديث ولكن مع ذلك فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من روح الله ولا يكون نظره مقصوراً على الأسباب الظاهرة بل يكون متلفتاً في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب الكريم الوهاب ويكون الفرج بين عينيه ووعده الذي لا يخلفه بأنه سيجعل له بعد عسراً يسراً وأن الفرج مع الكرب وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات وحلول المفظعات. فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال لا حول ولا قوة إلا بالله و(حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً**﴾ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

يروى أنه وجد في حكمة فارس: إني وجدت الكرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صلة ومعروف سبباً. ورأيت المودة بين الصالحين سريعاً اتصالها بطيئاً انقطاعها ككوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثلم أو كسر ورأيت المودة بين الأشرار بطيئاً اتصالها سريعاً انقطاعها ككوب الفخار ثلم أو كسر فلا إعادة له. ورأيت الكريم يحفظ الكريم على اللقاء الواحد ومعرفة اليوم ورأيت اللئيم لا يحفظ إلا رغبة أو رهبة.

قال بعضهم وقد طولب بالخراج وهو مقل:

يـا أيهـا المكثـر فينـا الـزمجـرة نـامـوسـه دفتـره والمـحبـره
قـد أبـطل الـزمـان كتب المهـرة والجـامعين وكتـاب الجـمهـره
هيهـات أن يـعبـر تـلك القـنـطرة نحـو الكسـائي وشعـر عنتـره
ودغـفـل وابـن لسـان الـحمّـرة ليس سـوى المنقـوشـة المـدوره

وقال الآخر:

قـل لابـن خـلاد إذا جئـتـه مستنـداً في المسجـد الجـامـع
هـذا زمـان لـيس يـحـظى بـه حـدثـنـا الأعـمش عـن نـافـع

لغز في اسم سهيل:

ومـا اسم فكـه سهـل يسيـر يكـون مصغـراً نـجم يسيـر
مصحّفـه لـه في العيـن حسـن وقلبي عنـد صـاحبـه أسيـر

من التوكل على الله تعالى ما يـروى عن الزاهـد المشهور حـاتم الأصم رحمه الله تعالى أنه كان رجلاً كثير العيال وكان له أولاد ذكور وإنـاث ولم يكن يملك حبة واحدة وكـان قدمـه التوكـل فجلس ذات ليلة مع أصحـابه يتحـدث معهم فتعرضوا لـذكر الحـج فداخـل الشوق قلبـه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم: لـو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلى بيت ربـه في هذا العام حاجاً ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجتـه وأولاده: أنت على هـذه الحالـة لا تملك شيئاً ونحن على مـا ترى من الفـاقة فكيف تـريد ذلـك ونحن بهذه الحالـة وكان لـه ابنة صغيـرة فقالت: مـاذا عليكم لو أذنتم لـه ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فإنه منـاول الرزق وليس بـرزاق فذكـرتهم ذلك فقالوا: صدقت والله هذه الصغيرة يـا أبانـا انطلق حيث أحببت فقـام من وقتـه وساعتـه وأحرم بـالحج وخـرج مسافـراً وأصبح أهـل بيته يـدخـل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فـراقه أصحـابه وجيـرانه فجعـل أولاده يلومون تلك الصغيـرة ويقولـون: لـو سكت مـا تكلمنـا فـرفعت الصغيـرة طـرفهـا إلى السمـاء وقـالت: إلهي وسيـدي ومـولاي عـودت القـوم بفضلك وأنك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينمـا هم على هذه الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيـداً فانقـطع عن عسكره وأصحـابه فحصـل له

عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا: من أنت قال: الأمير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعاً واليوم يقف الأمير على بابنا يستسقينا ثم إنها أخذت كوزاً جديداً وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الأمير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال: هذه الدار لأمير فقالوا: لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم فقال الأمير: لقد سمعت به فقال الوزير: يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئاً وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعاً فقال الأمير ونحن أيضاً قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لأصحابه: من أحبني فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ثم انصرفوا فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الأمير رجع إليهم الوزير ودفع إليهم ثمن المناطق مالاً جزيلاً واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديداً فقالوا لها: ما هذا البكاء إنما يجب أن تفرحي فإن الله قد وسَّع علينا فقالت: يا أم والله إنما بكائي كيف بتنا البارحة جياعاً فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين اللهم انظر إلى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فإنه لما خرج محرماً ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيباً فلم يجدوا فقال: هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الأمير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكراً في أمر عياله فقيل له في منامه: يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقاه أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه من توكل على الله فهو حسبه والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الجواب الكافي :

ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعاً بالإيمان **﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك زعيم﴾**.

يا آمنا من قبيح الفعل يصنعه ... هلا أتى لك توقيع فتملكه
جمعت شيئين أمناً واتباع هوى ... هذا وإحداهما في المرء تهلكه
والمحسنون على درب المخاوف قد ... ساروا وذلك درب لست تسلكه
فرطت في الزرع وقت البذار من سفه ... فكيف عند حصاد الناس تدركه
هذا وأعجب شيء منك زهدك في ... دار البقاء بعيش سوف تتركه
من السفيه إذا بالله أنت أم المغبون في البيع غبناً سوف تدركه

قال بعض العرب: أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله وأعون الأشياء على تذكية العقل التعلم وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير. وقال عبد الملك بن مروان: يا بَنّي تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطاً سدتم وإن كنتم سوقة عشتم. وقال آخر العلم دواء القلوب العليلة ومشحذ للأذهان الكليلة ونور في الظلمة وأنس في الوحشة وصاحب في الوحدة وشرف للوضيع وعز للذليل من تحلى بغيره فهو معطّل ومن تعطل منه فهو مغفل يتجدد على الابتذال ويزكو على الإنفاق.

وقال أبو القاسم الأموي :

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي ... يسائل من يدري فكيف إذا تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل ... فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
إذا جئت في كل الأمور بغمة ... فكن هكذا أرضاً يطأك الذي يدري
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

قيل لأعرابي: ما تقول في المراء قال: ما عسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة. أقل ما فيه أن يكون ذريعة للمغالبة والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة.

وقال الأصمعي: العرب، تقول لا ثناء مع الكبر ولا صديق لذي الحسد ولا شرف لسيء الأدب.

قال حكيم لابنه أوصيك بأربع خلال ترضي بهن ربك وتصلح بهن شأنك. لا يغرك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وعراً. ولا تعدن عدة ليس في يدك وفاؤها. واعلم أن لله نقمات فكن على حذر. واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب.

قال محمود الوراق:

أعارَكَ مالَه لتقوم فيه ... بطاعته وتقضي فَضْلَ حقِّه
فلم تشكره نعمته ولكن ... قويت على معاصيه برزقه
تجاهره بها عَوداً وبَدءاً ... وتستخفي بها من شرّ خلقه

* * *

فصل
في كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

من كتاب مختصر منهاج القاصدين: شهوة البطن من أعظم المهلكات وبها أخرج آدم عليه السلام من الجنة ومن شهوة البطن تحدث شهوة الفرج والرغبة في المال ويتبع ذلك آفات كثيرة كلها من بطر الشبع وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» وفي حديث آخر: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يُقِمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» وقال عقبة الراسبي: دخلت على الحسن وهو يتغدى فقال: هلم فقلت: أكلت حتى لا أستطيع فقال: سبحان الله أو يأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل. وقد بالغ جماعة من الزهاد في التقلل من الأكل والصبر على الجوع وقد بينا عيب ما سلكوا في غير هذا الكتاب ومقام العدل في الأكل رفع اليدين مع بقاء شيء من الشهوة ونهاية المقام الحسن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» فالأكل

في مقام العدل يصح البدن وينفي المرض وذلك أن لا يتناول الطعام حتى يشتهيه ثم يرفع يده وهو يشتهيه والدوام على التقلل من الطعام يضعف القوى وقد قلل أقوام مطاعمهم حتى قصروا عن الفرائض وظنوا بجهلهم أن ذلك فضيلة وليس كذلك ومن مدح الجوع فإنما أشار إلى الحالة المتوسطة التي ذكرناها. وطريق الرياضة في كسر شهوة البطن أن من تعوّد استدامة الشبع فينبغي له أن يقلل من مطعمه يسيراً مع الزمان إلى أن يقف على حد التوسط الذي أشرنا إليه وخير الأمور أوساطها فالأولى تناول ما لا يمنع من العبادات ويكون سبباً لبقاء القوة فلا يحس المتناول بجوع ولا شبع فحينئذ يصح البدن وتجتمع الهمة ويصفو الفكر ومتى زاد في الأكل أورثه كثرة النوم وبلادة الذهن وذلك بتكثير البخار في الدماغ حتى يغطي مكان الفكر وموضع الذكر ويجلب أمراضاً أخر. وليحذر من ترك شيئاً من الشهوات أن تطرق إليه آفة الرياء وقد كان بعضهم يشتري الشهوة ويعلقها في بيته وهو زاهد فيها يستر بها زهده وهذا هو الزهد في الزهد بإظهار ضده وهو عمل الصديقين لأنه يجرع نفسه كأس الصبر مرتين والثانية أمر. وأما شهوة الفرج فاعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الآدمي لفائدتين إحداهما بقاء النسل والثانية ليدرك لذة يقيس عليها لذات الآخرة فإن ما لم يدرك جنسه بالذوق لا يعظم إليه الشوق إلا أنه إذا لم تردّ هذه الشهوة إلى الاعتدال جلبت آفات كثيرة ومحناً ولولا ذلك ما كان النساء حبائل الشيطان وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض الصالحين: لو ائتمنني رجل على بيت مال لظننت أن أؤدي إليه الأمانة ولو ائتمنني على زنجية أخلو بها ساعة واحدة ما ائتمنت نفسي عليها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يخلو رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» وقد ينتهي الإفراط في هذه الشهوة حتى تصرف همة الرجل إلى كثرة التمتع بالنساء فيشغله عن ذكر الآخرة وربما آل إلى الفواحش وقد تنتهي بصاحبها إلى العشق وهو أقبح الشهوات وأجدرها أن تستحي منه وقد يقع عند كثير من الناس عشق المال والجاه واللعب بالنرد والشطرنج والطنبور ونحو ذلك فتستولي هذه الأشياء على القلوب فلا يصبرون عنها ويسهل الاحتراز عن ذلك

في بدايات الأمور فإن آخرها يفتقر إلى علاج شديد وقد لا ينجع ومثاله من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب تريد دخوله فما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجه بعد استحكامه مثال من يتركها حتى تدخل الباب وتجاوزه ثم يأخذ بذنبها يجرها إلى وراء وما أعظم التفاوت بين الأمرين. انتهى.

دخل أبو بكر بن دريد قاصداً بعض الوزراء في حاجة فلم يقضها وظهر له من الوزير الضجر فقال:

لا تدخلنك ضجرة من سائل	فلخير دهرك أن ترى مسؤولاً
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل	فبقاء عزك أن ترى مأمولا
تلقى الكريم فتستدل ببشره	وترى العُبوس على اللئيم دليلا
واعلم بأنك عن قليل صائر	خبراً فكن خبراً يروق جميلا

قال بعض الأعراب: لا أعرف ضراً أوصل إلى نياط القلب من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه ولا تأمن رده وأعظم المصائب فقد خليل لا عوض عنه.

من شعر صالح بن عبد القدوس قوله من قصيدة:

المرء يجمع والزمان يفرق	ويظلُّ يرقع والخطوب تمزق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما	يبدي عيوب ذوي العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أحلامهم	من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه	فيرى ويعرف ما يقول فينطق
ما الناس إلا عاملان فعاملٌ	قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش فإنما	بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم	ألفيتَ أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضلُ المليك عليهمُ	هذا عليه موسع ومضيق
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا	ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهّتاً	ورأيت من تبع الجنازة ينطق

* * *

قال ابن لبون:

إذا تـرى المبتلىٰ اشكـر أن نجـوت ولا
تشمت بـه ولتَسَلْ من ربـك العـافيـه
وخف من أن تبتلي كمـا ابـتلي فَتُـرى
كـمـا تـراه ومـا تـقيـك مـن واقـيـه

وقال:

عـامـل جميـع النـاس بـالحسنى إن شئـت أن تـحـظى وأن تـهـنـا
ولا تـسـيء يـومـاً إلـى أحـد فـتـجـمـع الـراحـة والأمـنـا

وقال:

قسـاوة المـرء مـن شقـائـه فـإذا يـليـن سـادَ بـلا أيـنٍ ولا تـعـب
لا يـرحم الله إلا الـراحمـين فمن يـرحم ينـل رحمـة في كـل منقلب

وقال:

جِيءْ بـالسمـاح إذا مـا جئت في غَـرَضٍ
ففي العبـوس لـدى الحـاجـات تصعيبُ
سمـاحـة المـرء تنبـىء عن فـضيـلتـه
فـلا يكن منـك مهمـا اسـطعت تقـطيب

وقال:

دع مـعجبـاً بـنـفـسـه فـي غيـه ولـبـسـه لا يقبـل النصـحَ لهـا
مـن نـخـوة بـرأسـه فـخـلـه لـكـيـده وعـجبـه بـنـفـسـه

وقال:

إذا جـزاك بـسـوء مـن أسـأت لـه
فـذاك عـدل ومـا في العـدل من زلـل
جـزاء سـيئـة بـالـنص سـيئـة
لا حـيف فـي ذاك في قـول ولا عـمـل

يروى أن شاعرة شابة بلغت أوان الزواج ولم تتزوج فنظرت يوماً بالمرآة فرأت جمالها فقالت:

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جانٍ يمد لها يدا
فوا أسفاً يمضي الشباب مضيعاً ويبقى الذي ما أن أسميه مفردا

وقالت في ظبية عندها:

يا ظبية ترعى بروض دائماً إني حكيتك في التوحش والحور
أمسى كلانا مفرداً عن صاحب فلنصطبر أبداً على حكم القدر

كان يحيى بن معين ينشد:

المال يذهب حله وحرامه طراً وتبقى في غد آثامه
ليس التقيّ بمتقٍ لإلهه حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي وتكسب كفه ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه فعلى النبي صلاته وسلامه

مما ينسب من شعر القاضي عبد الوهاب المالكي:

فأهيم بذكر الشرق والغرب دائماً ومالي لا شرق البلاد ولا غربُ
ولكن أوطاناً نأت وأحبة فعدت متى أذكر عهودهم أصب
ولم أنس من ودعت بالشط سحرة وقد غرد الحادون واشتغل الركب
أليفان هذا سائر نحو غربة وهذا مقيم سار من صدره القرب

وله أيضاً:

قطعت الأرض في شهري ربيع إلى مصر وعدت إلى العراق
فقال لي الحبيب وقد رآني مشوقاً للمضمرة العتاق
ركبت على البراق فقلت كلا ولكني ركبت على اشتياقي

وقال فخر الدين صاحب تكريت:

وما ذات طوق في فروع أراكة لها رنّة تحت الدجى وصدوح
ترامت بها أيدي النّوى وتمكنت بها فرقة من أهلها ونزوح

فحلّت بزوراء العراق وزغبها بعسفان ثاوٍ منهم وطليح
تحنّ إليهم كلما ذرّ شارق وتشجع في جنح الدجى وتنوح
إذا ذكرتهم هيجت ذا بلابل وكادت بمكتوم الغرام تبوح
بأبرح من وجدي لذكراكم متى تألق برق أو تنسم ريح

ذكر ابن خلكان في ترجمة ذي النون المصري قال: وكان المتوكل قد أمر بإشخاصه سنة خمس وأربعين ومائتين فوصل إلى سر من رأى فأنزله الخليفة في بعض الدور وأوصى به رجلاً يعرف بزرافة وقال: إذا أنا رجعت من ركوبي فأخرج إليّ هذا الرجل فقال له زراقة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك فلما رجع من الغد قال له: تستقبل أمير المؤمنين بالسلام فلما أخرجه إليه قال: سلم على أمير المؤمنين فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخبر. إن الراكب يسلم على الراجل قال: فتبسم الخليفة وبدأه بالسلام ونزل إليه فقال له: أنت زاهد مصر قال: كذا يقولون ثم وعظه وأكرمه الخليفة وردّه إلى مصر مكرماً وذكر ابن خلكان في ترجمة شبيب بن شيبة ما يلي: وقال حماد بن سلمة: كان شبيب بن شيبة يصلي بنا في المسجد الشارع في مربعة أبي عبيدالله فصلى يوماً الصبح فقرأ بالسجدة و﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ فلما قضى الصلاة قام رجل فقال: لا جزاك الله عني خيراً فإني كنت غدوت لحاجة فلما أقيمت الصلاة دخلت أصلي فأطلتَ حتى فاتتني حاجتي قال: وما حاجتك قال: قدمت من الثغر في شيء من مصلحته وكنت وعدت البكور إلى الخليفة لأتنجز ذلك قال: فأنا أركب معك وركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقصّ عليه القصة قال: فتريد ماذا قال قضاء حاجته فقضى حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفعها إلى الرجل ودفع له شبيب من ماله أربعة آلاف درهم وقال له: لم تضرك ياأخي السورتان.

وقال الأصمعي كان شبيب بن شيبة رجلاً شريفاً يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم وكان يغدو في كل يوم ويركب فإذا أراد أن يغدو أكل من الطعام شيئاً ثم يركب فقيل له: إنك تباكر الغداء فقال: أجل أطفىء به فورة الجوع وأقطع به خلوف فمي وأبلغ به في قضاء حاجتي فإني وجدت خلاء الجوف وشهوة الطعام يقطعان الحكيم عن بلوغ حاجته ويحمله ذلك على التقصير فيما به الحاجة

وإني رأيت النهم لا مروءة له ورأيت الجوع داء فخذ من الطعام ما يذهب عنك النهم وتداوي به الداء.

قيل: إن شبيباً أتى سليمان بن علي الأمير في حاجة فقال له سليمان: قد حلفت أني لا أقضي هذه الحاجة فقال: أيها الأمير إن كنت لم تحلف بيمين قط فحنثت فيها فما أحب أن أكون أول من أحنثك وإن كنت ترى غيرها خيراً منها فكفر فقال: أستخير الله ثم قضاها. وكان يقول من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع عنه ما يكره فإن أجاب سمع أكثر مما يكره.

ومن أقواله: اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس انتهى من وفيات الأعيان.

الحديث التسعون: من كتاب قلوب الأبرار:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» رواه مسلم.

لا شك أن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وأن هذه غاية يسعى إليها جميع المؤمنين فذكر النبي ﷺ في هذا الحديث لها سببين ترجع إليهما جميع الشعب والفروع الإيمان بالله واليوم الآخر المتضمن للإيمان بالأصول التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿**قولوا آمنا بالله..**﴾ ومتضمن العمل للآخرة والاستعداد لها لأن الإيمان الصحيح يقتضي ذلك ويستلزمه والإحسان إلى الناس وأن يصل إليهم من القول والفعل والمال والمعاملة ما يحب أن يعاملوه به فهذا هو الميزان الصحيح للإحسان وللنصح فكل أمر أشكل عليك مما تعامل به الناس فانظر هل تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة أم لا فإن كنت تحب ذلك كنت محباً لهم ما تحب لنفسك وإن كنت لا تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة فقد ضيعت هذا الواجب العظيم فالجملة الأولى فيها القيام بحق الله والجملة الثانية فيها القيام بحق الخلق والله أعلم.

قال أحد علماء المغرب:

لكل بني الدنيا مراد ومقصد وإن مرادي صحة وفراغْ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغاً يكون به لي للجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس أولو النّهي وحسبيَ من دار الغرور بلاغ
فما الفوز إلا في نعيم مؤبد به العيش رغد والشراب يساغ

حكم

من لم يجد ألم البعد، لم يجد لذة القرب فإن اللذة هي التخلص من الألم.

من ضحك في نوم الغفلة بكى عند الانتباه فإن الأضغاث أضداد.

من سابق سبق. ومن رافق ارتفق ومن لاحق التحق والعجز والكسل مقدمتا الخيبة.

العمل دواء القلب وإذا كان الدواء لا يصلح إلا إذا كان على حمية البدن فكذلك العمل لا ينجح إلا بعد صوم النفس فارق نفسك وتعال.

مثل دواعي الخير والشر في الإنسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة في العليل تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة وعن قليل يتحرك فيجد الألم.

الزاد لك وهو مكتوب والزائد عليك وهو مسلوب فأجمل في طلب المضمون ولا تلزم نفسك صفقة المغبون.

نظر رجل إلى امرأة عفيفة فقالت: يا هذا غضّ بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك.

لا يثنيك الخوف عن قرع الباب فتيأس فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا يدنينك الرجاء من الفترة فتأمن فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

النص سلاح والنظر مطية. والاتّباع جنّة. والورع نجاة. والخلاف فتنة. والبدع مهالك وخير الأمور أوساطها.

متفرقات

طوى كشحه عن أهل كل مشورة   وبات يناجي عزمه ثم صمّما
وأقدم لما لم يجد ثم مذهباً   ومن لم يجد بدّاً من الأمر أقدما

* * *

وقد يلبس المرء حرّ الثياب   ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسي خدُّه حمرة   وعلتها ورم في الريه

وللبستي حين تغير عليه السلطان:

قل للأمير أدام ربي عزه   وأناله من فضله مكنونه
إني جنيت ولم يزل أهل النهي   يهبون للخدام ما يجنونه
ولقد جمعت من العيون فنونها   فاجمع من العفو الكريم فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه   عن ذنبه فليعف عمن دونه

* * *

لما رأتني سليمى قاصراً بصري   عنها وفي الطرف عن أمثالها زَوَرُ
قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها   إن الشباب جنون بروؤه الكبرُ

* * *

يقول أبو سعيد إذ رآني   عفيفاً منذ عام ما شربت
على يد أي شيخ تبت قل لي   فقلت: على يد الإفلاس تبت

* * *

ذكر أعرابي قوماً فقال: أدبتهم الحكمة. وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة وجانبوا التسويف الذي به قطع الناس مسافة آجالهم فذلت ألسنتهم بالوعد وانبسطت أيديهم بالإنجاز فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال.

مما ينسب للنابغة الجعدي قوله:

المرء يرغب في الحياة   وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى   بعد حلو العيش مره

وتســوؤه الأيــام حتــى مــا يــرى شيئــاً يســره
كم شامت بي إن هلكتُ وقــائــل لله دره

وقال الأقرع القشيري في ابنه رباط:

رأيت رباطاً حين تم شبابُه وولى شبابي ليس في بره عتب
إذا كان أولاد الرجال مرارةً فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ
لنا جانب منه دميث وجانب إذا رامه الأعداء ممتنع صعب
يخبرني عما سألتُ بهينٍ من القول لا جافي الكلام ولا لَغْب
ولا يبتغي أمناً وصاحب رحله بخوف إذا ما ضم صاحبه الجنب
وتأخذه عند المكارم هزة كما اهتز تحت البارح الفَنَنُ الرطب

السماحة وحسن الخلق

إذا سبني نذل تزايدت رفعة وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة لمكنتها من كل نذل تحاربه
ولو أنني أسعى لنفعي وجدتني كثير التواني للذي أنا طالبه
ولكنني أسعى لأنفع صاحبي وعار على الشبعان إن جاع صاحبه

فائدة

من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى:

قول الله تعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾** توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة. وقبوله لها بعد وجودها من العبد فأخبر هنا أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه كرماً منه وجوداً لمن عمل السوء أي المعاصي **﴿بجهالة﴾** أي جهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه وجهل منه لنظر الله ومراقبته له وجهل منه بما تؤول إليه من نقص الإيمان أو

إعدامه. فكل عاص لله فهو جاهل بهذا الاعتبار. وإن كان عالماً بالتحريم بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقباً عليها **﴿ثم يتوبون من قريب﴾** يحتمل أن يكون المعنى ثم يتوبون قبل معاينة الموت فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعاً وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العاصين توبتهم ولا من الكفار رجوع كما قال تعالى عن فرعون **﴿فلما أدركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾** الآية. وقال تعالى: **﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده﴾** وقال هنا: **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾** أي المعاصي فيما دون الكفر **﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فأولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾** وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها إنما تنفع توبة الاختيار ويحتمل أن يكون معنى قوله: **﴿من قريب﴾** أي قريب من فعلهم الذنب الموجب للتوبة فيكون المعنى من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه بخلاف من استمر على ذنبه وأصرّ على عيوبه حتى صارت فيه صفات راسخة فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها كالذي يعمل السوء على علم قائم ويقين متهاون بنظر الله إليه فإنه يسد على نفسه باب الرحمة نعم قد يوفق الله عبده المصر على الذنوب على عمد ويقين للتوبة النافعة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: **﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾** فمن علمه أن يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلًّا منهما بحسب ما استحق بحكمته ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه والله أعلم.

فائدة

من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم رحمه الله تعالى:

والمقصود أن النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه وذلك لأن الحزن

يضعف القلب ويوهن العزم ويضر الإرادة ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن قال تعالى: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا**﴾ فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره والثواب عليه ثواب المصائب التي يبتلى بها العبد بغير اختياره كالمرض والألم ونحوهما وإما أن يكون عبادة مأمور بتحصيلها وطلبها فلا فرق بين ما يثاب عليه العبد من المأمورات وما يثاب عليه من البليات ولكن يحمد في الحزن سببه ومصدره ولازمه لا ذاته فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته وإما أن يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع أيامه وأوقاته وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه وعلى حياته حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن عليه ولو كان قلبه ميتاً لم يحس بذلك ولم يحزن ولم يتألم. فما لجرح بميت إيلام. وكلما كان قلبه أشد حياة كان شعوره بهذا الألم أقوى ولكن الحزن لا يجدي عليه فإنه يضعفه كما تقدم بل الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر ويبذل جهده وهذا نظير من انقطع عن رفقته في السفر فجلس في الطريق حزيناً كئيباً يشهد انقطاعه ويحدث نفسه باللحاق بالقوم فكلما فتر وحزن حدث نفسه باللحاق برفقته ووعدها إن صبرت أن تلحق بهم ويزول عنها وحشة الانقطاع فهكذا السالك إلى منازل الأبرار وديار المقربين وأخص من هذا الحزن حزنه على قطع الوقت بالتفرقة المضعفة للقلب عن تمام سيره وجده في سلوكه فإن التفرقة من أعظم البلاء على السالك ولا سيما في ابتداء أمره فالأول حزن على التفريط في الأعمال وهذا حزن على نقص حاله مع الله وتفرقة قلبه وكيف صار وقته ظرفاً لتفرقة حاله واشتغال قلبه بغير معبوده. وأخص من هذا الحزن حزنه على جزء من أجزاء قلبه كيف هو خال عن محبة الله. وعلى جزء من أجزاء بدنه كيف هو متصرف في غير محاب الله فهذا حزن الخاصة ويدخل في هذا حزنهم على كل معارض يشغلهم عما هم بصدده من خاطر أو إرادة أو شاغل من خارج فهذه المراتب من الحزن لا بد منها في الطريق ولكن الكيس لا يدعها تملكه وتقعده بل يجعل عوض فكرته فيها فكرته فيما يدفعها به فإن المكروه إذا ورد على النفس فإن كانت صغيرة اشتغلت بفكرها فيه وفي حصوله عن الفكرة في الأسباب التي يدفعها به فأورثها الحزن. وإن كانت نفساً كبيرة شريفة لم

تفكر فيه بل تصرف فكرها إلى ما ينفعها فإن علمت منه مخرجاً فكرت في طريق ذلك المخرج وأسبابه وإن علمت أنه لا مخرج منه فكرت في عبودية الله فيه وكان ذلك عوضاً لها من الحزن فعلى كل حال لا فائدة لها في الحزن أصلاً والله أعلم.

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر من نفس الكتاب قال الله تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم**﴾ هذه الآية تتضمن الحظ على الإنفاق والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني فإنه اشتملت على بيان الداعي إلى البخل والداعي إلى البذل والإنفاق وبيان ما يدعوه إليه داعي البخل وما يدعو إليه داعي الإنفاق وبيان ما يدعو به داعي الأمرين فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم وهذا الداعي الغالب على الخلق فإنه يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعياً يقول له: متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه وافتقرت إليه بعد إخراجه وإمساكه خير لك حتى لا تبقى مثل الفقير فغناك خير لك من غناه فإذا صوّر له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهي البخل الذي هو من أقبح الفواحش وهذا إجماع من المفسرين أن الفحشاء هنا البخل فهذا وعده وهذا أمره وهو الكاذب في وعده الغار الفاجر في أمره فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون فإنه يدل من يدعوه بغروره ثم يورده شر الموارد كما قال:

دلاهم بغرور ثم أوردهم   إن الخبيث لمن والاه غرار

هذا وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه ولا نصيحة له كما ينصح الرجل أخاه ولا محبة في بقائه غنياً بل لا شيء أحب إليه من فقره وحاجته وإنما وعده له بالفقر وأمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه فيستوجب منه الحرمان وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدين هو أوثق وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه والله يوفق من يشاء ويخذل من

يشاء وهو الواسع العليم وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين فإنه واسع العطاء عليم بمن يستحق فضله ومن يستحق عدله فيعطي هذا بفضله ويمنع هذا بعدله وهو بكل شيء عليم فتأمل هذه الآيات ولا تستطل بسط الكلام فيها فإن لها شأناً لا يعقله إلا من عقل عن الله خطابه وفهم مراده ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ وتأمل ختم هذه السورة التي هي سنام القرآن بأحكام الأموال وأقسام الأغنياء وأحوالهم وكيف قسمهم إلى ثلاثة أقسام محسن وهم المتصدقون فذكر جزاءهم ومضاعفته ومالهم في قرض أموالهم للمسيء الوفي ثم حذرهم مما يبطل ثواب صدقاتهم ويحرقها بعد استوائها وكمالها من المنّ والأذى وحذرهم مما يمنع ترتب أثرها عليها ابتداء من الرياء ثم أمرهم أن يتقربوا إليه بأطيبها ولا يتيمموا أردأها وخبيثها ثم حذرهم من الاستجابة لداعي البخل والفحش وأخبر أن استجابتهم لدعوته وثقتهم بوعده أولى بهم وأخبر أن هذا من حكمته التي يؤتيها من يشاء من عباده وأن من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً أوتي ما هو خير وأفضل من الدنيا كلها لأنه سبحانه وصف الدنيا بالقلة فقال: ﴿**قل متاع الدنيا قليل**﴾ وقال تعالى: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ فدل على أن ما يؤتيه عبده من حكمته خير من الدنيا وما عليها ولا يعقل هذا كل أحد. بل لا يعقله إلا من له لب وعقل ذكي فقال تعالى: ﴿**وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾ ثم أخبر أن كل ما أنفقوه من نفقة أو تقربوا به إليه من نذر فإنه يعلمه فلا يضيع لديه بل يعلم ما كان لوجهه ويكل جزاء من عمل لغيره إلى من عمل له فإنه ظالم لنفسه وما له من نصير ثم أخبر سبحانه عن أحوال المتصدقين لوجهه في صدقانهم وأنه يثيبهم عليها إن أبدوها أو كتموها بعد أن تكون خالصة لوجهه فقال تعالى: ﴿**إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي**﴾ أي فنعم شيء هي وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية فلا يتوهم مبديها بطلان أجره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها وينتظر بها الإخفاء فتفوت أو يعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه أو بينه وبين إخراجها فلا يؤخر صدقته العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم قال تعالى: ﴿**وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**﴾ فأخبر أن إعطائها للفقير في خفية خير

للمنفق من إظهارها وإعلانها وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتـاء الفقراء خـاصة ولم يقـل وإن تخفوهـا فهو خيـر لكم فإن من الصـدقة مـا لم يمكن إخفـاؤهـا كتجهيز جيش وبناء قنـطرة وإجراء نهـر أو غير ذلـك وأما إيتـاؤها الفقـراء ففي إخفائها من الفوائد الستر عليه وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى وأنه لا شيء له فيزهدون في معـاملته ومعـاوضته وهـذا قدر زائـد من الإحسـان إليـه بمجـرد الصـدقـة مـع تضمنـه الإخـلاص وعدم المراءاة وطلبهم المحمدة من النـاس وكان إخفـاؤها للفقيـر خيراً من إظهارها بين الناس ومن هذا مدح النبي ﷺ صـدقة السـر وأثنى على فاعلها وأخبر أنه أحـد السبعة الـذين هم في ظل عـرش الرحمٰن يـوم القيامـة ولهذا جعله سبحانه خيراً للمنفق وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاتـه ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعملون خبير. ثم أخبر أن هذا الإنفاق إنما نفعه لأنفسهم يعـود عليهم أحوج مـا كانـوا إليه فكيف يبخـل أحـدكم على نفسه بمـا نفعه مختص بهـا عائـد إليها وأن نفقـة المؤمنين إنمـا تكون ابتغاء وجهـه خالصـاً لأنها صـادرة عن إيمانهم وأن نفقتهم تـرجع إليهم وافية كاملة ولا يظلم منها مثقال ذرة والله أعلم.

لم نستوعب الموضوع لطوله كعادة المؤلف رحمـه الله يتناول المـوضوع من جميـع النواحي فـاقتصرنـا على هذه النبـذة القصيرة خشيـة التطويـل قـال الأصمعي: سمعت أعرابياً يدعو لرجل فقـال: جنبك الله الأمـرّيْن وكفاك شـر الأجوفين وأذاقك البردين.

الأمران الفقر والعري. والأجوفـان البطن والفـرج. والبردان بـرد العيش وبرد العافية.

يروى أن رجلاً سأل بعض الزهاد فقال: أخبرني عن الدنيا فقال: جمـة المصائب رنقة المشارب لا تمتع صاحباً بصاحب.

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: من لم يضن بالحق عن أهله فهو الجواد وسمعت آخر يقول: الصبر عند الجود أخو الصبر عنـد البأس وسمعت آخـر يقول: سخـاء النفس عما في أيـدي الناس أكثـر من سخاء البـذل. من

وصية أحد السلف لبنيه إذا أراد أحكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب من الله عز وجل إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى. وقال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول لابنه: لا يغرنك ما ترى من خفض العيش ولين الرياش ولكن انظر إلى سرعة الظعن وسوء المنقلب سئل حكيم من أجدر الناس بالصنيعة قال: من إذا أعطى شكر وإذا منع عذر وإذا مُوطل صبر وإذا قدم العهد ذكر قيل له: فمن أكرم الناس عشرة قال: من إن قرب منح وإن بعد مدح وإن ظُلم صفح وإن ضويق سمح. أوصى حكيم ابنه فقال: أي بني كن جواداً بالمال في موضع الحق بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر وإن أحمد بخل الحر الضنّ بمكتوم السر.

قال أحدهم قلت لأعرابي: أي شيء تحسن من القرآن قال: إن معي ما لا أحتاج معه إلى أكثر منه مدحة الرب وهجاء أبي لهب. قال حكيم: رأس العقل الإيمان بالله والتودد إلى الناس وما استغنى رجل استبد برأيه ولم يهلك أحد عن مشورة وإذا أراد الله بعبد هلكة كان أول ما يهلكه رأيه.

قال الأحنف بن قيس الملول ليس له وفاء والكذاب ليس له حيلة والحسود ليست له راحة والبخيل ليست له مروءة ولا يسود سيء الخلق.

نبذة من كتاب مختصر منهاج القاصدين.

فصل
في عدم الاكتراث بذم الناس

واعلم أن أكثر الناس إنما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رضى الناس رجاء المدح وخوفاً من الذم وذلك من المهلكات فوجبت معالجته وطريق ذلك أن ننظر إلى الصفة التي مدحت بها إن كانت موجودة فيك فلا يخلو إما أن يكون مما يفرح به كالعلم والورع أو مما لا يصلح أن يفرح به كالجاه والمال أما الأول فينبغي أن يحذر من الخاتمة فإن الخوف منها شغل عن الفرح بالمدح ثم إن كنت تفرح بها

على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح الناس وأما القسم الثاني وهو المدح بسبب الجاه والمال فالفرح بذلك كالفرح بنبات الأرض الذي يصير عن قريب هشيماً ولا يفرح بذلك إلا من قل عقله وإن كنت خالياً عن الصفة التي مُدحت بها ففرحك بالمدح غاية الجنون وعلاج كراهية الذم يفهم من علاج حب المدح فإنه ضده والقول الوجيز فيه أن من ذمك إما أن يكون صادقاً فيما قال قاصداً للنصح لك فينبغي أن تتقلد منته ولا تغضب فإنه قد أهدى إليك عيوبك وإن لم يقصد بذلك الذم النصح فإنه يكون قد جنى هو على دينه وانتفعت بقوله لأنه عرفك ما لم تكن تعرف وذكرك من خطاياك ما نسيت وإن افترى عليك بما أنت بريء منه فينبغي أن تتفكر في ثلاثة أشياء أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب لم تخل من أمثاله فما ستر الله عز وجل عليك من عيوبك أكثر فاشكره إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك فذكر ما أنت عنه بريء. الثاني: أن ذلك كفارة لذنوبك. الثالث: أنه جنى على دينه وتعرض لغضب الله عليه فينبغي أن يسأل الله العفو عنه كما روي أنّ رجلاً شج إبراهيم بن أدهم فدعا له بالمغفرة وقال: صرت مأجوراً بسببه فلا أجعله معاقباً بسببي.

قال شاعر:

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه	كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذى	ولا مانعاً خيراً ولا ناطقاً هجرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة	فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

أوصى حكيم ابنه فقال: أي بني إن سمعت كلمة من حاسد فكن كأنك لست بالشاهد فإنك إن أمضيتها رجع العيب على من قالها وكان يقال: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل وكن كما قال حاتم الطائي:

وكلمة حاسد في غير جرم	سمعت فقلت مري فانفذيني
فعابوها علي ولم تسؤني	ولم يعرق لها يوماً جبيني

قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول لابنه: كن للعاقل المدبر أرجى منك للأحمق المقبل ثم أنشد:

عـدوك ذو الحلم أبقى عليك وأرعى من الوامق الأحمق

كتب حكيم إلى حكيم: ارض من الدنيا بالقليل مع سلامة دينك كما رضي قوم بالكثير مع ذهاب دينهم واعلم أن أجور العاملين موفاة فاعمل ما شئت والسلام.

قال إبراهيم بن إسحاق التميمي كتب إليّ أخي يعقوب بن إسحاق يا أخي إن كنت تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر فتصدق بما بقي على الآخرة وهو الأقل.

قال أحمد شوقي:

عجبت لمعشر صلوا وصاموا مظاهر خشية وتقى كذابا
وتلقاهم حيال المال صما إذا داعي الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه كأن الله لم النصابا
ومن يعدل بحب الله شيئاً كحب المال ضل هوى وخابا

وقال آخر:

من يدعي حب النبي ولم يفد من هديه فسفاهة وهراء
الحب أول شرطه وفروضه إن كان صدقاً طاعة ووفاء

يحكى أنه قرع باب ابن الرقاع الشاعر فخرجت بنية له صغيرة فقالت: من هاهنا قالوا: نحن الشعراء قالت: وما تريدون قالوا: نريد نهاجي أباك فقالت:

تجمعتُمُ من كل أوب وبلدة على واحد لا زلتُمُ قِرن واحد

نختم هذا الكتاب بخاتمة سورة البقرة مع تفسيرها من تفسير شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى.

قول الله تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما**

كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ ثبت عنه ﷺ أن: «من قرأ هاتين الآيتين في ليلته كفتاه» أي من جميع الشرور وذلك لما احتوتا من المعاني الجليلة فإنّ الله سبحانه وتعالى أمر في أول هذه السورة الناس بالإيمان بجميع أصوله في قوله تعالى: **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾** الآية. وأخبر في هذه الآية أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين آمنوا بهذه الأصول العظيمة وبجميع الرسل وجميع الكتب ولم يصنعوا صنيع من آمن ببعض وكفر ببعض كحالة المنحرفين من أهل الأديان المنحرفة. وفي قرن المؤمنين بالرسول ﷺ والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد شرف عظيم للمؤمنين وفيه أنه ﷺ مشارك للأمة في الخطاب الشرعي له وقيامه التام به وأنه فاق المؤمنين بل فاق جميع المرسلين في القيام بالإيمان وحقوقه وقوله تعالى: **﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾** هذا التزام من المؤمنين عام لجميع ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة وأنهم سمعوه سماع قبول وإذعان وانقياد. ومضمون ذلك تضرعهم إلى الله في طلب الإعانة على القيام به وأن الله يغفر لهم ما قصروا فيه من الواجبات وما ارتكبوه من المحرمات وكذلك تضرعوا إلى الله في هذه الأدعية النافعة والله تعالى قد أجاب دعاءهم على لسان نبيه ﷺ فقال: «قد فعلت» فهذه الدعوات مقبولة من مجموع المؤمنين قطعاً ومن أفرادهم إذا لم يمنع من ذلك مانع في الأفراد وذلك أن الله رفع عنهم المؤاخذة في الخطأ والنسيان وأن الله سهل عليهم شرعه غاية التسهيل ولم يحملهم من المشاق والآصار والأغلال ما حمله على من قبلهم ولم يحملهم فوق طاقتهم وقد غفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين.

فنسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته وبما من به علينا من التزام دينه أن يحقق لنا ذلك وأن ينجز لنا ما وعدنا على لسان نبيه وأن يصلح أحوال المؤمنين ويؤخذ من هنا قاعدة التيسير ونفي الحرج في أمور الدين كلها.

وقاعدة العفو عن النسيان والخطأ في العبادات وفي حقوق الله تعالى

وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المأثم وتوجه الـذم وأما وجـوب ضمان المتلفات خطأ أو نسياناً في النفـوس والأموال فـإنه مـرتب على الإتلاف بغيـر حق وذلك شامل لحالة الخطأ والنسيان والعمد والله أعلم.

انتهى مـا تيسر جمعـه ومنه الحمـد والمنة وصلى الله على نبينـا محمـد وآله وصحبه في شعبان سنة ١٤١١ هجرية.